تحدّي الرّقمنة

الجُمْهُورِيَّة الجَزَائِرِيَّة الدِّيمُقْرَاطِيَّة الشَّعْبِيَّة

رئاسة الجمهوريّة

المجلس الأعلى للغة العربية

جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم
كلية الأدب العربي والفنون

وفريق مشروع البحث التكويني الجامعي:
"دراسات فقلغوية معاصرة"
جامعة مستغانم

واقع اللّغة العربيّة محليّا ودوليّا

أعمال اليـــــوم الدراســـيّ المنعقد
في 04 ديسمبر 2019 بمناسبة:
الاحتفاء باليوم العالميّ للّغة العربيّة (18 ديسمبر)

منشورات المجلس 2019

كتاب: واقع اللّغة العربيّة محليّا ودوليّا

أعمال اليوم الدّراسي المنعقد في 04 ديسمبر 2019
الاحتفاء باليّوم العالميّ للّغة العربيّة (18 ديسمبر)

- **إعداد : المجلس الأعلى للّغة العربيّة**
- **قياس الصفحة:** 23/15.5
- **عدد الصفحات: 480**

الإيداع القانوني: السداسيّ الثّانيّ 2019
ردمك: 978-9931-681- 27-4

المجلس الأعلى للّغة العربيّة
العنوان: 52، شارع فرانكلين روزفلت
ص.ب 575، ديدوش مراد، الجزائر.
الهاتف: 16/17 07 23 21 213+
النّاسوخ: 07 07 23 21 213+
الموقع الإلكتروني: www.hcla.dz

ديباجة اليوم الدّراسي:
واقع اللغة العربيّة محليًا ودوليًا

فريق مشروع البحث التّكويني الجامعي:
دراسات فقلغويّة معاصرة
جامعة مستغانم

حدّدت اليونيسكو يوم 18 ديسمبر من كل سنة موعدا دوريا يحتفي فيه العالم بلغةٍ من أكثر اللغات انتشارا واستخداما في العالم، وهي على رأس اللغات الحاملة للحضارات البشريّة على مرّ العصور، إنّها العربيّة التي كتب الله لها أن تكون لسان أمة لا لسان عرق، فشرّفها بحفظ كلامه عز وجلّ لِتُخلَّد بخلوده. ومن هذا المنطلق؛ دأب المجلس الأعلى للغة العربيّة على تنظيم تظاهرات علميّة وثقافيّة احتفاءً بهذه المناسبة، وها هو اليوم يخطو خطوة إلى الأمام موسّعا دائرة الاحتفاء داخل الوطن بتمديد مدّتها إلى ما يُعادل الشّهر أو يزيد، اشتراكا مع مجموعة من الجامعات الجزائريّة، مقدمًا فرصةً لأكبرِ عدد من أبناء اللغة العربيّة ومحبيها للمشاركة الفعالة التي نتمنى أن تنجح وتتكرّر دوريا، وتتشرف جامعة مستغانم بأن تكون واحدة من تلك الجامعات.

يسعى هذا اليوم الدّراسي إلى مناقشة مختلف القضايا المتعلقة باللغة العربيّة وما تواجهه من تحديّات ذات أبعاد متعدّدة؛ أهمها اللغة الأجنبيّة التي غزت مجتمعاتنا العربيّة فأصبحت تشكل تهديدًا كبيرًا على هويتنا، بالإضافة إلى الضّعف المستشري بين طلبة اللغة العربيّة وتفشي العاميّات على ألسنتهم. وإيمانا منّا بأهميّة لغتنا ودورها في ترسيخ الهويّة، والانتماء، وصناعة الحضارة، والإبداع، جاءت هاته التّظاهرة العلميّة لمناقشة واقع اللغة العربيّة، وتشخيص التّحديّات المعاصرة

التي تواجهها في عصرنا الحاضر، مع العمل على إيجاد الحلول العلميّة والعمليّة التي تساعدنا على النّهوض بها إلى مصاف اللغات الرّائدة في مجال العلم والتّكنولوجيا والتّواصل، وعلى ضوء هذه الإشكاليّة تقترح اللجنة المنظمة لهذا اليوم الدّراسي مجموعة من المحاور التي نوّد التّركيز عليها ومناقشتها:

محاور اليوم الدّراسي:

1. اللغة العربيّة وتحدي الرّقمنة.
2. اللغة العربيّة لغة تواصل.
3. آليات النّهوض باللغة العربيّة.
4. دور اللغة العربيّة في تعزيز الانتماء الإسلامي والقومي.
5. واقع اللغة العربيّة في مواقع التّواصل الاجتماعي (دراسة في سبل التّشخيص والمعالجة).
6. الأمن اللغوي في الدّول النّاطقة بالعربيّة.

أهداف اليوم الدّراسي.

1. استشراف التّحديّات التي تواجهها اللغة العربيّة.
2. العمل على إيجاد حلول علميّة وعمليّة تنهض باللغة العربيّة.
3. توعيّة الطّلبة بأهميّة اللغة العربيّة في الحفاظ على الذّات والهويّة والوجود.
4. التّأكيد على أهميّة المعطى اللغوي في صناعة الحضارة.

د. مختاريّة بن قبليّة

داه. محمد بن عمارة

داه. عبد القادر غليد

فريق العمل:

الرّئيس الشّرفي لليوم الدّراسي:

- أ. د. مصطفى بلحاكم مدير جامعة عبد الحميد بن باديس/ مستغانم.

الإشراف العام على اليوم الدّراسي:

- أ. د. صالح بلعيد. رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة.
- أ. د. جيلالي بن يشو عميد كليّة الأدب العربي والفنون/ جامعة مستغانم.

منسّقة اليوم الدّراسي:

- د. مختاريّة بن قبليّة

اللّجنة العلميّة:

- أ. د. صالح بلعيد. رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة
- أ. د. الجيلالي بن يشو. عميد كليّة الأدب العربي والفنون
- د. مختاريّة بن قبليّة منسّقة اليوم الدّراسي
- د. قاضي الشّيخ نائب العميد لما بعد التّدرج والبحث العلمي
- أ. د. سعيدي محمّد رئيس المجلس العلمي للكليّة
- د. نور الدّين دحماني

اللجنة التّنظيميّة:

- د. مختاريّة بن قبليّة؛ منسّقة اليوم الدّراسي
- أ. سهام عبد الحفيظ / المجلس الأعلى للّغة العربيّة
- د. نور الدّين دحماني
- د. قاضي الشّيخ نائب العميد لما بعد التّدرج والبحث العلمي
- د. سعيد المكروم رئيس قسم الدّراسات الأدبيّة والنّقديّة
- د. مليكة فريحي رئيسة قسم الدّراسات اللغويّة

- د. حسين بن عائشة رئيس شعبة الدّراسات اللغويّة
- د. حسنيّة مسكين رئيسة شعبة الدّراسات النّقديّة
- أ. معمر عبد الله نائب رئيس القسم لما بعد التّدرج والبحث العلمي
- د. أحمد قوفي
- د. شهرازاد غول
- د. ناريمان العربي
- د. محمّد عبد اللطيف بن عمر
- د. يمينة مختاري

- **طلبة الدّكتوراه:** محمد بن عمارة، عبد القادر غليد، منوّر عمار، منتصر بلحاج غالي عبد القادر، خديم محمد، فاطمة غالي، خيرة غزالي، منوّر عائشة، ليزيد هجيرة أنساعد حليمة السّعديّة.

Arabic Language:

Reality & Challenges - National/International Grounds.

Dr Narimene Larbi
Université de Mostaganem

Thematic Scope: It is commonly known that the 18th of December is set, by the UNESCO, as the international day for the celebration of one of the world's most spoken and used languages, that of Arabic Language. Considered as a language that reflects a whole and wide set of nations with a rooted civilization in the history of Man, not only does it represent a civilization but also the language of the Holy Quran. In this regard, the Supreme Council of Arabic Language frequently organizes scientific and cultural events that hail the celebration of such occurrence, and the University of Mostaganem is contributing in this tendency which takes place accordingly.

The primary aim of this scientific event targets discussions related to the various issues related to the present state of Arabic Language along with the challenges it faces. With the belief in the importance of the existence and proper use of Arabic Language as well as its role in consolidating Identity and Sense of Belonging, it is important to expose and shed light on the challenges it faces regarding the foreign languages that happen to triumph over it with the advents of globalization and modernity. Hence, the present conference attempts to expose the status quo of Arabic language use, i.e., it diagnoses the contemporary challenges and reasons behind such a phenomenon and try to provide new methods and tools that address the preservation of Arabic Language as one of the top listed International languages.

Related Topics & Themes:

1. Arabic language and Globalization/Modernity
2. Arabic language and Communication

3. Tools & Solutions for improving international usability and consumption of Arabic Language
4. The Role/Importance of Arabic in consolidating Islamic/religious sense of Belonging
5. The status quo of Arabic and Social Networks
6. Arabic Language as a form of reassurance and a tool for union in Arabic-speaking countries.

Journée d'étude
La langue arabe en Algérie et à l'international: réalité et défis
04 décembre 2019

Problématique de la journée: Le dix-huit décembre de chaque année correspond à la journée mondiale de l'une des langues les plus parlées au monde, à savoir "la Langue arabe". Considérée comme une langue parlée et utilisée par des nations et des civilisations anciennes, la langue arabe est aussi la langue du Saint Coran.

Ainsi, le Haut Conseil de la langue arabe veille constamment à organiser diverses manifestations scientifiques et culturelles, dont l'objectif est de célébrer, à son tour, un tel événement. La Faculté des Lettres arabes et des Arts de l'Université de Mostaganem, quant à elle, n'a jamais céssé de contribuer scientifiquement afin de rendre les plus beaux des hommages à cette prestigieuse langue, et propose, à cette occasion, de tenir une journée d'étude portant sur "La situation de la langue arabe en Algérie et dans le monde".

Cet journée aura pour objectif de recentrer le débat sur la situation actuelle de la langue arabe et les défis auxquels elle se trouve confrontée. Convaincus de l'importance de la langue arabe et de son rôle dans la consolidation de l'identité et du sentiment d'appartenance, il nous semble plus que nécessaire de mettre en lumière les défis auxquels cette langue fait face, surtout sa place par rapport aux langues étrangères dans la mondialisation et la modernité.

Par conséquent, la journée d'étude tentera de mettre en lumière la situation de la langue arabe et la place qu'elle occupe dans le

monde. Autrement dit, la journée visera à diagnostiquer les différents problèmes auxquels est confrontée cette langue et tentera de proposer de nouvelles méthodes et de nouveaux outils quant à la préservation de la langue arabe.

Les axes de la journée:

1. Langue arabe et mondialisation / modernité.
2. Langue arabe et communication.
3. Outils et solutions pour améliorer la convivialité internationale et la consommation de la langue arabe.
4. Le rôle / l'importance de la langue arabe dans la consolidation du sentiment d'appartenance religieuse.
5. L'utilisation et l'usage de l'arabe dans les réseaux sociaux.
6. La langue arabe en tant que forme de réassurance et outil d'union dans les pays arabophones.

كلمة أ. د. جيلالي بن يشو عميد كليّة الأدب العربي والفنون جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم.

بِسْمِ اللّه الرّحمَان الرّحِيم، والصّلاة والسّلام عَلَى أَشْرف المُرسَلين سَيّدنا مُحَمّد بْنِ عَبد الله، وعلَى آله وصَحْبِه أَجْمَعِين ومَنْ اتَّبَعَهُ بإحْسَان إلى يَوْمِ الدّين، وبَعد:

- السّيّد الفاضل أ. د. بلحاكم مصطفى مدير جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم.
- السّيّد الفاضل أ. د. صالح بلعيد رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة؛
- السّيّدات والسّادة نواب مدير الجامعة، السّيّدات والسّادة عمداء الكليّة؛
- ضيوف جامعة مستغانم الكرام، أساتذتنا الأفاضل، بناتي وأبنائي الطّلبة الأسرة الإعلاميّة، سَعِيد جِدا بِلِقائِكُم اليوم في رحاب كليّة الأدب العربي والفنون التي تستضيف احتفاليّة اليوم العالمي للغة العربيّة المصادف للثامن عشر (18) من ديسمبر.

ومن هذا المقام العلمي دعوني أيّها السّيّدات والسّادة الفضليات والأفاضل وباسمكم جميعا أُسدي عبارات الشّكر والتّقدير للسيّد رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة لقاء تكرّمه بأن تحتضن جامعة مستغانم هذا اليوم الدّراسي، الذي نأمل أن يكون يانعا بمحاضرات الأساتذة والباحثين الذين تجشموا عناء السّفر وقدموا من ربوع جامعات الجزائر الحبيبة، ويافعا بنقاشاتكم أنتم –بناتي وأبنائي الطّلبة–فنحن نحرص دوما أن تكون الفائدة لكم.

الحضور الكريم تأتي اللغة العربيّة في المرتبة الرّابعة في ترتيب اللغات الأكثر انتشارا في الكرة الأرضيّة بعد الإنكليزيّة والفرنسيّة والإسبانيّة، وهي اللغة الأم لحوالي 500 مليون نسمة في العالم، وبذلك تُعد من أكثر اللغات تداولا في العالم ويُتوقع أن يصير عدد المتحدّثين بها نحو 700 مليونا في سنة 2050، أي ما سيشكل 07 في المئة من سكان العالم.

ولكن في مقابل هذا الانتشار لم تسلم اللغة العربيّة من خطر التّحديات التي باتت تواجهها عربيتنا محليا ودوليا، لعلّ أهمّها وأبرزها تحدي العولمة، ودخول مصطلحات دخيلة في اللغة العربيّة، وتعريب المصطلحات الأجنبيّة كي تواكب اللغة العربيّة التّطور التّقني والعلمي الذي يشهده العالم اليوم، وتأثير التّراكيب والأساليب اللغويّة الجديدة الغربيّة على اللغة العربيّة نتيجة التّرجمة من الانجليزيّة، والفرنسيّة وازدواجيّة اللغة بين العاميّة والفصحى، والهجين اللغوي، والتّحدي الإعلامي والعلمي والتّقني وغيرها.

هذا الواقع والتّحدي يدعونا للتفكير مليا للنّهوض بلغتنا العربيّة وجعلها لغة تساير التّكنولوجيا، لما تؤدّيه من دور مهم في حياتنا فلا وجود لأمّة بغير وجود اللغة، إذ يتمّ التّواصل بها بين أبناء المجتمع، وعن طريقها يكتسب النّاس خبراتهم ومهاراتهم وتنمو معارفهم، ويرتبطون فيما بينهم، وبتراثهم وحضاراتهم، ويتواصلون مع ركب الحضارة والتّطوّر.

السّيّدات والسّادة الأفاضل: أكيد أنّ المحاضرات المبرمجة والنّقاشات الثّريّة ستفتح آفاقا واسعة لرسم معالم واسترتيجيّة النّهوض بالعربيّة، وذلك في ظلّ جهود مجامع اللغة العربيّة، ومراكز البحث والجامعات ومؤسّسات الدّولة لعلّ أهمّها جهود المجلس الأعلى للغة العربيّة بالجزائر وما يضطلع به من أعمال وانجازات علميّة في سبيل الرّقي باللغة العربيّة.

الحضور الكريم: نتمنى أنّنا يسرنا لكم الطّريق، فالدّار داركم ونعم الإخوان انتم سعداء بوجودكم بيننا في رحاب جامعة مستغانم المضيافة، دمتم حماة أوفياء لهذه اللغة العربيّة السّاميّة، وذخرا وفخرا للجزائر الحبيبة، نتضرع الى الله سبحانه وتعالى أن يحفظ لغتنا من كل الشّوائب، ويحفظ بلدنا الجزائر ويجنبها كلّ سوء ومكروم. ويديم علينا نعمة الأمن والآمان، المجد والخلود لشهدائنا الإبرار وتحيا الجزائر.

أ/د جيلالي بن يشو.

العربيّة بين الماضي المُغدق والحاضر المُغدق المُقلق*

أ.د. صالح بلعيد.
رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة

ـ **الدّيباجة:** لا أريد النّظر إلى الوراء إلاّ من باب الحيطة واستلهام الجيّد من الماضي؛ وبالفعل فإنّ ماضي العربيّة مشرق مغدق بما قدّمته العربيّة للعرب وللإنسانيّة جمعاء. لغة لها امتدادات كبرى قبل الإسلام وكانت لغة التّواصل في طريقيْن تجاريين بنسبة لغويّة مقبولة، كانت حاضرة في Lingua–Franca في طريق الحرير بآسيا، وفي طريق المِلح بأفريقيا، لدرجة أنّ الفاتحين لقارة أفريقيا لم يستصحبوا معهم التّراجمة على غرار فِعْلهم في دخولهم قارة آسيا؛ لأنّ العربيّة مستعملة قبلاً من قبل التّجار العرب، وأصبحت مفهومة في حدود قضاء المصالح المُرسلة. فقد نالتّ العربيّة أركانَ العالم في زمن وجيز لا يتعدّى قرناً، بل أصبحت لغة العالم بما ترجمته وبما أنتجته وأضافته للحضارة الإنسانيّة.

ـ **المقدّمة:** لا ننكر أنّ العربيّة لغة ناميّة مُتطوّرة، ولها مُميّزات تُمكّنها استقبال مستّحدثات الحضارة التّقنيّة، والإيفاء بمتطلّباتها، وتلبيّة حاجاتها الرّاهنّة، ولها صفات السّيادة والرّيادة في مجال العلوم الإنسانيّة. والشّيء الذي تحتاجه الآن الإرادة الفاعلة واستثمار التّراث العربيّ مع أوعيّة معرفيّة متفاعلة، بمعطيات الفكر الحضاريّ المعاصر. ويعني هذا الإفادة من التّجارب الغربيّة والآسيويّة النّاجحة؛ بالانغماس في الحداثة، والخروج من التّقليدانيّة والتّصوّرات الخاطئة. وفي كلّ هذا نروم الانطلاق من مُسلّمات الواقع؛ لأنّ الواقع اللغويّ يدفعنا إلى ذكر الافتقار العربيّ إلى الرّصيد المعرفيّ المكتوب والموثّق بمنهجيّة علميّة في مجالات شتّى

وما نقوم به الآن يرتكز على اللغات الأجنبيّة بدواعٍ مختلفّة، رغم ما نلحظه من مرونّة وسلاسّة في بيان مكنونات الأمور العلميّة والمقدّرة على تمثيل تفصيلاتها من خلال وفرة المادّة والأساليب والتّراكيب. ومع كلّ ما تحرزه يومياً نحتاج إلى إعادة النّظر في تلك الأعمال التي تتساهل في نمطيّة الفعاليات اللغويّة وفي ضعف حركة التّدقيق والتّحكيم اللغويّ المبني على أصول وضوابط العربيّة التي تسهم في مناقشّة الأخطاء الشّائعة وقضايا المضامين. ولهذا فرهان العربيّة الحالي تكون قويّة بقوّة أهلها وارتباطهم بلسانهم، مع استثمار منتجات الحداثّة وطرح أفكار ومحاور مستجدّة؛ بشكل يحقّق التّنميّة اللغويّة المستديمّة، ولا يتأتّى ذلك إلاّ بالاستناد إلى العمل التّنمويّ التّطوريّ للغة المبني على التّخطيط اللغويّ وفق سياسّة لغويّة رشيدة.

1ــ العربيّة بين الماضي المُغدق والحاضر المُقلق: لا تحتاج العربيّة إلى تدبيج الكلام عن ماضيها المُغدق في كلّ مجالات الحياة؛ حيث أضحت لغة عالميّة عولميّة أفادت كلّ اللغات، بما أحيطت من علوم وما طوّرته من معارف العصور، فكانت تعطي وتأخذ، وأضحت عالميّة بما تعطي فقط، وبخاصّة في قارة أفريقيا التي اشتعلت فيها ولقّبت (لغة أفريقيا). لكن الحاضر أدّى إلى عمليات عكسيّة تمثّل في الفراغ القيميّ، وصاحبه غياب ثقافة الاعتزاز اللغويّ، في ضوء اضمحلال الرّوابط القوميّة التي تبني الذّات وتصنع الوعيّ لدى العرب. وفي كلّ هذا أصبح الواقع اللغويّ العربيّ مُقلقاً؛ وبخاصّة ما تُحدثه وسائل الإعلام من تأثير في صناعة الرّأيّ العامّ والذّوق الفرديّ، الأمر الذي انعكس سلبياً على العربيّة التي تمثّل المرآة الحقيقيّة للفكر وللحضارة الإنسانيّة. وهنا بدأ يغيب أمنُ اللغة العربيّة اللغويّ، بل أصبحت تُهدّد في ذاتها من حيث التّراجع عنها، **فما العمل؟** نحتاج إلى طرح رؤيّة استراتيجيّة لاستثمار المرتكزات اللغويّة في المعرفة؛ "بوضع الأسّس والأعمال التّطبيقيّة المبنيّة على تخطيط لغويّ قويم، كما يتحتّم علينا الآن إدارة المعرفة عربياً

من خلال الاستثمار في اقتصاديات اللغويّات؛ بما يعزز المحتوى اللغويّ العربيّ في المنجزات الحضاريّة[1]" وكلّ هذا لا ينفي المرونّة في التّفكير والانغماس في صراعات المستّجدات من خلال الرّبط بين الماضيّ المُغدّق وحركة الحاضر المُشرّق، وأحياناً المُقلق؛ لتحقيق تفاعليّة تنمويّة متينّة، بمنهج العمل الجماعيّ وتطوير فعاليات التّفاعل مع مختلف التّخصّصات، وفتح مواقع وصفحات ومنتديات ومدوّنات لتعزيز الرّوابط الإلكترونيّة وتقنياتّها المتنوّعة، ورعايّة التّفكير العلميّ النّاقد من أجل تصليح المسارات، وتعديل الخطّط بما يتوافّق مع الأهداف وخصوصيّة اللغة العربيّة، وهذا بغيّة الارتّقاء بمباني العربيّة ومعانيها من خلال إحياء الأصول وتطوير الأدوات والأساليب. ولهذا علينا العِوَل على هذه العوامل.

1- العامل السّياسيّ: سلطة لغويّة الزّاميّة وتوفير الدّعم من أجل تحقيق المكتسبات الجديدة.

2- عامل التّثقيف: توسيع المدارك، وتطويع التّحديات، وتنظيم المبادرات الثّقافيّة.

3- عامل الإعلام من أجل إيصال الرّسائّل السّريعة المؤثّرة بما للإعلام من سلطّة نافذّة إلى عقول الجماهير، وتشكيل الرّأيّ العامّ وصناعة الاتّجاهات.

4- عامل رقمنّة المادّة اللغويّة العربيّة، وحوسبتها من خلال تحويل المعارف والمعلومات إلى بيانات رقميّة؛ لتوفير ذخيرة حيّة يمكن إدارتها إلكترونياً، بما يحسم نتائجها للسمو بالعربيّة.

5- عامل توسيع دائرة اللغة العربيّة في العالم الأزرق/ الافتراضي بالاستثمار في القدرات والمهارات الفذّة في إنجاز الأفكار المبتّكرة التي تنطلق من العربيّة ولذاتها. وكلّ هذا لا يكون متجذّراً إلاّ بالعمل على تحقيق الأمن اللغويّ.

2ــ تحقيق الأمن اللغويّ: إنّ العِوَل في هذا الأمر على تفعيل دور الإعلام لما لتأثيره المزدوج بين الاختلال والإخلال للسّيطرة على العقول وفق الحقائق. فأمن

اللغة العربيّة يبدأ من أمن وسائل الإعلام "التي تحمل دوراً كبيراً في عمليّة التّحوّل الذي انتاب اللغة، وبسبب العولمّة والانفتاح الثّقافيّ تعرضّ الخطاب الإعلاميّ لأزمّة تعدّد المصطلح، وتعدّد المدلول، ممّا ولّد هجيناً دلالياً نتّج عنه هيمنّة مدلولات جديدّة أدّت إلى تثبيت المعنى اللغويّ بين الدّال والمدلول".[2] وإنّ اللغة بفضل متغيّرات الإعلام بحاجّة ماسّة إلى أمن لغويّ يحمي التّراث والإنتاج المعرفيّ لتتمكّن اللغة العربيّة من مواكبّة العصر، بحاجة إلى أمن يحافظ على هويّتها ونشاطها وحيويتّها، أمن يحافظ على عدم ذوبانها في اللغات الأجنبيّة، أمّن يتركها على التّواصل وتقدير الجانب اللغويّ في المعيار. أمن يقيها من حرب المصطلحات، أمن حصين يُسهم في تأمين هويتنا وأصالتّنا، ويفتح المجال لحمايتها من ازدواجيّة الدّال والمدلول. أمن يتحقّق من خلال الشّعور بالقدرة على تحقيق متطلّبات مستعملها، والاستجابّة لحاجاته من خلال الاستقرار والاستغلال اللغويّ الأمثل "يقوم مفهوم الأمن اللغويّ العربيّ أساساً على الحفاظ على سلامة اللغة العربيّة وصوْنها من العاديات والهجْمات التي تضربها في صميمها كلّ حين، فهو يسعى لحمايتها من سلطات العولمّة وتحول التّدخّل اللغويّ الأجنبيّ السّافر الذي لا يكاد يترك مجالا إلاّ ونخله شئنا ذلك أم أبينا، ويهدف في مضمونه الخاصّ إلى ديمومّة اللغة العربيّة ومنحها القدّرة الكافيّة لمواكبّة تطوّرات العصر والتّقنيّة المتسّارعة، وأما في مضمونّه فإنّه يسعى للحفاظ على وجدان الأمّة وكيانها وهيبتها وقيمتّها التي غزتها المدنيّة الحديثّة".[3]. وإنّ السّلاح في هذا الوقت هو الكلمّة الإعلاميّة التي لا تقّل خطورة عن أثر السّلاح في يدّ العسكريّ؛ بفعل مفعولها وتؤذي أفكارها دون أن تخلق تغيّراً في الأذهان. ولهذا، ندعو إلى التّحصّن بثقافة الأمّة وقيمها وحضارتها "فاللغة هي أمارة على شخصيّة الأمّة وذاتيتها الثّقافيّة ولا تتجلّى الذّاتيّة الثّقافيّة لتمثّل في التّراث الفكريّ والرّؤى الحضاريّة للمجتمع".[4] ومن هنا فإنّ مسألة الأمن اللغويّ قضيّة متعلّقة بالهويّة والانتماء في المقام الأعلى ولذلك من الأهميّة أن تضبّط بالوسائل التي تؤثّر على مستوى الحفاظ عليها، وأن توضع

القوانين الصّارمّة لحمايّة اللغة من المخاطر التي تؤدّي إلى التّهلكة. ولهذا لا بدّ من إيلاء البُعد الإعلاميّ ما يستحقّه من أهميّة على الصّعيدين العربيّ والعالميّ لما له من دور مهمّ ورئيسي في الحروب العسكريّة لا يقّل عن دور القوات المسلحّة في الحروب وكما يُقال"... فاللغة وسيلتنا الأساسيّة لنقل المعلومات في المجتمع البّشريّ ولكن اللغة قادرة على ما هو أكثر من ذلك؛ إذ يمكّنها أن تصوغ العالم، أو بمعنى آخر إنّها بمثابّة منشور تحليل الطّيف الذي ننظر إلى العالم من خلاله[5]".

3ــ مكانة العربيّة بين كبرى اللغات: مع كلّ ما تعيشه من مُضايقات وصُعوبات وكثير من المُحاربات من أهلها ومن غير أهلها، فلها ماضي مُشرق ومُستقبل واعد وهذا من خلال مُؤشّرات علميّة استدلّ بها الباحثون لقياس موقعها الحاضر. ويقول (الخليل النّحوي[6]) رغم كلّ مصائبها، لها **مؤشّرات** كثيرة توحي بقيمتها بين اللغات الكبرى، وهي:

1ــ **مؤشّر المكانة الوجدانيّة:** باعتبارها لغة الدّين الجامع بين العرب والمسلمين على اعتبار أنّها لغة أمّ ولغة الأمّ.

2ــ **مؤشّر الوضع الدّستوري:** لغة أم+ لغة الأمّة+ لغة رسميّة في اثنين وعشرين (22) بلداً عربياً+ لغة أجنبيّة رسميّة أولى في اثني عشر (12) بلداً ولغة أجنبيّة رسميّة ثانيّة في ستة وعشرين (26) بلداً. وهو وضع له علاماته الكبرى بأنّ لها أبعاداً عالميّة كبرى.

3ــ **مؤشّر عدد النّاطقين:** للعربيّة وجود في القارات الخمس، ولها ما يزيد عن خمسمئة مليون (50.000.000) من العرب النّاطقين بها لغة أولى رسميّة+ يضاف إليها ما يقرب من المليارين (2 مليار) مسلم+ الآلاف من المستعربين والمستشرقين والباحثين... كمٌ معتبرٌ من البشر النّاطقين بها وأصحاب الدّرايّة والكتابة بخطّها المعياريّ. وفي الصّورة مقام العربيّة بعدد مستعمليها كلغة أمّ. ويبدو لي أنّها تعود إلى إحصائيات قديمة نوعاً ما.

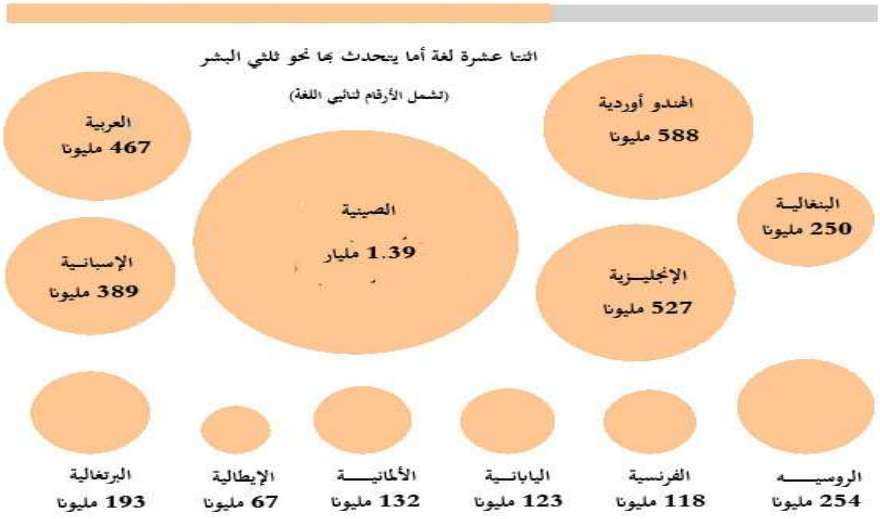

Sources: Ulrich Ammon, University of Düsseldorf, Population Reference Bureau
THE WASHINGTON POST
المصدر: صحيفة واشنطن بوست، عزوا إلى جامعة دوسلدروف، مكتب السكان

4ــ **مؤشّر النّطاق الجغرافيّ:** وهذا ما أشرنا له قبلاً، بأنّ العربيّة اشتعلت في القارة الأفريقيّة، ونالتّ في آسيا موقع اللغة الأمّ، واللغة الأجنبيّة الأولى، بلهَ الحديث عن موقعها التّعليميّ في البلاد المسلمة في آسيا الوسطى وألبانيا وجورجيا والقوقاز، وتلك الدّول التي خرجت من طوق الاتّحاد السّوفياتي. دون أن ننسى حضورها الجبريّ الدّينيّ في تلك الكتلة البشريّة الكبيرة في ماليزيا+ إندونيسيا+ الهند+ أفغانستان+ باكستان+ كشمير+ بنغلاديش. وبعض المسلمين في: الكمبوج+ الفيتنام+ بورما. وفي أمريكا اللاتينيّة لها موقع بنسبة كبيرة بعدد المهاجرين العرب، كما لها موقع علميّ في أوربا الحاليّة، بالمهاجرين وبكونها لغة اعتمد عليها في قواعد علومهم. وهي من اللغات التي تُصنّف الآن في المراتب المتقدّمة على غرار الأنكلوفونيّة/ الكمنولث والفرنكفونيّة واللوزوفونيّة والإسپانوفونيّة.

5ــ **مؤشّر تعليم العربيّة خارج مواطنها:** لها مواقع في كلّ جامعات العالم دون الحديث عن بعض المدارس الخاصّة والثّانويات، وبعض الفروع التّابعة للدّول

العربيّة وهو أمر جدير بالتّنويه؛ حيث نجد العربيّة في كوريا الجنوبيّة كلغة أجنبيّة ثانيّة، وفي طوكيو في جامعاتها الكبرى، وفي الصّين بها 66 جامعة تدرّس العربيّة في أقسام الأدب العربيّ، "ولن يخفى على زائر الصّين أو الهند (وليستا من الدّول الإسلاميّة) أنّ العُملة الورقيّة التي يشتري بها المواطن والوافد خبزه وحاجاته اليوميّة مُحلاة بكتابة عربيّة ترمز إلى عراقة اللغة العربيّة في البلدين، وتمسّك بعض شعوبهما بحروف هذه اللغة، واحترام هاتين الدّولتين غير المسلمتين لخيار تلك الشّعوب في كتابة لغاتها بالحرف العربي". وأمّا في أروبا، فمقام أصوات العربيّة ظاهر في المالطّيّة، وهي لغة كأنّها من أصول عربيّة، وحضور العربيّة في فرنسا قويّ، لدرجة أنّ الفرنسيين لا يستبعدون أنّ فرنسا سوف تصبح عربيّة في الخمسين سنة القادمة، بل سيحكمها رئيس عربيّ، وأنّ الاسم الأكثر تسجيلاً في الحالة المدنيّة في فرنسا سنة 2018 هو (محمّد). وفي بلاد بريطانيا وإيرلندا فإنّه يقع الطّلب على تعلّم العربيّة بشكل يتزايد باستمرار، وذات الشّيء في الدّانمارك وإيطاليا وبلجيكا وألمانيا والسّويد واليونان. ودائماً يزداد الطّلب على فتح الأقسام العربيّة، وبناء المدارس، وتدشين المراكز الثّقافيّة، وفتح المكتبات... كما ينطبق الأمر على الأمريكيتين، وقارة أستراليا بذات الحمية العلميّة التي تُعلي من مقام العربيّة عند غير أهلها.

6ــ **مؤشّر الحضور الإعلاميّ:** ما تتحكّم إليه من فضائيات وإذاعات وقنوات محليّة لَهُوَ من الكمّ المعتبر وكلّ يضخّ بالعربيّة بين المحليّات والهجين، وقليل ما يُذاع بالفصحى المعياريّة. والمهمّ في الأمر أنّ هناك أرمادة من المنابر الإعلاميّة العربيّة تعطي المادّة الإعلاميّة بالعربيّة بمستوياتها المختلفة، ويُضاف إليها أنّ كل الدّول الأجنبيّة لها أكثر من إذاعة/ قناة/ فضائيّة بالعربيّة، مع ما يُنشر على مستوى اليوتوب، وغير ذلك من وسائل التّواصل الاجتماعيّ.

7ــ **مؤشّر الذّات اللغويّة:** إنّ العربيّة لها ميزة الشّساعة لما لخصائصها وجذورها لا توجد في أيّة لغة أخرى ويكفي أنّ مختلف التّقليبات التي تأتي على

كلماتها= الثّلاثيّ+ الرّباعيّ+ الخماسيّ (المجرّد والمزيد) يساوي 12.302.912 كلمة، واللغة الثّانيّة هي الإنكليزيّة تحتوي على 600.000 كلمة، والفرنسيّة على 150.000 كلمة والإسپانيّة على 180.000 كلمة، والرّوسيّة على 130.000 كلمة والصّينيّة على 500.000 كلمة. وما يلاحظ أنّ الفرنسيّة التي نستعملها في بلادنا المغاربيّة تفوقها العربيّة بـ 82 مرّة فكيف تضيق العربيّة بما تحمله من زُخْم الكلمات التي يُمكن أن يخرج منها المعنى الحقيقيّ/ المجازيّ/ البلاغيّ، وما يتعلّق ذلك من دلالات حسب المجالات، ومصطلحات العلوم.

8ـ **مؤشّر الحضور على الشّابكة:** قبل سنة 2012، كانت العربيّة عدماً، ولكن الآن أصبحت تُنازع الإسپانيّة في الرّتبة الثّانيّة، بما لها من مواقع كثيرة، ومحرّكات بحث، وما يتبع ذلك من وسائل التّواصل الاجتماعيّ رغم المضايقات التّقنيّة في التّرجمة وفي البرمجيات السّريعة وفي بناء المنصّات، ويبقى مؤشّرها ضعيفاً مع كلّ الجهود التي تُبذل من رجال المعلوماتيّة واللسانيين. وإنّ الزّمان كفيل بأن يجيبنا أنّ العاملين على تطويرها لا يزالون يعملون، وسيكون لها المقام العلميّ المطلوب. وهناك الآن تغطيّة محتشمة من قبل الأقمار الصّناعيّة العربيّة ولكن هناك بثّ عن طريق السّاتلات الغربيّة التي تتكفّل بالعربيّة لأغراض اقتصاديّة وعلميّة. ويبرز الشّكل التّالي مقام العربيّة في الشّابكة كما يلي:

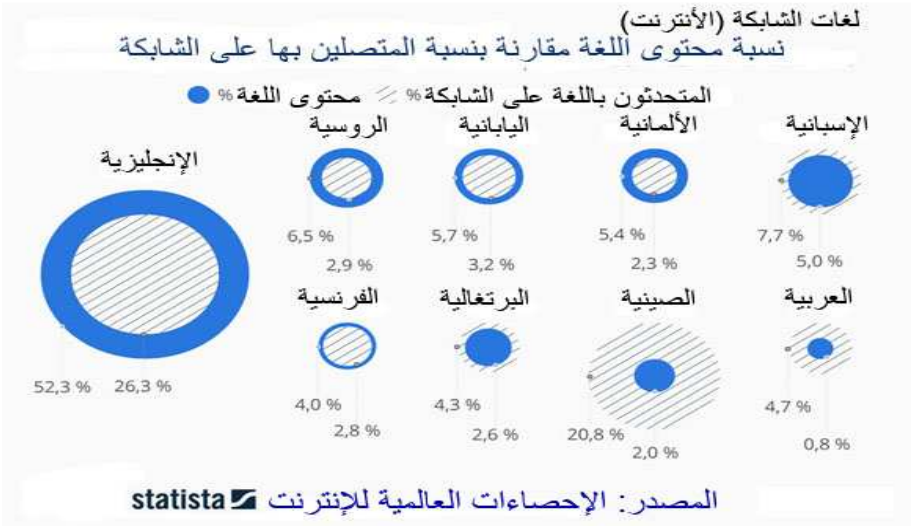

وفي إحصاء حديث تبرز لنا العربيّة في الرّتبة الرّابعة من حيث عدد المستخدمين:

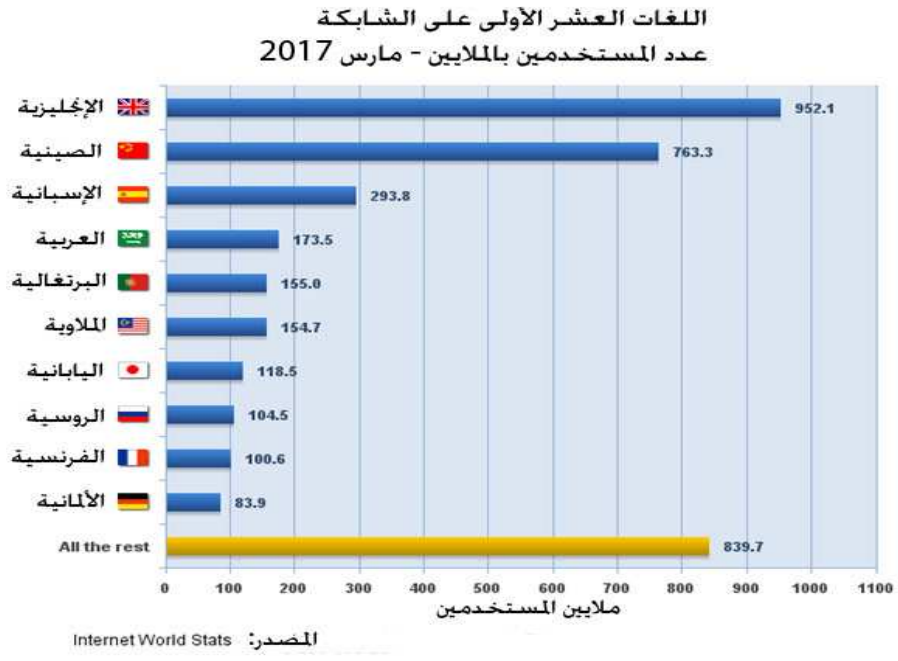

ـ **الخاتمة:** مهما تحدثنا عن مقام العربيّة فلا نَفِيها حقَّها تجاه ما قدّمته للحضارة الإنسانيّة، ولكن المقام يتطلّب منّا الحديث عن سَدَنَتِها، فما هو من واجبهم، وما هو المطلوب من مؤسّساتها. العربيّة بالفعل يعلو مقامها، ولكن يجب النّظر في قضاياها المعاصرة، ومن الأهميّة بمكان أن نتدارسَ في ما بيننا شؤونها وأحوالها. وعلينا جميعاً أن نشدّ على أيادي بعضنا لتجسيد الآمال المعقودة، وأن نضع بين هذا الجيل برامجَ ومشاريعَ كبيرة وعمليّة؛ تُيسّرُ سُبُلَ استعمالها وتوظيفها والتّحدّث بها. ومن الضّروريّ أن نستفيد مِن كلّ ما هو جديدٌ في المجال التّكنولوجيّ والرّقميّ لخِدمة هذه اللّغة. وعلينا فتح نوافذنا على البحوث الجاريّة عند الآخرين، ونستفيد من الأساليب العلميّة التي خدموا بها لغاتهم. وها هو دور العلماء والمؤسّسات في تجسيد قضاياها بشكل علميّ، والعمل على تقديم الوصفات التي تعمل على ملاحقة الرّاهن، وإلاّ سنبقى نراوح مكاننا ونجترّ المقول، ونعيش في دوّامة الأفول واللغات في تطوّر مذهول.

الاحالات:

♥– أعدّت المداخلة للملتقى الوطنيّ حول (واقع اللغة العربيّة محلياً ودولياً) بمناسبة اليوم العالميّ للغة العربيّة. جامعة عبد الحميد بن باديس، بمستغانم في 4 ديسمبر 2019م.

[1] – حسن عمر دراوشة "المرتكزات اللغويّة لتنميّة العربيّة في ضوء معطيات الفكر الحضاريّ المعاصر" المؤتمر السّنويّ لعامّ 2018 لمجمع اللغة العربيّة الأردنيّ (اللغة العربيّة والفكر المعاصر: بين التّواصل والتّكامل). منشورات المجمع 2018 ص 537.

[2] – ميس خليل أو زيادة "الأمن اللغويّ والإعلام، جدليّة العلاقة بين الدّال والمدلول". المؤتمر السّنوي لعامّ 2018 (اللغة العربيّة والفكر المعاصر: بين التّواصل والتّكامل) 25– 26 أفريل 2018. الأردن: 2018، منشورات مجمع اللغة العربيّة الأردني، ص 319.

[3]– عمر محمد أمين هزايمة، الأمن اللغويّ العربيّ. الأردن: 2005 ص 12.

[4]– شحادة الخوري "واقع اللغة العربيّة عربياً ودولياً" مجلة التّعريب. دمشق: 2001، 21، ص 30–31.

[5]– نايف خرما، أضواء على الدّراسات اللغويّة المعاصرة. الكويت: 1980، المجلس الأعلى للثّقافّة ص 223.

[6]ــ الخليل النّحوي "مكانة اللغة العربيّة اليوم بين اللغات الكبرى" محاضرة ألقيت بمناسبة اليوم العالمي للغة العربيّة. باريس: 18 ديسمبر 2017، مقرّ اليونسكو. (بتصرّف).

كلمة الافتتاح الرّسمي لليوم الدّراسي حول واقع اللغة العربيّة محليّا ودوليّا

د. مصطفى بلحاكم

مدير جامعة مستغانم

تواجه اللغة العربيّة تحدّيات كبيرة في عالم تتسارع فيه التّحوّلات على مختلف الأصعدة، ولذلك صارت المجتمعات تولي عنايّة بالغة باللغات البشر جميعها، لا سيّما تلك التي توفّرت على إمكانات تواصليّة هامّة. فاللغة العربيّة هي ضمير الأمّة ولسانها النّاطق بآمالها والمعبّر عن آلامها، وهي ركن ركين في مقوّماتها الحضاريّة وحامل تراثها الزّاخر بالعلوم والآداب والمعارف، وهي إن شئنا طابعها البريدي الذي يعرّف بها في شتى المحافل، والقلم الذي يبرز مناقبها والصّفحات المشرقة في تاريخها.

من هذا المنطلق يسرّ جامعتنا أن تحتفي هذه السّنة باليوم العالمي للغة العربيّة التي استطاعت أن تفرض وجودها ليس محلّيا أو إقليميا فحسب، وإنّما دوليا أيضا فأدرك المجتمع الدّولي من خلال هيئة اليونسكو قيمة هذه اللغة التي استمدّت قوّتها انطلاقا من عمقها الحضاري والتّاريخي وقيمتها التّواصليّة المتكاملة التي استحدثت تاريخ الثّامن عشر من كلّ عام ابتداء من 1973 ، وهو التّاريخ الذي تمّ فيه إصدار الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة قرارها القاضي باعتماد اللغة العربيّة لغة رسميّة وضمن اللغات التي يتمّ العمل بها في هذه الهيئة الدّوليّة.

فكان الأمر فرصة للاحتفاء بهذه اللغة العريقة التي غدت من أكثر اللغات انتشارا وتداولا عبر العالم، فضلا عن كونها اللغة التي قُدّر لها أن تكون لسان أمّة تستمدّ قوّتها من لغة الوحي القرآني العظيم.

وتأبى الجامعة الجزائريّة عموما وجامعة مستغانم على وجـــه الخـــوص إلاّ أنّ تثمّن مساعي ترقيّة اللغة العربيّة وتعزيز آليات تطويرها، لا ســيما تلــك الجهــود القيّمة التي يضطلع بها المجلس الأعلى للغة العربيّة منذ تأسيسه، فيسعدنا أن يضع يده في أيدي جامعتنا عبر كليّة الأدب العربي والفنون على تنظــيم هــذا الموعــد العلمي المشهود الذي بعدّ واحدا من تلك التّظاهرات العلميّة والثّقافيّة احتفــاءً بهــذه المناسبة، وها هو اليوم يخطو بثبات إلى الأمام موسّــعا دائــرة الاحتفــاء داخــل الجامعات الجزائريّة، مقدّمًا فرصةً لأكبرِ عدد من أبناء اللغة العربيّة والباحثين فيها للإسهام الفعّال.

ولا يفوتني هنا أن أشكر جميع الباحثين المشاركين سواء من جامعتنا أم ضيوفنا الكرام من سائر جامعات الوطن، شاكرين لهم حسن الدّعم والإقبال على هذا النّشاط العلمي، راجيا لهم قضاء أمتع اللحظات في ضيافتنا، واسمحوا لي أن أشــكر مــن خلالكم سعادة البروفيسور "صالح بلعيد" الذي يشجّع على الدّوام المبادرات والجهود العلميّة التي تتّصل بقضايا لغتنا الجميلة، مثمّنا مساعيه الرّاميّة للنّهوض بها.

وإذ أشيد ختاما بفكرة تنظيم هذا النّشاط العلمي القــيّم فــي فكرتــه ومحتــواه وإشكاليته ذات المنحى الحضاري والعلمي، منوّها بجهود القائمين عليه والمشاركين في إثراء محاوره من شتى ربوع الوطن؛ فإنّني أعلن بمنتهى السّعادة عن الإعلان الرّسمي لافتتاح فعاليات اليوم الدّراسي راجيا تحقيق المأمول من الأهداف.

البرنامج:

الافتتاح الرّسمي لليوم الدّراسي: (09.00 - 09.30)

- **تلاوة لآياتٍ بيّناتٍ من القرآن الكريم.**
- **النّشيد الوطني.**
- **كلمة منسّقة الملتقى د. مختاريّة بن قبليّة.**
- **كلمة د. ناريمان العربي (بالإنجليزيّة والفرنسيّة)**
- **كلمة السّيّد العميد أ. د. جيلالي بن يشو.**
- **كلمة رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة أ.د. صالح بلعيد.**
- **كلمة مدير الجامعة أ. د. مصطفى بلحاكم.**

الجلسة الأولى:

رئيس الجلسة: أ. د. محمّد سعيدي / جامعة مستغانم

09.30 – 09.45 أ.د. عبد الجليل مرتاض جامعة تلمسان

لماذا موسوعة الجزائر؟

09.45 – 10.00 أ. د. عبد الحليم بن عيسى جامعة وهران 1

د. ساميّة بن يامنة، المدرسة العليا للأساتذة، بوهران

اللغة العربيّة والعنف اللساني

10.00 – 10.15 أ. د. حبيب بوزوادة جامعة معسكر

المحادثة الرّقميّة على شبكات التّواصل الاجتماعي - قراءةٌ في أنساقها اللغويّة وسماتها الدّلاليّة

10.15 – 10.30 أ. د. أحمد بن عجميّة و د. عبد القادر بعداني – جامعة الشّلف

اللغة العربيّة والمحيط العولمي

10.30 – 10.45 أ. د. حاج علي عبد القادر جامعة مستغانم

قدرة اللغة العربيّة على مواكبة مستجدات العصر

الجلسة الثانيّة:

رئيس الجلسة: أ.د. عبد الجليل مرتاض / جامعة تلمسان

11.00 – 11.15 أ. د. مطهري صفيّة / جامعة وهران

مشروع الذّخيرة العربيّة بين الواقع والمأمول

11.15 – 11.30 د. مختاريّة بن قبليّة جامعة مستغانم

ود. لطيفة دخيسي جامعة العلوم والتّكنولوجيا بوهران

إسهامات المعلوماتيين الجزائريين في ميدان اللغة العربيّة

- جامعة العلوم والتّكنولوجيا بوهران أنموذجا-

11.30 – 11.45 د. حسين بن عائشة جامعة مستغانم

اللغة العربيّة بين التّحديات المستعصيّة والحلول الممكنة

11.45 – 12.00 د. مزواغ ليلى جامعة مستغانم

اللغة العربيّة بين دقة الرّسالة واتساع التّواصل.

12.00 – 12.15 د. نعيمة شلغوم ود. مصاص جمعة جامعة خنشلة

اللغة العربيّة ودورها في تعزيز الانتماء القومي في ظل العولمة.

12.15 – 12.30 د. جعفر يايوش /جامعة مستغانم

وضع قاعدة بيانات للتراث المصطلحي الطّبي العربي:

الرّؤيّة، والمنهج، والإجراء

12.30 – 12.45 د. بوسغادي حبيب المركز الجامعي عين تموشنت

مشروع الذّخيرة اللغويّة ومعالجته آليا

الجلسة الثالثة:

رئيسة الجلسة: أ. د. صفيّة مطهري / جامعة وهران

12.45 – 13.00 أ.د. الشّارف لطروش /جامعة مستغانم

اللّغة العربيّة والتّحديّات المعاصرة

13.00 – 13.15 د. قاضي الشّيخ جامعة مستغانم

مناهج تعليم العربيّة بين التّنظير الحداثي والموروث التّراثي

13.15 – 13.30 أ.د. لخضر قدور قطاوي جامعة الشّلف

آليات تّعليميّة اللغة العربيّة التي تربط الطّالب الجامعي بهويته

13.30 – 13.45 أ. رشيدة بودالیّة الجامعة البويرة

آليات النّهوض باللّغة العربيّة في حقل الإعلام.

13.45 – 14.00 د. نزيهة بن بشير جامعة مستغانم

L'identité linguistique dans les biographies langagières des étudiants arabophones

14.00 – 14.15 د. أحمد قوفي جامعة مستغانم

تدريس قواعد اللغة العربيّة من منظور المقاربة بالكفايات:

قراءة في مناهج الجيل الثّاني.

14.15 – 14.30 د. نور الدّين دحماني جامعة مستغانم

الأصول اللغويّة الفصحى للكنايّة في الخطاب التّواصلي العامي الجزائري.

14.30 – 14.45 د. شهرزاد غول جامعة مستغانم

حوسبة اللغة العربيّة وأثرها في التّعليم.

الورشة الأولى والورشة الثانيّة متزامنتان:

الورشة الأولى: (ورشة الأساتذة)

رئيسة الورشة: د. مليكة فريحي / جامعة مستغانم

مقرّرا الورشة: د. حسنيّة مسكين وأ. غالي عبد القادر

11.00 – 11.15 د. مصطفاوي جلال المركز الجامعي-عين تيموشنت

جدل العلاقة بين اللغة العربيّة والهويّة

11.15 – 11.30 د. فاطمة الزّهرة حبيب زحماني جامعة وهران 1

العربيّة لغة العلوم.

11.30 – 11.45 د. حسنيّة مسكين جامعة مستغانم

بناء الأسئلة وفعاليتها في تعليميّة اللغة العربيّة

11.45 – 12.00 أ.عبد الرّحمان حاج علي جامعة مستغانم

تدعيم استعمال العربيّة لغةً للتّواصل الاجتماعي

12.00 – 12.15 د. مختاريّة بن عابد جامعة مستغانم

كتابات الشّيخ "محمّد البشير الإبراهيمي" ودورها في الحفاظ على الهويّة.

12.15 – 12.30 د. زيار فوزيّة جامعة مستغانم

آليات النّهوض باللغة العربيّة

12.30 – 12.45 د. مليكة فريحي جامعة مستغانم

تعليميّة اللغة العربيّة بين التّجديد والتّقليد

12.45 – 13.00 أ. منصور بويش جامعة مستغانم

اللغة العربيّة في موقع التّواصل الاجتماعي فايسبك:

بين متطلّبات التّواصل ورهان الاستمرار

13.00 – 13.15 د. يمينة مختاري جامعة مستغانم

استراتيجيّة التّعليم بالكفايات في ظل النّص السّردي

– بين نشاطيّ فهم المنطوق وفهم المكتوب في مستوى السّنة الثّالثّة ابتدائي

13.15 – 13.30 د. سعاد نكاع جامعة مستغانم

اللّغة العربيّة بين الآفاق التّعليميّة وواقع التّعلّم

مرحلة المتوسّط أنموذجا

الورشة الثّانيّة: (ورشة طلبة الدّكتوراه)

رئيس الورشة: د. سعيد المكروم / جامعة مستغانم

مقرّرَا الورشة: أ. معمر عبد الله و د. يمينة مختاري

11.00 – 11.15 أ. فاطمة غالي جامعة مستغانم

واقع اللغة العربيّة في وسائل الإعلام

11.15 – 11.30 خديم محمّد جامعة مستغانم

اللسان العربي ورهانات التّواصل الإعلامي

11.30 – 11.45 أنساعد حليمة السّعديّة جامعة مستغانم

علاقة لسانيات النّص بتعليميّة النّحو العربي

12.00 – 11.45 أ. محمّد بن عمارة جامعة مستغانم

التّحديات الحضاريّة للغة العربيّة (من الواقع إلى المأمول).

12.15 – 12.00 أ. عبد القادر غليد جامعة مستغانم

دور تعلّم اللسان العربي في فهم القرآن والسّنّة

12.30 – 12.15 أ. منوّر عمار جامعة مستغانم

أثر اللسانيات الحاسوبيّة في تعليميّة النّحو بين الواقع والمأمول.

12.45 – 12.30 أ. منتصر بلحاج جامعة مستغانم

أثر الخطاب القرآني في بعث وتطوير اللغة العربيّة.

13.00 – 12.45 غالي عبد القادر جامعة مستغانم

دور القرآن الكريم في حفظ اللغة العربيّة

13.15 – 13.00 أ. ساميّة عباسة جامعة مستغانم

عقبات الأمن اللغوي في الجزائر في ظل التّداخل اللغوي

13.30 – 13.15 أ. خيرة غزالي جامعة مستغانم

حوسبة اللغة العربيّة بين تدفق المصطلحات وتجدد المفاهيم

13.45 – 13.30 أ. منوّر عائشة جامعة مستغانم

إشكاليّة التّهجين اللغوي في اللهجات الجزائريّة

14.00 – 13.45 أ. ليزيد هجيرة جامعة مستغانم

تعليميّة اللغة العربيّة في ضوء المنهج التّداولي

14.15 – 14.00 بن مستاري حياة جامعة مستغانم

واقع اللغة العربيّة في مواقع التّواصل الاجتماعي

التّوصيات والاختتام: 15.30

فهرس

العنوان	الصّفحة
ديباجة اليوم الدّراسي: **واقع اللغة العربيّة محليًا ودوليًا** فريق مشروع البحث التّكويني الجامعي: دراسات فقلغويّة معاصرة جامعة مستغانم	03- 04
Arabic Language: **Reality & Challenges - National/International Grounds.** Dr Narimene Larbi Université de Mostaganem	07- 10
كلمة أ.د. جيلالي بن يشو عميد كليّة الأدب العربي والفنون جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم.	11- 12
العربيّة بين الماضي المُغدق والحاضر المُقلق د. صالح بلعيد. رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة	13- 24
كلمة الافتتاح الرّسمي لليوم الدّراسي حول **واقع اللغة العربيّة محليّا ودوليّا** أ.د. مصطفى بلحاكم مدير جامعة مستغانم	25- 26
البرنامج	27- 32
الفهرس	33- 38

ميلاد الموسوعة الجزائريّة أ. د. عبد الجليل مرتاض جامعة تلمسان	39- 50
مشروع الذّخيرة العربيّة – الواقع والمأمول أ. د. صفيّة مطهري جامعة وهران1 أحمد بن بلة	51- 62
إسهامات المعلوماتيين الجزائريين في ميدان اللغة العربيّة - جامعة العلوم والتّكنولوجيا بوهران أنموذجا- د. مختاريّة بن قبليّة جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم. د. لطيفة دخيسي جامعة العلوم والتّكنولوجيا بوهران	63- 80
اللغة العربيّة والمحيط العولمي. أ. د. أحمد بن عجميّة د: عبد القادر بعداني جامعة حسيبة بن بوعلي شلف.	81- 90
آليات النّهوض باللغة العربيّة: Mechanisms for the advancement of the Arabic language داه. فوزيّة زيار جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم	91- 102
اللّغة العربيّة والتّحديّات المعاصرة أ. الشّارف لطروش جامعة مستغانم.	103- 112

اللغة العربيّة والعنف اللساني أ. د. عبد الحليم بن عيسى، جامعة وهران1، أحمد بن بلّة د. ساميّة بن يامنة، المدرسة العليا للأساتذة، بوهران.	113- 136
آليّات النّهوض باللّغة العربيّة في حقل الإعلام أ. رشيدة بودالية جامعة العقيد آكليّ محند أولحاج، ولايّة البويرة.	137- 160
اللغة العربيّة ودورها **في تعزيز الانتماء القومي في ظل العولمة** أ. جمعة مصاص أ. نعيمة شلغوم جامعة عباس لغرور، خنشلة.	161- 170
كتابات الشّيخ "محمد البشير الإبراهيمي" **ودورها في الحفاظ على الهويّة.** داه. مختاريّة بن عابد جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم	171- 190
حوسبة اللغة العربيّة: استثمار وانتشار داه. شهرزاد غول جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم.	191- 200
الأصول اللغويّة الفصحى للكنايّة في الخطاب التّواصلي العامي الجزائري د. نور الدّين دحماني جامعة مستغانم	201- 228

تدريس قواعد اللغة العربيّة من منظور المقاربة بالكفايات: قراءة في مناهج الجيل الثّاني د. أحمد قوفي جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم	229- 240
مشروع الذّخيرة اللغويّة ومعالجته آليا أ. بوسغادي حبيب المركز الجامعي عين تموشنت	241- 256
أثر اللّسانيات الحاسوبيّة في تعليميّة النّحو بين الواقع والمأمول داه. عمار منور جامعة مستغانم	257- 268
اللغة العربيّة بين التّحديات المستعصيّة والحلول الممكنة د. حسين بن عائشة ج. عبد الحميد بن باديس، مستغانم	269- 288
اللغة العربيّة بين دقة الرّسالة واتساع التّواصل أ. مزواغ ليلى ج. عبد الحميد بن باديس، مستغانم.	289- 302
جدل العلاقة بين اللغة العربيّة والهويّة داه.جلال مصطفاوي المركز الجامعي عين تيموشنت.	303- 316
أثر الخطاب القرآني في بعث وتطوير اللغة العربيّة داه. منتصر بلحاج جامعة مستغانم	317- 328

العربيّة لغة العلوم د. حبيب زحماني فاطمة الزّهراء جامعة وهران	329- 338
أنماط الأسئلة وفعاليتها في تعليميّة اللغة العربيّة Types of questions and their effectiveness in didactic Arabic د. مسكين حسنيّة جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم	339- 348
المحادثة الرّقميّة على شبكات التّواصل الاجتماعيّ قراءةٌ في أنساقها اللغويّة وسماتها الدّلاليّة أ. د. حبيب بوزوادة جامعة معسكر.	349- 364
اللّسان العربيّ ورهانات التّواصل الإعلاميّ داه. محمد خديم جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم	365- 382
اللّغة العربيّة بين الآفاق التّعليميّة وواقع التّعلّم مرحلة المتوسّط أنموذجا أ. سعاد نكاع جامعة مستغانم	383- 392
مناهج تعليم العربيّة بين التّنظير الحداثي والموروث التّراثي داه. قاضي الشّيخ جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم.	393- 410

عقبات الأمن اللّغوي في الجزائر في ظل التّداخل اللّغوي داه. ساميّة عباسة جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم.	411- 430
دور تعلم اللسان العربي في فهم القرآن والسّنة داه. عبد القادر غليد جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم	431- 440
أثر القرآن الكريم في الحفاظ على اللّغة العربيّة داه: عبد القادر غالي جامعة عبد الحميد ابن باديس، مستغانم	441- 452
آليات تّعليميّة اللغويّة العربيّة التي تربط الطّالب الجامعي بهويته أ. لخضر قدور قطاوي جامعة الشّلف	453- 470
واقع اللغة العربيّة في وسائل الإعلام داه. غالي فاطيمة جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم.	471- 480

ميلاد الموسوعة الجزائريّة

أ. د. عبد الجليل مرتاض

جامعة تلمسان

تعريف الموسوعة: الموسوعة عادة ما يقابل بها معجم لغة، إذ من الشّائع أنّ المعجم أو القاموس مهمّته إعطاء معلومات موسوعيّة أو موجزة عن مجال متجانس، ولاسيما ما يتعلّق بالمعاجم الأحاديّة كـ"لسان العرب" لابن منظور في اللغة العربيّة وشواهدها والمخصّص لابن سيّدة فيما هو مستعمل من مداليل خاصّة وعامّة بين النّاس إلى عهده (توفي 458هـ) وفهرست ابن النّديم (380هـ) في أخبار العلماء المصنّفين ممن سبقوه أو عاصروه مع استقصاء ذكر ما أنتجوه كلاّ حسب مجاله واختصاصه، وموسوعة ابن النّديم تعدّ في نظرنا أقرب إلى النّهج الموسوعي حيث اتّبع فيها خطّة محكّمة جامعة شاملة تمثّلت في تبويب موسوعته إلى عشرة أجزاء، بحيث كل جزء تعضده مقالة، وكل مقالة تترصّع بفنون تقلّ في مقالة وتكثر في مقالة أخرى.

ولعلني لست مغاليا إذا كنت قد وسمت هذه الفهرست وسْم "موسوعة". وكيف لا يكون الأمر إلاّ كذلك وقد اتبع صاحبها منهجا زمنيا تسلسليا إحصائيا لكلّ ما تقدّمه وزامنه من نتاجات وابتكارات ونشاطات ثقافيّة وطبيّة وعلوم تطبيقيّة وموسيقيّة وفلسفيّة ومذهبيّة وميثولوجيّة ولغويّة ودينيّة... أليست إلاّ نوّاة من الأنواء الصّلدة لأيّة موسوعة عربيّة وشرقيّة عامّة، حتى وإن كنا هنا نتحدّث عن موسوعة جزائريّة؟

وما إشارتنا العابرة أعلاه إلاّ تذكير لمن أراد أن يذّكّر أو أراد شكورا، وإلاّ فقد عقب ما أوْمَأْنا إليه عشرات الموسوعات الأخرى، كـ"المعارف لابن قتيبة" و"معجم البلدان" للبكري و"معجم الأدباء" لياقوت الحموي وسواها من أمّات المصنّفات العربيّة والإسلاميّة التي تزخر بها مكتباتنا.

ماذا تعطيك الموسوعة؟: إنّ الموسوعة التي نحن بصدد الحديث عنها تختلف كثيرا عما أشرنا وما لم نتمكّن من الإشارة إليه آنفا. ذلك أنّ الموسوعة المروم تناولها هنا،

ولو بعُجالة، وظيفتها أن تكون مرجعيه عامّة جامعة غيْر مانعة، وأقول غيـــر مانعـــة لأنّها ستظلّ مفتوحة أبدا وقابلة لتحْيين ما وجب أن يعيّن فيها من معلومـــات إضـــافيّة وهي حيّة، لكنّها تحْيا بأجيالها المتلاحقين.

وإذاً فالموسوعة المقصودة هنا هي بنك معلومي ممّا يريده منها متصـــفّحها ورقيّـــا بطريقة تقليديّة أو شابكيا بطريقة استعلاميّة حديثة أو هُما معاً.

كلّ موسوعة من موسوعات الأمم الرّاقيّة أو السّائرة في ركب الرّقيّ مستعدّة، وقبل أن يرتدّ إليك طرْفك، لتلبيّة ما أنت محْوج إليه من حاجات تشغل بالـــك، ولاســـيما مـــا يتّصل بك و بهواجسك وفقر علمك، من أرضين، وأسماء أماكن، وجغرافيـــا، وأســـماء أعلام، وتاريخ ودين، وثقافة، وآثار، وجيوش، ولغـــات ولهجـــات، وعـــادات وتقاليـــد وفنون، ومدن وقريات،...

والموسوعة موسوعات: إحداها حصريّة أو وطنيّة، وتخـــصّ بلـــدك دون غيـــرك بحيث تكون دليلاً للدّاني والقاصي عليك، وثانيتها أرحب وأوسع أو قـــل هـــي قوميّـــة كالموسوعة السّوريّة التي أبتْ إلاّ أن تدرج ثورة الجزائر في حرف "الثّـــاء"، وثالثتّهـــا تلك التي تتوسّع توسّعاً أكثر شمولا كدائرة المعارف الإسلاميّة، ورابعتها أعمّ وأشـــمل مثل الموسوعة الفرنسيّة Encyclopédique universel، وهي تلك التي تلمّ إلماما يكاد يكون جامعا مانعا لما سبق من معارف إنسانيّة، رغم أنّها ستظلّ مفتوحة لتحيينها فيمـــا سيأتي من معارف جديدة إلى مالا نهايّة.

وإذا ما تصفّحنا القاموس الفرنسي Le Robert الصّادر سنة2011، فإنّه يشير إلى أنّ كلمة Encyclopédique هي المؤلّف الذي يجمع مجموعة معارف، وهي موسوعة تحيلنا على الأشياء والمفاهيم لمعرفتها بالتّعارض مع معجم لغوي محدّد، أو هـــي ذات نزعة تكويم أو تجميع منهجي للمعلومات في مختلف العلوم برمّتها.

كما أنّ مفهوم الموسوعة الشّاملة مفهوم ليس له حـــدود جغرافيّـــة، ولا اعتبـــارات تاريخيّة أو عرقيّة أو لغويّة أو دينيّة، فالموسوعة الفرنسيّة مثلا وهـــي تتحـــدّث عـــن

Armée أي جيش، فإنّها تقدّمه عبر ثلاثة محاور موضوعياتيّة، وتحت كلّ محور عناصر فرعيّة:

1- أصناف الجيوش المختلفة:

1-1 جيوش وطنيّة

1-2 جيوش الميليشيا Armées de Milices

1-3 جيوش إقطاعيّة Armées féodales

1-4 جيوش دائمة Armées permanentes

1-5 جيوش محترفة

1-6 جيوش مرتزقة Armées mercenaires

2- جيش ومجتمع:

2-1. عامل جغرافي

2-2 .عامل إنساني

2-3 .عامل اقتصادي

2-4 .عامل تقني

2-5 .عامل وجداني Facteur Affectif

2-6 .عامل نفوذ Facteur d'Autorité

2-7 الجيش والمؤسّسات L'armée et les Institutions

3- تطوّر تاريخي للجيوش

3-1 .العصر الأوّل للجيش Premier âge Militaire

3-2 .العصر الثّاني للجيش

3-3 .العصر الثّالث للجيش

3-4 .عصر الجيش الذّرّي L'âge Militaire Atomique

وتقدّم الموسوعة تعريفا وشرحًا إضافيين عن العناصر التّفريعيّة لكل عنوان رئيس دون الانغماس عاطفيا ولا إيديولوجيا ولا قوميا في جيش معيّن من جيوش العالم، بل

تتجرّد من كلّ ذاتيّة أو محليّة أو حتى قاريّة، ثمّ تردف هذا الموضوع الآنف ذكره بموضوع ثان موسوم "الجيش والسّلطة" مفرعةً إيّاه فرعين، بحيث كل فرع تنضوي تحته عناصر أقل تفريعاً، وهكذا في سائر موادها، على أن تذيّل كل موضوع مطروق ببيبلوغرافيا موجزة لأهمّ المصادر الأساس دون ذكرها في كلّ مرّة في الهامش، مع تعزيز كل مادّة بصور ورسومات بعضها ملوّن، وبعضها الآخر ذو لونٍ أسود.

إنّك حين تتصفّح هذه الموسوعة الفرنسيّة أو ما يماثلها قيمة علميّة عالميّة تخجل من نفسك لساعتك، وأنت لا تمتلك حتى دليلاً موسوعياً بلديّاً في قريتك أو مدينتك، فضلاً عن أن تتمالك نفسك حيرةً وكمداً، إذا ما رفعت طموحك لتفكّر في موسوعة وطنيّة.

إنّ الموسوعة ببعدها الدّلالي والوظيفيّ والثّقافيّ والحضاريّ... ليست فقط مدوّنة براغماتيّة تفتيك كلما استفتيْتها، ولا مجرّد منارة تستنير بها كلّما ضللْت طريقك في خضمّ ما تحتاجه من معارف عاجلة ودقيقة كمّياً ونوعياً.

ولعلّ ما يزيدك أكثر خجلاً، بل تثبيطاً لهمّتك، أو حتّى إيهاناً لمعنويّتك، ووأداً لفكرتك أنّ الجزائر تكاد تكون البلد الوحيد الذي لا يحوز من بين أقل الأمم تقدّماً موسوعة تنمّ عنها أرضاً وشعباً وديناً ولغة وحضارة وثقافة، ... رغم أنّنا استرجعنا سيادتنا الوطنيّة منذ خمس وستّين سنة... أليس في هذا أمر عُجاب؟. أليست الجزائر بما تزخر به من أحداث تاريخيّة لجيّة منذ ما لا يقال عن ثلاثة آلاف سنة، وما وهبها الله من أرضين شاسعة، وتضاريس ثابتة، وهضاب عليا، وسهول سهبيّة، وأناسيّ تداولوا على هذا البلد شعباً، وقادة، وأبطالاً وعلماء، وأدباء، وفلاسفة ومفكرين، أكْثر جدارة وأولى استحقاقاً لموسوعة كسائر الورى ممّن يحيطون بنا أو ممّن همّ بعيدون عنّا؟

فكرة الموسوعة وإعادة بعثها: وحتى لا تنحرف هذه الكلمة كثيرا عن غرضها الجوهري، فالحقّ الحقّ أقول إنّ فكرة "موسوعة الجزائر" وُلدت في 2006/2/2 في حضن المجلس الأعلى للغة العربيّة في عهد رئيسه الأخ الأستاذ محمّد العربي ولد خليفة حيث أصدر مقرّرة بهذا الشّأن شملت ثلة من الشّخصيات الوطنيّة الثّقيلة في

مختلف الاختصاصات، وكان الفضل الكبير فيها للأستاذ صالح بلعيد الـرّئيس الحـالي للمجلس نفسه حيث عيّن منسّقاً لها، بينما عيّن المتحدّث هنا مقرّراً لها.

وممّا جاء في مشروع موسوعة الجزائر سنة 2002: "موسوعة الجزائر هي رصد كلّ ما هو جدير بالبحث والتّتبّع والتّعريف للتقييد وماله من أصالة وعراقة مـن غيـر تزيّد أو تعصّب، ومن غير تحيّز أو إغفال" لمشـروع (موسـوعة 2002 ص: 12). وعُرّفت آنئذ: "هي نوع من المعجم الكثير جدًّا، الذي يتمشّى مـع التّـأليف المعجمـي الحديث، أو البحر العظيم الذي يحوي مادّة وافرة في كل التّخصّصات، حيـث تعمـل على نقل وتدوين كل التّراث الثّقافي والعلمي في جوانبه، بحيث تُعـدّ الـذّخيرة الوفيّـة لثبْتٍ من المعلومات القديمة والحديثة، فهي ليست قاموساً مبّسطاً ومعجماً صغيراً، بـل دائرة معارف خاصّة بالجزائر...، (موسوعة 2002، ص:21-22).

ولم يألُ منسّقها الأستاذ صالح بلعيد جهداً، ولا ادّخر وسعاً في بلورتها من مشـروع وأمنيّة إلى إجراء عملي، ممّا جعله يراسل 150 شخصيّة داخل الوطن وخارجه، لكـن الإدارة لم تتلقّ إلاّ عشرة ردود من الدّاخل، ورداً واحـداً مـن الخـارج (الموسـوعة السّوريّة) ويظهر أنّ المتّصل بهم لم يوعدوا بتثمين وإلاّ فأتوْا لها مذعنين.

أمّا الموسوعة الهدف التي نحن بصدد تقديمها، فلا تكاد تختلف اختلافا جوهرياً كبيـر مع مشروع موسوعة 2002، في معالمها المنهجيّة، وأهدافها، ومجالاتها العامّة وشـروط الكتابة فيها... وليس في هذا أيّ غرابة ولا نقص من قيمتها، فالموسـوعتان متكاملتـان ذواتا أهداف واحدة، ولأنّ المبادر ببعث مشروعها الذي ظلّ مهملا لدى الجهـة الوصـيّة مدة ثلاثة عشر عاماً، بدعوى أنّه مشروع كُلُوفٌ غير مطاق، شـاء القـدر أن يـرأس المجلس نفسه فيبادر مشكوراً بما اشتهر به من شجاعة معنويّة خدمةً للـوطن والجزائـر ومعارفها الثّقافيّة وهي كلمة حقّ أقولها في رجل عاشرته عن قرب سنوات طِوالاً.

وليس عيبا أن يعترّف خلف لاحق بسلف سابق، ليأخذ ما يصلح لمرحلته، ويلقي ما لم يعدْ يتماشى تزامنيا مع مرحلته، ثمّ إنّ القطيعة ليست من شيمة الرّجال الفضلاء ننزّه الأستاذ بلعيداً منها جملة وتفصيلاً.

وإذاً، فموسوعة 2019 أفادت إفادات جمّة، من أرضيّة موسوعة 2002، وذلّلت لها كثيرا من الصّعاب، الأمر الذي جعل موسوعة 2019 تقتحم بسرعة فائقة المجال الإجرائي بدلاً من اللف والدّوران في تصوّرات نظريّة.

وما ألمّح إليه آنفا لا يجعلنا فارغي الأذهان لأن ننكر أفضال موسوعات أجنبيّة أخرى، عاد إليها خبراء بناء هذه الموسوعة، تارات من باب الإفادة، وتارات أخرى بهدف الاستئناس، علما بأنّ كلّ تأسيس سابق نافع بشكل ما لتأسيس لاحق، ولاسيما الموسوعات الأنسكلوبيديّة التي تتلاقى فيما تضطلع به مع بعضها بعضاً، فموسوعتنا الجزائريّة الفتيّة مثلاً بإمكانها أن تفيد من أيّة أنسكلوبيديّة عالميّة، بينما الموسوعة المحليّة لا تنفع إلاّ نفسها لكونها حصريّة مرتبطة بأرض وشعب معيّنين.

ومع ذلك، فإنّ بلداً ذا جغرافيّة متراميّة، وذا ثقافات ذات خصوصيات جزائريّة صِرْفٍ خليق بأن تكون له موسوعة نوعيّة تشخّص هُويّته لأجياله العطاش والمشرئبين إلى كلّ ما يرومونه من معطيات معرفيّة عامّة وخاصّة تتّصل بهم وبأجدادهم.

وإذا كان لزاماً على المرء الكريم أن يذكر الفضل لأهله، فإنّ فضل تبني هذه الموسوعة وإخراجها إلى العلن، يعود إلى المجلس الأعلى للغة العربيّة حين صدَعَ بها وهو يعلم يقين العلم أنّه حمل حِملاً تاريخيا ثقيلا ستذكره الأجيال ما حييَت.

إنّ موسوعة الجزائر كسائر موسوعات العالم يقتضي إنْجازَها والنّهوضَ بها رجال موسوعيون مبدئيا، وذَوُو تخصّصات دقيقة كلا فيما يخصّ مجاله المنوط به، بل أكاد أجزم جزْماً أنّ التّخصّص والكفاءة وحدهما لا يكفيان إذا لم تصحبْهما إرادة قويّة وتضحيّة كبيرة في المال، والولد، والوقت، والجهد، والإيثار، ...فأصعب الشّيء –كما يقال– بدايته وبدايّة موسوعة وطنيّة شِبْه جامعة مانعة ليست بالأمر الهيّن المتاح لكل فرد يملك علماً من العلوم.

إنّ موسوعة الجزائر الطّموح إليها قريباً أو بعيداً، ستخفف علينا مشاقّ كثيرة فيما نرومه منها بعد بلورتها بالشّكل المنهجي الذي حُدّد لها سوف توضَع هذه الموسوعة بعد إنجازها في متناول كلّ جزائري أو أجنبي يريد استعلاماً أو فضولاً أنْ يقف على

ما يخصّه من معطيات علميّة وثقافيّة عن الجزائر، قد تشْفي غليله، وتشبع فضوله، وقد يَغْنى بها، وتوفّر عليه جهدا ووقتاً ومالاً.

بمعنى أنّ موسوعة الجزائر المبتغاة ليست مجرّد موادّ تُشْحَن بها مجالاتها الخمسةَ عشرَ، بقدر ما هي مدونة علميّة تربويّة ثقافيّة، ومصدر معلومات موثوق به، وملاذ بنكيّ رقمنيّ أو ورقيّ في متناول الفرد والمجتمع والمؤسّسات بمختلف أشكالها ووظائفها سواءٌ العالمُ فيها والمتعلّم.

وممّا أراه واجباً وطنياً أن أذكّر لمن تنفعه الذّكرى أنّ هذا المشروع ذخيرة مخلّدة للذّاكرة الجزائريّة منذ نشأتها إلى اليوم، ورابط معنوي ووجداني بين الأجيال قاطبة ومن ثمّ، فهو مشروع بنيوي معنوي خالدّ.

1- **البناء التّقني المنهجي للموسوعة:** ومن النّاحيّة التّقنيّة والعلميّة فإنّ تركيب الموسوعة الجزائريّة يتمحور معْلميّا كما يلي:

1- المعالم المنهجيّة، وهي بنيّة هيكليّة أو خِطة عمليّة، وتقوم على العناصر:

1.1. أن تُحرَّرَ الموسوعة بلغة عربيّة راقيّة سليمة مع إمكان ترجمتها إلى لغات عالميّة تعريفاً بالجزائر أرضاً وأمّة.

2.1. أنْ تعتمد فيها الصّيغتان: الرّقميّة أوّلاً ثمّ الورقيّة لاحقاً، وفُضّلت الصّيغة الرّقميّة أوّلا تماشيا مع العصرنة والسّرعة والفعاليّة، ومراعاة لتلقّي الموادّ وتخزينها كيفما اتّفق تبعاً لأيّ مجال.

3.1. أن يتمّ الإبقاء على عمليات الإنجاز في وضع مفتوح لاستقبال أيّ مستجدّ من المعارف الطّارئة.

4.1. أن تقوم الموسوعة على جهود من ينتمي إليها أوّلاً، وعلى استكتاب علماء داخل الوطن وخارجه

5.1. أن تتّسم الموسوعة بتحديد موضوعاتي منهجي ثابت صارم، ينِمّ عنه كل محال.

6.1. أنْ تُتّبع المقاييس للتّحرير قياساً على ما هو معتمد في الموسوعات العالميّة.

7.1. أنْ يتناسب حجم المواد والمفردات المحرّرة في كل عنصر تابع لمجاله ما بين 800 و3000 كلمة، مع الإشارة إلى مصادره وأسماء أصحابه في نهايّة كلّ عمل.

8.1. أنْ تعتمد الموسوعة للتّواصل معها على منصّة استُحدثت لهذا الغرض.

Mawssoua.dz@gmail.com

9.1. أن يصحَب المقال الوارد على الموسوعة ما يلزم من رسومات بيانيّة وخرائط كلّما دعت الضّرورة إلى ذلك.

10.1. أن تتَبنّى الموسوعة التّقويميْن الهجريّ والميلاديّ في تأريخ الأحداث والأعلام.

11.1. أن تشمل مواد الموسوعة كلّ ما يتعلّق بالجزائر شمولاً جامعاً كما هو مبيّن في المجالات الخمسة عشر.

12.1. أن تسعى موسوعة الجزائر إلى تِبْيان كلّ ما يتعلّق بالتّراث الجزائري: مطبوعاً ومخطوطاً، مشهوراً ومغموراً.

13.1. أن تتحرّى الموسوعة الموضوعيّة والمصداقيّة في التّعاطي مع ما يخَزّن فيها من معلومات.

14.1. أن تُذَيّل الموسوعة بفهارس فنيّة شاملة.

2- أهداف الموسوعة:

1.2. إعداد مرجع معرفيّ جزائريّ أصيل جامع وشامل وتعريفيّ بالمنجزات الوطنيّة عبر العصور.

2.2. تحديد المعطيات المعلميّة الجزائريّة ثقافةً وحضارةً، وهويّة، وأصالةً وأمجاداً.

3.2. حفظ ذاكرة الشّعب الجزائري ومنجزاته مادّيا ومعنويا.

4.2. إبراز المعالم والأحداث التي تفاعل معها الشّعب الجزائري، ولاسيما رفضه للدّخلاء ومقاومتهم عبر تواريخه وأجياله.

5.2. تعريف الأنا والآخر بالتّراث الجزائري وحقبه الزّمنيّة، وبيان منزلته من التّراث الإنساني.

6.2. التّعريف بأعلام الجزائر وإبداعاتهم عبر تاريخ الجزائر.

7.2. إشعار الغافلين بالمنجزات العلميّة الجزائريّة، والفنون الشّعبيّة الضائعة.

8.2. تنميّة الحسّ الوطني بكلّ أبعاده المختلفة.

9.2. استهداف الموسوعة لجميع شرائح المجتمع الجزائري، فيما يقدّم لها من موادّ.

10.2. بلورة مقوّمات الهويّة الجزائريّة.

11.2. الاستجابة لكلّ ما يتعلّق بالبحث العلمي في مختلف التّخصّصات

12.2 التّعريف بالأماكن والوقائع والسّير، وتفاعل كلّ ذلك وعلاقته بالشّعوب الأخرى مع بيان سمات التّأثير والتّأثّر المتبادليْن.

3-مجالات الموسوعة: بعد جزر ومدّ من الطّروحات والحوارات الطّويلة، ارتأى المشرفون على هذه الموسوعة أن تستدير محاورها الأساس حول خمسة عشر مجالاً مركزياً، ليتفرع إلى مواضيع موضوعاتيّة، وهذه تُفرّع بدورها إلى عناصر تستدير في صلبها وفلكها، وهكذا... فالمجال الرّابع المتضمّن "اللغات واللهجات" يمكن أن يتفرّع مبدئياً لا حصرياً على النّحو الموالي:

1.4. اللغات القديمة في الجزائر

1.1.4. الأمازيغيّة ولهجاتها

2.1.4. الفينيقيّة

3.1.4. البونيقيّة

4.1.4. اللاتينيّة

5.1.4. الأبجديّات

6.1.4. اللغة العربيّة

2.4. اللهجات

1.2.4 التّلهج Dialectalisation

2.2.4. لهجة Dialecte

3.2.4. المصدر الخلفي لحدوث اللهجات

4.2.4. التّشريع اللساني للهجة

5.2.4. إنشطار لغة إلى لهجات

6.2.4. العاميّة

7.2.4. بين العاميّة واللهجة

8.2.4. أشكال لهجيّة:

1.8.2.4. پاتْوا Patois

2.8.2.4. صبير Sabir

3.8.2.4. أرغة Argot

4.8.2.4. رطانة Pidgin

5.8.2.4. تهجين لغوي Hybridation Linguistique

9.2.4. بين العاميّة والفصحى

4.3. اللهجات العربيّة في الجزائر

1.3.4. انبثاق أي لهجة من الكلام لا من اللسان

2.3.4. القبائل المغربيّة الخمس ولهجاتها

4.4. المنطوقات الجزائريّة الحديثة

1.4.4. المنطوقات الشّرقيّة

2.4.4. المنطوقات في الجنوب الكبير

3.4.4 المنطوقات الوسطى

4.4.4. المنطوقات الغربيّة

5.4.4. أَهَمُّ المصادرِ مُختصرةً

وكما يلاحظ أن بعض العناصر الفرعيّة الآنِفِ ذِكْرُها يمكن أنْ تُفرَّع داخليا إلى عناصر جزئيّة أو ذريّة أدنى فأدنى، كما ورد في عناصر (4.4) مثلاً

غير أن ما ذُكر بشأن المجال الرّابع، لا يعدو أن يكون اجتهاداً شخصياً بناء على ممارستي الطّويلة في عالم الدّياكتولوجيا واللسانيات الجغرافيّة، واللسانيات الاجتماعيّة ونحو ذلك، وإلاّ، فإنّ هذه المفردات يمكن أن تبقى محل إثراءٍ ونقاش وحتى جدل شريطة أن يفعل هذا خصّانٌ من القوم، بحيث يكون التّعديل أو الإضافة أكثر إفادة وجدوى لأيّ مجال.

أيّا كانت الحال، فإنّ مجالات الموسوعة الخمسة عشرَ هي:

المجال الأوّل: الجغرافيّة

المجال الثّاني: التّاريخ

المجال الثّالث: الدّين

المجال الرّابع: اللغات واللهجات

المجال الخامس: الثّقافة

المجال السّادس: الآداب

المجال السّابع: الفنون

المجال الثّامن: الآثار

المجال التّاسع: الجيوش

المجال العاشر: الاجتماع والعمران

المجال الحادي عشر: الأعلام

المجال الثّاني عشر: العلوم الانسانيّة

المجال الثّالث عشر: العلوم وتطبيقاتها

المجال الرّابع عشر: الاقتصاد والتّجارة

المجال الخامس عشر: الإعلام

4- شروط الكتابة في مفردات الموسوعة:

1.4. تكون الكتابة موحّدة بنظام وورد (WORD)

2.4. بشأن الاقتباس، يوضع النّص المقتبس بين علامتي تنصيص دونما حاجة إلى إحالة، على أن يشار في نهايّة كل نص محرّر إلى أهمّ المصادر والمراجع.

3.4. الكتابة بخط TYPESETTING ARABIC قياس 18

4.4. احترام علامات الوقف والتّرقيم

5.4. إعداد النّصوص بصياغة لغويّة عربيّة سلسة سليمة كلياً من أي هفوة أو لحن أو خطأ

6.4. تحال الآيات القرآنيّة في رسمها على (مصحف المدينة)، مع وضع اسم السّورة ورقم الآيّة في آخر الآيّة

7.4. كتابة أسماء الأماكن والأعلام كما تُنطق مع مراعاة الرّموز الصّوتيّة الموجودة في برنامج وورد (پ = P، ڤ= V، گ=G).

8.4. ضبط أسماء الأماكن والأعلام بالشّكل الذي تُنطق بها في أصلها، وكذا شكل الشّواهد الشّعريّة

9.4. وضع أسماء الأعلام وتواريخ الميلاد والوفاة بين قوسين، مع إيراد الاسم كاملاً

10.4. يكتب اسم العلم الأجنبي مثلما هو مستعمل في منطوق لغته، على أن يوضع خط مائل يكتب بعده الاسم بالعربيّة. أمّا إذا تكرّر فيُجتَزأ كتابته بالعربيّة.

11.4. لا تقل المفردة المُستكْتَبَة عن ثمانمائة (800 كلمة) كحدّ أدنى، وعن ثلاثة آلاف (3000) كحد أقصى.

مشروع الذّخيرة العربيّة – الواقع والمأمول

أ. د. صفيّة مطهري

جامعة وهران1 أحمد بن بلة

يعدّ مشروع الذّخيرة العربيّة لـــ: **عبد الرّحمن الحاج صالح** –**رحمـــه الله**– ذا أهمّيّة كبيرة في السّاحة العلميّة والثّقافيّة العربيّة؛ حيث إنّـــه شـــبكة أنترنيـــت، وبنـــك آلـــي للمعلومات العربيّة، يهدف إلى حوسبة الإنتاج الفكري القديم والحديث للأمّـــة العربيّـــة كما يعد بمثابة قوقل عربي يحتوي جميع المعلومات والمنجزات الفكريّة العربيّة، وذلك بتوفيره لقاعدة معرفيّة وثقافيّة مشتركة للأمّة العربيّة، وقد تمّ إنشاء لجنة وطنيّة تابعـــة لرئاسة الجمهوريّة تشرّف على إنجاز هذا المشروع الحضاري.

وعليه، سأتناول في مداخلتي هذه، مشروع الذّخيرة العربيّة بين الواقـــع والمـــأمول مبيِّنة مدى إسهامه في النّهوض باللغة العربيّة.

1–التّعريف بالذّخيرة: هي أنترنيت عربي وبنك آلي من المعلومات بالعربيّـــة؛ أي: قاعدة من المعلومات المحوسبة، تشتغل على جمع إنتاج الفكر العربي القديم والحـــديث وما ينتجه على مر الأيّام، وهي بذلك بنك نصوص لا بنك مفردات.

كما تُعنى كذلك بأهمّ ما ينتجه الفكر العالمي منقولا إلى العربيّة، من أفكـــار علميّـــة جديدة في جميع الميادين من نظريات وتنقيحات وانتقادات لنظريات ســـابقة وأوصـــاف لتقنيات جديدة ممّا ينشره العلماء باللغات الأجنبيّة يوميا في المجلّات العلميّـــة العالميّـــة المتخصّصة.

كما تُعنى كذلك بكل المعلومات التي يحتاج إليها طالب العلم في جميـــع المســـتويات العلميّة. فالذّخيرة العربيّة هي نصوص تعكس الحياة العامّة للشعب العربي في مختلـــف البلدان، ويتراءى فيها الاستعمال العفوي للغة العربيّة في الحياة اليوميّة وتكـــون عينـــة مفتوحة ممّا تنشره الصّحف العربيّة من المقالات والتّحليلات وما يُسمع من الأحاديـــث

والمحاضرات والموائد المستديرة في وسائل الإعلام المختلفة وغير ذلك من النّصوص الحيّة.

2-مميّزاتها: من مميزاتها أنّها شبكة أنترنيت باللغة العربيّة لها فوائد الأنترنيت باللغة الإنجليزيّة نفسها، ومنها:

- سرعة الحصول على المعلومات المطلوبة.

- إمكانيّة التّعامل مع هذا البنك الآلي: إذ لا يعدّ مجموعة من النّصوص التي تُجعَل تحت تصرّف طالب المعلومة فحسب، بل هو أكبر بكثير من ذلك وأشمل وأفيد حيث يستطيع أي واحد، وفي أي وقت أن يلقي أيّ سؤال على الذّخيرة؛ لأنّها محوسبة. فالذّخيرة ليست نصوصا جامدة، أوراق كتاب أو أي وثيقة مكتوبة يحتاج فيها القارئ أن يتصفّحها بيديه، بل هي طرف آخر من حوار حقيقي، لأنّ الحاسوب هو الذي يستجيب لما يطلبه بمجرّد تلقيه لسؤال أو أسئلة تطرح على الذّخيرة، وكان **عبد الرّحمن الحاج صالح-رحمه الله-**يسعى أن تكون منطوقة.

3-فوائدها:

- البحث في التّراث ومسحه بالحاسوب: حيث تسجل الذّخيرة التّراث العربي ويصبح أداة طيّعة بين أيدي النّاس. فالتّراث العربي ينبغي أن لا يبقى في المكتبات ولا في المخطوطات التي لا يصل إليها إلاّ المتخصّصون.

- ومن ثمّ تمكين كل المواطنين من إلقاء الأسئلة عن تاريخ العرب والمسلمين وعن لغتهم في استعمالهم الحقيقي لها، وعن أفكارهم العلميّة وغيرها، وكيفيّة معيشتهم وعن كل ما يتعلّق بالدّين والعلوم والفنون مع الحصول على الإجابة الفوريّة وهذا مالم يحدث بعد في الوطن العربي ولم يهيّأ له إلاّ بالشّيء الجزئي المحدود جدًا.

- اطلاع العلماء العرب على كل ما يجدّ من جديد في العلوم، وذلك لأنّ البحوث العلميّة التي تنشر يوميا على شكل مقالات في مختلف المجالات العلميّة العالميّة المشهورة ذات المستوى العالي هي باللغة الإنجليزيّة، أو الفرنسيّة، أو الألمانيّة، وهي بعيدة المنال، لا يصل إلى جمهور الباحثين العرب إلا القليل منها، وإلى القليل جدًّا منهم

ولذا لا بدّ من جعل كل ما يصدر من أبحاث ذات مستوى عالي في جميع العلوم والتّكنولوجيا، في متناول الباحثين العرب، ولا يتمّ ذلك إلاّ بالتّرجمة. ويذكر **عبد الرّحمن الحاج صالح** مثالا على ذلك حيث يقول: "ونذكر مثالا لهذه الفجوة، ففي ميدان علوم اللسان الحديثة، بقي الباحثون العرب في هذا الميدان ممّن لا يعرف اللغة الأجنبيّة خمسين سنة عالة على كتاب في اللغة، مؤلفه يسمّى فندرياس! الذي نشر في بدايّة القرن العشرين!".

- استفادة طلاب العلم على اختلاف مستوياتهم من الذّخيرة.
- الاطلاع على حياة النّاطقين بالعربيّة وأحوالهم وعلى الاستعمال الحقيقي للغة العربيّة عندهم.

تعمل الذّخيرة على تسجيل الحياة اليوميّة الاجتماعيّة والفنيّة، من خلال الأحداث والمقالات الصّحفيّة، حيث تتكون من ثروة من المعلومات يمكن أن يستفيد منها المواطن أيّا كان اختصاصه؛ وبخاصّة منه اللغوي وواضع المصطلحات الذي سيجد في الذّخيرة اللغة العربيّة الفصحى المستعملة بالفعل، فيمكن أن يتعرّف على الشّائع من المصطلحات وعلى القليل النّادر منه في الاستعمال، وذلك بالنّسبة إلى جميع البلدان العربيّة. وبما أنَّ هذا لا يتمّ إلاّ بواسطة الأنترنيت فيمكن الآن للمجامع اللغويّة أوّلا، أن تتعرّف على الشّيوع الحقيقي للألفاظ وتعتمد على ذلك في وضعها للجديد منها وتستفتئ جمهور المثقّفين عن صلاحيّة لفظ تضعه لمفهوم جديد، فإذا أقبلوا عليه استعملوه بدون تردد. وهكذا، فلا تبقى المصطلحات التي تضعها المجامع حبرا على ورق في رفوف مكتباتها. ولا يمكن أن نتصوّر إنجاز أي معجم تاريخي للغة العربيّة، إلا بالرّجوع إلى هذه الذّخيرة. كما ستتعرّف بذلك على أسرار الاستعمال اللغوي، فتستبعد بعض ما تتّصف به الألفاظ التي يرفضها الجمهور من المثقّفين، وتستطيع في الوقت نفسه أن تكشف عن الخطأ اللغوي في استعمال مختلف الفئات الاجتماعيّة. فيلجأ إلى الأنترنيت لترويج العبارات السّليمة المقابلة للخطأ بالاعتماد على مقاييس يعرفها ذوو الاختصاص، فمن الآن فصاعدًا لا يقول اللغوي أو المجمعي عن أي مصطلح إنّه دخل

في الاستعمال وشاع شيوعا واسعا إلاّ بالاعتماد على الحجّة في ذلك وهي بما تكشفه الذّخيرة بتصفحها الكامل للاستعمال الحقيقي.

4-الحيازة: وهي عمليّة تتجسّد وتتبلور فيها الملايين من النّصوص المحرّرة أو المنطوقة في ذاكرة الحاسوب، التّراثي منها والجديد. ففخامة العمل لا تسمح لأي مؤسّسة التّكفل بإنجازه لوحدها بل لا البلد الواحد من البلدان العربيّة. فالتّقويم الكمي والكيفي لإنجاز الذّخيرة يشير إلى ضرورة إشراك العديد من المؤسسات، العلميّة الموجودة في الدّول العربيّة وأن يكون التّمويل مشتركا بين الدّول المشاركة في الإنجاز والتّنسيق.

وهذا ما أوصت به بالفعل عدّة ندوات دوليّة عربيّة انعقدت لدراسة المشروع، وكان آخرها النّدوة المنعقدة في الخرطوم في ديسمبر 2002 حيث أوصت بإلحاق المشروع بجامعة الدّول العربيّة، وعرض المشروع -بالفعل- على المجلس الوزاري للجامعة. وبعد النّظر الدّقيق في جدواه رحّب به المجلس بقرار رقم 6457 د.ع/122/ في 14 سبتمبر 2004. وطلبت الجامعة بعد ذلك من كلّ دولة إذا وافقت على المشاركة أن ترشّح ممثّلا لها يكون مسئولا عن إنجاز المشروع في بلده.

ورشّحت 18 دولة عربيّة ممثلا لها، ونظّمت الإدارة الثّقافيّة للجامعة اجتماعا لهؤلاء الممثّلين انعقد بالجزائر في 16-17 يونيو 2006، فناقشوا فيه مشروعا للنّظام الأساسي وغيره من الوثائق التّأسيسيّة للمشروع. وتمّ إقرارها وإقرار أعضاء للهيئة العليا للمشروع وتمّ انتخابهم بعد ذلك لرئيسها وهو **عبد الرّحمن الحاج صالح**.

ويتكوّن النّظام الأساسي للهيئة العليا للذّخيرة العربيّة من 23 مادّة موزّعة على تسعة أبواب تتمثّل في الآتي:

الباب الأوّل وهو خاص بالتّعريفات ويشمل مادّة واحدة تعريفيّة لـ:

الهيئة: الهيئة العليا للذّخيرة العربيّة

الجامعة: جامعة الدّول العربيّة

الأمين العام: الأمين العام لجامعة الدّول العربيّة

المدير العام: المدير العام للهيئة العليا للذّخيرة العربيّة

النّظام: النّظام الأساسي للهيئة العليا للذّخيرة العريّة.

الباب الثّاني: إنشاء الهيئة.

الباب الثّالث: مقرّ الهيئة: ويكون مقرّها مدينة الجزائر عاصمة الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة.

الباب الرّابع: أهداف الهيئة.

الباب الخامس: مهام الهيئة

الباب السّادس: أجهزة الهيئة (الجمعيّة العامّة وهي السّلطة العليا للهيئة وتتألّف من ممثّلي جميع الدّول الأعضاء بالهيئة والمجلس التّنفيذي والمدير العام والجهاز العلمي والإداري).

الباب السّابع: اللجان الوطنيّة للذّخيرة التي أتشرّف بأني عضو فيها.

الباب الثّامن: العلاقة بين الهيئة وجامعة الدّول العربيّة.

الباب التّاسع: حلّ الهيئة إذ يجوز للجمعيّة العامّة بأغلبيّة ثلاثة أرباع أعضائها حل الهيئة، على أن يعرض قرار الحلّ على المجلس الاقتصادي والاجتماعي ومجلس الدّول العربيّة للموافقة عليه، وتؤول أموالها المنقولة وغير المنقولة إلى جامعة الدّول العربيّة.

الباب العاشر: أحكام ختاميّة، تتمثّل في الانسحاب والانضمام إلى الهيئة العليا للذّخيرة التي تتكوّن من 22 دولة هي: الأردن-الإمارات-البحرين-تونس- الجزائر- جيبوتي-السّعوديّة-السّودان-الصّومال-العراق-عمّان-فلسطين-قطر-جمهوريّة القمر المتّحدة-الكويت-لبنان-ليبيا-مصر-المغرب-موريتانيا-اليمن.

وتمّت المصادقة على هذا النّظام باللغة العربيّة في القاهرة بتاريخ 2008/09/08م بقرار تحت رقم 6974-د.ع(130) ج2

وبعد المصادقة على هذا النّظام الأساسي، تمّ إعداد النّظام الدّاخلي للهيئة العليا للذّخيرة العربيّة الذي يتكوّن من 38 مادّة موزّعة على ثلاثة أبواب هي:

1- أحكام عامّة.

2- أهداف الهيئة ومهامها.

3- تنظيم الهيئة وتسييرها.

وهذا وقد انطلقت أعمال الذّخيرة العربيّة وفق خطّة مرحليّة، اتفق عليها في الاجتماع الثّالثّ للجمعيّة العامّة بمدينة العين في الإمارات العربيّة يومي13 و14 فبراير 2008م.

وقد احتوت هذه الخطّة على جملة من النّقاط لعلّ أهمّها هو عقد الدّول لندوة وطنيّة تأسيسيّة للذّخيرة العربيّة، بناء على المادّة 15 من النّظام الأساسي للهيئة الذي تمّ فعلا بتاريخ 18 سبتمبر من سنة 2011م بقصر الأمم بنادي الصّنوبر. استُدعِيَ لها كل الممثّلين للمؤسّسات العلميّة الجزائريّة، وذلك لإنشاء لجنة وطنيّة تعيّن الدّولة أعضاءها باقتراح من رئيسها **عبد الرّحمن الحاج صالح**، للإشراف على إنجاز المشروع ومتابعته ولعلّ جوهر أعمال اللجنة الوطنيّة هو حيازة النّصوص وحوسبتها بعد اختيارها وإقرارها وتكون من التّراث العربي الإسلامي ومن الإنتاج العلمي التّكنولوجي العالمي المنقول إلى العربيّة.

اللجنة الوطنيّة للذّخيرة العربيّة: وتمّ تنصيبها بقرار رقم 104 مؤرخ في 25 أفريل 2015 يتضمّن تعيين الرّئيس وأعضاء اللجنة الوطنيّة للذّخيرة العربيّة. وتتكوّن هذه اللجنة التي تمّ إنشاؤها لدى المجمع الجزائري للغة العربيّة، من رئيس هو **الشّريف مريبعي**، ومن ممثّلي القطاعات الوزاريّة وعددهم 12 عضوا. ومن ممثّلي المؤسّسات الجامعيّة وعددهم 12 عضوا كذلك، ومنهم **جامعة وهران1 أحمد بن بلة**، التي أتشرف بتمثيلها في هذا المشروع الحضاري العلمي والثّقافي.

وفي اجتماعها الأوّل المنعقد في 26 يناير 2012 تمّ تنصيب الخلايا حيث تحتوي كل مؤسّسة جامعيّة على خليّة واحدة تتكوّن من:

- 05 موظّفين مكلّفين بالحيازة

– أستاذين مشرفين على تصحيح النّصوص المحسوبة ومطابقتها بأصولها المطبوعة.

– متخصّص في الحاسوبيات من ذوي الشّهادات الجامعيّة.

– مشرف واحد متخصّص في اللغة العربيّة.

وقد تمّ تكليف كل عضو من أعضاء اللجنة الوطنيّة، بالإشراف على إنشاء خلايا في الجامعات القريبة من جامعته الأصليّة، إذ كلفت بالإشراف على تنصيب خلايا في جامعة وهران ومستغانم وسيدي بلعباس والمركز الجامعي بغليزان، كما تمّت مراسلة المؤسّسات الجامعيّة لتسهيل مهمّة إنشاء الخلايا مع توفير الوسائل الماديّة والبشريّة اللازمة قصد إنجاح هذا المشروع الهام.

وبعد تنصيب الخلايا في المؤسّسات الجامعيّة تمّ توزيع النّصوص المعنيّة بالحيازة على الخلايا وفق ما تقتضيه حصّة الجزائر الموكّلة إليها من لدن الهيئة العليا للذّخيرة بجامعة الدّول العربيّة، وتمّ على إثر ذلك الشّروع في عمل الحيازة، أو ما أصبح يسمّى فيما بعد بالرّقمنة. ويجدر بنا في هذا الصّدد، أن نذكر أنّ الأردن كانت ترقمن كل المطبوعات والكتب التي تدخل إلى مكتباتها، ولكن ليس هذا هو المقصود من الذّخيرة العربيّة.

وقد انتقل **أ.د. العلامة عبد الرّحمن الحاج صالح** رفقة رئيس اللجنة الوطنيّة للذخيرة **أ.د. الشّريف مريبعي** إلى **الأردن** لتوضيح الفكرة وكيفيّة تجسيدها، لأنّ الأمر ليس هو حيازة الكتب فقط، ولكن كيف نستثمرها وكيف يمكن وضعها تحت تصرّف أي إنسان عربي، وهو ما يسمّى **بالأنترنت العربي**. فالذّخيرة بوصفها نظرة تقنيّة تعمل على كيفيّة توصيل المعلومة أو الكلمة بطريقة تكنولوجيّة.

وقد وضع رئيس الهيئة الوطنيّة للذّخيرة **عبد الرّحمن الحاج صالح** بالتّنسيق مع مهندس المجمع الجزائري للغة العربيّة برمجيّة تتمثّل في كيفيّة تخزين المعلومة وكيفيّة البحث عنها بطريقة آليّة بحيث يمكن استرجاعها بطريقة إلكترونيّة.

وفي هذا الإطار أبرمت عدّة اتّفاقيات مع القطاعات الجزائريّة، ومنها وزارة الاتّصال حيث تمّ وضع صندوق لاقتناء معدات لتدعيم الخلايا الموجودة في مستوى المجمع الجزائري للغة العربيّة، وهذا كمرحلة أولى، إذ يتمّ العمل بين الرّاقنين والمصححين في آن واحد عن طريق الموقع الذي تمّ إنشاؤه لهذا الغرض؛ ومن ثمّ فإنّ الذّخيرة تعمل بصفة تقنيّة تكون بناء على خدمات من خلال وضع برمجيّة توزع عن طريق موقع الذّخيرة. وتكون بهذا كل الخلايا مرتبطة بواسطة الشّبكة الإلكترونيّة.

لقد كانت اللجنة الوطنيّة في بدايّة تأسيسها ممثّلة من أساتذة من الجامعات الوطنيّة وبعدد محدود هو 12 أستاذا، ثمّ توسعت بضمّ مجموعة من القطاعات التي هي ضروريّة في اللجنة الوطنيّة، كما يمكن أن تضمّ خبراء يتمّ استدعاؤهم عند الضّرورة.

مهمّة اللجنة الوطنيّة إنّ مهمّة اللجنة الوطنيّة –كما سبق ذكره– هي تنصيب خلايا في المؤسّسات الجامعيّة، ولكن هذه الفكرة لم تكتمل إذ اصطدمت هذه الخلايا بواقع مادّي هو من يدفع راتب الذي يشتغل في هذه الخليّة.

وعليه، فقد كان العمل تطوعيا بالنّسبة للأساتذة المشرفين وكذا المنسق، وأمّا أعوان الحيازة فقد كانوا من فئة الموظّفين في إطار ما قبل عقود التّشغيل.

ما تمّ إنجازه في الذّخيرة العربيّة لقد تمّ حيازة أو رقمنة مجموعة كبيرة من كتب التّراث اللغوي والأدبي وبخاصّة في مستوى المجمع الجزائري للغة العربيّة، إذ سار العمل في هذه المؤسّسة بوتيرة عاديّة، حيث سخِّرَ لها كل المعدات الإلكترونيّة، أمّا في مستوى الجامعات الوطنيّة فإنّ العمليّة قد تعثرت نوعا ما ولم يتجاوز عدد الكتب المرقمنة 20 كتابا.

– وقد تمّ إنشاء خليّة من المهندسين والتّقنيين حيث قام هؤلاء بالآتي:

– إعداد دليل للمواقع الإلكترونيّة للمحتوى الرّقمي العربي المتمثّل في الكتب والقصص والرّوايات، وكل خدمات البرمجيات التي طوّرت خدمة اللغة العربيّة وكذا خدمات التّرجمة من وإلى العربيّة.

– حصر المواقع ومعرفة محتوياتها لاستغلالها من حيث نوع المحتويات والمجالات التي تتوزّع عليها هذه المحتويات بحيث يكون لدينا رصيد بصيغة PDF أو كتب أخرى مرقمنة في شكل WORD. وفي هذا الشّأن تمّ الحصول على 205 كتاب بصيغة WORD و679 كتابا تراثيا في مختلف المجالات المعرفيّة، وبحسب الأزمنة بصيغة Pdf، وقد واجه هذه الخليّة مشكل تحميل وتحويل الكتب من pdf إلى word ولذلك تمّ مراسلة قطاعات عديدة لتعزيز تعاونها خدمة للذّخيرة العربيّة ومنها:

-وزارة التّربيّة.

-وزارة التّعليم العالي

-وزارة التّكوين المهني.

-وزارة البريد والمواصلات.

-وزارة الدّفاع.

كما تمّ التّواصل مع بعض الهيئات والمؤسّسات الوطنيّة التي يمكن الإفادة منها ومنها المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة لإفادتنا بنسخة مرقمنة ومنح اللجنة الوطنيّة نسخاً من الكتب القديمة غير المرقمنة لتصويرها.

- الاستفادة من رصيد وزارة الثّقافة الرّقمي.
- الاستفادة من رصيد الصّندوق الوطني لدعم الفنون والآداب.
- كما تمّ كذلك إنجاز منصّة une plate forme للمشروع وهي عبارة عن أجهزة وبرمجيات تمكّن من نشر المحتوى على الأنترنيت وتقدّم خدمات وتطبيقات مرقمنة مفيدة للغة العربيّة.
- استفاد المجمع الجزائري من إعانة ماليّة بناء على مخطّط عمل قدمه لصندوق البريد والمواصلات السّلكيّة واللاسلكيّة والتّكنولوجيات والرّقمنة FAUDTIC، وذلك لإنجاز البوابة الجزائريّة للذّخيرة، لوضع النّصوص المصورة والمكتوبة فيها، بحيث لا يمكن أن يلجها إلاّ المتخصّصون.

وفي هذا الإطار تمّ برمجة 5000 مؤلّف سنويا لمسحها ووضعها في البوابة.

- استحداث 4 خلايا في المجمع لسنة 2019.
- تمّ وضع شعار للذخيرة.
- تمّ وضع موقع للجنة الوطنيّة للذخيرة.
- تمّ وضع شارة للجنة الوطنيّة للذخيرة.
- تمّ إبرام اتفاقيات مع الدّوائر الوزاريّة.
- تمّ إطلاق الموقع الإلكتروني للجنة.
- استمرار حيازة الكتب والمؤلفات وتحميلها.
- تعزيز التّعاون بين اللجنة الوطنيّة ومختلف الدّوائر الوزاريّة.
- تمّ إبرام اتفاقيات مع مخابر البحث ومنها مخبر المخطوطات بجامعة أدرار.
- تمّ إنشاء خليّة متابعة متكوّنة من ثلاثة موظّفين مع أستاذ في مستوى المركز الوطني للبحث وتطوير اللغة العربيّة مختصين في علم المكتبات.

- **المأمول إنجازه من الذّخيرة العربيّة**

- هذا ما تمّ تحقيقه من مشروع الذّخيرة، أمّا ما نأمل في إعداده وإنجازه مستقبلا فهو الآتي:

- اقتناء معدّات للتّخزين..
- اقتناء جهاز للوصل عن طريق شبكة الأنترنيت.
- تجهيز الخلايا الأربع بمعدّات كأجهزة الكمبيوتر والماسحات الضّوئيّة ذات الجودة العاليّة التي يمكنها أن تمسح وبصفة آليّة 100 ورقة في الدّقيقة، وبرامج للتعرّف على الحرف العربي.
- إنجاز موقع WEB للتّعاون في مجال الذّخيرة.

وعليه، فإنّ العمليّة تكون مستقبلا وفق الآتي:

1- **المسح:** وفيه تطبيقات لتصحيح الأخطاء إن وجدت.
2- **تحويل** ما مسح إلى WORD وتصحيحه إن كان فيه خطأ.
3- **الفهرسة:** وتنقل وتسمح كما هي في الكتاب.

4- **التّصحيح** النّهائي للخبير.

ونتيجة لكلّ ما سبق فإنّ هذه العمليّة تقدّم:

- أدوات تساعد على التّصفّح والقراءة الآليّة من خلال عرض وثائق الذّخيرة على الشّاشة.

-خلق فضاءات للقراءة على شكل حسابات خاصّة لكلّ مشترك تمكّنه من حفظ المؤلّفات التي اختار قراءتها.

-تدوين الملاحظات على الهوامش، أو وضع علامات على ما هو مهمّ في المؤلّفات.

-التّمكّن من أدوات العرض: الكبير، الصّغير، دوران الصّورة، تصفح الصّفحة...

-تقديم أدوات أخرى لذوي الاحتياجات الخاصّة.

-وإنشاء الموقع الإلكتروني للجنة الوطنيّة بحيث يكون باللغات الثّلاث: العربيّة والفرنسيّة والإنجليزيّة.

-وضع دليل لموقع الذّخيرة.

وعليه، فإنّ هذا المشروع هو حضاري، ومن أهمّ أهدافه رفع المستوى الثّقافي والعلمي للمواطن العربي؛ لم يسبقه أيّ مشروع آخر مثله لشموليته وإمداده لكلّ ما يحتاج إليه المواطن العربي من أحدث المعلومات العلميّة والتّقنيّة وغيرها ومن أيّ ميدان كان، وذلك في أيّ وقت شاء وأينما كان، وبأيسر الطّرق. فتحديث معلومات المواطن حسب مجرى التّطوّر العلمي والتّقني، هو عمل عظيم وذو أبعاد لا يقدّر لها تقدير من حيث أهمّيّتها وخطورتها، وما سيترتّب عليه من تعميم مفيد للعلم وارتفاع المستوى الثّقافي للشّعوب العربيّة.

إسهامات المعلوماتيّين الجزائريّين في ميدان اللغة العربيّة
ـجامعة العلوم والتكنولوجيا بوهران أنموذجاـ

د. مختاريّة بن قبليّة
جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم.
د. لطيفة دخيسي
جامعة العلوم والتّكنولوجيا بوهران

الملخّص: فكّر الإنسان في الذّكاء الاصطناعي منذ ما يُقارب القرن، وسار نحو تحقيق هذا الهدف بخطوات بطيئة، محاولا إثبات واقعيّة هذا الحلم الذي كان شبيها بالوهم، وقريبا إلى عالم الخيال العلمي. وهذا ما كان شائعا بين عامّة النّاس؛ وبالأخص أنّ تفكيرهم كان يذهب مباشرة نحو تلك الآلة التي تشبه الإنسان إلى حدّ كبير شكلا ومضمونا. غير أنّ الواقع اليوم أثبت أنّ الذّكاء الاصطناعي لم يعد حقيقة علميّة وحسب بل تعدّى ذلك ليدخل في أدقّ تفاصيل حياتنا اليوميّة، وتحوّلت الكثير من الآلات الذّكيّة إلى مجرّد تطبيقات إلكترونيّة نحملها معنا في هواتفنا. ولمّا كان الذّكاء الاصطناعي قائما على محاكاة مهارات البشر، كان من الضّروري أن يدخل إلى ميدان اللغة.

إنّ ازدهار الذّكاء الاصطناعي في أمريكا جعل اللغة الإنجليزيّة تستحوذ عليه لفترة طويلة، وكان ذلك سببا من أسباب تأخر اللغة العربيّة عن هذا الرّكب. لكنّها بالرّغم من العقبات التّحقت به، بفضل مجهودات المعلوماتيّين النّاطقين بها، وهذا ما سنلقي عليه الضّوء من خلال تتبعنا **لإسهامات المعلوماتيّين الجزائريّين في ميدان اللغة العربيّة –جامعة العلوم والتّكنولوجيا بوهران أنموذجا–**

الكلمات المفتاحيّة: التّعرّف البصري، التّصنيف التّلقائي، التّعرّف التّلقائي، الذّكاء الآلي، المعلوماتيّة.

Abstract: Man has been thinking about artificial intelligence for almost a century, and has been walking towards this goal with slow steps, trying to prove the reality of this dream, which was considered as an illusion. And this idea was common among the public; in particular, their thoughts was going directly to that machine, which was very similar to human in everything. However, nowadays reality confirmed that artificial intelligence is no longer only a scientific truth, but got beyond that to go into the finer details of our daily lives, and so, many smart machines turned into just smart applications that we carry in our smartphones. And since artificial intelligence is based on imitating human's skills, it necessitates its entrance into the language field.

The development of the artificial intelligence in America made the English obsesses this domain for a long time, which was one of the reasons that made the Arabic lagged behind. However, despite the obstacles it kept up, due to the efforts of the computer scientists speaking this language, and that would be our topic, by following the contributions of the Algerian computer scientists in the Arabic field –University of Science and Technology in Oran as a model–

Keywords: optical recognition, automatic classification, automatic identification, artificial intelligence, computer Science.

مقدّمة: كانت بدايّة التّقاء مجال الذّكاء الاصطناعي بمجال اللغــة العربيّــة بدايّــة محتشمة جداً، نظرا لوجود الكثير من المعيقات؛ وعلى رأسها:

- استصعاب العمل بلغة جديدة بعد أن كانت الطّريق مُعبّــدة باللغــة الإنجليزيّــة وشقيقاتها.
- عدم وجود بنوك معطيات كافيّة باللغة العربيّة.

يخدم الذّكاء الآلي اللغة العربيّة بطريقتين:

إحداهما مباشرة: موجّهة لخدمة مستوى من مستويات اللغة العربيّة أو أكثر (الصّوتي والصّرفي والنّحوي والدّلالي)؛ من مثل: برامج وتطبيقات التّعرّف الآلي على الكلام المسموع، والتّعرف البصري على الخط العربي، والألعاب اللغويّة كالكلمات المتقاطعة وبرامج تصريف الأفعال العربيّة (مثل برنامج قطرب)، والمعاجم الآليّة (أحاديّة اللغة، أو متعدّدة اللغات)، والمترجم الآلي، وتطبيقات تعليم اللغات للنّاطقين بغيرها.

ثانيهما غير مباشرة: أيّ أنّها مخصّصة لمجالات مختلفة لكنّها تشتغل باللغة العربيّة فتعمل على تعزيز استعمالها؛ من مثل: الألعاب غير اللغويّة، والبرامج والتّطبيقات المتعلّقة بمجالات الصّحة وأحوال الجوّ والخرائط وغيرها من المجالات.

ولأنّ الإنجازات في هذا الميدان كثيرة جداً ويصعب حصرها، اخترنا أن نلقي الضّوء على عيّنة بسيطة، حصرناها في أطروحات الدّكتوراه ورسائل الماجستير المنجزة في جامعة العلوم والتّكنولوجيا بوهران، مع إعطاء لمحة عن الأطروحات التي ما زالتّ قيد الإنجاز.

1. إسهام الذّكاء الآلي في اللغة:

1. 1. التّعرّف البصري على الحروف. يُحوّل التّعرّف البصري على الحروف (OCR) صور النّصوص المكتوبة (التي يتم التّقاطها عادةً بواسطة ماسحٍ ضوئيّ) إلى نص معالَج آليًا، والذي يتمّ ترميزه عادةً باستخدام نظام تمثيلي. والتّعرّف البصري على الحروف هو النّسخ الذي تقوم به الآلة محاكاةً للقراءة البشريّة.

1. 2. تصنيف النّص العربي: التّصنيف هو عمليّة تعيين مستند نصّي (أو مجموعة من الوثائق) لموضوع محدّد مسبقًا استنادًا إلى محتواه. وهو مجال بحث مهم نظرا لضرورته أمام الكم الهائل من الوثائق النّصيّة المتاحة على الشّابكة، وكذا في المؤسّسات. ويعمل التّصنيف على استرجاع المعلومات من الوثائق التي تفتقر إلى الكلمات المفتاحيّة، بالإضافة إلى وجود بعض المستندات النّصيّة التي تحتوي على

كلمات مفتاحيّة لكنّها لا تعبر بمصداقيّة عن المحتوى الكامل للمستند، وهو ما يعيق استرجاعه.

2. مجهودات المعلوماتيّين الحاليّة في ميدان اللغة العربيّة بجامعة العلوم والتّكنولوجيا بوهران:

2. 1. أطروحات الدّكتوراه:

2. 1. 1. مجال الاستعمال والتّعزيز: لا يرمي الذّكاء الاصطناعي في ميدان اللغة العربيّة دائما وبالضّرورة إلى خدمتها بشكل مباشر –كما يتصوّر البعض– بل يسعى أيضا إلى تعزيز استعمالها عند المتكلّمين على اختلاف أعمارهم وكفاءاتهم، ويتمّ ذلك بتصميم وإنشاء البرامج المُعرّبة في شتى المجالات، وقد أحصينا من بين مذكرات ما بعد التّدرج المنجزة في جامعة العلوم والتّكنولوجيا بوهران أطروحة دكتوراه واحدة لها علاقة بذلك؛ وهي:

دعم اتّخاذ القرار لإعداد مسارات تعلم تتكيّف مع الملامح المعرفيّة للأشخاص المصابين بالتّوحد[1]: إنّ الهدف من خلق بيئة تفاعليّة للتعلّم البشري (EIAH) هو تحفيز ومرافقة المتعلّم –عن بعد أو عن قرب– أثناء العمليّة التّعلُّميّة. وقد اقترحت الباحثة في أطروحتها هذه أنموذجا مناسبا لتعلّم الأطفال المصابين بالتّوحد في الجزائر يهدف إلى المساعدة في صنع القرار. ويقع هذا العمل بين مجالين، أوّلهما الألعاب الجادّة (serious games) وثانيهما هو الرّؤيّة الحاسوبيّة computer vision. وكان هدف الباحثة تقديم نظام لدعم اتّخاذ القرار يتكيّف مع احتياجات الأطفال المصابين بالتّوحد لتحسين تعلمهم وطريقة حياتهم بشكل مجدٍ. وبعد مصاحبة الأطفال الجزائريين المصابين بالتّوحد لعدّة أشهر تمّ صنع MEDIUS: نظام لدعم القرار، يستند على استراتيجيّة اتصال جديدة، يتم تقديمه في شكل ألعاب صغيرة (micro–jeux) باللغة العربيّة ونظام كشف الوجه بغرض حساب ومراقبة درجة تركيز اللاعبين المتعلّمين. وهنا؛ تُشكّل ردود الفعل والمعلومات المحصّلة ملفاً تعريفيا معرفيا لكلّ لاعب متعلّم، ممّا يساعد الوصي على تحديد تفضيلات كل طفل مصاب ومَنطقه؛ ومن شأن هذا

النّظام أن يُشكّل وسطا تواصليا مثاليا يجمع بين الوصي والطّفل المتوحّد في الوقت الذي يكون فيه التّواصل وتبادل المعلومات صعبا بسبب الخيال النّاجم عن التّوحّد.

2. 1. 2. مجال التّصنيف التّلقائي:

الحواشي الدّلاليّة في مستندات الويب: تطبيق على النّصوص النّفسانيّة باللغة العربيّة[2]: يعدّ التّعرف على الكيانات (entity recognition) مكوّنًا مهمّا جداً في معالجة اللغة الطّبيعية البيوطبّية. ممّا يتيح استخراج المعلومات واكتشاف المعارف من النّص. وقد تطوّرت مثل هذه الدّراسات المتعلّقة بالميدان البيوطبي باللغة الإنجليزيّة وبعض اللغات الأخرى، وغابت اللغة العربيّة عن هذا المسار، إلى أن أنجزت الباحثة **خيرة لكال** أطروحتها لنيل شهادة الدّكتوراه في الإعلام الآلي في 2018، فكانت السّباقة إلى ذلك –بحسب تصريحها– وقد خصّصتها بالمجال النّفساني، حيث اتّبعت نهجاً جديدا في استخراج المعلومات النّفسانية من النّصوص العربيّة. وتمّ ذلك بفضل تطبيق تقنيّتين مختلفتين لإجراء التّعرُّف:

1) الاعتماد الكُلّي على التّعرّف المباشر بواسطة المعاجم.
2) الاعتماد على نموذج قائم على القواعد التي وُضعت بناءً على قائمة المعاجم.

أعطت التّجارب قِيَمًا إجماليّة تعادل 86.407% بمقياس F*. وقد أدمجت الباحثة صياغة معالجة خطيّة من أجل الوصول إلى إجابات انفعاليّة سلبيّة/NER (Negative emotional responses). وتعدّ هذه الدّراسة أوّل مقاربة لاستخراج المعلومات النّفسانيّة باللغة العربيّة على حدّ علم الباحثة.

الإسهام في البحث الذّكي على الويب: الفهرسة الدّلاليّة للنّصوص غير المنظّمة[3]: شهد الويب تطوّرا كبيرا من حيث المحتوى والاستخدام منذ أن تمّ التّرويج له بين العامّة في أوائل التّسعينيات، لكن لسوء الحظ، فإنّ الطّبيعة غير المنظّمة لكميّاتٍ هائلةٍ من المعلومات المتاحة على الشّابكة جعلت مسألة استهداف واسترجاع المعلومات ذات الصّلة أمرا في غايّة الصّعوبة.

حينما يتعلّق الأمر بـ"الأنظمة التّقليديّة للبحث عن المعلومات" التي تقوم على الكلمات المفتاحيّة؛ فإنّ المستخدم غالبًا ما يجد صعوبة في التّعبير عن المعلومات التي يحتاج إليها. لذلك تمّ اقتراح أساليب جديدة، من بينها تلك التي تعزّز البحث الذّكي للمعلومات وهو النّهج الذي يُدخل البعد الدّلالي في نمذجة الوثائق. حيث يمكن إجراء البحث الدّلالي على الويب وفق ثلاث مقاربات رئيسة:

1. تنظيم البحث (فهرسة المستند و/أو تحليل المَطالب) حول المعارف المفاهيميّة (المعاجم أو الأنطولوجيا)؛
2. استخدام نظام الحواشي (التّعليقات) التّوضيحيّة الموثقة من قبل خبراء أو مجموعة من المستخدمين لتعزيز البحث التّعاوني؛
3. تطوير مناهج فهرسة دلاليّة للنصوص غير المنظّمة.

وفي هذا النّهج الأخير؛ جاءت دراسة **عبد الرّزاق الإبراهيمي** مع محاولة تحليل نماذج المواضيع وفقًا لثلاثة محاور للتّحقيق:

أوّلا: ما الجدوى من استخدام نموذج موضوع ما لإجراء مقاربة فهرسيّة دلاليّة لنصوص معيّنة بغرض البحث عن معلومات؟

ثانيا: كيف نقوم بتقييم وتفسير نموذج موضوع من أجل تحليل محتوى مجموعة دلاليا؟

ثالثًا: إلى أي مدى يمكن تطبيق نماذج المواضيع في النّص غير الإنجليزي غير المنظم (العربيّة أنموذجا)؟

وحدّد الباحث الإسهامات الكبرى التي تقدمها أطروحته هذه في نقاط الثّلاث نوجزها فيما هو آت:

1. اعتماد المدونات (**corpus**) الواقعيّة؛
2. اقتراح مقياس جديد يعتمد على "تباعد كولباك ليبلير؛
3. تطوير خوارزميّة جذعيّة لتحليل وفهرسة النّصوص العربيّة؛

4. إعداد ثلاث مجموعات عربيّة مبنيّة على مقالات صحفيّة متعلّقة بفترة 2010/2007 لإجراء التّجارب.

وخرجت هذه الدّراسة بنتائج كبيرة، على رأسها: تبيين فعاليّة النّظر في المستوى الصّرفي (المورفولوجي) وكذا في الاختلافات الطّباعيّة في الفهرسة الدّلاليّة للغات التي تعتمل بشكل كبير على التّصريف كحال اللغة العربيّة.

2. 1. 3. مجال التّعرف التّلقائي على الكلام والتّعرف البصري:

الإسهام في تحسين التّعرف التّلقائي على الكلام بطرق إحصائيّة[4]: بُذلت مجهودات كبيرة في تطوير نظام قوي للتّعرُّف الآلي على الكلام/ASR (Automatic speech recognition) في العقود الأخيرة. مما أدّى إلى هيمنة الطّرق الإحصائيّة على هذا المجال. ويُمكن تفسير ذلك بتغيُّر الأهداف في التّعرّف على الكلام، في حين تمّ الرّبط بين هذا المجال وبين التّعرّف على الكلمات المعزولة أو سلسلة من الأوامر المعزولة المأخوذة من مفردات صغيرة ومغلقة. ويُعدّ التّعرّف على معجم المفردات الواسع في الكلام المستمرّ مشكلة عويصة –في وقتنا الحاضر–إذ لا يكون بإمكاننا النّظر إلى الكلمات على أنّها وحدات منعزلة.

يأتي عمل الباحث(ة) **فريحة مزوج** إذن لتعويض الطّرق المبنيّة على التّعرف على الأصوات والكلمات المعزولة التي تشكّل مفردات مغلقة صغيرة، بطرق يمكنها التّعرف التّلقائي على الكلام المستمر بما فيه المفردات الكبيرة. وقامت الباحثة أيضا بتطوير النّماذج القائمة على القواعد الجيدة والمناسبة للمهام الصّغيرة جدًا باستخدام نماذج لغة إحصائيّة قويّة وشاملة للمفردات الكبيرة. ووفقًا لأحدث التّقنيات؛ يمكن تحسين التّعرّف التّلقائي على الكلام عبر تحسين النّماذج السّمعيّة (acoustic models) والمفردات و/أو نماذج اللغة. كما يتسنّى ذلك بحسن اختيار البيانات المتاحة في الشّابكة وبتطبيق التّعديلات اللائقة عليها.

التّعرّف المتّصل بالشّابكة على المخطوطات العربيّة[5]: إنّ الدّافع الرّئيس للعمل في مجال التّعرف على الأحرف العربيّة بالاتّصال بالشّابكة هو دراسة المخطوطات

العربيّة عبر هذه التّكنولوجيا. وقد اعتمد صاحب هذه الأطروحة **رضوان التّلمساني** على نظام "ماركوف" Markovian system + المبني على الافتراض والملاحظة بصفته شبكة بايزيّة ديناميكيّة*** (Dynamic Bayesian Network DBN). وتكمن الأهميّة الكبرى لهذه الأنظمة في التّعلّم الكامل للنماذج (الطّوبولوجيا والإعدادات) انطلاقا من معطيات التّعلّم.

تعتمد هذه المقاربة على تقعيد شبكات "بايز" الدّيناميكيّة Bayesian network وهي عبارة عن تعميم الشّبكات البايزيّة على العمليات الدّيناميكيّة. ومن بين أهداف هذه الدّراسة إيجاد أفضل الإعدادات التي تقدّم الرّوابط الجامعة بين المتغيّرات في الشّبكة البايزيّة الدّيناميكيّة. وانطلاقا من تطبيقات التّعرّف على الأشكال، تكون البنيّة ثابتة عموما، ممّا يضطرّنا إلى التّسليم ببعض الفرضيّات القويّة (استقلاليّة متغيّرات معيّنة عن بعضها البعض على سبيل المثال). وقد ركّز التّطبيق على التّعرّف المباشر (المتّصل بالشّابكة) على الحروف العربيّة المنعزلة باعتماد قاعدة البيانات التي صمّمها الباحث (أو الجماعة التي ينتمي إليها) في مختبر نون (NOUN)، وقد اقترح اختبارا وراثيا عصبيا لتطوير الـ"**ش ب د**/ DBN" خارجيا.

أمّا النّتيجة التي وصل إليها البحث فيما يتعلّق بـ"ش ب د" وش ب د الهجينة" فكانت 66.78% و73.47% على التّوالي، وقد وصلت بعض المقاربات إلى نسبة تعرّف جيدة تعادل 94.79%.

تطوير نظام التّعرّف على الكلام باللغة العربيّة للكلمات المتّصلة باستخدامHTK[6] **:**

اقترحت الباحثة **نهال مراد بوديّة** في هذا البحث، طريقة فعّالة للتّعرف على الكلام العربي المستمر مستقلا عن المتحدّث، بناءً على مدوّنة كلام مكوّنة من مجموعتين من المعطيات: 1) الأرقام العربيّة المنطوقة (SAD)، المسجّلة من كلام 66 متحدّثًا (33 رجلًا و33 امرأة)، تؤخذ 6600 كلمة من الأرقام ينطق فيها كل متكلّم الأرقام من صفر إلى تسعة، عشر مرّات لكل رقم، و2) تقتصر المجموعة الثّانيّة من المعطيات على

الجمل القرآنيّة لثلاثة متحدّثين مشهورين تُراعى فيها قواعد التّجويد وحُصرت في آخر ثلاثين سورة من القرآن الكريم.

تعاملت **نهال مراد بوديّة** مع الإشكاليّة العامة للتّعرّف على الكلام، التي تكمن في النّطق المشترك للنّماذج داخل السّياق: ثلاثي الأصوات triphone أنموذجا سمعيا وثنائي المقطع bi-grams أنموذجا لغويا، وهو الأكثر ملاءمة لهذا النّص. أمّا عن حلّ المشكلة الخاصّة المتعلّقة بضبط مدّة الصّوت أثناء مدّ الصّوت الثّلاثي فقد استخدمت الباحثة نماذج مزج غوس Gaussian Mixture Model (GMM). وقد أظهرت بعض الاختبارات التّجريبيّة أنّ مجموع معطيات الأرقام لاستخدام ثلاث حالات ينبعث منها فونيم (صوتم) وصل إلى نتيجة ممتازة من التّعرّف على الكلمات، إذ بلغت 95.97٪ وتجاوز معدّل التّعرّف على الجملة 93٪. أمّا أفضل نتيجة تمّ الحصول عليها فيما يخصّ الآيات القرآنيّة فقد فاقت 73٪ من الكلمات المتعرّف عليها، و14٪ من الجمل المتعرّف عليها. بمعدّل دقيقة 66٪ في قراءة "المعيقلي". في حين لم يتجاوز التّعرف 17٪ في قراءة "السّديس" بسبب مشكلة الصّوائت طويلة المدّة.

وضع نظام لاكتشاف وتحديد الارتباطات السّمعيّة للصّوامت العربيّة المفخّمة[7]:

خلال الخمسين سنة الماضيّة، فتنت دراسة الحروف المفخّمة العديد من اللسانيّين بسبب تنوّع تمثيلاتها الفونولوجيّة، وأنماطها النّطقيّة والنّطقيّة المشتركة المعقّدة، وكذا بسبب تأخّر تطوّرها من حيث اكتساب اللغة، وبنيتها السّوسيولسانيّة والبيلسانيّة (interlinguistic).

لا يكمُن التّعقيد الكبير للتّعرّف التّلقائي على الكلام في بعض خصائص الإشارة الصّوتيّة التي تجعله صعب التّحليل وحسب، بل نجده أيضا بشكل خاص في حالة الصّوامت (Consonant)، وبالأخصّ بوجود التّفخيم.

تحوي اللغة العربيّة مجموعة من الصّوامت المعقّدة التي تُسمى بالصّوامت المفخّمة ويُعدّ التّعرف عليها تحدّيا حقيقيا، وتهدف دراسة **الهادي الهلايلي** هذه إلى وضع

مقياس لفك التّشفير السّمعي الصّوتي قادر على التّعرّف على الصّوامت التي تختصّ بها اللغة العربيّة.

تناولت العديد من الدّراسات هذه الحقيقة اللسانيّة من جوانب مختلفة: صوتيّة وفونولوجيّة، ونظريّة، وتاريخيّة، وفيلولوجيّة، إلخ. ويقترح هذا البحث معالجة آليّة للتّفخيم على المستوى السّمعي النّطقي بإجراء توليفة من الأعمال والتّجارب لفهم سلوك الأعضاء أثناء النّطق، ونتيجتها السّمعيّة، ويتمّ ذلك بمعاينة علاقاتها مع نظائرها غير المفخّمة. وقد استعمل الباحث ها هنا المصنّفات العصبيّة (MPC Network Gamma LVQ).

التّعرّف والتّأكّد من النّاسخ** استنادًا إلى تركيبة من الخصائص المتعدّدة للكتابة غير المباشرة***** للمخطوطات**[8]: يتناول العمل المقدّم في هذه الأطروحة مشكلة تحديد هويّة النّاسخ الذي كتب المخطوطة دون الاستعانة بالشّابكة (بدون اتّصال) والتّحقق منه من خلال خط اليد. يقترح هذا العمل نظاما يشتغل وفق مهمّتين متكاملتين مستقلّتين عن النّص. وتُعدُّ مهمّة استخلاص الخصائص مرحلة في غايّة الأهمّيّة بالنّسبة لنظام التّعرُّف على النّاسخ، ويكمن الهدف منها في جمع المعلومات ذات الصّلة القويّة لإنجاز مهمّة تصنيف المعطيات.

مثّلت هذه الأطروحة عينات الكتابة اليدويّة انطلاقا من سماتها، التي نذكر منها: الاتّجاه والانحناء وسُمك الخط وحجم الكتابة. تمّ التّصنيف في هذا العمل باستخدام طريقة "المجاورات الأقرب ******K" التي يُرمز لها بـ KNN (k-Nearest Neighbors) والمسافة Chi-Square (chi^2) ويرمز لها أيضا بـ(χ^2)، بالإضافة إلى المسافة مانهاتن/Manhattan (Mh). وتمّ تقييم هذه الطّريقة المقترحة تقييما جد إيجابي، نظرا للنّتيجة التي وصل إليها انطلاقا من قاعدَتَيّ ملفات: واحدة مكوّنة من 657 ناسخ، والأخرى من 350 ناسخ.

2. 2. رسائل الماجستير:

2. 2. 1. مجال التّصنيف التّلقائي:

تحليل صرفي للنّصّ العربي بغرض فهرسته دلاليا[9]: تعدّ المعالجة الآليّة للغة العربيّة ميداناً واسعًا للغايّة في سياق تقييم مناهج البحث عن المعلومات والتّنقيب في النّصوص (Text mining)، وهي تشتغل على المستويات: الصّرفيّة والنّحويّة والفونولوجيّة والمعجميّة. ومع قلّة الأعمال المنجزة في هذا المجال؛ سيكون من الضّروري إيجاد أدوات تحليل فعالة لتعزيز البحث باللغة العربيّة على الويب. وفي لغة ذات مستوى صرفي اشتقاقي جدّ راقي كاللغة العربيّة، سيكون من الصّعب اكتشاف وحدات معجميّة في نصٍ إلكتروني.

تمّ تطوير وتفعيل بعض طرق التّجذيع (stemming) باقتطاع اللواصق أو باستخراج الجذور الأكثر تجريدا؛ من أجل القيام بعمليات تقليديّة للبحث عن المعلومات (التّصنيف، التّجميع، الجدولة...إلخ). مع ذلك، قد تؤدي تقنيات التّجذيع هذه إلى توصيف الخصائص الغامضة في النّص العربي من أجل النّماذج القائمة على الفهرسة الدّلاليّة.

بالإضافة إلى ذلك، يعتمد التّحليل الصّرفي على المصادر اللسانيّة التي تجمع بين المفردات المحدّدة مسبقا، ومخططات البناء، وقواعد الاشتقاق الصّارمة، ومع ذلك يُشكِّل عدم توفّر مثل هذه المصادر عقبة رئيسة أمام تطوير النّماذج الدّلاليّة للنّص العربي. ويتمثّل الهدف من هذا المشروع (الأطروحة) في تحقيق دراسة مقارنة لمختلف المقاربات التّجذيعيّة، ودراسة إمكانيّة استعمال أيّ منها لصالح نماذج الفهرسة الدّلاليّة للنّصوص العربيّة. بالإضافة إلى تطوير مُحلّل صرفي لاستخلاص الجذور والمداخل المعجميّة العربيّة وتقييمها على المدوّنات النّصيّة.

إسهام العصبيّة الماركوفيّة في التّعرف الآلي على اللغة العربيّة[10]: كان الدّافع من هذه الدّراسة هو تقييم أداء المصنِّفات الارتباطيّة (connexionnists) مقارنة بالنّماذج

الإحصائيّة المستخدمة بكثرة –في القديم– للتّعرف على الأشكال. أمّا مجال التّطبيق فكان: المعالجة الآليّة للكلام، وبالأخص التّعرّف على الكلام.

تستند أحسن الأنظمة الحاليّة في مجال التّعرّف الآلي على الكلام على تصميم إحصائي ماركوڤي. وتُعدّ النّماذج الارتباطيّة المطوّرة في هذه الدّراسة واحدة من الدّراسات السّبّاقة، فهي نموذج من نوع المستقبلات متعدّدة الطّبقات.

2. 2. 2. مجال الاستعمال والتّعزيز:

تصميم واجهة لغة طبيعيّة (عربيّة) لتصميم نظم معلومات[11]: يأتي هذا العمل في سياق دعم تصميم نظم المعلومات لتحقيق أداة إنشاء رسم بياني للغة نمذجة موحّدة/ UML unified modelling language استنادًا إلى مواصفات اللغة العربيّة، من وجهة نظر المعالجة الآليّة للغة. وتُعدّ طريقة (لغة النّمذجة الموحدة) UML معيارا للطُّرُق المُوجّهة نحو تصميم نُظم المعلومات.

تعمل مختلف التّحاليل (المعجميّة والتّركيبيّة والدّلاليّة) من أجل تمييز الكلمات داخل سياقها. بحيث يتوجّب تحديد مفاهيم الرّسم البياني للغة النّمذجة الموحّدة UML التي ستُفيد الباحث في تحقيق أداته التي ترتكّز على تحويل نموذج التّمثيل والتّعرّف (شبكة دلاليّة). من أجل إعادة إنتاج أكبر قدر ممكن من الأفكار المنطقيّة والخبرات لدى خبير معيّن مختصّ في تصميم الرّسوم البيانيّة UML. وتكمن صعوبة عمل الباحث في ترسيم قاعدة معرفة تضُمّ قواعد وكاشفات مبنيّة على خبرات مصمّمي نُظم المعلومات.

وفيما يلي بعض الأرقام التي تعبّر عن المادّة التي رصّدناها في أرشيف الأطروحات والرّسائل العلميّة الجامعيّة، والتي أقمنا عليها هذا البحث:

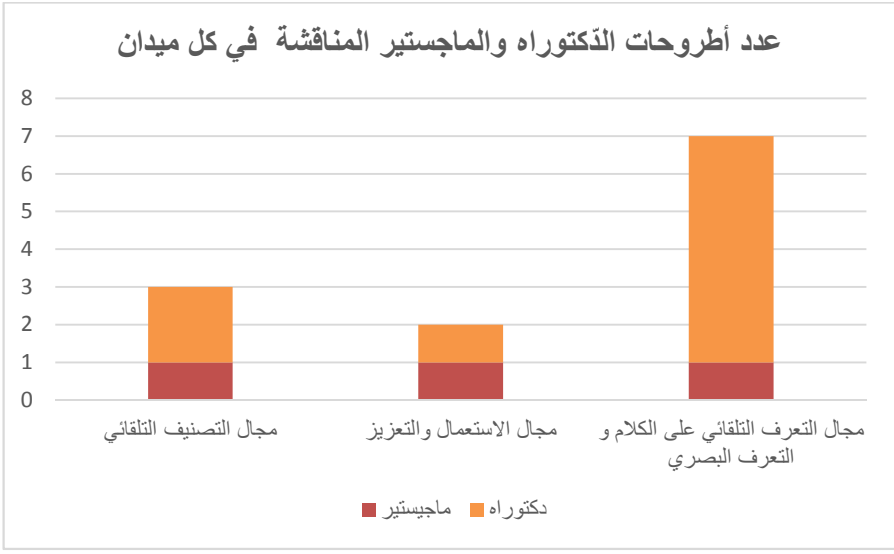

2. 3. الأطروحات الحاليّة: (التي لم تُناقش بعد)

2. 3. 1. دكتوراه ل م د:

1. الإسهام في التّعرف على خط اليد دون الاتّصال بالشّابكة
2. الإسهام في استنساخ الأجزاء المفقودة في المخطوطات العربيّة.

2. 3. 2. دكتوراه علوم:

1. دمج الحوسبة النّاعمة في تجزئة الكتابة اليدويّة العربيّة دون اتّصال بالشّابكة
2. فهرسة مستندات الصّور العربيّة للبحث عن الكلمة
3. نماذج المعالم المميّزة لتحديد المحاور الصّوتيّة للغة العربيّة: نظريّة الكم التّحديد التّلقائي لطراز SVM، تطبيق التّعرف على خطّ اليد العربي.

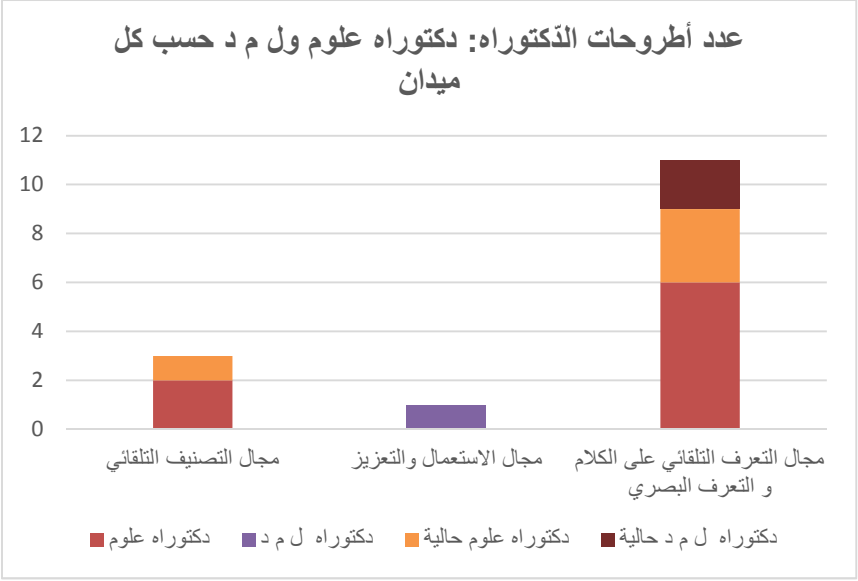
عدد أطروحات الدّكتوراه: دكتوراه علوم ول م د حسب كل ميدان
12
10
8
6
4
2
0
مجال التصنيف التلقائي
مجال الاستعمال والتعزيز
مجال التعرف التلقائي على الكلام و التعرف البصري
دكتوراه علوم
دكتوراه ل م د
دكتوراه علوم حالية
دكتوراه ل م د حالية

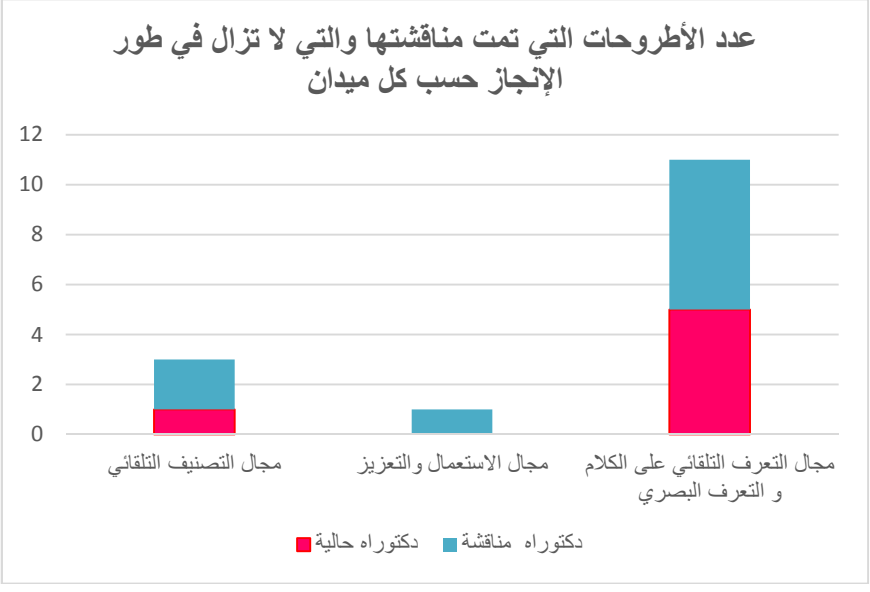
عدد الأطروحات التي تمت مناقشتها والتي لا تزال في طور الإنجاز حسب كل ميدان
12
10
8
6
4
2
0
مجال التصنيف التلقائي
مجال الاستعمال والتعزيز
مجال التعرف التلقائي على الكلام و التعرف البصري
دكتوراه حالية
دكتوراه مناقشة

في ختام هذه الورقة، نوجز بعض النّتائج التي وصلنا إليها في بحثنا هذا المتعلّق بإسهامات المعلوماتيّين الجزائريّين في ميدان اللغة العربيّة الذي خصّصنا به جامعة العلوم والتّكنولوجيا بوهران (محمّد بوضياف)، وانحصرت العينة المدروسة في رسائل الماجستير وأطروحات الدّكتوراه التي تباينت بين دكتوراه علوم ودكتوراه ل م د، وقد توزّعت على ثلاثة مجالات بحثيّة؛ هي: 1) التّعرف الصّوتي والبصري على اللغة العربيّة، 2) تصنيف النّصوص العربيّة، 3) التّرويج للغة العربيّة في الوسط البيني "إنسان – آلة" وكذا في لغات النّمذجة.

في مجال التّعرّف: قمنا بإحصاء (12) موضوعًا، واحد (01) منها كان لنيل درجة الماجستير، و(06) أطروحات دكتوراه مُناقشة خلال العقدين الأخيرين و(05) موضوعات دكتوراه قيد الإنجاز؛ منها (02) في نظام ل م د. وقد استندت هذه الدّراسات على مجموعة من الطّرق المنهجيّة، التي انحصرت في: طرق تعزيز و/أو تهجين الشّبكات العصبيّة، وسلاسل ماركوف، وشبكات بايز، والإحصاء. وكانت نتائج مدّة ومعدّل التّعرُّف مُرضيّة نسبيًا، حيث حاولت الدّراسة تجاوز الكثير من العقبات التي نذكر منها على سبيل المثال؛ خصوصيّة الكتابة اليدويّة، والمُدَد الزّمنيّة غير المنتظمة في حالة التّجويد، والمدّة الحقيقيّة للتعرُّف ... إلخ.

في مجال تصنيف النّص العربي: تمت مناقشة أطروحتي دكتوراه (02) ورسالة ماجستير واحدة (01). في حين مازالتّ هناك أطروحة دكتوراه علوم واحدة (01) قيد الإنجاز في هذا المجال. وقد حاول أصحاب البحوث ها هنا تلبيّة الاحتياجات الحاليّة كالبحث في الويب وفهرسة المستندات ... إلخ.

بقي التّرويج للغة العربيّة مقتصرًا على القليل من البحوث العلميّة، وقد رصدنا في هذه الورقة عملين مُناقشين فقط، أحدهما عمل على ترجمة لغة النّمذجة الموحّدة (UML) إلى العربيّة من أجل تصميم نُظم معلومات.

وجدنا أنّ الاهتمام بالمعالجة الذّكيّة للغة العربيّة كان أكثر في موضوعات الدّكتوراه الكلاسيكيّة منه في رسائل الماجستير أو أطروحات الدّكتوراه ل م د على مدى العقدين

الماضيين. ويرجع ذلك بحسب ظنّنا إلى المدّة التي تتطلّبها خطوات صياغة المشكلة وحلّها واختيار حالات التّحقّق التي لا تبدو واضحة عندما يتعلّق الأمر باللغة العربيّة.

وبناءً على هذه النّتائج، ندعو أصحاب الاختصاص إلى إعطاء أهمّيّة أكبر لمثل هذه الدّراسات في مجال البحث العلمي، وبالأخصّ في مشاريع الدّكتوراه المستقبليّة وتسخير طاقة الباحثين في مجال الذّكاء الاصطناعي لخدمة لغتنا العربيّة.

الهوامش والاحالات:

[1] Daouadji kinane A. , & Bendella F. (2018). MEDIUS: A Serious Game for Autistic Children Based on Decision System. Simulation & Gaming, 49(4) 423–440. KINANE DAOUADJI Amina, Aide à la décision pour la mise en place de parcours d'apprentissage adaptés aux profils cognitifs des autistes thèse de doctorat LMD, 2018-2019, USTO-MB.

https://doi. org/10. 1177/1046878118773891

[2] LAKEL Kheira Les annotations sémantiques dans les documents Web: application aux textes psychologiques en langue arabe, Thèse de Doctorat eSciences en Informatique,USTO-MB, 2017-2018

LAKEL K., Bendella F. (2017) Psychological named entity recognition from psychological Arabic texts International Journal of Metadata Semantics and Ontologies 12(2/3): 82 January 2017. DOI: 10. 1504/IJMSO. 2017. 090758.

* الدّرجة F هي مقياس لدقة الاختبار.

[3] Abderrezak BRAHMI. Contribution à la Recherche Intelligente sur le Web : Indexation Sémantique des Textes Non-Structurés, Thèse de Doctorat eSciences en Informatique,USTO-MB, 2013.

[4] Fréha MEZZOUDJ , Contribution par des Méthodes Statistiques à l'Amélioration de la Reconnaissance Automatique de la Parole, Thèse de Doctorat eSciences en Informatique, USTO-MB, 2017-2018.

[5] Redouane TLEMSANI, La reconnaissance en -ligne du manuscrit arabe Thèse de Doctorat eSciences en Informatique, USTO-MB, 2012

*** استدلال بايزي معتمد في الإحصاء ضمن مجال الاحتمالات.

[6] MERAD-BOUDIA Nihal, Développement d'un système de reconnaissance de parole arabe pour des mots connectés en utilisant HTK, Thèse de Doctorat eSciences en Informatique,USTO-MB, 2017-2018.

[7] Elhadi HELEILI, Elaboration d'un système de détection et d'identification de corrélats acoustiques des consonnes emphatiques arabes, Thèse de Doctorat eSciences en Informatique,USTO-MB, 2016.

**** النّاسخ هو الذي يكتب النّص بخطّ يده.

***** غير المتصلة بالشّابكة.

[8] baHRAM Tayeb, Identification et Vérification de Scripteurs Basées sur une Combinaison de Multiples Caractéristiques de l'Ecriture Manuscrite Hors-ligne,Thèsede Doctorat eSciences en Informatique, USTO-MB 2017.

baHRAM tayeb, a.benyettou, d. Ziadi . A Set of Features for Text-Independent Writer Identification.International Review on Computers and Software 11(10):898 2016.

****** K عدد صحيح موجب (صغير عادة).

[9] Nebia BENZATER, Analyse Morphologique du Texte Arabe pour Son Indexation Sémantique, Mémoire de magister en Informatique,USTO-MB 2015.

[10] HENNI Sid Ahmed, L'Apport Neuro-Markovien a la Reconnaissance Automatique de la Langue Arabe. Mémoire de magister en Informatique,USTO-MB, 2000.

[11] Abderrahmane SAIDI, Conception d'une interface en langage naturel (arabe) pour la conception des systèmes d'information. Mémoire de magister en Informatique,USTO-MB, 2011.

اللغة العربيّة والمحيط العولمي

أ. د. أحمد بن عجميّة
د: عبد القادر بعداني
جامعة حسيبة بن بوعلي شلف.

الملخّص: تشير المعطيات الماثلة أمامنا في هذا العصر أنّه تمّ ميلاد مجتمع جديد يختلف عن المجتمعات السّابقة، وهذا الاختلاف مصدره الشّركات المتعدّدة الجنسيّات والأسواق المتعدّدة، والانتشار الواسع لشبكات الانترنت.

وأضحى العلم والمعرفة قائمين في كل مكان، وأصبح الإنسان المعاصر متمكّنا من الوصول إلى أقصى أنحاء المعمورة في أسرع وقت بالاطلاع على أحدث المخترعات وبات يتقلّب في قريّة محدودة المساحة سيمتها العلوم والثّورات المعلوماتيّة.

أضحت هذه المنظومات تتحكّم فيها الدّول الرّائدة في مجال المعلوماتيّة، إنّ هذا تسونامي" العولمة" أضحى قريبا وتجاوز الحدود، ونزل بكل الأوطان حاملا معالم التّكنومعلوماتيّة تتمشى وإعادة رسم الخارطة الإيديولوجيّة والاقتصاديّة لعالم الغد.

1-مفهوم العولمة: عرفت البشريّة في القرون الوسطى حضارة إسلاميّة عريقة نمت بفضل مكوناتها الفكريّة، وسطا نورها إلى أوربا الجنوبيّة، أعقبتها نهضة علميّة متميّزة فجرتها أوربا في مطلع القرن 18 م، وسعت إلى تأسيس منظمة جديدة أطلق عليها " العولمة".

2-العولمة في المعجم:

يشير مفهوم العولمة لغويا إلى أمرين:

أ- هي من لفظ" عالَم وهو الخلق وكل أصنافه، والعالَم: الخلق كله وقيل: هو ما احتواه بطن الفلك[1]، وهو واحد لا جمع له من لفظه، لأنّ عالما جمع أشياء مختلفة فإن جعل عالم اسماً لواحد صار جمعاً لأشياء متّفقة[2].

ب- العولمة مصدر يفيد الاحاطة والوسع، وهو لفظ محدث، فهي من لفظ العالم أو من المصدر الصّناعي "العالميّة" وهو منقول عن اللغات الغربيّة وجائز أن يعرب إلى الكونيّة مادام اللفظ الفرنسي من univers وهو الكون. ويقول محمّد الجابري هي رغبة إنسانيّة تكشف عن طموح إلى الارتفاع أو الخصوصيّة إلى مستوى عالمي إنساني، فالعولمة احتواء العالم[3].

فالعولمة حدث تاريخي، وهي اتّجاه واقعي حتّم على كثير من الشّعوب أن تحيا فيه فهي واقع ليس لشعوب الأرض خيار آخر.

3- **هل العولمة نعمة أو نقمة؟** بالرّغم من الإيجابيات التي يتحجّج بها البعض لانتشار العولمة، فإنّ البعض الآخر يرى أنّها تهدّد الهويّة الثّقافيّة المحليّة لكثير من البلدان السّائرة في طريق النّمو.

4- **كيف يمكن الاستفادة من العولمة؟** لكي يحقق أي مجتمع طموحاته في مجال العولمة، حري بهذا المجتمع أن يأخذ بكل الإيجابيات والتّصدي للسلبيات ولا يتمّ ذلك إلاّ إذا كان الفرد في هذا المجتمع منتجا للعلم مستثمرا له، لا مستوردا، ويتحقّق ذلك من خلال اكتسابه عن جملة من السّبل من أهمّها:

أ- **البحث عن المعرفة والتّواصل مع أهلها:** يتحقّق هذا السّبيل المنشود من خلال الاتّصال بأهل الاختصاص وأصحاب الكفاءات من أهل العلم والخبرة بواسطة اللغة العربيّة أداة أو التّرجمة بغيّة النّهل من الحضارة العالميّة واستيعاب خبرات الأمم الرّاقيّة في التّقدم العلمي والتّكنولوجي وأن اكتساب المعرفة وتبادل المعلومات لا يتمّ إلاّ بإحدى اللغات العالميّة التي تعدّ منفذا للفرد على العالم الخارجي.

ب- **بأي وسيلة يتمّ استيعاب المعرفة:** يتمّ استيعاب المعرفة ونقلها باللغة الأمّ ويجسّد هذه النّقلة النّوعيّة التّعليم الجامعي والبحث العلمي الذي يحرص المسؤولون عليه أن يكون باللغة الأمّ لكي يحقّق للمجتمع النّهوض.

5- أهميّة البحث العلمي في إنتاج المعرفة: تسعى الأمم الرّاقيّة في مختلف الجماعات ومراكز البحوث إلى استغلال المعرفة من أجل ابتكار معارف جديدة وبأيّة لغة يتحقّق هذا الإجراء؟

لا شكّ أنّ الوسيلة التي يتحقّق بها ذلك، إنّما هي اللغة، ولأنّ نموّ المجتمع وتطوّره مرتبطان أشدّ الارتباط بالمعرفة التي سيكون انعكاسها الرّئيسي في منظومة التّعليم العالي والبحث العلمي على نموّ هذا المجتمع وتطوّره.

6- كيف تتحقّق النّهضة العلميّة العربيّة؟ تؤسّس النّهضة الحديثة على قواعد صلبة، تعد حجر الزّاويّة فيها التّرجمة والتّعريب، بهما يتمكّن أفراد المجتمع من الاطلاع على ما توصّل إليه المجتمع الغربي في ميادين العلم والمعرفة، وهذا لتحقيق الاستيعاب الموروث وتمثّله ثمّ الإبداع فيه بالإضافة والتّجديد.

وهناك حقيقة لا بدّ أن نعترف بها وهي أساليب اللغة التي ما تزال في الأغلب متخلفة عن مواكبة روح العصر، هذا وأنّ اللغة العربيّة تمتاز بثروة واسعة في الصّور النّحويّة، وتعدّ ارقى اللغات تطوّرا من حيث تركيب الجمل ودقة التّعبير، أمّا مفرداتها فهي غنيّة تسترعي الانتباه، ولا بدع فهي تصبّ فيها الجداول من شتى القبائل[4].

7- لمَ التّرجمة والتّعريب؟ أضحى نقل العلوم والتّقنيّة من الأمم المتحضّرة ضرورة وحتميّة، ولكي يتحقّق هذا التّواصل مع هذه الأمم، يفرض علينا ترجمتها وهذا بغيّة تعميم العلوم والمعرفة للأجيال بمختلف المستويات، تأسيسا لبناء صرح نهضة علميّة يواكب التّطوّر الحضاري الحاصل في العالم الآخر، وهكذا يكون الإنسان المتعلّم المؤهّل بلغته الأم محور هذه النّهضة، فكيف تتمكّن اللغة العربيّة مواكبة عصر التّطور؟

8- تمكين اللغة العربيّة من مواكبة العصر. لا حياة للمتخلّف ولا بقاء له بين الأمم في عصر العولمة، وإذا كانت العربيّة اليوم قاصرة عن الإنتاج فإنّه يبقى الاعتماد على التّرجمة بصفة قويّة، حتى يتزايد تأثيرها في طبيعة اللغة العربيّة.

وبغير التّرجمة والتّعريب كيف يمكن للعربيّة مواكبة التّطوّر الحضاري والعلمي واكتساب المصطلحات العلميّة المستجدّة.

وقد أثبتت العربيّة وجودها بين اللغات العالميّة، حيث أكّدت دراسة علميّة أجريت في اليابان لمعرفة أكثر اللغات العالميّة مواءمة صوتيّة في استخدام الحاسوب ونالتّ العربيّة الرّتب الأولى، وجاءت الصّينيّة في آخر القائمة، وهذه الدّراسة تؤكد تميّز اللغة العربيّة من ناحيّة الموضوع الصّوتي[5].

ندرك ممّا سبقت الإشارة إليه في الدّراسة أنّ اللغة العربيّة ليست عصيّة على استخدام التّقنيّة الحديثة، وليست قاصرة عن مواكبة عصر التّطورات والتّغيرات المتسارعة في مجالي العلم والتّقنيّة، وليس العيب في اللغة العربيّة وإنّما التّقصير حاصل –ولا ريب– في أهلها الذين توانوا عن خدمتها وأهملوها حين عني كثير من الأمم بلغاتها.

وقديما قال الشّاعر العربي:

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

قد يدعي دعاة التّعصب إقناعا أنّ اللغة الأجنبيّة لغة وظيفيّة في مجال التّداول السّليم للعلم والمعرفة متجاهلين اللغة العربيّة ولغات أخرى.

غير أنّ الدّراسات العلميّة الجادّة والتّجارب المخبريّة أثبتت بما لا يدع مجالا للشّك أنّ منطلق البحث في الثّورة المعرفيّة تقبل أي لغة يراد لها الحياة.

وأن آليّة التّحرك في يد أصحابها، وليست في اللغة ذاتها، وفي مثل هذه الحال ماذا يفعل اللسان؟ وهل يستطيع أن يحرك جثّة هامدة؟ وفي هذا المجال تمكّنت لغات بعض الأقليات من أثبات جودها علما وعملا، إذا استطاع أهلها تهذيبها وتفعيلها في شتى المجالات.

فهذا الفيلسوف الصّيني –كونفوشيوس[6] قد دعا في زمانه إلى تهذيب اللغة وتنقيحها حتى تسهم في وضوح الأمور...

سئل هذا الفيلسوف مرّة، ماذا يريد أن يفعل إذا حكم البلاد، فرد على السّؤال قائلا: أصحح أسماء الأشياء وما علاقة تصحيح الأسماء بالحكم الرّاشد؟

وردّ الفيلسوف: عندما تكون أسماء الأشياء مغلوطة يصبح الكلام غير صحيح وعندما يصبح الكلام غير صحيح، لا يجري العمل بشكل غير صحيح، وعندما لا يجري العمل بشكل صحيح، يصاب بالضّرر كيان المجتمع، ولا تعود العقوبات تناسب الجرائم، وعندما لا تناسب العقوبات الجرائم، لا يعرف النّاس ماذا يفعلون[7].

إنّ في مثل رسالة هذا الفيلسوف ما يفيد الأهمّيّة القصوى التي يمكن أن تكون عليه اللغة في تسميّة الأشياء بشكل صحيح عن طريق تعزيز الأداة، وهذا ليس بالأمر الهيّن في حقّ مستقبل الأجيال وهويتها.

فكيف نترجم نحن ذلك إلى الواقع؟

9- تعزيز البحث العلمي العربي: لا يمكن فصل الجامعة عن المجتمع، لأنّها منار العلم والازدهار في هذا المجتمع، ومن العار أن نرى هوّة عميقة بين الجامعات العربيّة والجامعات الأخرى ذات البحث العلمي المتطوّر والجاد. وتأسيس البحث العلمي في الجامعة ينشا ولا جدال مع الإنسان، من الطّالب الجامعي إلى الأستاذ الباحث، يتمّ هذا التّأسيس حتما بفهم واستيعاب العلوم والمعارف وتمثّلها.

والحال هذه يعوزنا كعرب امتلاك ناصيّة المعارف باللغة العربيّة، والقدرة الخلاقة على احتواء العلوم ونقلها، وتحقيق الإبداع في كل مجالاته، وعندما نفقد هذه الخاصيّة نلجأ إلى دور التّعريب للعلوم، وذلك من خلال البحث والتّطوير، وتشجيع تدفق المعلومات عبر مختلف المعابر.

لعلّ الذي أسهم في تأخرنا في جميع المجالات هو إهمالنّا للغتنا وفي ذلك يقول مالك ابن نبي "ت: 1975" الأمور مستحيلة ونقف أمامها عاجزين، وهي في الحقيقة غير ذلك، لعدم تمكّننا من أدائها، لفقد وسائل، التّعبير والمنهجيّة، والكفايّة القادرة على حلّها، أضف إلى ذلك اعتماد التّجارب الفارغة من أي محتوى فكري لها[8].

من خلال ما تقدم يبدو لنا أنّ الحلّ الأنجع يكمن في النّهوض باللغة العربيّة من خلال حسم طرائق التّدريس في جميع المؤسّسات لتواكب التّطورات الحاصلة في العالم أي أنّ تراجع نظم التّعليم في المدارس بما تتطلّبه وتفرضه الطّرائق الحديثة تماشيا مع التّطوّرات العلميّة المستجدّة، وإيلاء الأهميّة القصوى في المراحل التّعليميّة الدّنيا للمواد اللغويّة الأساسيّة بوصفها زادا لغويا ومعرفيا قويا، من خلال ذلك يمكن للمتعلّم من التّعبير بطلاقة عن المشاعر والأفكار.

يقول أحمد حسن الزّيات "ت: 1968م": "من المحال أن تنقل الأمّة كلّها إلى العلم بلغة أجنبيّة، لكن من الممكن أن تنقل العلم كلّه إلى الأمّة باللغة القوميّة"[9].

"التّعليم بلغة غير لغة القوم يعني الفصل بين التّفكير واللسان، وهذا ما سعت إليه سابقا الدّولة الاستعماريّة في العصرين القديم والحديث، ولا سيما في عصرنا الحاضر عصر العولمة"[10].

ولهذا السّبب سعت المنظمة العربيّة للتربيّة والثّقافة والعلوم "ألكسو" منذ نشأتها إلى الإسهام في تعريب التّعليم العالي في جامعات الوطن العربي واستعمال اللغة العربيّة وتمكينها في كلّ مراحل التّعليم، وما إنشاء مكتب التّعريب في الرّباط[11] إلاّ دليل على الاهتمام البالغ.

اللغة العربيّة في ظلّ التّعريب: يقر أعداء اللغة العربيّة بأنّها لغة قديمة وأصبحت عاجزة عن مجاراة التّطوّر العصري، قاصرة عن مباراة اللغة الحيّة في مختلف العلوم وقالوا إن في حروفها نقصا، واستدلوا على ذلك ببعض الحروف الضّروريّة في المسميات العلميّة ك: w –v –u –g –p وقالوا (إنّ الفكر العلمي المعاصر يخلق كل يوم نحو مائة مصطلح جديد، فكيف تخلقه اللغة العربيّة[12]؟

إنّ هذا التّدخل السّافر في اللغة العربيّة يمكن أن يرد عليه بما يلي:

1/ نقصان العربيّة لبعض الحروف لا ينقص من شأنها، ففي اللغة الحيّة المعاصرة حروف غير منطوقة ولا مكتوبة، مثل: (ق، خ، ط، ع، ص) فهل هذا يعيبها؟

2/ إنّ الخطوة الجبّارة التي خطتها الجزائر سنة1972 خطوة رائدة.

ولم تقدم عليها إلاّ بعد بحث وتمحيص واستقصاء، وهذا لا يتعارض ووجوب التّضلّع في اللغات الأجنبيّة للتّعمق العلمي والفكري على الصّعيد العالمي.

وقد أدرك المستعمر أهمّيّة اللغة العربيّة، فشرع يحاربها بشتّى الطّرق والوسائل وعلى مراحل، وإسهام أرمادة من الباحثين والمفكّرين والمستشرقين، تآمرو للقضاء على العربيّة في مهدها[13].

وتواجه اللغة العربيّة على مرّ العصور ظلم الأبناء وجورهم، وفي ذلك يتحدّث أحد المستشرقين: مارأيت لغة في العالم أغنى من اللغة العربيّة الفصيحة، وما رأيت لغة في العالم مظلومة من أبنائها مثل العربيّة[14].

إنّ هذه الشّهادة تبعث في نفوسها الأسى وتحتّم علينا الاعتزاز بالعربيّة اليوم وغدا والسّعي من أجل ترقيتها لمواكبة عصر التّكنولوجيا، إن هذا الأمر أمانة في عنق كل فرد، وفي هذا المقام يقول الثّعالبي:

"من أحبّ الله أحبّ رسوله، ومن أحبّ الرّسول العربي، أحبّ العرب، ومن أحبّ العرب أحبّ العربيّة التي نزل بها أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحبّ العربيّة عنّي بها وثابر عليها وصرّف همّته إليها"[15].

نسوق هذا القول للدّلالة أنّ العربيّة ذات مرونة ولين، وهما عنصران يمكّنانها من التّكيّف ومقتضيات العصر، وهي لم تشهد أي تقهقر فيما نعلم أمام أي لغة من اللغات التي احتكّت بها، ولهذا نتوقع أنّها ستحافظ على مركزها في المستقبل في ظلّ العولمة الذي لا يرحم.

الخاتمة: إنّنا ندعو بإخلاص إلى النّظر في اللغة العربيّة على أنّها لغة العصر الحديث، ولا مناص من التّركيز على آلياتها، والإمعان فيها كلغة جديرة بتحمّل مضامين حياة الأمّة، ولتصبح في ظلّ العولمة لغة الحوار والمنطق والرّقمنة ومواكبة للتّطوّر العالمي، وحتى يعكس مضمونها واقعنا المعيش.

وفي هذا المقام يقول حلمي خليل: " إنّ الأخذ بمبدأ التّخطيط اللغوي، قد يكون الخطوة الأولى على بدايّة الطّريق لحل مشكلات حياتنا اللغويّة وهي مشكلات جديرة بأن تكون في مقدّمة مشكلاتنا القوميّة والسّياسيّة والاجتماعيّة، بل لعلي لا أكون مسرفا إذا قلت إنّها مشكلات خليقة بأن تهزّ كيان الأمّة العربيّة هزاً سواء اليوم أم غداً[16].

الهوامش والاحالات:

[1]– لسان العرب، ابن منظور، علم– 9/ 373.

[2]– المصدر نفسه.

[3]– العربيّة وظيفتها ومقامها، رشيد حليم، مجلة العربيّة مجلس الأعلى للغة العربيّة، ص: 860.

[4]– تاريخ الأدب العربي – حنا الفاخوري– دار الجيل، ص: 24.

[5]– اللغة العربيّة في عصر العولمة/ أحمد محمد الضّبيب، ط1، الرّياض.2001، صك 30.

[6]– فيلسوف" 551– 479، ق، م أسس مذهبا أدبيا يدعو إلى حياة عائليّة واجتماعيّة مثاليّة.

[7]– الرّابط: http/www.almosul-org.

[8]– ينظر: شروط النّهضة لمالك بن نبي.

[9]– مستقبل اللغة العربيّة ورهاناتها في ظل العولمة، أيمن مصطفى حجازي، مجلسة المجلس.

[10]– اللغة العربيّة في ظل العولمة، عادل نوفل، المجلس الأعلى للغة العربيّة2009، ص: 790.

[11]– مجلة اللسان العربي ، مجلة دوريّة للأبحاث اللغويّة ونشاط التّرجمة والتّعريب بالرّباط.

[12]– ينظر: مقال، ثورة التّعريب، بن عبد الله عبد العزيز، اللسان العربي، المجلـد 9الجـزء 01 يناير 1972.

[13]– ينظر: مقال، معركة العربيّة في الجزائر،محمود عبد المولى،اللسان العربي،المجلد 09، ص: 13

[14]– مجلة التّعريب، محمود اليد، العدد، 28، السّنة 2005، ص: 19 .

[15]– فقه اللغة الثّعالبي، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلميّة، سنة، 2001، ص: 25.

[16]– دراسات في اللسانيات التّطبيقيّة، ص: 13.

آليات النهوض باللغة العربيّة:

Mechanisms for the advancement of the Arabic language:

داه. فوزيّة زيار

جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم

ملخّص: إنّ اللغة العربيّة لغة حيّة لا تقهر، خالدّة بخلود القرآن الكـريم المحفـوظ بالمشيئة الإلهيّة. لذا كان وما يزال الدّفاع عنها ونشرها والتّمكين لها وتـدعيم مكانتهـا وتوسيع نطاق تعليمها وتدريسها جزء لا يتجزّأ من خدمة الأمّة عقيدة وثقافة وحضـارة وإذا كنّا على أبواب مرحلة جديدة من التّحديات وفي مقدّمتها تحدّي العولمـة الثّقافيّـة فإنّه من الضّروري أن تتضافر جهود الأمّـة كلّهـا، الرّسـميّة والشّـعبيّة، والبيـت والمدرسة، والجامعة وكل المؤسّسات التّربويّة والإعلاميّة للنّهوض بـالحرف العربـي وتطويره.

- **الكلمات المفتاحيّة:** اللغة العربيّة، الدّفاع، الآليات، الحضارة العربيّة

- **Abstract** :Arabic is a living language invincible, immortal in the immortality of the Koran preserved by the divine will. Therefore, defend it, spread it, empower it; but also the strengthening of its position, the broadening of its learning and teaching are an integral part of the service of the nation in ethical, cultural and civil terms. If we are halfway to cultural globalization, it is essential that the efforts of governing and civic structures (homes, schools, universities, educational institutions and the media) are all mobilized in the promotion of the Arab letter and in its development.

- **Keywords:** Arabic language, defense, mechanisms, Arab civilisation.

تقديم: إنّ واقع اللغة العربيّة اليوم انعكاس للوضع الذي وصلت إليه، لذا فإنّ الاهتمام بمعالجة مشكلات اللغة، وبحث قضاياها للخروج بها من دائرة التّقهقر وعزوف أبنائها عن استعمالها- وحتى في حالة الاستعمال لا يتوانون في ارتكاب الأخطاء مشافهة وكتابة- جزء لا يتجزّأ من الاهتمام بقضايا الأمّة ماضيها وحاضرها ومستقبلها في ظلّ الغزو الثّقافي وعصر الانفتاح وكثرة الوافد والتّقدّم التّكنولوجي الهائل.

في ظلّ هذه التّطوّرات يجدر بنا أن نطرح جملة من الإشكالات التي تتعلّق براهن اللغة العربيّة ووضع بعض الاستراتيجيات الكفيلة بتنميّة اللغة العربيّة وتجديد مسارها.

أهداف البحث:

- نسعى في هذا البحث إلى بلورة جملة من القضايا منها:
- الكشف عن المشاكل التي واجهت اللغة العربيّة.
- ومحاولة تقديم بعض الحلول الكفيلة بحفظ اللغة العربيّة لتتبوّأ المكانة المرموقة التي تليق بها.
- اللغة وعاء الفكر الذي يحتضن موروثنا ومنه نستمدّ بقاءنا لغة الهويّة والتّراث والقرآن الكريم ولا مناص من حمايتها بشتّى الطّرق وكافة الوسائل.

أهمّيّة البحث: وتكمن أهمّيّة البحث في أنّه يلقي الضّوء على المشاكل التي تواجه اللغة العربيّة، والسّبل الكفيلة في مواجهة هذه التّحديات، ولأجل الوصول إلى ذلك قسمنا بحثنا إلى قسمين، القسم الأوّل: عنوناه بـ: "**مكانة اللغة العربيّة والتّحدّيات التي تواجها**" وقد تناولنا فيه مكانة اللغة العربيّة، وأبرز سماتها وكذا واقع اللغة العربيّة اليوم، وأهمّ التّحدّيات التي تواجهها.

أمّا القسم الثّاني من البحث الموسوم بـ "**آليات ترقيّة اللغة العربيّة**" تناولنا فيه أهمّ متطلّبات مواجهة هذه التّحدّيات، وبيان سبل الرّقي باللغة العربيّة الفصحى حتى تبقى شامخة بين أهلها.

إشكاليّة البحث:

- ما واقع اللغة العربيّة في ظلّ التّطوّر التّكنلوجي؟
- ما سبل ترقية اللغة العربيّة إلى مصاف اللغات الرّائدة؟
- وكيف تسهم اللغة العربيّة في إنتاج المعرفة؟
- ما أهمّ الأليات التي يمكن استحداثها لترقية اللغة والانتقال بها من المحلّيّة إلى أفق العالميّة؟

أوّلا- مكانة اللغة العربيّة والتّحدّيات الرّاهنة: حسب اللغة العربيّة مكانة وعلوا أن اصطفاها الله عزّ وجلّ دون سائر اللغات وجعلها لغة القرآن الكريم ويكفيها شرفا ومكانة أن يصفها تعالى بالوضوح والإبانة قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿**لِّسَانُ الذي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ (103)**﴾[1].

وأن يكون اللسان العربي مظهرا لوحيه، ومستودعا لمراده، وأن يكون العرب هم المتلقّين أوّلا لشرعه وإبلاغ مراده لحكمة منها: كون لسانهم أفصح الالسّن وأسهلها انتشارا وأكثرها تحمّلا للمعاني مع إيجاز لفظه[2].

ثمّ كيف ماتت اللغات الأخرى واندثرت كالآراميّة وهي لغة المسيح، والهيروغليفيّة لغة الفراعنة، والعبرانيّة لغة التّلمود والتّوراة، على الرّغم من أنّ اليهود أكثر الشّعوب مكرا ودهاء، وحرصا على تراثهم وثقافتهم، وكيف انتشرت العربيّة واستطاعت الصّمود في وجه الغزو الثّقافي، وفي وجه الحاقدين الذين رموها بالتّخلّف والجمود[3].

وأنّها لا تصلح أن تكون لغة للعلم والمعرفة وقذفوها بشتّى النّعوت والصّقوا بها كل نقيصة ولفقوا لها تهما هي براء منها، وفي مقدّمة هؤلاء المستشرقين ومن حذا حذوهم من أبناء العربيّة الذين دعوا إلى استبدالها بالعاميّة ولعلّ في مقدّمتهم محمّد حسين هيكل الذي قال: " والحق أنّ اللغة العربيّة على ما خلفتها حضارة العرب كثيرا ما تستعصي على صور هذه الحضارات الحديثة، وليس عليها من ذلك ذنب، وليس في طبيعتها دون الوصول إليه عجز، وذلك بأنّ اللغة العربيّة أداة، وإن لم يتمّ صقلها علاها صدأ ثمّ كان فيها تثاقل عن السّير المطمئن إلى حيث يحتاج إليها الذّهن الفياض بمعان

وصور جديرة، ولقد يبلغ من صدأها أن يقبرها"[4] وهكذا تجرّأ هيكل على اللغة العربيّة متّهما إيّاها بالشّيخوخة والعجز وأنّها إن لم تنهض بذاتها ستقبر لكن الدّعوة إلى النّهوض مسألة في نظره ونظر دعاة التّطوّر كلمة حق أريد بها باطل فهؤلاء لاهمّ لهم إلاّ النّيْل من العربيّة وإحلال العاميّة محلّها ومن هؤلاء سلامة موسى[5] الذي لم يكتف بذلك بل؛ دعا إلى استبدال الحرف الإفرنجي بالحرف العربي دون قيد أو شرط.

إلى جانب دعوات أخرى وصمتها بالصّعوبة والتّعقيد بسبب نظامها النّحوي والصّرفي المعقّد حسب زعمهم إلى درجة المطالبة بالتّخلّي عن هذه القواعد. الأمر الذي أدّى الى ابتعاد كثير من النّاس عن اللغة العربيّة، في حين ذهب فريق آخر إلى اعتبارها لغة فقه وعبادة، وليس كلغة علم ومعرفة، فطالبوا بأن تبقى اللغة العربيّة حبيسة المساجد ودور العبادة وأن تحلّ العاميّة أو الإنجليزيّة محلّها.

وكلّ هذا تجنٍ على اللغة وإجحاف في حقّها فكيف للغة تملك من المفردات اللغويّة ما يجعلها تتّسع لكافة الأديان ومختلف العلوم والثّقافات، فعبرت عن الأديان والشّرائع وعن العلوم والفنون أن تعجز عن مواكبة هذا التّطوّر، إذ لولا العربيّة وحركة التّرجمة التي شهدها العصر الذّهبي للحضارة العربيّة الإسلاميّة، لضاعت الثّروة اللغويّة ولتأخّرت البشريّة ردحا من الزّمن، والحق أنّنا نرد على كلّ هؤلاء المشكّكين بقول حافظ إبراهيم على لسان اللغة العربيّة:

وَسَعْتُ كِتَاب اللهِ لَفْظاً وَغَايَة وَمَا ضِقْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتِ

فَكَيفَ أعْجَزُ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ وَتَنْسِيق أَسْمَاءٍ لِمُخْتَرَعَاتِ

وفي خضمّ التّحدّيات التي تواجهها اللغة وفي مقدّمتها تحدّي العولمة الثّقافيّة[6] Cultural Globalisation، فإنّه من الضّروري أن تتضافر جهود الأمّة كلّها للنّهوض بالحرف العربي وتطويره، وهذا الأمر يقتضي أن ترقى اللغة لتكون وسيلة علم وتعلّم فأكبر تحدّ تواجهه اللغة أن تكون لغة نشر المعرفة في الوقت الذي ظهرت فيه وسائط تكنولوجيّة لنشر العلم والمعرفة كالشّابكة الإلكترونيّة العالميّة وعلى اللغة أن تنافس

بحضورها الذي لا يتعدّى 1,6% وهو حضور ضئيل قياسا باللغة الإنجليزيّة وسائر اللغات العالميّة الأمر الذي يحتاج إلى تشجيع ودعم كبيرين.

ونحن في عصر أصبحت الوسائط الرّقميّة المتعدّدة حمّالة للمعارف، وانفتحت الحضارات على التّثاقف المباشر فالعولمة سلاح ذو حدين، إمّا أن تتيح الفرصة لانفتاح الشّعوب والثّقافات على بعضها واحترام حق الاختلاف أو تدمير الثّقافات إذا كانت غاياتها إلغاء الآخر، وكل هذا عبر صفحات الويب ووسائل الاتّصال عن بعد، لذا أصبح بذل الجهد لحوسبة اللغة العربيّة ومعالجتها آليا أمرا ضروريا ومشروعا حيويا.

فجرى انشاء بنوك المصطلحات، والمكتبات الرّقميّة، ومحركات البحث، ومواقع التّرجمة الآليّة[7]...وتعدّ المعاجم الالكترونيّة من أهمّ مظاهر المعالجة الآليّة للغة العربيّة وتحيينها لتواكب الكم المعلوماتي الهائل وكذا التّدفّق المصطلحي المتسارع.

وتؤدّي مرونة اللغة العربيّة دورا كبيرا في حوسبتها نظرا لثبات صيغها الصّرفيّة دلالة وبناء، إذ بإمكان الحاسوب التّعرّف على الكلمات بكل سهولة فيتمّ استغلال ذلك للتّعرّف على خصائص اللغات.

فمن مميّزات اللغة العربيّة، الميزان الصّرفي الدّقيق الذي بواسطته يستطيع متكلّم اللغة اشتقاق عدد كبير من المفردات أفعالا ومصادر، وكذا نظام تصريف الكلمات وإيجاد صيغ الماضي والمضارع والأمر، وأسماء الفاعل والمفعول، والصّفة المشبهة واسمي الزّمان والمكان، واسم الآلة وغيرها، وعن طريق يمكن لمتكلّم اللغة صياغة مفردات جديدة حتى وإن لم يسمع بها من قبل، الأمر الذي يساعد على اختصار الوقت وتعلّم اللغة بكلّ سهولة وطلاقة.

وقد أكّد ابن جنّي هذه الحقيقة في قوله: "يحتاج إليه (علم الصّرف) جميع أهل العربيّة أتمّ حاجة وبهم إليه أشد فاقة، لأنّه ميزان العربيّة، وبه تعرف أصول كلام العرب من الزّوائد الدّاخلة عليها، ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلاّ به، وقد يؤخذ جزء من اللغة كبير بالقياس، ولا يوصل إلى ذلك إلا عن طريق التّصريف"[8].

ولعلّ من شروط الاستجابة لهذه التّحدّيات قصد ترقيّة اللغة العربيّة والحفاظ عليها والتّمكين لها ذلك أنّ بقاء الأمم واستمرارها مرهون باستمرار لغتها وتداولها وأن اندثار اللغة يعني بلا شك زوال كياناتها ووجودها لذا تحرص كل أمّة على الحفاظ على إرثها لذا لابدّ من تضافر الجهود وإشراك الجميع بوضع خطة شاملة تستند على جملة من الإجراءات.

ثانيا- آليات ترقيّة اللغة العربيّة:

- إعادة تخطيط مناهج تدريس اللغة العربيّة في سلك التّعليم في مراحله المختلفة إلى نهايّة المرحلة الثّانويّة بقسميه العلمي، والأدبي، وهذه ولا شكّ مهمّة كبيرة تقتضي نظرة شاملة ووعيا كبيرا حتى يتمّ الخروج من إطار التّصوّر التّقليدي للإصلاح.

فكثيرا ما نرى عزوف طلبة الأقسام العلميّة عن تعلّم العربيّة على الرّغم من أنّ العربيّة قادرة على ترجمة العلوم واستيعاب المصطلحات والنّظريات.

- إعداد الكتب التّعليميّة المناسبة يتولّى تأليفها أساتذة متخصّصون، وخبراء في التّربيّة مع مراعاة متطلّبات كل مرحلة.

- تطوير النّحو العربي وطريقة تدريسه وربط اللغة بالاستعمال.

- استخدام تكنولوجيا الوسائط المتعدّدة[9] لترقيّة العمليّة التّعليمة: فلقد أثبتت البحوث أنّ الطّلاب يتعلّمون أكثر ويصبحون أكثر جاذبيّة إذا ما استخدمت الوسائل التّعليميّة التي تثير أكثر من حاسة لديهم، فاشتراك حاستي السّمع والبصر في التّعلم يكون أفضل من استخدام حاسة السّمع وحدها، والوسائل التّعليميّة جزء لا يتجزّأ من طرق التّدريس، ولها دورها الذي يمكن أن يسهم في العمليّة التّعليميّة، وضرورة استخدامها في وقتنا الحاضر كما أنّ الوسائل التّعليميّة تتمتّع بقيمة وأهمّيّة كبيرة في عمليّة تعليم المهارات اللغويّة لدى المتعلّم[10].

ومن ثمّ يمكن القول إنّ الاستفادة من تكنولوجيا الوسائط المتعدّدة وتوظيفها في تعليم اللغة العربيّة واكتساب مهاراتها أمر لا مفرّ منه.

– وضع استراتيجيات وسياسات تعليميّة لا تخضع للأهواء الشّخصيّة أو الضّغوط الوقتيّة، إذ يرى بعض الباحثين أنّ اتساع الهوّة بين مستوى العاميّة الذي يتخاطب به النّاس في حياتهم، والمستوى الفصيح الذي يتلقونه في المعاهد (الازدواج اللغوي) هو ما يمكن أن يكون سبب هذا الدّاء، لأنّه يؤدي إلى النّفور من المستوى اللغوي الذي لا يستخدم في أمور الحياة، ويدفع إلى الإحساس عند الطّلبة بعدم الحاجة إلى تعلم اللغة الفصحى، ممّا يؤثّر على تعلّم العربيّة وإجادتها في مراحل التّعليم المختلفة.

– التّطوير الكامل لوظيفة التّعليم كمهنة لها قواعدها ومواصفاتها وأخلاقياتها وظروف عملها.

– إصدار معاجم متخصّصة مبسّطة مقروءة ومسموعة حتى يتسنّى الاستفادة منها على أوسع نطاق لتواكب التّطوّر اللغوي للعربيّة وذلك بإجراء مسح شامل لكافة مفرداتها ثمّ وضع النّتاج في قاعدة بيانات ضخمة تواكب ما يطرأ على المفردة من تطوّر أو زيادة أو نقص. بالإحصاء اللغوي وإنشاء قاعدة بيانات لمفردات اللغة العربيّة المستعملة فعليا.

– غير أنّه لابد من الأخذ بعين الاعتبار ضرورة استغلال مرونة اللغة في ترجمة المصطلحات؛ لأنّ اعتماد بعض المعاجم الاقتراض اللغوي لنقل المصطلح إلى اللغة العربيّة– بوصفه آليّة استخدمها القدماء عند استحالة وجود لفظ عربي مقابل– من شأنه الاضرار باللغة خاصّة إذا كان هذا المصطلح لا يقبل الاشتقاق[11] ممّا يجعل إمكانيّة التّوليد محدودة إن لم نقل ضئيلة، وهو ما لا يخدم اللغة العربيّة لإثراء الرّصيد اللغوي.

– وأيضا إصدار المعاجم الإلكترونيّة وتوسيع مجال استعمالها.

– وكذا المعاجم التّعليميّة متخصّصة لتواكب مراحل التّعليم المختلفة، ويتفاوت محتواها حسب الفئات العمريّة والهدف الذي وضع لأجله.

– على المؤسّسات التّعليميّة وفي مقدّمتها الجامعات، أن تقوم بدورها المستقبلي من خلال رؤيّة استراتيجيّة طموحة تهدف إلى إعداد جيل متمسّك بهويّته الدّينيّة والحضاريّة الثّقافيّة، وهذا دور تشاركه فيها الأسرة بشكل كبير، فالأسرة العربيّة يجب

ألا تدع مهمّة الحفاظ على الهويّة العربيّة وتنميتها للمدرسة وحدها؛ بل من الضّروري أن تشارك فيها بفاعليّة، وبوعي بحيث يكون الالتّزام بتعاليم الإسلام والاعتزاز باللغة العربيّة والتّراث العربي جزء من الحياة اليوميّة.

– التّعريب أو إحلال اللغة العربيّة مكان أي لغة أجنبيّة سواء في التّعليم أم في الإدارة بأن يعمّم ذلك أيضاً على أسماء المحلاّت والشّركات، والأجهزة والآلات المعاصرة التي نستخدمها في حياتنا اليوميّة.

– مواكبة اللغة العربيّة للمحتوى الموجود في "شابكة المعلومات" (الانترنت)، فقد أصبحت هذه الشّابكة من أهمّ الوسائل الحديثة لتداول المعرفة والاتّصال، وقد غزت المؤسّسات والبيوت وأصبح الإقبال عليها شديداً، وإنّ الجهود يجب أن تبذل لتحتلّ اللغة العربيّة مكانة جيّدة على هذه الشّابكة، والعولمة الثّقافيّة بمفهومها الواسع.

– بتنشيط اللغة العربيّة في الإنترنت: إذ من المعلوم أنّ المحتوى العربي على الإنترنت ضئيل جدا بحيث لا يتجاوز مواقع الويب 1% من المواقع العالميّة. إذ إن 80% من صفحات المواقع المتوافرة على شبكة الويب مكتوبة باللغة الإنجليزيّة.

– فالحاجة ماسّة الى ازدياد المحتوى العربي الرّقمي على الإنترنت مثل المواقع التّعليميّة والإعلاميّة والثّقافيّة والمكتبات الإلكترونيّة بالعربيّة وغيرها[12].

– فالأمر يقتضي وضع برمجيات حاسوبيّة باللغة العربيّة، وفرض كتابة أسماء المواقع على شبكة الإنترنت باللغة العربيّة، وهذا الأمر صعب لكنه يتطلّب أن تتضافر الجهود والمحاولات.

– فاللّغة هي أهمّ الرّوابط المعنويّة التي تربط الفرد بغيره، لأنّها واسطة التّفاهم بين النّاس، وآلة التّفكير عند الفرد، وواسطة نقل الأفكار والمكتسبات من الآباء إلى الأبناء ومن الأسلاف إلى الأخلاف. وإذا كانت الأمّة التي تنسى تاريخها تكون قد فقدت شعورها وأصبحت في حالة سباة، فإنّها تستطيع أن تستعيد وعيها بالعودة إلى تاريخها، أمّا إذا فقدت لغتها تكون عندئذ قد فقدت الحياة، ولا مستقبل

لأمّــة فرطــت في لغتها، ولــيس في المستطاع مواجهة تحــديات العولمــة بلغــة لا تتوافر لها شروط المواجهة[13].

يقول الفاسي الفهري" :إنَّ تعميم العربيّة باعتبارها لغة التّواصل الملائمة لدى القوى العاملة التي ستمكن من الزّيادة في سرعة التّنفيذ والإنتاج، بل إنَّ تعزيز العربيّــة فــي الإدارة والاقتصاد والاتّصال والتّكنولوجيا شرط ضروري للنّموّ الاقتصادي والتّنميّــة الاجتماعيّة وانَّ استعمال العربيّة بصورة ملائمة في تقنيات الإعلام الجديدة ستمكن من اتساع مجالها ودمقرطتها"[14]. بحيث يمسّ هذا التّعمــيم كافــة المجــالات ولا يتعلّــق بالنّاطقين بالعربيّة وإنّما يتعدّاه لغير النّاطقين بها وذلك بوضع بــرامج معــدّة يمكــن تصديرها والتّرويج لها وتسويقها وتعميم امتحان شــهادة الكفــاءة فــي إتقــان اللغــة العربيّة[15]، والزّاميّة كل من يرغب في الالتّحاق بأي مؤسّسة عربيّة على أنْ يحصــل عليها على غرار ما تفعله الدّول الغربيّة.

وما يمكن أن ننتهي إليه هو أن نجاح أي رؤيّة مستقبليّة استشــرافيّة لترقيّــة اللغــة العبريّة لا يتأتّى إلاّ بتحقّق شروط تعتبر من الأهمّيّة بما كان:

أوّلهما: تشخيص الواقع اللغوي الرّاهن بموضوعيّة.

ثانيا: حصر التّحدّيات التي تجابهها اللغة في ظلّ العولمة.

ثالثًا: تضافر جهود مختلف الهيئات والمنظّمات بما فيا المجامع اللغويّــة والمعاهــد والجامعات حتى لا تبقى الجهود فرديّة أو معزولة أو حبيسة المؤتمرات والنّدوات.

المصادر والمراجع:

- ابن جني، المنصف في شرح كتاب التّصريف للمازني، تح: إبراهيم مصــطفى، عبــد الله أمين دار احياء التّراث القديم، مصر، ط1 ،1373 هــ، 1954م، ج1.
- أحمد حساني، ترقيّة اللغة العربيّة بين التّخطــيط الاســتراتيجي والاســتثمار المؤسســي المجلس الدّولي للغة العربيّة، الرّابط: تاريخ الزّيارة: 2019/11/20

http://www.alarabiahconference.org/modules/speaker/index.php?conference_speaker_id=664

- أنور الجمعاوي، المعجم الالكتروني العربي المتخصص– قراءة نقديّة في نماذج مختارة – المؤتمر العربي الخامس للترجمة: الحاسوب والتّرجمة نحو بنيّة تحتيّة متطورة للترجمة، فاس المغرب، المنظمة العربيّة للترجمة، اتحاد المترجمين العرب.
- زكي أبو النّصر البغدادي، توظيف تكنولوجيا الوسائط المتعددة في تعليم اللغة العربيّة عن بعد، مجلة العلوم الإنسانيّة، قسنطينة، الجزائر، مج: ب، العدد:43، جوان 2015.
- صفيّة بن زينة، دور الحاسوب وتكنولوجيا المعلومات في تعليم اللغة العربيّة، مجلة جسور المعرفة، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشّلف، الجزائر، العدد02، مج:01، جوان 2015.
- الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، الدّار التّونسيّة، تونس، ط 1984م.
- عبد الرّحمن حسن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثّلاثة وخوافيها (التّبشير، الاستشراق الاستعمار)، دار القلم، دمشق، سوريا، ط 6، 1411ه، 1991م.
- عبد العزيز بن عثمان التّويجري، اللغة العربيّة والعولمة–رؤيّة لاستشراف المستقبل– منشورات المنظمة الإسلاميّة للتربيّة والعلوم والثّقافة، إيسيسكو، 1429هـ، 2008م.
- عبد القادر الفاسي الفهري، اللغة العربيّة، أسئلة التّطور الذّاتي والمستقبل، مركز دراسات الوحدة العربيّة، ط9، 2005م.
- عزة دروزة، مقال قضايا وحوارات النّهضة العربيّة، ضمن كتاب الفصحى والعاميّة تحرير وتقديم: محمد كامل الخطيب، منشورات الثّقافة، دمشق، 2004م.
- كاشف جمال، اللغة العربيّة وتحديات العصر الحاضر في ظل العولمة، تاريخ الزّيارة: 2019/11/20 الرّابط:

http://www.arabiclanguageic.org/view_page.php?id=10095

- نجيب غزاوي، العولمة والخطر على الهويّة والكيان، مجلة المعرفة، العدد: 433، أكتوبر 1999.
- هاني محمد يونس، الاستشراق والتّربيّة، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، عمان الأردن 1424هـ، 2003م.

الاحالات:

[1] سورة النّحل الآيّة: 103.

[2]ينظر، الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، الدّار التّونسيّة، تونس، ط 1984م، ج1 ص33.

[3] ينظر، عبد الرّحمن حسن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثّلاثة وخوافيها (التّبشير، الاستشراق الاستعمار)، دار القلم، دمشق، سوريا، ط 6، 1411ه، 1991م.

[4] هاني محمد يونس، الاستشراق والتّربيّة، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن 1424هـ، 2003م، ص126،127.

[5] ينظر، عزة دروزة، مقال قضايا وحوارات النّهضة العربيّة، ضمن كتاب الفصحى والعاميّة تحرير وتقديم: محمد كامل الخطيب، منشورات الثّقافة، دمشق، 2004م، ص 107.

[6] نجيب غزاوي، العولمة والخطر على الهويّة والكيان، مجلة المعرفة، العدد: 433، أكتوبر 1999 ص47.

[7] ينظر، أنور الجمعاوي، المعجم الالكتروني العربي المتخصص– قراءة نقديّة في نماذج مختارة – المؤتمر العربي الخامس للترجمة: الحاسوب والتّرجمة نحو بنيّة تحتيّة متطورة للترجمة، فاس المغرب المنظمة الرّبيّة للترجمة، اتحاد المترجمين العرب، ص 27.

[8] ابن جني، المنصف في شرح كتاب التّصريف للمازني، تح : إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين دار احياء التّراث القديم، مصر، ط1، 1373 هـ، 1954م، ج1، ص2.

[9] كلمة Multi-Media "تتكون من مقطعين "Multi" وتعنى متعدد وكلمة"Media" وتعني وسائط أو وسائل ومعناها؛ استخدام جملة من وسائل الاتصال مثل: الصّوت (Audio) والصّورة (Visual) والحركة، أو فيلم فيديو، أو برنامج كمبيوتر بصورة مندمجة ومتكاملة من أجل زيادة فاعليّة التّعليم. أي أن كلمة "الوسائط المتعددة " تشير إلى استخدام أكثر من وسيطين من الوسائط السّمعيّة والبصريّة معا، قد لا يكون من ضمنها استخدام الكمبيوتر، أو يكون باستخدامه من خلال عرض ودمج النّصوص والرّسومات، والصّوت، والصّورة، بروابط وأدوات تسمح للمستخدم بالاستقصاء والتّفاعل والاتصال.

ينظر، زكي أبو النّصر البغدادي، توظيف تكنولوجيا الوسائط المتعددة في تعليم اللغة العربيّة عن بعد، مجلة العلوم الإنسانيّة، قسنطينة، الجزائر، مج: ب، العدد:43، جوان ، 2015، ص68.

[10] ينظر، صفيّة بن زينة، دور الحاسوب وتكنولوجيا المعلومات في تعليم اللغة العربيّة، مجلة جسور المعرفة، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشّلف، الجزائر، العدد 02، مج:01، جوان 2015 ص148.

[11] ينظر، أنور الجمعاوي، المعجم الالكتروني العربي المتخصص- قراءة نقديّة في نماذج مختارة – ص25.

[12] كاشف جمال، اللغة العربيّة وتحديات العصر الحاضر في ظل العولمة، تاريخ الزّيارة: 2019/11/20 الرّابط:
http://www.arabiclanguageic.org/view_page.php?id=10095

[13] ينظر، عبد العزيز بن عثمان التّويجري، اللغة العربيّة والعولمة- رؤيّة لاستشراف المستقبل- منشورات المنظمة الإسلاميّة للتربيّة والعلوم والثّقافة، إيسيسكو، 1429هـ، 2008م، ص34.

[14]عبد القادر الفاسي الفهري، اللغة العربيّة، أسئلة التّطور الذّاتي والمستقبل، مركز دراسات الوحدة العربيّة، ط9، 2005م، ص15.

[15] ينظر، أحمد حساني، ترقيّة اللغة العربيّة بين التّخطيط الاستراتيجي والاستثمار المؤسسي المجلس الدّولي للغة العربيّة، الرّابط:
http://www.alarabiahconference.org/modules/speaker/index.php?conference_speaker_id=664

اللّغة العربيّة والتحدّيات المعاصرة

أ. الشّارف لطروش

جامعة مستغانم.

الملخّص: أضحت اللّغة العربيّة من أهم لغات العالم لانتشارها في جزء هام من الكرة الأرضيّة، وأصبحت تواجه تحديّات داخليّة قديمة وأخرى جديدة معاصرة.

وفي هذا البحث دراسة وتحليل لوضع اللّغة العربيّة والتّحدّيات القديمة والمعاصرة التي تجابهها، وآليات مواجهة تلك التّحدّيات والنّهوض باللّغة العربيّة من خلال العناصر الآتيّة:

1 ــ مشكلة البحث.

2ــ اللّغة العربيّة والتّحدّيات القديمة.

3 ــ اللّغة العربيّة والتّحدّيات المعاصرة.

4 ــ سبل مواجهة التّحدّيات العاصرة.

5 ــ الخاتمة.

الكلمات المفتاحيّة.

اللّغة العربيّة ــ البحث اللّغوي ــ التّحدّيات ــ اللّسانيات ــ الحداثة ــ المعاصرة ــ العلوم ــ التّرجمة.

Title: The Arabic Language and Contemporary Challenges.

Abstract: The Arabic language is one of the most important languages of the world for its diffusion in a significant part of the world. She faces old internal challenges and new contemporaries.

This research is the subject of a study and analysis of the status of the Arabic language and the ancient and contemporary challenges it faces and elements of resilience through the following points:

1- Introduction: research problem

2- The impact of old challenges on the Arabic language

3- The impact of contemporary challenges on the Arabic language.

4- Ways to meet the challenges.

5- Conclusion.

keywords : Arabic language, research, challenges, linguistics, modernity, contemporary science, translation

1 ــ مشكلة البحث: كانت اللّغة العربيّة لغة الدّين والعلم والإدارة بعد نزول القرآن الكريم وانتشرت في بقاع الأرض فتكلّمها العرب وغير العرب، وألّفت فيها الكتب والمعاجم والموسوعات المختلفة، فتشكّل منها تراث عربيّ ضخم لحضارة من أعظم الحضارات في الدّنيا.

وقد عرفت اللّغة العربيّة في القديم تحدّيات داخليّة وخارجيّة، وتعرف تحدّيات معاصرة أخطر، ومن الحكمة أن نفهمها ونبحث في الحلول والوسائل المناسبة لمواجهتها.

2 ــ اللّغة العربيّة والتّحدّيات القديمة. إنّ أبرز التّحدّيات القديمة التي واجهتها اللّغة العربيّة تتمثّل في الثّنائيّة اللّغويّة (la Diglossie)، وهي ما يعرف بالتّداخل والإشكال بين اللّغة الفصحى والعاميّة، والازدواجيّة اللّغويّة (le Bilinguisme)، وتظهر في استعمال لغتين أو أكثر من طرف أيّ كان في أيّ ظرف من الظّروف[1].

ومن تحدّيات الثّنائيّة اللّغويّة في التّعليم أنّها تحدّ من جماليّة وبراعة اللّغة العربيّة وتسهّل في تسرّب الأخطاء الشّائعة، وتفشّي اللّحن على الالسّنة، لأنّ العاميّة غير مضبوطة المعايير، وأمّا الازدواجيّة اللّغويّة فهي من عوائق تعليم الصّغار لأنّها تحدّ من نموّهم الفكري، بفعل الجهد المزدوج المبذول في تعلّم لغتين مختلفتين في النّطق والتّعبير والكتابة زيادة على المخاطر الثّقافيّة والعاطفيّة التي تتجرّ عنها.

ومن التّحدّيات أيضا الميل إلى سيادة اللّغات الأجنبيّة على العربيّة في المدارس وحتى في التّربيّة المنزليّة حيث يترك الأطفال وخاصّة في الخليج العربي تحت رحمة مربّيات وخادمات أجنبيّات، حيث الحديث بلغات غير العربيّة، ناهيك عن الثّقافة الوافدة التي ينشرنها بينهم.

وتتجلّى سيادة اللّغة الأجنبيّة في أكثر بلادنا العربيّة أيضا في التّعامل الإداري وفي الوثائق المختلفة، وفي الأسواق والمنتجات حيث تسود اللّغة الانجليزيّة أو الفرنسيّة.

وتمثّل التّحديات السّابقة وغيرها خطرا عظيما على الأمن اللّغوي، وهو جزء من الأمن الفكري الذي يعني الحفاظ على المكوّنات الثّقافيّة من خطر التّيارات الوافدة ومن التّغريب اللّغوي والفكري الذي يعد أخطر من الاحتلال المادّي والعسكري.

3 ــ اللّغة العربيّة والتّحدّيات المعاصرة. كان التّحدّي الخارجي القديم الذي جابهه العالم الإسلامي في القرون الماضيّة يتمثّل في الاستعمار والاحتلال المباشر للأرض ثمّ تبعه غزو فكري ثقافي ما لبث أن تطوّر إلى عولمة جارفة متعدّدة الأوجه، ولذلك فإنّ التّحدّيات المعاصرة تتمثّل في العولمة وإفرازاتها التي تتجاوز السّيطرة والحضور المادّي إلى السّيطرة الثّقافيّة والفكريّة والاقتصاديّة والإعلاميّة، وهي بذلك أخطر من الاستعمار.

وقبل الخوض في تحديّات العولمة، علينا أن نعرّف بها ومجالاتها ومؤسّساتها التي تعتمد عليها.

مفهوم العولم لغة: يعني تعميم الشّيء وإكسابه الصّبغة العالميّة وتوسيع دائرته ليشمل العالم كلّه[2]، والكلمة مولّدة أو هي مصدر من كلمة عَالَم، ونفترض لها فعلا هو عولم يعولم عولمة بطريقة التّوليد القياسي وصيغتها على وزن فعلة، وهي تستعمل للتّعبير عن مفهوم الإحداث والإضافة، وهي مماثلة في هذه الوظيفة لصيغة التّفعيل[3].

واصطلاحا العولمة ترجمة للفظ الأجنبي Globalisation، ولها تعريفات كثيرة تختلف باختلاف منطلقات أصحابها، فتعريف الرّجل السّياسي يختلف عن الاقتصادي وعن التّقني وعن غيره، وأمّا التّعريف الأقرب للواقع فهو: (العولمة تعميم للأيديولوجيات والسّياسات والثّقافات والأخلاقيات لمجتمع مسيطر إلى مجتمعات أخرى، باستعمال كلّ الوسائل المتاحة كالإعلام والشّركات الرّأسماليّة والتّمدد العسكري والضّغوط الدّبلوماسيّة وغيرها)[4]. وهناك فرق بين العالميّة والعولمة، فالعالميّة تفتّح على العالم، وعلى الثّقافات الأخرى، واحتفاظ بالاختلاف الثّقافي وبالخلاف

الإيديولوجي، أمّا العولمة فهي نفي للآخر وإحلال للاختراق الثّقافي محل الصّراع الإيديولوجي[5].

والعالميّة من صفات الدّين الإسلامي الذي يخاطب ويتوجّه إلى النّاس جميعهم بموجب قوله تعالى: (قل يا أيّها النّاس إنّي رسول اللّه إليكم جميعا)[6]، وقوله تعالى (يا أيّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)[7].

العولمة حرب على اللّغة العربيّة وعلى غيرها، ومجالاتها المال والتّسويق والاتصال ومن أبرز مؤسّساتها منظّمة الأمم المتّحدة، وصندوق النّقد الدّولي، والبنوك العالميّة والنّوادي الماليّة، ومنظّمة التّجارة الدّوليّة، ومنظّمة الوحدة الأوروبيّة، والحلف الأطلسي ووسائلها الإنترنيت والأقمار الصّناعيّة والصّحافة الدّوليّة ومؤسّسات النّشر والسّياحة والرّياضة والسّينما والمؤتمرات والنّدوات.

ومن أجواء العولمة تولّدت مصطلحات نظام العالم الجديد، والقريّة الإلكترونيّة واقتصاد السّوق، وحريّة التّجارة والاستثمار، والشّركات المتعدّدة الجنسيات، والعرض والطّلب، ونهايّة التّاريخ وصراع الحضارات، وما بعد الحداثة، والهويّة الثّقافيّة وغير ذلك[8].

ومن أخطر أسلحة العولمة الغزو الثّقافي، وهو تحدّ قديم جديد للأمّة وللغّة العربيّة ومن مظاهره تغريب ثقافة الأجيال وتغريب التّعليم، وتشجيع العاميّات وتدريسها وكتابتها بل وضع المعاجم فيها، وتشجيع الآداب الشّعبيّة لكلّ منطقة.

أمّا التّحدّيات المعاصرة التي زادت العولمة من حدّتها فيمكن إجمالها في الآتي:

ــ الاضطراب المصطلحي: يظهر على صعيد النّشر العادي وعلى مستوى النّشر الرّقمي الذي تعاظمت مصطلحاته دون أن تواكبه ترجمات عربيّة، ولعلّ أهم أسبابه أنّ اللّسان العربي ليس الصّاقيا فهو لا يعتمد على السّوابق واللّواحق، وغياب منهجيّة واضحة في وضع المصطلحات، إذ يتميّز وضع المصطلحات العربيّة بالعفويّة، وأحيانا تعتمد فيه اللّهجات الإقليميّة، إضافة إلى تباعد أبناء الأمّة، وضعف وسائل الإعلام والتّواصل وتعدّد المدارس وتعدّد مصادر التّرجمة[9].

ــ تحديّات الرّقمنة: يبدو حضور اللّغة العربيّة ضعيفا في عالم الرّقمنة، ومن أسباب ضعفه أزمة التّعليم في البلاد العربيّة حيث لا يزال تعليما تقليديا، وانتشار الأمّيّة المعلوماتيّة لدى المشتغلين بالشّأن اللّساني والإداري والإعلامي وغيره، وهو ما يجعل النّشر الالكتروني العربي ضعيفا، حيث لا يتجاوز 03 بالمئة من إجمالي النّشر العالمي سنة 2015م، بينما استحوذ النّشر باللّغة الانجليزيّة نصف الحجم المنشور.

ــ ضعف التّرجمة العاديّة، والتّرجمة الآليّة العربيّة.

ــ التّقاعس الرّسمي في استعمال اللّغة العربيّة في المنابر الدّوليّة على الرّغم من كونها من اللّغات الرّسميّة المعتمدة في الأمم المتّحدة.

ــ العزوف عن القراءة والمطالعة لدى النّاشئة والشّباب، فالقراءة ضروريّة لتقريب اللّسان والفؤاد من الفصحى وبالتّالي إتقانها وسهولة استعمالها.

ــ ضعف ملكة الحفظ لدى الأجيال الحاليّة، وقوة العقل تكون في الحفظ والفهم معا.

ــ سوء تعليم الأصوات العربيّة للمتلقي العربيّ وغير العربي على السّواء، وهو ما يجعل تعلّم اللّغة صعبا، ويشجّع على النّفور منها.

4 ــ سبل مواجهة التّحدّيات.

إنّ أهمّ عمل علمي نافع للّغة العربيّة هو استثمار منجزات البحث في اللّسانيات والعلوم المعرفيّة والتّربويّة وتكنولوجيا التّعليم في تعزيز ترقيّة وتعليم اللغة العربيّة ومنها المنجزات والمشاريع العلميّة العربيّة مثل مشروع حوسبة اللّغة العربيّة ومشروع المعجم اللّغوي الوظيفي للطّفل العربي، ومشروع الذّخيرة العربيّة، وغيرها من بحوث المفكّر الجزائري عبد الرّحمن الحاج صالح (ت2017م)[10]، والبحوث التي قدّمتها الباحثة المصريّة سلوى السّيّد حمادة في مشكلة المعالجة الآليّة للّغة العربيّة وغيرها[11]، وفيها تصوّرات لحلّ مشكلة حوسبة المعجم اللّغوي العربّي، وحلولا لمشكلات التّرجمة وغيرها. إنّ البحث في قضيّة المعالجة الآليّة للغّة العربيّة باتت ملحّة لمواجهة الغزو المعلوماتي الغربي والصّهيوني، ومعرفة تقنياتها اللّغويّة ذات

الفاعليّة مثل تحليل النّصّوص وإعرابها والتّشكيل والقراءة والإملاء والتّرجمات الآليّة والتّعبير والتّلخيص الآلي وغيرها.

ـ يجب اعتماد خطّة شاملة في تعليم اللّغة العربيّة، بانتهاج أفضل الطّرق والاهتمام بالكتاب المدرسي شكلا ومضمونا، وتعريب المصطلحات الأجنبيّة أو ترجمتها وبخاصّة في الميدان العلمي والتّكنولوجي.

ـ ضرورة الاهتمام بالتّعليم الالكتروني الذي يعتمد على دمج التّقنيات الحديثة بعمليّة التّعليم من خلال الوسائط الآليّة كالحاسب والشّبكات، حيث يشعر المتعلّم بالفضول والمتعة في التّعلّم والاكتشاف، فيكون طرفا فاعلا في تعلّم اللّغة من خلال البحث والانتباه المستمر، خلافا للطرائق التّقليديّة المملّة المبنيّة على التّلقين.

ـ ينبغي النّظر إلى التّعليم على أنّه (قضيّة أمن قومي، فالمجتمع الذي تتفشى الأمّيّة فيه ويسوده الجهل يسهل اختراقه والسّيطرة عليه، وغزوه فكريا وثقافيا وعقائديا عن طريق شبكة المعلومات الدّوليّة ووسائل الاتّصال الحديثة الفائقة السّرعة، والتي تحمل أفكارا ومبادئ لا تتناسب مع عقائدنا مبادئنا)[12] .

ـ مواجهة الغزو الثّقافي وحمايّة الأجيال من أخطاره يمرّ عبر الاهتمام بنشر العقيدة الصّحيحة، وفهم الآخرين ومخطّطاتهم الهدّامة وإعادة بِناء العمليّة التّربويّة بشكل سليم وبوعي بسبل التّغريب، والنّهوض بتعليم التّاريخ الإسلامي بالصّورة الصّحيحة، والنّهوض بالأمّة اجتماعيًّا وحضاريًّا، وإعادة الاعتبار للغتها الجامعة حيث تكون الأولويّة في التّعليم باللّغة العربيّة التي تملك كلّ مقوّمات لغة العلم والحضارة.

ـ يجب تفعيل دور مجامع اللّغة العربيّة والتّنسيق بينها أو توحيدها في هيئة عليا تتولّى شؤون تطوير نظريّة اللّسانيات العربيّة، والتّكفّل ببحوث التّرجمة والتّرجمة المصطلحيّة وتأطير الباحثين فيها تأطيرا علميا بعيدا عن العفويّة والمبادرات الفرديّة.

ـ يجب سنّ القوانين المتعلقة بترقيّة استعمال اللغة العربيّة في الإدارة وفي المحيط وفي الوسط الجامعي وتحبينها والسّهر على تفعيلها.

ــ في مجال الرّقمنة على الباحثين في مجال اللّسانيات استيعاب الطّفرة الرّقميّة والمعرفيّة الحاصلة في العالم، واستثمارها في تطوير المعالجات الآليّة للّغة العربيّة ومقاربة قضاياها وظواهرها علميا وتكنولوجيا.

ــ إنّ تنميّة المحتوى العربي الرّقمي تتطلب أدواتٍ معلوماتيّة تعتمدُ على حوسبة اللّغة العربيّة، وتحليلها بشكل عملي دقيق، وأهمّ الأدوات هي إيجاد محرّكات بحث خاصّة ومعاجم وموسوعات آليّة.

ــ إنّ تنميّة المصطلحات الحديثة هي خطوة تلي قيام بنوك المصطلحات بهدف ضبط المصطلح وتخزينه واسترجاعه، وهناك إمكانات لخزن المصطلحات مصحوبة بالمعلومات الأساسيّة عن كلّ مصطلح مفرد، ومعطيات أساسيّة عن مقابله أو مقابلاته ومجاله أو مجالات استخدامه[13].

في مجال التّعليم يجب أن نغيّر من أساليب إعداد المعلّم لأنّ (طبيعة العصر وتحديّات العولمة تتطلّب نوعيّات جديدة من المعلّمين عاليّة الكفاءة ورفيعة المستوى الأكاديمي والمهني والثّقافي والأخلاقي، نوعيات فعّالة في عمليّة التّغيير الاجتماعي تحتاج لمعلمين قادرين على تعليم مهارات التّفكير الإبداعي ومهارات البحث والاستكشاف الذّاتي للطّلاب...)[14].

ــ يجب الارتقاء بلغة السّينما والمسرح بتقديم الأفلام والعروض المسرحة لخدمة اللّغة العربيّة، والابتعاد عن استعمال العاميات فيها ما أمكن.

ــ لا بدّ من الوعي والتّفريق بين وسائل العولمة ومضمونها، إذ علينا أن نتعاطى مع وسائلها بإيجابيّة، فنستغلّ ما توفّره لنا من مبتكرات وأسلحة علميّة نحن بحاجة إليها.

ــ إنّ توظيف القرآن الكريم والأدب الرّفيع في تعليم الأطفال من أفضل السّبل التي تفجّر الطّاقات التّعبيريّة والمهارات اللّغويّة لديهم.

ـ **الخاتمة.** إنّ اللغة العربيّة ليست في حاجة إلى تطوير، فكما استوعبت علوم العصور السّابقة، فهي قادرة على استيعاب علوم العصر الحالي بفضل ما تملكه من آليات ومقوّمات سبق أن بيّناها، والدّليل على قوّتها أنّها كانت في أدب المهجريين وأشعارهم وأفكارهم، وكانوا أدباء كبارا لامعين ولم يصرحوا بصعوبة العربيّة أو تخلّفها أو عجزها عن التّعبير.

ويرى بعض الباحثين أنّ في اللّغات الأوروبيّة ما هو أشدّ صعوبة وتعقيداً من اللّغة العربيّة كالألمانيّة حيث إنّ الشّاذّ فيها من غير القياسي كثير، والشّذوذ في صيغ الأفعال وفي صيغ الجمع والتّأنيث وفي المصادر يملأ اللّغات الأوروبيّة كلّها، والشّواهد عليه لا تحصى، وقالوا إنّ الكتابة فيها غير ميسّرة، مع أنّ مطابقة الصّوت المسموع للصورة المقروءة هي في العربيّة أوضح منها في الإنجليزيّة والفرنسيّة[15].

وللعربيّة سمات ومقوّمات القوة والمرونة التي تسهّل رفعتها وثراءها منها الإيجاز في تراكيبها والإعراب الموضّح لمعانيها، واتساع مدارج أصواتها، وتقارب حروفها في الشّكل إضافة إلى العلاقة بين الحروف ومعانيها.

إنّ التّطوير والتّحديث مطلوب في وسائل تعليم اللّغة العربيّة، وفي طرائق التّدريس وفي تسهيل قواعد الإملاء، وفي تقنيات تعليم الأصوات لأنّ العربيّة ليست في حاجة إلى صياغة جديدة في نحوها وقواعدها، ولسنا ملزمين أن نأخذ من الآخرين خصائص لغاتهمً، فلكلّ لغة شخصيتها وقوامها وخصائصها التي تميّزها عن غيرها، ومن ثمّ لها مشاكلها وحلولها الخاصّة بها.

المصادر والمراجع

ــ القرآن الكريم ــ روايّة حفص.

1 ــ البخاري أبو عبد الله محمد ــ صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، ط/ 2002م.

2 ــ حسان محمود عبد الله ــ قراءات دينيّة في قضايا معاصرة، دار الأمير، بيروت ط/2014م.

3 ــ حسن شحاتة ــ مداخل إلى تعليم المستقبل في الوطن العربي، الدّار المصريّة للكتاب القاهرة، ط/2004م.

4 ــ خالدّ محمد ــ الجودة الشّاملة في التّعليم، مجموعة النّيل العربيّة، القاهرة ط/2003م.

5 ــ سلوى السّيّد حمادة ــ المعالجة الآليّة للغة العربيّة (المشاكل والحلول)، دار غريب القاهرة ط/2015م.

6 ــ عبد الرّحمن الحاج صالح ــ بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة، ج1، موفم للنّشر الجزائر، ط/2007م.

7 ــ محمد محمد حسين ــ الاتجاهات الوطنيّة في الأدب المعاصر، ج2، دار النّهضة العربيّة بيروت، ط 3/ 1972 م.

8 ــ محمود فهمي حجازي ــ اللغة العربيّة في العصر الحديث (قضايا ومشكلات)، دار قباء القاهرة، ط/1998 م.

المجلاّت:

1 ــ مجلة اللّغة والاتصال، جامعة وهران، العدد03/فبراير2006م.

2 ــ مجلة المجلس العالمي لّلغة العربيّة، بيروت، عدد ماي2011م.

3 ــ مجلة فكر ونقد، العدد السّادس، المغرب، 1998م.

4 ــ مجلة التّراث العربي، دمشق، العدد97، مارس2005م.

5 ــ مجلة (العربيّة والتّرجمة)، المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت، العدد11 / 2012م.

6 ــ مجلة المعرفة، مصر العدد48.

الاحالات:

[1] ــ عمار ساسي ــ الثّنائيّة اللّغويّة للعربيّة ومشكلة الفصحى والعاميّة، مجلة اللّغة والاتّصال جامعة وهران، العدد03/فبراير2006م، ص50.

[2] ــ ينظر محمد عابد الجابري ــ العولمة والهويّة الثّقافيّة، مجلة فكر ونقد، العدد السّادس المغرب، ذ 1998م، ص01.

[3] ــ ينظر عبد الصّبور شاهين ــ العولمة جريمة تذويب الأصالة، مجلة المعرفة، مصر، العدد 48.

[4] ــ حسان محمود عبد الله ــ قراءات دينيّة في قضايا معاصرة، دار الأمير، بيروت، ط/2014م ص27.

[5] ــ ينظر محمد عابد الجابري ــ العولمة والهويّة الثّقافيّة، ص01.

[6] ــ الأعراف، 158.

[7] ــ الحجرات، 13.

[8] ــ ينظر حسن شحاتة ــ مداخل إلى تعليك المستقبل في الوطن العربي، الدّار المصريّة للكتاب القاهرة، ذ ط/2004م.

[9] ــ ينظر طاهر جيلالي ــ مجلة اللّغة والاتصال، جامعة وهران، العدد03/فبراير2006م ص75.

[10] ــ ينظر عبد الرّحمن الحاج صالح ــ بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة، ج1، الجزائر ط/2007م.

[11] ــ ينظر سلوى السّيّد حمادة ــ المعالجة الآليّة للغة العربيّة (المشاكل والحلول)، دار غريب القاهرة ذ ط/2015م.

[12] ــ الزّواوي خالدّ محمد ــ الجودة الشّاملة في التّعليم، مجموعة النّيل العربيّة، القاهرة ط/2003م ص43 ــ 44.

[13] ــ ينظر محمود فهمي حجازي ــ اللغة العربيّة في العصر الحديث (قضايا ومشكلات)، دار قباء، ذ القاهرة، ط/1998 م، ص79.

[14] ــ فريري وباولو ــ المعلمون بناة ثقافة، ترجمة حامد عمار وآخرون، الدّار المصريّة اللبنانيّة القاهرة، ذ ط/2004م، ص62.

[15] ــ محمد محمد حسين ــ الاتجاهات الوطنيّة في الأدب المعاصر، ج2، دار النّهضة العربيّة بيروت ذ ط 3/ 1972 م، ص366.

اللغة العربيّة والعنف اللساني

أ. د. عبد الحليم بن عيسى
جامعة وهران1، أحمد بن بلّة
د. ساميّة بن يامنة
المدرسة العليا للأساتذة، بوهران.

الملخّص: تتعدّد أشكال العنف في المجتمع؛ فقد تكون سلوكيّة عضليّة عن طريق التّدخّل العنيف الذي قد يمارسه الإنسان ضدّ غيره بالضّربات واللكمات، وقد يتحقّق بالكلمات والعبارات التي تنتج عن سوء استعمال اللغة. وهو أشد وقعاً وتأثيراً؛ لأنّه يسيء إلى اللسان والإنسان في حدِّ ذاته.

وتناقش هذه الورقة البحثيّة العنف اللغوي في التّداول اللساني، باعتباره من بين أهم التّحدّيات التي تواجه اللغة العربيّة، نكشف فيها عن طبيعته، ومظاهره من خلال استعمالاته في وسائل الإعلام المتنوّعة المكتوبة والمرئيّة، وفي العاميّة، وفي التّعليم كما نطرح فيها بعض التّصوّرات والاقتراحات التي قد تسهم في تجاوز مظاهره.

-**الكلمات المفتاحيّة:** العنف اللساني، الإعلام، الصّحافة، التّعليم، العاميّة الإشهار.

"Arabic and Linguistic Violence"

Types of violence may vary in society ; as it can be done by bodily behavior in which one can perform violent actions against others by beating and punches, and it can be done by words and expressions produced through the bad use of language. This latter is more effective because it hurts humans as well as it can damage language.

This paper will discuss the linguistic violence in pragmatics being considered amongst the main challenges facing Arabic, where we are going to explore its nature and aspects through its uses in media, varieties and education. Moreover, we are going to submit conceptions and propositions that may help in overcoming its aspects.

Key words : linguistic violence, media, education, variety, publicity.

1-تقديم: الإنسان كائن لغوي، فقد كرّمه الله سبحانه وتعالى باللغة باعتبارها أداةَ إفصاحٍ وبيانٍ، قال جلّ جلاله: ﴿**خَلَقَ الْإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾[1]، إنّها نعمةٌ من أجلِّ النّعم التي تمكّن الإنسان من التّفاهم مع بني جنسه. ومنه تظهر السّمة الإنسانيّة والاجتماعيّة للغة، باعتبارها ملكةً إنسانيّة تتجلّى من خلالها كلُّ معاملاتنا وسلوكاتنا. ولكن لا تتبدّى أهمّيّة اللغة وقيمتها في أي المجتمع إلاّ بمدى إسهامها في بناء حضارة الإنسان إبداعاً وتلفّظاً؛ فتقدّمُ اللغة معيارٌ عن تقدّم الإنسان، والدّليل على ذلك أنّنا نعيش اليوم في رحاب اقتصاد المعرفة، انطلاقاً من اللغة التي تحمله وتجسّده وما كان للغة الإنجليزيّة هذا الشّيوع والاعتماد في مختلف دول العالم تعلّماً وتعليماً وإشاعةً إلاّ لكونها تمثّل لغةَ العلمِ والمعرفةِ.

فلولا اللغةُ لَـمَا استطاع الإنسانُ أن يحتوي الفكر المتنوّع، وأن يعبّر عنه بالألفاظ والعبارات والنّصوص، وأن يميّز بين مختلف حقوله وجزئياته؛ بل لا يستطيع أن يدرك الأشياء مجرّدة عن وجوديتها. فاللغة هي الوجود ذاته، إنّها الحياة عينُها، يقول "هيدجر Heidegger": «إنّ لغتي هي مسكني، هي موطني ومستقري، هي حدود عالمي الحميم ومعالمه وتضاريسه، ومن نوافذها، ومن خلال عيونها أنظر إلى بقيّة أرجاء الكون الواسع»[2].

إنّ اللغةَ هي الفكر، والفكرُ هو اللغة، حيث يتولّد كتجسيد للغة؛ بل إنّ اللغة تتملّكُ من الفكر قوّتها، ولذلك يحرص الإنسان دائما -وهو يعبّر عن فكره وقصده- على انتقاء الألفاظ والعبارات التي تحقّق القوّة في خطابه. ويؤكّد الدّارسون والنّقاد منذ القدم على أنّ اللفظ الجزل للمعنى الجزل، واللفظ الرّكيك للمعنى المرذول واللفظ السّوقي للمعنى السّوقي، ثمّ إنّ دماثةَ الكلام من دماثة الخُلُق. فـ«النّفس تقبل اللطيفَ وتنبُو عن الغليظ، وتقلقُ من الجاسي البشع؛ وجميع جوارح البدن وحواسه تسكنُ إلى ما يُوافقه، وتنفر عمّا يضادّه ويُخالفه. والعينُ تألف الحسنَ، وتقذَى

بالقبيح؛ والأنف يرتاح للطّيب، وينغر للمُنن، والفم يلتذّ بالحلو، ويمُجّ المرّ؛ والسّمعُ يتشوّف للصّواب الرّائع، وينزوي عن الجهير الهائل»[3].

ولذلك فالرّاسخ في الفكر يتجلّى في اللغة كإنتاجٍ، ويتجسّد في الواقع كسلوكٍ على أساس أنّ أدبَ الأخلاقِ من أدبِ اللسانِ، وسوءِ الأخلاقِ من سوءِ الكلامِ، ثمّ إنّ في اللسان الحدَّ بين الجدِّ واللّعبِ، والأمنِ والحربِ، فوقعُ القول أشدُّ من وقع النّبل، يقول معروف الرّصافي[4]:

وَقَتَلْتُهُ بالقَوْلِ لاَ بِمُهَنّدِي والحَرْبُ أَحْرَى أَنْ تَكُونَ مَقَالاَ

ومع ذلك تبقى اللغة من ناطقيها، فقد تتطوّر وترتقي باجتهاد أهلها، أو تضمحل بتقاعسهم أيضا. ومنه قد نقول: كيف نكون فاعلين إيجابيين تجاه لغتنا حتى تكون لغةَ قيَّمٍ إنسانيّة راقيّة ومتحضِّرةٍ وبعيدةٍ عن أشكال العنف؟ كيف نخدم العربيّة في ظلّ التّحدّيات العالميّة التي تواجهها؟ بالخصوص لدى الآخر الذي أضحى يصنّف كلّ ناطق بالعربيّة ضمن الخانة السّلبيّة (مصدر الإرهاب)؟

وإيماناً منّا بضرورة العنايّة باللغة العربيّة والرّقي بها من أجل الحفاظ على هويّتها وسماتها التي تطبعها، ومن أجل اقتراح المبادرات الإيجابيّة التي تقوّي حضورها وإشعاعها الوهّاج العلمي والإبداعي، وتجسيداً للشّعور العميق بالمسؤوليّة التّاريخيّة نحو لغتنا العربيّة، باعتبارها لغة القرآن الكريم والحاملة لتراثنا ورمز هويّتنا الجامعة نقدّم هذا الورقة البحثيّة.

2-أصالة اللسان من أصالة الأمّة: لا تقوم أيّ أمّة إلا بتوافر مجموعة من الثّوابت التي تحفظ لها انتماءها وأصالتّها وخصوصياتها ووجودها، وهي الدّين والوطن واللغة، لذلك نجد الأمم منذ العصور الغابرة تحافظ على هذه الثّوابت؛ بل تعمل على ترقيتها ورعايتها الرّعايّة اللائقة بها، بطرح المشاريع الاستراتيجيّة التي تكرّس مفاهيمها بين أفرادها، وتُرقِّيها بما ينمِّي معالم التّحضّر الإيجابي والفعّال ميدانياً. وتعدّ اللغة عنوان الوجود والحضارة؛ يتمّ ذلك بتوظيف اللسان الذي يؤدّي للإنسان مختلف خدماته ومعاملاته الاجتماعيّة والثّقافيّة والسّياسيّة وغير ذلك.

إنّ الإنسان اجتماعي بطبعه، ممّا يدعوه إلى ضرورة التّفاعل الإيجابي مع بني جنسه، باعتماد القول الليّن والحسن والابتعاد عن كل الصّيّغ التّعبيريّة التي تكرّس أشكال العنف والتّعنّت والمخاصمة. وهي سمة الأنبياء عليهم السّلام، ومنهم نبيّنا محمّد "صلّى الله عليه وسلّم"، قال تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾[5]، فهو نبي الرّحمة المهداة إلى العالمين، لذلك كان عفواً كريماً سمحاً على أصحابه وأمّته والنّاس أجمعين.

وإنّما نُسِبت الغِلْظةُ في الآيّة إلى القلب؛ لأنّه موطنُ الأفكار والخواطر وترجمانُ اللسان والعقل أيضا، يقول الجاحظ: «وإنّما سُمِّي العقل عقلاً وحجراً، قال سبحانه وتعالى: ﴿**هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ**﴾ (الفجر5)؛ لأنّه يزمُّ اللسان ويخطِمهُ ويَشكُلُه، ويَرْبُثُه، ويقيد الفضل ويعقله عن أن يمضي فُرطاً في سبيل الجهل والخطأ والمضرّة، كما يُعقل البعير، ويُحجر على اليتيم. وإنّما اللسان ترجمان القلب، والقلبُ خزانةٌ مستحفظة للخواطر والأسرار، وكل ما يعيه من ذلك من الحواس من خير وشرّ، وما تولّده الشّهوات والأهواء، وتنتجه الحكمة والعلم»[6].

وعليه فتنميّة المجتمع من تنميّة لسانه وقدراته التّعبيريّة والفكريّة، لكن حينما ننزل بها إلى الواقع ندرك مدى خطورة الوضع الذي يتربّص بها، تُترجمه أشكال العنف اللساني، ومظاهر اللحن والرّطانات والعُجمة التي تسرّبت إلى اللسان العربي لدى البعض، فقد تؤثّر سلباً على هُويّة العربيّة وأمنها الاجتماعي واللغوي.

3-**طبيعة العنف اللساني:** يدلّ "العنف" في اللغة على اللوم والتّعيير وضدّ الرّفق يقول ابن فارس: «العين والنّون والفاء أصلٌ صحيح يدلُّ على خلاف الرّفق قال الخليل: العنفُ ضدُّ الرّفق، تقول: عَنُفَ يعنُفُ عُنْفاً فهو عنيف، إذا لم يرفق في أمره وأعنفته أنا، ويقال: اعتنفْت الشّيء إذا كرهتَه ووجدت له عنفاً عليك ومشقّة. ومن الباب: التّعنيف، وهو التّشديد في اللّوم»[7].

وفي اللسان «العُنْفُ: الخُرْقُ بالأمر وقلَّةُ الرّفق به، وهو ضدّ الرّفق. عَنُفَ بـه وعليه يَعْنُفُ عُنْفاً وعَنافةً، وأَعْنَفَهُ وعنَّفَهُ تعنيفاً وهو عنيفٌ إذا لم يكن رفيقـاً فـي أمره. واعتنفَ الأمرَ: أخذه بعنفٍ وفي الحديث: "إنّ الله تعالى يُعطي على الرّفق ما لا يعطي على العُنف"؛ هو بالضّم الشّدّةُ والمشقّة، وكل ما في الرّفق من الخير ففي العنف من الشّرّ مثلُهُ... والتّعنيف التّعيير والتّوبيخ والتّقريع واللوم»[8].

وفي المعجم الوسيط: «عَنُفَ به وعليه عُنفاً، وعَنَافَةً أخذَهُ بشدّةٍ وقسوةٍ، ولامَـهُ وعيّره، وهو عنيفٌ»[9].

ومنه ندرك أنّ من دلالات العنفِ: الشّدّة والقسوة واللوم والتّوبيخ، لذا نجده مـن حيث الاستعمال والتّداول ظاهرة مركّبة ومعقّدة ومتداخلة، لذلك يَصعب الإلمام بـه وتعريفه وتقديم دراسة تامّة حوله. فقد يكون ذا طابع عضلي وسلوكي، وقد يتجسّـد باعتباره صفةً شعوريّة ونفسيّة وفكريّة ولفظيّة؛ قد تُترجم من خلال تلفّظات معيّنـة انطلاقاً من موقف انفعالي تفاعلي قائم على التّنازع والتّخاصم، يتحقّق بالإساءة إلى الآخر باستعمال أصناف الكلمات والعبارات التي تكرّس أشكال التّجريح والتّهديـد والتّرهيب والوعيد والسّبّ والشّتم والأذى، وكل ما يخدش كرامة الإنسان، ويكرّس سوء الأدب ودناءة الأخلاق، فيولّد الصّدام والعداء للآخر.

نقول هذا انطلاقا ممّا تطمح إليه الرّهانات العالميّة التي تفرض علـى اللسـان العربي مجموعة من التّحدّيات؛ منها ما هو علمي وتربـوي وثقـافي واجتمـاعي وسياسي وغير ذلك، والذي يقتضي ترقيتها كي تكون لغة العلم والثّقافـة والإبـداع ولغة التّقنيّة بما يتعالق مع مواكبة التّحديث الحضاري المنسجم مع تطلّعات الألفيّـة الثّالثّة وآفاقها ومساعيها. ومنه قد نتساءل في هذا المقام عن الكيفيّة التي تمكّننا من تكريس المبادئ والقيم التي تجعل اللغة العربيّة لغة حضارة وعلم، وقبل ذلك كيـف نحافظ على أخلاقيّة هذه اللغة؟ وكيف نعمل على تخليق اللغة؟ وكيف ندفع بها إلـى مواكبة تحدّيات العصر بكل رهاناته؟ كيف تسهم العربيّة فـي البنـاء الحضـاري

والاجتماعي للأمّة العربيّة خلال الألفيّة الثّالثّة التي تراهن على هويّة نوعيّة تتجاوز الحدود الجغرافيّة التي أزاحتها العولمة؟

نحن أمّة "اللغة العربيّة" التي ميّزها الله سبحانه وتعالى عن غيرها من اللغات وجعلها لخير أمّةٍ أُخرجت للنّاس. إنّنا أمّة "اِقْرَأْ"؛ أمّةَ العربيّة التي أكّد القرآن الكريم على المحافظة عليها، أمّة لغة السّلم والسّلام، إنّها لمسؤوليّة كي نرتقي بفكرنا وأخلاقنا ومعاملاتنا حتى نسهم بكل فعّاليّة في تخليق اللسان العربي.

إنّ اللغة هي أساس أي تقدّم حضاري، وقوّةُ اللغة من قوّةِ الحضارة التي تمتلك تلك اللغة، يقول ابن خلدون: «إنّ قوّة اللغة في أمّة ما، تعني استمراريّة هذه الأمّة بأخذ دورها بين بقيّة الأمم؛ لأنّ غلبة اللغة بغلبة أهلها، ومنزلتها بين اللغات صورة لمنزلة دولتها بين الأمم»[10]. فقوة اللغة من قوّة أمّتها، وضعفها من ضعف أهلها يقول ابن حزم: «إنّ اللغة يسقط أكثرها، ويبطل بسقوط دولة أهلها، ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم، أو بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم. فإنّما يقيّد لغة الأمّة علومها وأخبارها قوّة دولتها ونشاط أهلها وفراغهم. وأمّا من تلفت دولتهم، وغلب عليهم عدوّهم، واشتغلوا بالخوف والحاجة والذّل وخدمة أعدائهم، فمضمون منهم موت الخواطر. وربّما كان ذلك سبباً لذهاب لغتهم، ونسيان أنسابهم وأخبارهم وبيود علومهم. هذا موجود بالمشاهدة، ومعلوم بالعقل ضرورة»[11]. ولذلك تحرص كل الأمم أشدّ الحرص على ترقيّة لغتها بالمشاريع التي من شأنها أن تحفظ لها ديناميتها وحيويتها، عبر مجموعة من المشاريع البحثيّة، والمظاهر المنعشة والمبدعة، وبالتّالي الإسهام في تدعيم سبل الأمن اللغوي. إنّ أشكال العنف التي تتمظهر في لغتنا قد تحدّ من نموّها وازدهارها، وبالخصوص لدى المتربّصين بها، وضمن ما يشاع عنها عالمياً حيث أصبحت العربيّة لدى بعض الغربيين لصيقة بما قد يشكّل خطراً لديهم على أمنهم القومي.

هناك تحديات عالميّة تواجه الحضارة الإنسانيّة جمعاء، وبالخصوص اليوم في ظلّ الاهتمام المتزايد بتطوير كل أشكال التّقنيّة والأشياء الماديّة على حساب القيّم

الإنسانيّة، «إنّـــها حضارة تطاولت مخالبها، وضمرت أخلاقهـــا، وكأنّهـــا تكـــرار لحضارة روما يوم جعلت الرّمان سادة، وما حولهم عبيداً»[12]. مما يدعونا أكثر من أي وقت مضى إلى أن ننحو ضمن المسار السّلمي الذي تبتغيه حضارتنا العربيّـــة الإسلاميّة حضارة البناء بالمعروف والجميل، والنّهي عن المنكر بـــالقول الحســـن واللفظ الطّيِّب والليّن.

4-أسباب العنف اللساني: تنوّعت الأسباب التـــي أدّت إلـــى ظهـــور العنـــف بمختلف مظاهره، ولكن قد نركّز في هذه المناسبة على الدّواعي التي ترتبط بالعنف اللساني حيث غذّته مجموعة من المفاهيم ذات الطّابع النّفسي والأيديولوجي والدّيني وغير ذلك، تحت غطاءات متنوّعة منها، قد نركِّز في هذه المناسبة على ما يلي:

أ-الحداثة: وهي مصطلح ذو بعد أيديولوجي خاص؛ لأنّ مفاهيمه منحدرة مـــن الثّقافة الغربيّة، يتّخذه بعض العرب شعاراً للتّشظّي والانسلاخ عن كـــل مـــا هـــو متوارث بتجاوز كل ما هو تقليدي، وتغيير القيم والمبادئ والأصول بحجـــة أنّهـــا كلاسيكيّة لا تتمشّى مع معطيات الزّمن الرّاهن والثّقافة العصـــريّة. وبالخصـــوص عند هؤلاء الذين يستضمرون التّفوق المطلق للثّقافة الغربيّة إلى حدّ فقـــدان الثّقـــة تماما بكل قيمهم وأصولهم، ويتمظهر ذلك في كلامهم ولباسهم وأســـماء أولادهـــم وحتى احتفالاتهم المواكبة والمشابهة لما هو كائن في الغرب. نقول لهؤلاء الحداثـــة ظلّت حاضرةً في كلّ الأوقات، والمهم من ذلك أن تتحقّق من مرجعيتنـــا الخاصّـــة بمفاهيم من رحمِ مجتمعنا بكلّ ما يحمله من قيم خاصّة وأصول متميِّزة.

ب-الأشكال التّديّنيّة المختلفة التي تولّدت لدى بعض الفئات، كمـــا أنّ الخطـــاب الدّعوي لم يستطع أصحابه احتواء المستجدات العصريّة، وفهـــم القـــرآن الكـــريم والسّنة النّبويّة بما يتمشى مع زماننا ومكاننا، وبالتّالي إقناع المتلقي عملياً بقيم الدّين الإسلامي وآدابه؛ ومحلّياً حيث يفتقد الشّباب الثّقة في كل مـــن يتّخـــذ مـــن الـــدّين وتعاليمه وسيلة للإقناع وبالخصوص في المجال السّياسي، وعالمياً حيث أصـــبحت العربيّة لدى الغرب لغة إرهاب، تقوم على استخدام الخطـــاب المتطـــرّف!! وقـــد

تولّدت عن هذا السّبب خطابات راديكاليّة تبدي عداوة عنيفة قائمة لدى البعض على الإقصاء والتّكفير والتّبديع.

جـ–الاغتراب النّفسي لدى الكثير من مستعملي العربيّة، وقد تولّد إثر الشّعور بالنّقص اتّجاه لغتهم (الغصّة اللغويّة)، كما تغذّيه تلك النّظرة الدّونيّة والمحتقرة التي تدفعهم في الكثير من الحالات إلى استعمال الفرنسيّة عجزاً أو تحذلقاً.

5–مظاهر العنف اللساني: حينما نتأمّل مظاهر العنف التي تسرّبت إلى اللسان العربي نلاحظ أنّه قد غذّتها مجموعة من الرّوافد؛ قد نوضحها بدايّة من خلال الشّكل التّالي:

العربيّة والعاميّات

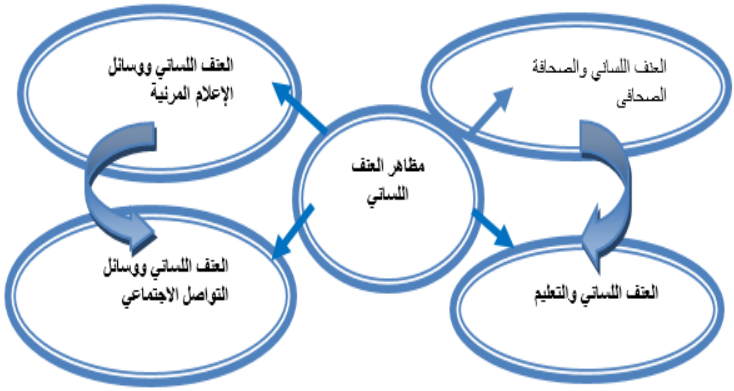

الشّكل:01 مظاهر العنف اللساني

أ–العنف اللساني والصّحافة: الصّحافة واجهةُ المجتمع، باعتبارها منبرَ ثقافتِه وفكرِه وسياستِه؛ إذ تعدّ من أهمّ الوسائط التي قد تُعتمد في التّنميّة الاجتماعيّة والثّقافيّة والفكريّة والتّربويّة. كما تعدّ المصدر الأهمّ في إشاعة الأخبار والمعلومات المتنوّعة على أوسع نطاق جماهيري ممكن. لكن لنُركِّز ههنا على علاقة الصّحافة بالمجتمع إذ تندرج ضمن ما يسمّى بالسّلطة الرّابعة لِما لها من أثرٍ ودورٍ كَبيريْن

في توجيه الرّأي العام بحسب الغايات والمقاصد، إنّه مصدر تغذيّة أبنـــاء الـــوطن بالمعارف التي قد يجد كل واحد فيهم ما يشبعُ ميوله واهتماماته.

ولكن إذا تأمّلنا لغة صحفيينا عبر مختلف وسائطها، فإنّنا نجدها في معظمهـــا لا توظّف إلا ّلإذاعة الأخبار والمعلومات التي تصـــيب القـــارئ باليـــأس والخـــوف والإحباط والملل؛ إذ توظّف الكثير من الألفاظ والعبارات التي تكرّس لكل أشـــكال العنف السّياسي والاجتماعي والأخلاقي والثّقافي، ممّا ينمّى كـــل أشـــكال السّـــلبيّة والتّعنّت والفرقة لدى أفراد الشّعب الواحد، قد نمثّل بالعبارات التّاليّة[13]:

-"شاب يقتل والدته ويحاول الانتحار بسكيكدة"؛

-و"وحش بشري يختطف قاصرا ويغتصبها في وهران" ؛

-"مصالح الأرصاد: اضطرابات أعنف قادمة.. الله يستر"[14]؛

-و"طريق الموت بتمنراست يحصد مئات الأرواح بسبب اهترائه"؛

-"الأمن يوقف قتلة موظف في الجزائريّة للمياه بسطيف، الجريمة وقعـــت فـــي جلسة "خمر" بالمنطقة الصّناعيّة"؛

-و"مجهولون يحرقون شخصاً داخل صندوق السّيارة**!**[15]"؛

-و"طالب سكنٍ يحرق جسدَه بتيبازة"؛

-"اتحاديّة العار..الفاف تطبّق قانون "المَارْطُو""[16].

وغيرها من العناوين التي تبثّ في ذهننا أفكارا منفِّرة لكـــل معـــاني الارتيـــاح والأمل والسّلم؛ بل تنمّي أنماط اليأس والانهزاميّة مع أنفسنا ومـــع العـــالم حولنـــا وبالخصوص مع العالم الغربي الذي يُشيع هو الآخر مثل هذه الأفكار عنّا، والتي لا تخدم في جوهرها إلّا مطامعه ونياته السّـــيّئة. وقـــد نشـــير ههنـــا إلـــى ظـــاهرة "الإسلاموفوبيا" في أوربا، والقائمة على الوصم (رفض تواجـــد المســـلمين)، فقـــد انعكست عنها عمليّات عنيفة ضدّ المسلمين.

وقد نركِّز ههنا على الاستعمالات التي تبعد الفرد عن كل أشكال المواطنة، من مثل[17]:

-"لا أمن غذائي في مادّة القمح إلاّ بالاستيراد"
-و"مرضى تائهون بحثا عن علبة دواء كل نهايّة أسبوع"
-و"غياب البرامج التّنمويّة أدخل الشّفافيّة في العزلة والمعاناة".
-"فوضى العمران وتنصّل المسؤولين وغياب المراقبة.. وراء الفيضانات"[18]
-و"لماذا صرنا أذلّة بعد أن كنّا أعزّة"
-و"زطشي يذبح اللاعب المحلي ويجسّد سيناريو الفشل المبرمج"
-و"مسرح الجنوب.. عنصريّة ثقافيّة كرّستها خليدة تومي"
-و"موظفون ضمن فوج "الحرّاقة" وصل إيطاليا"
-و"ملهى ليلي داخل السّجن".

وهي عناوين تغذّي معاني السّلبيّة تجاه المواطنين، فـما أحوجنا في هذا الوقت إلى مثقّف مُواطن، بمعنى مثقّف يقدّس المواطنة في صورتها المثاليّة من حيث هي الوعي بالمسؤوليّة الأخلاقيّة والأدبيّة تجاه تأديّة الواجبات قبل المطالبـة بـالحقوق فالمثقّف في هذا المجال مثله مثل المعلّم الذي يحمل خطاباً ديداكتيكيا، ويسهر على تبليغه بما أوتي من حكمةٍ وحنكةٍ وسهولةٍ بأيسر الطّرائق... ويعمل على الخـروج من اليوميات السّطحيّة إلى عمق النّهوض، واستثمار العناصر الكليّة وفق نمـوذج اجتماعي حضاري»[19].

كيف تبيح الصّحافة لنفسها، تحت غطاء الكتابة للجميـع، وتحصـيل الأربـاح وتحقيق نسبة كبيرة من المقروئيّة، أن تحصر دورها في نشـر المعلومـات التـي تغذّي أشكال النّعرات والفرقة؟ فالإعلام واجهة المجتمع؛ إذ لا يتقيّد دوره في نشـر المعلومات والأخبار، وإنّما من الضّروري أن يخدم غايات المنهج التّربوي الـذي يبتغيه أفراد المجتمع في إطار علاقة الانقياد والقيادة.

أين هي الصّحافة التي تحمل مشروعا يحتوي التّحدّيات المجتمعيّة، فتكون منبراً لحلّها، واقتراح المشاريع والحلول لتجاوزها؟ أين الصّحافة التي تستشرف المستقبل وتبثّ في المجتمع ما قد يجعله مؤمنا بوطنه وقيمه وأصوله، فينخرط بكل إيجابيّـة

في حضارة البناء والرّقي؟ ما أحوجنا إلى مثل كتابات جريدة "المنقذ"، و"الشّهاب" و"الصّراط السّويّ"، وغيرها من الجرائد التي حمل فيها مؤسّسوها وكتّابها هَمَّ الجزائر فأناروا الدّروب بكل ثقةٍ وحرصٍ واعتزازٍ، في الوقت الذي كان فيه أبناء هذا الوطن بحاجة ماسّة إليهم حيث عشّش الجهل واليأس والتّردّي فيهم، بسبب التّجهيل الذي مارسه الاستدمار الفرنسي. فما أشبه اليوم بالبارحة حيث أصبح الفرد الجزائري على وجه العموم، والشّباب على وجه الخصوص، لا يؤمن إلاّ بفكرة قوارب الهجرة والموت التي تقذفه إلى أحضان الآخر؛ لأنّ قوارب أفكار النّجاة قد تعطّلت واضمحلت تحت غطاء الوظيفة المحدودة التي لا تتعدّى حدود التّبليغ عمّا هو واقع، لا لِمَا يمكن أن يقع استشرافاً فكريّاً وعمليّاً وتربويّاً.

ما أحوجنا إلى مثل جريدة "البصائر" التي كان شعارها مستمداً من قوله تعالى: ﴿**هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾[20]، نحتاج إلى اللسان الذي يمحو كل معالم العنف، فينير البصائر، ويوقظ الضّمائر، ويحيي النّفوس، ويسقيها بالأمل والرّوح الإيجابيّة التي تنمّي في الفرد الثّقة بالذّات، والإيمان بالوطن، وتغرس قيم المواطنة من القلب إلى القلب.

ب-اللغة في وسائل الإعلام المرئيّة: تعدّ وسائل الإعلام المرئيّة من أكثر الأنشطة التي قد تتمظهر من خلالها أشكال التّعبير اللساني، وقد تتعدّد مادّتها الإعلاميّة بحسب الجمهور المستهدف، فغالبا ما تخصّص الأشرطة والأفلام الاجتماعيّة للبالغين، وتستهدف حصص التّدبير المنزلي ربّات البيوت، وتوجّه الأفلام الكرتونيّة للأطفال، وترتهن هذه الحصص بغايات محدّدة. لكن قد نشير ههنا إلى بعض الوسائل الإعلاميّة التي تعمل على إشاعة بعض القضايا العنيفة، انطلاقا من مشاهدَ منفّرة ومُقلقة عن قصد أو غير قصد؛ إذ تقوم بتوظيف الكثير من المفردات والصّيغ التّعبيريّة التي تحمل دلالات ومقاصد عنيفة؛ إذ تشير الدّراسات إلى أنّ كل ساعة من برامج الأطفال تحتوي على 25 فعلا عنيفاً بالمقارنة مع خمسة (05) أعمال عنف في برامج البالغين، ودلّت كذلك أنّه قبل سن الثّانيّة عشرة

يشاهد الطّفل ثمان مائة (800) جريمة قتل وأكثر من مائة ألف مشهد من مشاهد العنف[21]. وممّا يؤكّد ذلك أنّ معظم موضوعات الرّسوم المتحرّكة الموجهة للأطفال تقوم على الصّراع الهزلي؛ مثلا بين القط والفأر، أو الصّراع الجدّي بين قوى الخير وقوى الشّرّ، حيث تعتمد على لغة عنيفة، تعبّر عن هذه المشاهد، ممّا يترك أثرا سلبياً لدى الطّفل حول تصوراته للعالم من حوله، والعلاقات التي تربطه به.

وهنا نؤكّد أنّ من سمات الطّفل التّقليد والمحاكاة، لذا غالباً ما نجده يتقمّص أدوار الشّخصيات التي تأثّر بها، ممّا يجعله يقلّدها في السّلوكات، ويتداول المفردات والتّعابير العنيفة التي ترسّخت في ذهنه من منطلق امتزاجها بالصّورة التي يسّرت له هذا التّقليد، إشباعاً لرغباته، ووفاءً لقدوته. وهنا نشير إلى أنّ الطّفلَ مع مرور الوقت وملازمته لمثل هذه الأفلام يفقد الحس العقلي والوجداني، وتترسّخ لديه أنّ ما يؤدّيه من سلوكات عنيفة وتلفّظات غير أخلاقيّة ليست إلاّ شيئا عاديا وطبيعيا.

وأمّا الألفاظ والعبارات المتداولة في ومضات الإشهار فغالبا ما تبتعد كل البعد عن سمات اللغة الجميلة الرّقيقة التي تستدرج العقول وتستلطف النّفوس، فترتاح وتتلقاه بالقبول والتّفاعل الإيجابي، وفي بعض الأحيان تكون بعض عبارات الإشهار عاميّة أو هجينا بين العربيّة وغيرها من اللغات، قد نمثّل في هذه المناسبة بعبارة "عيش La vie"، كما أنّها مثقلة بالأخطاء التي تشين العربيّة، وقد صدق الجاحظ إذ يروي فيقول: «تقدّم رجلٌ إلى زياد فقال: أصلح الله الأمير، إنّ أبينا هلك، وإنّ أخونا غصبنا ميراثه. فقال زياد: الذي ضيّعت من لسانك أكثر ممّا ضيّعت من مالك... وقال شبيب بن شيبة، ورأى رجلاً يتكلّم فأساء القول، يا ابن أخي الأدب الصّالح خيرٌ من المال المضاعف»[22]. للأسف إنّ أنماط عبارات الإشهارات تؤدّي إلى التّقزّز والنّفور، كما تشوّش على التّحصيل اللغوي لدى المتعلّمين؛ إذ تهدم كل ما قد يبنيه معلمو العربيّة في المدارس.

جـ-اللغة وشبكة التّواصل الاجتماعي: شكّلت مواقع التّواصل الاجتماعي فضاءً مهمّاً للتفاعل وتبادل المعلومات والمعارف ووجهات النّظر بين النّاس على

نطاق واسعٍ وسريعٍ، وهي تقوم على توظيف لغة خاصّة، غالبا ما تكون لدى الشّباب عامّيّة أو هجيناً بين الفصحى وغيرها من اللغات. ولكن ثمة ظاهرة غريبة أُعتُمدت بقوّة في التّواصل، وهي استخدام الحروف اللاتينيّة في التّعليقات وتبادل الرّسائل القصيرة في الهواتف النّقالة، وشبكة التّواصل الاجتماعي، وبعض القنوات الفضائيّة الإشهاريّة بدلاً من استعمال الحروف العربيّة، مما يشكّل عائقا للعربيّة في تداولها.

ثمّ إنّ اللغة المتداولة نجدها في بعض الأحيان مدجّجة بالكثير من الألفاظ والعبارات المقزّزة والعنيفة التي تغذّي شبابنا بمختلف أشكال العنف، حتى وإن كنّا نطمح أن يكون شبابُنا –كما قال الشّيخ البشير الإبراهيمي– «واسعَ الوجود، لا تقفُ أمامه الحدود، يرى كلَّ عربي أخاً له؛ أُخوّة الدّم، وكلَّ مسلم أخاً له، أخوّة الدّين وكلَّ بشرٍ أخاً له، أخوة الإنسانيّة، ثمّ يعطي لكلّ أخوة حقّها فصلاً أو عدلاً... أحبّ منه ما يحبّ القائل:

أُحبُّ الفَتَى يَنْفِي الفَوَاحِشَ سَمْعُهُ كَأَنَّ به عَنْ كُلِّ فاحِشَةٍ وَقَرا»[23].

إنّه من الضّروري العمل على تبنّي المشروع الذي من شأنه أن يكرّس أشكال "التّواصل اللاعنفي Communication Non violente" في مثل هذه الشّبكات بتكريس الأدبيات التي تعمل على تخليق أصناف التّخاطب. وهنا يؤكّد "مارشال روزنبرغ Marshall Rosenberg" أنّ الاتّصال اللاعنفي يعلمنا كيف نضع الحوار محل الصّراع من أجل الحصول على ما نريد، من خلال التّفاوض، والبعد عن أشكال الإكراه والتّهديد. إنّه مرآة فلسفة الحياة التي تساعدنا على تحسين طريقة نظرتنا إلى العالم، ممّا قد يجلب لنا السّعادة الشّخصيّة. والتّواصل بغير عنفٍ يساعد الإنسان على اكتشاف مهاراته الحقيقيّة والتّعبير عن عواطفه بدون التّباس، كما تمكّننا من الابتعاد عن الأحكام الخاطئة، ويعمل على توسيع حقولنا للتّعبير مع توفير الهدوء وضمان الاحترام من قبل شركائنا، ويسمح لنا بإقامة علاقات جديدة بسهولة وإخلاص[24].

د-اللغة والتّعليم: إنّ عربيّة التّعليم ما زالتّ بعيدة عن تطلّعات الثّقافة العربيّة بكل غاياتها وأبعادها الحضاريّة؛ إذ نجد معظم المقرّرات ما زالتّ تصدر عن نصوص تعليميّة غير مواكبة لتحدّيات لغتنا وتطلّعاتها، والدّليل على ذلك ضعف مستوى خريجي متعلّمي العربيّة معرفيا ولغويا. وقد يعود السّبب في ذلك إلى المقرّرات التّعليميّة، ونمثّل في هذه المناسبة بنص "كلُّنا أبناءُ وطنٍ واحدٍ"[25]، ضمن محور "الهويّة الوطنيّة"، يتحدّث النّص عن معلم فرنسي يدرّس الفرنسيّة، وكيف أنّ التّلاميذ لم يحترموه؛ لأنّه من سلالة الغازين لبلادنا، ثمّ إنّ هذا المعلم يفرّق في الصّفوف بين العرب والقبائل، مما أغضب الآباء، فكان مدعاةً للضحك والسّخريّة. وفي الحقيقة قد تشوّش مثل هذه الأفكار على التّلميذ في هذا المستوى (المرحلة الابتدائيّة)، ويقلقه ممّا قد ينجرّ عنه عدم احترام المعلّم، وخاصّة معلّم اللغات الأجنبيّة، حيث نشكو من ضعف المستوى في ذلك؛ كما تكرّس لديه أنّ تعلّم اللغة الفرنسيّة يُعتبر من باب تعلّم لغة الاستعمار. ولذلك نعتقد أنّ فحوى هذا النّص يتجاوز في إبداعيته مستوى الابتدائي.

أمّا في تعليم النّحو فما زالتّ الكتب تُمثّل بأمثلة موروثة لم تتعدَّ حدود الأمثلة التي تغذّي فكرة العنف، نحو "ضرب زيد عَمْرو" كنموذج صناعي ليعرفوا به المفعول به وكأنّ العربيّة بأساليبها قد عَقُمَت ليبقى فيها هذا الشّاهد الأوحد على أهمّ علم لتعليمها وهو علم النّحو.

لابدّ من تقديم المقرّرات التي من شأنها أن تسهم في ترقيّة العربيّة وخدمتها حتى تواكب متطلّبات العصر. صحيحٌ أنّ طبيعتها الاشتقاقيّة تجعلها مؤهّلة سلفاً أن تحتوي أشكال الفكر والمعرفة، كما لاحظنا مع علمائنا في التّراث، ومع ذلك لابدّ لأبنائها من تبنّي المشروع العلمي والتّربوي الذي يجعلها حاملةً للمعرفة الإبداعيّة، وليس مستهلكةً عن طريق التّرجمة الحرفيّة للمصطلحات. يقول عبد القادر الفاسي الفهري: «إنّ للغة العربيّة الفصيحة مواطنَ قوةٍ كامنةٍ تجعلها أهلاً لأن تكون لغةً عصريّة بينيّة ودوليّة إلاّ أنّ الواقعيّة تجعلنا نقرّ بأنّ لغتنا لا تلقى

المساعدة، ولا تستفيد من خُطط تمكّن من تفعيل هذه المواطن وتنشيطها، وتطـوير ما يحتاج إلى تطوير، أو تقويم نقائص أو سدّ ثغراتٍ حتى نتمكّن من رفـع درجـة عصريتها وتنشيطها»[26]. فقوّة اللغة من قوّة أهلها يتحقّق ذلـك بطـرح المشـاريع العلميّة التي تعمل على تفجير فجاج الإبداعيّة والعبقريّة فقد قال صفي الدّين الحلي:

فَقَدْ قِيلَ إِنَّ عُقُولَ الرّجَالِ تَحْتَ السّنَةِ أَقْلَامِهَا

ثمّ إنّه من الضّروريّ العمل على إشاعةِ اللّغة الأدبيّة بين المتعلّمين، وكمشروع عام تتبنّاه التّربيّة ومختلف الفاعلين الاجتماعيين، من خلال إشاعة المقروئيّة، وبعث أشكال المنافسة والتّحدّي في القراءة والكتابة الشّعريّة والنّثريّة التي تتيح الفرصـة لكلّ الفئات العمريّة من أجل القراءة والعمل الإبداعي. ولكَمْ نأسف حينمـا نلاحـظ ذلك العجز والنّفور لدى طلبتنا عن الفعل القرائي والإبداعي الذي من شأنه أن ينمّي أشكال التّعبير البلاغي الفنّي المبني على التّفكير الرّاقي، والتّذوّق السّـليم لأشـكال التّعبير.

ونعتقد أنّه من الضّروري التّدقيق في الكتابة الأدبيّة، بما يخدم هـذا المشـروع ولهذا ننكر أنّ نجد مثلاً أعمالاً أدبيّة بعنوان "الموت في وهران"، و"اللعنـة علـيكم جميعاً" و"كيف تقتل زوجتك"[27]، وإنّنا نستنكر مثل هذه العناوين على الرّغم من أنهّا تحمل في متنها الكثير من المعاني الرّاقيّة؛ فهل تضيق اللغة حتـى نحمـل دلالات الحب على محمل الموت؟! فهم إذ ينزعون إلى هذه الاسـتعمالات يـدّعون أنّهـم يوحون إلى عمق التّفكير والتّعبير، فيوهمون أنّها من القيم الفنيّة والجماليّة التي قـد لا تؤدّيها البلاغيّة الواضحة.

وهنا نقول قد يستخفّ النّاس باستعمال ألفاظ عن وعي أو دون وعي، وغيرُهـا أحق بذلك منها، إلى أن تصير وكأنّها الصّواب، لكن من الضّـروري أن تحقيـق الإبداعيّة البلاغيّة والفنيّة التي تحفظ للغة قيمتهـا وجودتهـا. يقـول أبـو هـلال العسكري: «وأجودُ الكلام ما يكونُ جزلاً سهلاً لا ينغلقُ معناه، ولا يَستَبْهِمُ مَغْـزَاهُ ولا يكونُ مكدوداً مستكرهاً، ومُتَوعِّراً مُتَقعِّراً، ويكونُ بريئاً من الغَثَاثَةِ، عارياً مـن

الرّثاثةِ. والكلامُ إذا كان لفظهُ غثّاً، ومعرضُهُ رَثّاً، كان مردوداً، ولو احتوى على أَجلِّ معنىً وأنبلِه، وأرْفَعه وأفضلِه»[28].

فمن الضّروري اعتماد المشروع الذي من شأنه أن يرقّي ويهذّب الالسّنة؛ لأنّ المعنى الفاسد الذي لا ننتبه إليه قد يكون أوقع في القلوب من غيره، ممّا يتولّد عنه الفكر المضطرب والعنيف، يقول الجاحظ: «ثمّ اعلموا أنّ المعنى الحقير الفاسد والدّني السّاقط، يعشّشُ في القلب، ثمّ يَبيض ثمّ يفرِّخ، فإذا ضرب بجِرانِهِ ومكّنَ لعروقه، استفحل الفساد وبَزَل، وتمكّن الجهل وقَرَحَ، فعند ذلك يقوى داؤه، ويمتنع دواؤُه؛ لأنّ اللفظ الهجين الرّدي، والمستكْرَهَ الغبيّ، أعلَقُ باللِّسان، وآلفُ للسّمع وأشدُّ التّحاماً بالقلب من اللَّفظ النّبيه الشّريف، والمعنى الرّفيع الكريم. ولو جالسّت الجُهَّالَ والنّوكى، والسّخفاءَ والحَمقَى، شهراً فقط، لَمْ تَنْقَ من أَوضَارِ كلامهم وخَبَالِ معانيهم بمجالسّة أهل البيان والعقل دهراً؛ لأنّ الفسادَ أسرعُ إلى النّاسِ وأشدُّ التّحاماً بالطّبائع. والإنسانُ بالتّعلّمِ، وبطولِ الاختلافِ إلى العلماء، ومُدارَسَةِ كُتُبِ الحكماء، يَجُودُ لفظُه ويحسُن أدبُه، وهو لا يحتاج في الجهل إلى أكثرَ من ترك التّعلّم، وفي فساد البيان أكثرَ من ترك التّخيُّر»[29]. فاللفظ الحسن من أدبِ القول والفكر والسّلوك، ثمّ إنّ إبداعَ المرء مهما تنوّع فإنّه يبقى في أحضان أدبيّة اللغة الجميلة والمهذّبة، حتى يضمن الصّيرورة الفاعلة والمتفاعلة. فاللغة، كما يرى عبد الملك مرتاض، «أناقةٌ؛ والأناقةُ هنا هي وصفٌ تجميلي بالضّرورة، وهو تجميلي حتى في حال التّطلّع إلى الوصف التّقبيحيّ، والشّرَأْبِيَة إلى الذّم التّهجيني»[30] فكيف لنا أن نعنّف اللغة، وندّعي أنّنا نجدِّد في إبداعيتها وعبقريتها، باسم التّمرّد والتّشظّي عن أشكال الكتابات الأدبيّة المعتمدة والمتوارثة؟! صحيحٌ أنّ الأدب إبداع وتجاوز؛ لكن مع المحافظة على هيبة اللغة وقيمها التّعبيريّة والجماليّة.

هـ-اللغة العربيّة والعاميات: إنّ المتأمّل لعاميتنا في التّداول يجدها مثقلةً بالكثير من الألفاظ والعبارات القاسيّة والدّنيئة، ليس في مقام الشّتم، وإنّما حتى في باب الشّكر والمدح والغزل والإطراء؛ فقد يدعو الفرد صديقه لتناول الطّعام فيقول

"هَيَّا نَضرَبُو كَسكْرُوطْ!!" ويكفي أن يتغزّل الشّاب بالشّابة فيصفها بأنّها "كَارِثَــة أو بُومْبَة، لاَطَايْ كَرُوكُودِيلْ (تمساح)..."، وغيرها من الاستعمالات التي تتقزّز منهــا النّفوس، وتشمئزّ لها القلوب، وقد تولّدت عنها أشكال التّنمّــر والتّكبّــر والتّجبّــر. والسّرّ في ذلك أنّنا أصبحنا نفتقد لمظاهر المدَنيّة والحضارة، حتّى ندعو من يجفُــو ويغلظ لسانه وطبعه إلى ملازمة الحواضر ليَرقّ لسانه، ويعلو فكره. فلــم تصــبح ملامح الــحضر زاهيّة بالبساتين والحدائق الغنّاء، حتى تكون –كما يرى الخليفــة المتوكّل[31]– ذات فعّاليّة وأثرٍ في الطّبــائع والنّفــوس، فتلــين الألفــاظ، وتتلطّــف العبارات، وترتقي المشاعر، وتلين القلوب، فيُخلِّق خطابه بتخيّــر محاســن القــول بالحديث المقبول، والابتعاد عن أشكال التّلفّظات المستبْشِعَة التي تُنْكِرهــا القلــوب وتمجّها النّفوس، وتقف لها الجلود، وتندى لها الجِبَاه، فسلامة الطّبع تتبعها سلاســة اللفظ، ورقّة النّفس يتولّد عنها رفعة السّلوك.

فكل الألفاظ العنيفة تكرّس مظاهر السّلبيّة في المتلقّي، ممّا يؤدِّي إلــى الشّــحن السّلبي الذي يكرّس مشاعر عدوانيّة اتجاه الآخرين دون وعي وشــعور، وبمــرور الوقت تنمو هذه المعاني مع الإنسان وبالخصوص في مرحلة الطّفولة، فتتطبع فيها سلوكات عنيفة. فمظاهر الانحلال قد تجعل في النّهايّة المجتمع بعيداً عــن معــاني القيم الصّالحة والسّلوكات الفاضلة، فتصبح إذ ذاك مظاهر الانحــراف والجريمــة أمراً عادياً لا يدرك فيه القاصر معنى الخطيئة. فما أحوجنا إلى تلك المعاني النّبيلة والرّاقيّة التي أودعها "خطاب بن المعلّى المخزومي القرشي" في وصيته لابنــه؛ إذ يقول: «...وإنِــّي قد رَسَمْتُ لَكَ رَسْــماً، وَسِمْتُ لــك وَسْــماً، إنْ أَنْــتَ حَفِظْتَــهُ وَوَعَيْتَهُ وَعَمِلْتَ بَه مُلِئَت بِكَ أَعْيُنُ الــمُلُوكِ... إيّاكَ وهدر الكلام، وكثرة الضّــحك والمزاح، ومماراة الإخوان، فإنّ ذلك يُذهب البهاء، ويوقع الشّحناء، وعليك بالرّزانة والوقار، من غير كبرٍ يوصف منك، ولا خيلاء تُحكى عنك، والقَ صديقك وعدوّك بوجه الرّضا وكفِّ الأذى، من غير ذلَّةٍ لهم، ولا مهابة منهم، وكــن فــي جميــع أمورك أوسطها، فإنّ خير الأمور أوسطها، وأقلّل الكلام، وافشِ السّــلامَ، وامــشِ

متمكِّناً... ولا تتخذ السّوق مجلساً، ولا الحوانيت متحدّثاً ولا تكثر المراء، ولا تنازع السّفهاء، وإن قضيت فاختصر، وإن مدحتَ فاقتصر، وإن جلست فتربّع... وليكن مجلسك هادياً، وحديثك مقسوماً، واصْغِ إلاّ الكلام الحسن ممّن يُحدّثك من غير إظهار عجبٍ منك، ولا تسأله إعادة، غضّ عن الفكاهات من المضاحك والحكايات، ولا تحدِّث عن إعجابك بولدك... وإياك وأحاديث الرّؤيا، فإنّك إن أظهرت الفرح بها والتّعجّب منها، طمع فيك السّفهاء، فولدوا لك الأحلام، واغتمزوا في عقلك.... وإذا خاصمت فتوقّر، وتحفّظ مِنْ جهلك، وتجنّبْ عَجلتَك، وتفكّرْ في حجّتِك... وإذا وعدت فحقِّق، وإذا حدّثت فاصدُقْ، ولا تجهر بمنطقك كمنازع الأصمّ ولا تخافت به كمخافتةِ الأخرسِ، وتخيّر محاسن القول بالحديث المقبول وإذا حُدِّثْتَ بسماعٍ فانسبه إلى أهله، وإياك والأحاديث الغريبة المستبشعة التي تنكرها القلوب وتقف لها الجلود... وإنّما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، لا ينتفعُ منه إلاّ بأصغريهِ... وشرُّ الرّجالِ الكثير الاعتلال (يعني في القول)، وحسنُ اللقاءِ يُذهب الشّحناء، ولينُ الكلام من أخلاقِ الكرامِ»[32]. إنّها وصيّة تحدِّد بكلِّ حكمةٍ وخبرةٍ وهمّةٍ معالمَ المنهج القويم للحياة بلا منازع، وتَكشف للإنسان عن أدبيات المعاملات والمخاطبات والمجالسّات والسّلوكات، فما أحوجنا إلى مثل هذه النّصوص تدبّراً وتعلّماً وتعليماً.

وممّا يؤزّم وضع عاميتنا أكثر التّهجين اللغوي باعتباره ظاهرةً سلبيّة تشكّك في القدرات التّعبيريّة للعربيّة، وتتجلّى من خلال الممارسات اللغويّة المتداخلة بين العديد من الأنماط اللغويّة التي ترتد إلى لغات مختلفة. وقد تساءل صالح بلعيد بكل تأسّفٍ ولِجاج عن هذا الوضع، حيث يقول: أليس فينا رجل رشيد؟ ألاَ يؤدّي هذا إلى التّعدّديّة اللغويّة المتوحّشة أو الثّلاثيّة المفرطة؟ ألا يخلق عوائق اتصال بين شعبٍ واحدٍ؟ ألا يمكن أن يخرق الانسجام الاجتماعي الذي لا يحصل إلا بوجود لغة آحاد بين ساكنة جغرافيّة بلد واحد؟ فأين يكمن الخلل؟ هل في غياب تخطيط لغوي؟

وهل الخلل تتحمّله المدرسة؟ وهل للإعلام دورٌ في هذه الانتكاسة؟ وهل للشّابكة دور تسهيل ظهور هذا الخليط...؟[33]

وهي تساؤلات شرعيّة، تفرض تحدِّياً من نوع آخر، يستدعي تكثيف الرّؤى والمشاريع التي من شأنها أن تقرّب بين العاميّة والفصحى، بتنقيّة الأنماط التّعبيريّة العامّة من الألفاظ والعبارات التي قد يستعملها البعض عمداً من باب التّحذلق أو العجز، تؤدّيها بدايّة الأسرة، وتجسّده دُورُ التّعليم في مختلف المستويات.

خاتمة: إنّ اللغة في أساسها ثقافةٌ وحضارةٌ، إنّها عنوان الهويّة وترجمان الإنسان تواصلاً وسلوكاً، فقد نستخف بظاهرة العنف اللساني بكل تمظهراتها في إطار مبرِّرات معينة، ولكن يجب أن ندرك أنّ الأمر ليس بالهيّن؛ فإن لم ننتبه إلى هذا الوضع بكل أسبابه وتداعياته، فإنّنا قد نضرّ بعربيتنا، ممّا سيؤكد علينا الحجة أنّ أهلَها عُنُفٌ وبالخصوص ضمن هذا الظّرف الحضاري والعالمي المتميّز وما يفرضه علينا من رهانات تقتضيها الألفيّة الثّالثّة التي تراهن بقوة على السّلام وهو رسالة ديننا الإسلامي الحنيف.

استطاع أسلافنا أن يحتووا مجمل التّحدّيات التي حدّقت بها، فبذلوا مجهودات جبارة من أجل جمعها ودراستها واستنباط مقوّماتها العلميّة، فقدّموا زخما معرفيا متنوّعا من أجل ضمان استمراريتها في إطار ما تقتضيه خصوصياتها وإبداعيتها. وواجبنا اليوم أن نكون خير خلف لخير سلف، لاستكمال سيادة العربيّة، بأن نواصل ضمن هذا المنهج، ونعمل معاً على الإحاطة بالتّحدّيات الكبرى التي قد تضعفها وتقلّل من شأنها.

إنّ تقدّم الأمم وتحضّرها إنّما يتحقّق بخدمة لغتها، وتحقيق العبقريّة التّأدبيّة الفذّة في صلبها، ولغتنا العربيّة تحتاج إلى التّرقيّة والتّطوير، حتى نسهم بكل فعاليّة في المحافظة على خصوصياتها كلغة عالميّة، لغة جميلة وأنيقة، لغة المستقبل القريب والبعيد.

ثمّ إذا كان النّقاء اللغوي هو هاجس علمائنا الأوائل في جمع العربيّة وتأصيلها من أجل إشاعة الألفاظ والعبارات الخاصّة، فإنّ هاجس الصّيانة من كل ما قد يشوبها من الاستعمالات التي قد تحيد عن صفاتها وصفائها هو هاجسنا اليوم، كي نرقى بها نحو العلميّة والعالميّة ضمن مبادئ حضاريّة وقيم إنسانيّة تضمن لها الحضور الإيجابي والفعال، وممّا يدعو إلى تجاوز كل أشكال الاغتراب والإقصاء محليا وعالميا.

الاحالات:

[1] الرّحمن (3-4).

[2] الهويّة العربيّة والأمن اللغوي، د.عبد السّلام المسدي، بيروت المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات، ط2014/1، ص81. ويقول أيضا: "اللغة بيت الوجود". ينظر موت اللغة، ديفيد كريستال، ترجمة فهد بن مسعد اللهيبي، ص98.

[3] الصّناعتين الكتابة والشّعر، أبو هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط2، ص63.

[4] ديوان معروف الرّصافي، مراجعة مصطفى الغلاييني، مصر مؤسسة هنداوي للتعليم والثّقافة ط2014/1، ج2/ص560.

[5] آل عمران (159).

[6] رسائل الجاحظ، شرحه وعلّق عليه محمد باسل عيون السّرد، بيروت دار الكتب العلميّة ط2000/1، 99/1.

[7] مقاييس اللغة لابن فارس، مادّة (عنف)، 185/4.

[8] لسان العرب لابن منظور، مادّة (عنف)، ص3132.

[9] المعجم الوسيط، مجمع اللغة بالقاهرة، مادّة (عنف) ص661.

[10] مقدّمة ابن خلدون، عبد الرّحمن بن خلدون، بيروت دار الجيل، (د.ت)، ص610.

[11] الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الأندلسي (ت456هـ)، تحقيق الشّيخ أحمد محمّد شاكر بيروت منشورات دار الآفاق الجديدة، 1979، ج1/ص32.

[12] قصّة الحضارة، 13/1.

[13] جريدة "الخبر" ليوم الخميس 24 أكتوبر 2019، السّنة التّسعة والعشرون، العدد9372.

[14] جريدة الشّروق ليوم السّبت 14 سبتمبر 2019، العدد 6280.

[15] جريدة الشّروق ليوم الاثنين 21 أكتوبر 2019، العدد 6312

[16] جريدة "الخبر" ليوم الخميس 14 أكتوبر 2019، السّنة التّسعة والعشرون، العدد9363.

[17] جريدة "الخبر" ليوم الخميس 24 أكتوبر 2019، السّنة التّسعة والعشرون، العدد9372.

[18] جريدة الشّروق ليوم السّبت 14 سبتمبر 2019، العدد 6280.

[19] مناسبة وكلمة، أ.د.صالح بلعيد، الجزائر دار الأمل للطباعة والنّضر والتّوزيع، 2017 ص372.

[20] الجاثة (20).

[21] الأطفال والعنف أصله منابعه اكتسابه وطرق علاجه، بكير بن حمودة حاج سعيد، الجزائر دار الخلدونيّة، 2011، ص163.

[22] رسائل الجاحظ، الجاحظ، شرح وتعليق محمد باسل عيون السّود، بيروت دار الكتب العلميّة ط2000/1، ج1/ص268.

[23] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم نجله أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1997/1، ج3/ص509.

[24] الاتصال اللاعنفي وقفة عند نظرة مارشال روزنبرغ، د.عائشة بوكريسة، الجزائر دار الخلدونيّة 2013، ص7-8.

[25] اللغة العربيّة للسنة الخامسة من التّعليم الابتدائي، الدّيوان الوطني للمطبوعات المدرسيّة 2019-2020، ص48، والنّص في الأصل مستل عن روايّة "غدا يوم جديد" لعبد الحميد بن هدوقة بتصرّف. ولا نعتقد أنها تتمشى في بعدها ومغزاها مع ما يقتضيه أدب الطّفل في هذه المرحلة.

[26] أزمة اللغة العربيّة في المغرب بين اختلالات التّعدديّة وتعثّرات التّرجمة، د.عبد القادر الفاسي الفهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط2010/1، ص67.

[27] كيف تقتل وزجتك؟ يكفي أن تكون شرقيا لتفعلها، روايّة للأديب الأردني حسام الزّعبي صدرت عن فضاءات للنشر والتّوزيع، الأردن، ط2019/1،، وقد حققت أعلى المبيعات خلال المعرض الدّولي للكتاب المقام بالجزائر لسنة 2019.

[28] الصّناعتين الكتابة والشّعر، أبو هلال العسكري، ص73، ويقول أيضا: «والنّفس تقبل اللطيف وتنبو عن الغليظ، وتقلق من الجاسي البشع، وجميع جوارح البدن وحواسه تسكُنُ إلى ما يوافقه وتنفرُ عمّا يضادُّه ويخالفُه، والعين تألف الحسن، وتَقْذَى بالقبيح... والفهم يأنس من الكلام بالمعروف ويسكن إلى المألوف، ويصغى إلى الصّواب، ويهربُ من المحال، وينقبضُ من الوخم ويتأخر من الجافي الغليظ، ولا يقبل الكلام المضطرب إلا الفهم المضطرب والرّؤيّة الفاسدة». الصّناعتين ص63.

[29] البيان والتّبيين، الجاحظ، 1/85-86.

[30] في نظريّة الرّوايّة بحث في تقنيات السّرد، الدّكتور عبد الملك مرتاض، وهران دار الغرب للنشر والتّوزيع، (د.ت)، ص394.

[31] وهنا نستحضر قصة علي بن الجهم وكان بدويا جافيا، لما أنشد مادحا المتوكل بقوله:

أَنْتَ كَالكَلْبِ فِي حِفَاظِكَ لِلْوُدِّ وَكَالتيسِ فِي قِرَاعِ الخُطُوبِ

أَنْتَ كَالدّلْوِ لَا عَدِمْنَاكَ دلْواً مِنْ كِبَارِ الدّلا كثيرِ الذّنُوب

حيث أدرك المتوكّل أثر البيئة البدويّة على لفظه الخشن والجافي، فأمر له بدار حسنة على شاطئ دجلة فيها بستان يتخلّله نسيم لطيف و الجسر قريب منه، فأقام فيها الشّاعر مدة من الزّمن، ولمّا استدعاه الخليفة أنشده شعرا رقيقا لطيفا، فأدرك أثر البيئة في ترقيّة الالسّن وتهذيب الفكر. يُنظر محاضرات الأبرار ومسامرات الأخيار، لابن عربي الصّوفي عبد اللّه بن سليم الرّشيد، ص263.

[32] محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنّوادر والأخبار، لمحي الدّين بن عربي (ت638هـ)، دار اليقظة العربيّة، 1968م، ص232-236.

[33] في الأمن اللغوي، د.صالح بلعيد، الجزائر دار هومة ، ط2/2012، ص221.

آليّات النهوض باللّغة العربيّة في حقل الإعلام

أ. رشيدة بودالّية

جامعة العقيد آكليّ محند أولحاج، ولايّة البويرة.

ملخّص المداخلة:

يعتبر تعليم اللّغة وتعميمها صحيحة سليمة من الأبحاث المعاصرة التي تلقى عنايّة فائقة، واهتماما خاصّا من طرف الباحثين والمتخصّصين في مجال اللّسانيّات التّطبيقيّة باعتبارها وسيلة للاتّصال بين بني البشر، وأكثر الوسائل قوّة للتّأثير على الآخرين لهذا يسعى الإنسان إلى امتلاكها لتُمكّنَهُ من التّعايش والتّفاهم مع بني جنسه، ويجتهد لأدائها أداء سليما؛ ممّا يمكّنه من فرض وجوده، وإبداء رأيه، وأداء مهامه.

تشهد اللّغة العربيّة اليوم في ظلّ التّطوّر التّكنولوجيّ والإعلاميّ السّريع حالة من التّدني في جميع مستوياتها اللّغويّة، من طرف متكلّميها؛ خاصّة عبر وسائل الإعلام بحيث ترتكب فيها الأخطاء اللّغويّة على مرأى ومسمع من المشتغلين عليها، والعاملين على صيانتها، ولكي تحافظ اللّغة العربيّة على نقائها وسلامتها من الأخطاء التي ترتكب على المستويين الشّفهي والكتابيّ؛ لا بدّ من نهضة فكريّة، وجهد متميّز، وبحث مستمرّ للحدّ ممّا يُرتَكَبُ في حقّ لغة القرآن الكريم علنا وخفيّة.

يُسَاءُ إلى اللّغة العربيّة في مختلف الأقطار العربيّة إساءة كبيرة؛ من خلال ما يُرتَكَبُ من أخطاء لغويّة فادحة، وأكثر هؤلاء المسيئين؛ هم العاملون في سلك الإعلام من رجال الصّحافة عبر القنوات الفضائيّة، أو الجرائد والمجلات المكتوبة، واستفحال الوضع يتطلّب حلولا علميّة، وآليّات إجرائيّة؛ تعمل على الحدّ من الوقوع في الأخطاء والنّهوض باللّغة العربيّة، والإشكاليّة المطروحة: كيف يمكن ضبط اللّغة العربيّة لدى رجال الإعلام والاتّصال؟ ما هي الآليات الواجب اتّباعها للنّهوض باللّغة العربيّة لتفرض سلامتها على ألسنة الصّحافيّين وأقلامهم؟

الكلمات المفتاحيّة: اللّغة – تعليم – الآليّات – اللّسانيّات التّطبيقيّة – الأخطـــاء – حقل – وسائل الإعلام.

Resume:Mechanisms to promote the Arabic language in the media field.

The teaching and dissemination of the language is a contemporary research, which receives great importance, and special attention by researchers and specialists applied linguistics, as a means of communication between humans, and the most powerful means to influence others, so man seeks to possess it to enable him to live and understand and impose his presence, express his opinion, and perform his duties.

In light of the rapid technological and media development, the Arabic language is witnessing a decline in all its linguistic levels, especially by its speakers through the media. Committed at both the oral and writing levels, there must be an intellectual renaissance, a distinctive effort, and a search to limit what is being committed against the language of the Qur'an openly and in secret.

The Arabic language in various Arab countries is severely offended by grave linguistic errors, and most of these abusers are the media workers of the press through satellite channels or written newspapers and magazines, then,it requires scientific solutions and procedural mechanisms; to reduce mistakes, promote the Arabic language, and the problematic: How can the Arabic language be controlled by the media? What mechanisms should be followed to promote the Arabic language to impose its safety on the tongues of journalists and their pens?

Keywords: Language – Education – Mechanisms - Applied Linguistics – mistakes – Field - Masse Media.

تمهيـــد: تمثّل اللّغة تطوّر الفكر، وعنوان الحضارة، ويعتبر الحفاظ عليهـــا حفاظـــا على أهمّ مقوّم من مقوّمات الأمّة، وصيانة تاريخها، لذا يجب أن يحبّها أصحابها كحبّهم المال والبنون، وأن يعملوا على صيانتها، وإحكام قواعدها نطقا وكتابة، «يقول عثمـــان أمين في كتابه "**فلسفة اللّغة العربيّة**": من لم ينشأ على أن يحبّ لغة قومـــه، اســـتخفّ بتراث أمّته واستهان بخصائص قوميّته، ومن لم يبذل الجهد في بلوغ درجة الإتقان في أمر من الأمور الجوهريّة؛ اتّسمت حياته بتبلّد الشّعور، وانحلال الشّخصـــيّة، والقعـــود عن العمل وأصبح ديدنه التّهاون والسّطحيّة في سائر الأمور»[1]. وبهذا الحبّ الواجـــب للّغة القوم والجدّيّة في الحفاظ عليها؛ يسهم كلّ فرد في انتشارها، واتّساع رقعتها، وهـــو ما يؤدّي إلى تجدّدها، وبتجدّدها تتجدّد الحياة، وتتطوّر الحضارة، لأنّ اللّغة كائن حـــيّ يحيا وينمو ويتطوّر مع تطوّر حياة أهلها، وتموت بموتهم.

يتّسع مجال استعمال اللّغة؛ مع رغبة مستعمليها في بقائها حيّة، واســـتمرارها نقيّـــة من شوائب الخطأ واللّحن، وهذا الأمر أشار إليه حكيم الصّين كرنفوشيوس في زمانـــه إذ قال بأنّ «إصلاح العالم سهل؛ إذا صلحت اللّغة التي يستخدمها النّاس (...) وإذا كان ما يقال لا يحمل المعنى المقصود؛ فإنّنا لن نستطيع القيام بما ينبغي أن نقوم به، وإذا لـــم نستطع أن نفعل ذلك؛ فسدت الأخلاق والفنون، وإذا فسدت الأخلاق والفنـــون؛ ضـــلّت العدالة، وإذا ضلّت العدالة؛ احتار النّاس وتاهوا، وإذا احتار النّاس؛ عجزوا عن الفعـــل وإذا عجزوا عن الفعل؛ توقّف العالم، وتدهورت أحواله.»[2] إنّها علاقة اللّغة بالإنســـان التي لا تتمثّل في الاتّصال فقط؛ بل تشمل كلّ ما يحيط به، وما يحتاجه ليســـتمرّ بقـــاؤه وصلاحها صلاح للأخلاق والفنون، وانتشار للعدالة الحقّة، واســـتمرار لحيـــاة النّـــاس وتطوّر للعالم وازدهاره في كلّ الميادين، ولهذا قيل: «لا ينبغـــي النّظـــر إلـــى اللّغـــة باعتبارها وعاء للفكر فقط، وأداة التّواصل؛ بل هي أيضا التي تشكّل رؤيتنـــا وســـلوكنا وعليها يتوقّف أداؤنا الاجتماعيّ الشّامل»[3].

اللّغة الإعلاميّة: اللّغة الإعلاميّة لغة نثريّة، وقد قسّم النّقاد النّثر إلى ثلاثة أقسام هي:

النّثر العادي: يتمثّل في التّخاطب العادي الذي يجري بين النّاس في الحياة اليوميّة قصد قضاء حوائجهم.

النّثر العلميّ: يتمثّل في البحوث العلميّة، ومن خصائصه الأسلوب العلميّ؛ الذي يعتمد على البراهين والأدلّة، والألفاظ التي لا تحتمل التّأويل.

النّثر الفنيّ: وهو ما يتّصل بالعواطف الإنسانيّة، وابتكار الأفكار، من خصائصه تخيّل المعاني، وتزيين العبارات، ويعتمد على الأسلوب الأدبيّ والإيحاء[4].

ولمّا ظهرت الصّحافة بأنواعها؛ رأى رجال الأدب والصّحافة أنّه لا يمكن أن يستعمل أحد أنواع النّثر السّابقة في لغة الإعلام، فأوجدوا نوعا رابعا سمّوه:

النّثر العمليّ: وهو نثر بين النّثر الفنيّ الجماليّ الخاصّ بالأدب، وبين النّثر العادي الخاصّ بالتّخاطب العادي[5].

ويسعى الإعلاميّ بواسطة النّثر العمليّ إلى تبسيط اللّغة بشكل يفهمها العامّ والخاصّ بل يمكن تبسيطها في أحيان كثيرة بشكل تقترب من فهم واستيعاب العامّة من النّاس لأنّهم يمثّلون الشّريحة الأكثر تتبّعا لوسائل الإعلام خاصّة المرئيّة منها والجلوس لأوقات طويلة أمام شاشة التّلفزيون لمشاهدة البرامج المتنوّعة، ولأنّ مشاهدة الإعلام المرئيّ؛ «لا يحتاج إلى معرفة القراءة والكتابة؛ ممّا يجعله وسيلة ملائمة لظروف المجتمعات التي ترتفع فيها نسبة الأميّة»[6].

يعرّف بعض الإعلاميّين اللّغة الإعلاميّة بأنّها «اللّغة التي تشيع على أوسع نطاق في محيط الجمهور العامّ، وهي قاسم مشترك أعظم في كلّ فروع المعرفة والثّقافة والصّناعة والتّجارة والعلوم البحتة والعلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة والفنون والآداب ... ذلك لأنّ مادّة الإعلام في التّعبير عن المجتمع والبيئة؛ تستمدّ عناصرها من كلّ فنّ وعلم ومعرفة»[7]. من الطّبيعيّ –إذًا– أن يتّخذ الإعلام من اللّغة وسيلة لإيصال المعلومات والأخبار إلى الجمهور، وأن يفتح بذلك الباب أمام اللّغة الفصحى؛ لتنتشر

في كلّ مكان وقد تحقّق للإعلام هذا التّحوّل الحضاريّ، بحيث كان للّغة النّثريّة العمليّة؛ الفضل في نقل الرّسالة الإعلاميّة من المرسل إلى المستقبل، وهذا المنهج المتّبع هو وسيلة من وسائل استمالة النّاس.

خصائص اللّغة الإعلاميّة: تتميّز لغة الإعلام بخصائص تمكّن من انتشارها وفهمها والتّأثير بها على المستقبل، مع مراعاة المستوى الثّقافيّ والفكريّ للمتلقّي وإيصال الرّسالة الإعلاميّة، من هذه الخصائص:

- **الوضوح والبساطة:** لا بدّ أن تتميّز لغة الإعلام بالوضوح والبساطة؛ ولا بدّ أن تكون «لغة منضبطة بسيطة بعيدة عن الغريب، والمهجور من الألفاظ، وبعيدة عن الابتذال الذي يهبط بمستوى اللّغة إلى العاميّة (...) وبهذا يجب أن تكون لغة الأداء الإعلاميّ في صورتها السّهلة الواضحة. هذه هي السّمة الأساسيّة لهذه اللّغة (...) لغة سهلة مبسَّطة؛ تعبّر عن المادّة تعبيرا مباشرا منتجا»[8]. أيّ يجب أن تكون الكلمات والجمل واضحة كلّ الوضوح وفق نظام العربيّة وقواعدها، حتّى تحقّق أهدافها، وحتّى يتمكّن المتلقّي من فهمها.

هذا بالإضافة إلى انعدام الوقت لدى الإنسان المعاصر الذي لا يعطيه المجال الكافي للتّركيز على الرّسالة، وإمعان الفكر لكي يستوعبها، فهو يرغب في تلقّي المعلومة بشكل واضح؛ دون بذل أقصى جهد فكريّ في التّركيز على مضمونها، أو تضييع وقت زمنيّ في امتلاكها، أو الاستفهام عن الغامض فيها.

- **المعاصرة:** لغة الإعلام لغة موجّهة إلى جميع فئات المجتمع؛ فهي لا تستثني أيّة فئة من فئاته، والمجتمع محكوم بتأثيرات كثيرة؛ أهمّها عامل التّكنولوجيا، والتّفجّر المعرفيّ عن طريق الأنترنيت، ووسائل الإعلام المتعدّدة والمختلفة، والتي جعلت من الكون قريّة صغيرة؛ يتخاطب فيها الأفراد كأنّهم مجتمع واحد، وكأنّهم يتعايشون في رقعة جغرافيّة واحدة متقاربة، هذا كلّه يجعل الفرد المعاصر؛ يحتاج إلى لغة معاصرة تسهّل عليه استيعاب المعلومات الإعلاميّة من جهته كمتلقّ، والتّأثير عليه من جهة المرسل. «وتسعى كلّ وسيلة إعلام جاهدة (...) إلى إحداث تأثيرها باللّغة المستخدمة

في تأثيرها في الجمهور المتلقّي، ذلك أنّ اللّغة تشكّل عقول الجمهور، وتصوغ رؤيته التي يفسّر بها واقعة ويستوعبه، ويتكيّف معه، ويوجّه سلوكه في التّعامل مع هذا الواقع»[9].

- **الاختصار:** إنّ المتلقّي اليوم وما يعيشه من مشاغل كثيرة، وما تحيط به من ظروف متنوّعة؛ ليس لديه الوقت الكافي لكي يجلس جلسة متمتّع بما يقرأه، أو يشاهده ولا أن يتلّقى الرّسائل الإعلاميّة بشرح مسهب، وإطالة مفصّلة، لذا على وسائل الإعلام؛ إذا أرادت الحفاظ على اتّساع نسبة المتلقّين؛ أن تسعى إلى تقديم مادّتها مختصرة في لغتها، موجزة في أحداثها وذلك باستخدام جمل قصيرة، وكلمات مألوفة وسهلة، حتّى تُستَوْعَبُ الرّسالة بسرعة، فلا تحتاج إلى الانشغال بها، والتّفكير في تأويلها، وإمعان الفكر لمعرفة أبعادها، لأنّه كما قيل سابقا: إنّ الإنسان المعاصر تتجاذبه أمور كثيرة، وأشغال متنوّعة؛ تمنعه من أن يعطي وقتا للأحداث الإعلاميّة.

- **القابليّة للتّطوّر:** لا تخرج اللّغة الإعلاميّة عن نتاج الدّراسات اللّغويّة، والتي تمدّها بالظّواهر اللّغويّة، فهي لغة تتميّز بتهذيب ألفاظها، وترقيّة مفرداتها، وإدخال مفردات جديدة[10]، بل وتدعيم خصائصها من بساطة ووضوح وسلامة، وبالتّالي تقترب من لغة الواقع، وأن يتمّ استخدام اللّغة العمليّة التي تعبّر عن الحياة والحركة ولا يكون ذلك إلاّ بواسطة اللّغة الإعلاميّة المؤثّرة.

إنّ توظيف اللّغة العمليّة في الإعلام المعاصر؛ يؤدّي إلى تطوّرها، «وإنّه ممّا لا شكّ فيه أنّ الإعلام المعاصر من أهمّ عوامل التّطوّر اللّغويّ، والذي لا شكّ فيه – أيضا–أنّ التّزام القائمين على الإعلام بقواعد الدّقّة، من شأنه أن يضبط هذا التّطوّر وأن يضعه في مجراه، فيصبح مثل النّهر تدفّقا ونماءً»[11].

الأخطاء اللّغويّة الشّائعة في لغة الإعلام: يرتكب رجال الإعلام الكثير من الأخطاء في اللّغة العربيّة أثناء إلقائهم النّشرات الصّحفيّة، أو تقديمهم البرامج التّنشيطيّة؛ ثقافيّة كانت أو فنيّة أو ترفيهيّة، وأثناء كتابتهم للمادّة الإعلاميّة، وهي أخطاء متنوّعة منها: الصّوتيّة والصّرفيّة والنّحويّة، ممّا يشوّه فصاحة اللّغة، ويشوب لسانها اللّحن. المؤسف

– هنا – أن تنتشر هذه الأخطاء على ألسنة النّاس؛ لأنّ تأثير الإعلام على الأذهان والألسنة كبير جدّا، وسريع أيضا، ويمكن التّمثيل لذلك بمقدّمي البرامج التّلفزيونيّة «في هذه الأيّام هم في طليعة موجّهي الشّعب، والمؤثّرين فيه أدبيّا، ولغويّا، وقوميّا واجتماعيّا.»[12]

إنّ الأخطاء الشّائعة على ألسنة الإعلاميّين والتي يلتقطها العامّ والخاصّ؛ أخطاء ملحوظة، قد «أشاعت الخطأ اللّغويّ ورسّخته، وخاصّة في الأساليب الأعجميّة المعربة أو الأساليب العاميّة المفصّحة، وكثرت فيها الألفاظ الأعجميّة والاشتقاقات الغريبة عن اللّغة وقواعدها،»[13] وإذا استمرّ تجاهلها ستصبح هذه الأخطاء الشّائعة هي القاعدة وإذا «لم يكن هناك تصحيح دائم لها، وتقويم مستمرّ للأداء اللّغويّ لهؤلاء الإعلاميّين،»[14] سيؤدّي ذلك إلى إفساد جمال اللّغة العربيّة الفصحى، وتدهوّر لمجد الأمّة بأكملها، وسبيل لضعفها الحضاريّ.

ويرى الكثيرون أنّ مجد الشّعوب مرتبط بشكل كبير بالتّطوّر اللّغويّ أكثر من التّطوّر السّياسيّ، «إنّ المجد اللّغويّ أقلّ من المجد السّياسيّ للأمّة الصّاحيّة حديثا من سباتها العميق، كأمّتنا العربيّة؛ لذا يُنْصَحُ جميع القادة؛ أن يوجّهوا اهتماما كبيرا إلى تقويّة الفصحى، والإقلال من اللّغة العاميّة في الإذاعة والتّلفزيون ودور السّينما وضبط معظم الكتب والمجلاّت بالشّكل التّام، حتّى تصبح اللّغة ملكة لدى القرّاء»[15]. وبما أنّ رجال الإعلام لهم تأثير بالغ على المستقبلين من جمهور العامّة والخاصّة؛ فإنّه من الضّروريّ أن يتمكّنوا من العربيّة الفصحى تمكّنا؛ يجعلهم يحافظون على سلامة لسانهم وأقلامهم من الأخطاء، ومن اللّحن.

قد يفتقد رجال الإعلام من صحافيّين ومقدّميّ البرامج القدرة الأدائيّة للعمليّة الكلاميّة من إدراك للمقاطع أو نبر أو تنغيم أو وقف، ذلك أنّ الكلام لا يجري على طبيعة صوتيّة واحدة، وإنّ ما يُلْقَى على مسامع المستقبلين من أفواه العاملين في المجال الصّحفيّ خاصّة المرئيّ منه؛ من أخطاء أدائيّة، التي ازدادت وتفاقمت في عصرنا –

هذا – بشكل ملفت للانتباه، ومؤلم للقلوب، ومحيّر للعقول؛ مسّت رجال الإعلام، على أوسع نطاق.

يرتكب رجال الإعلام أخطاء لغويّة فضيعة على مستوى الصّرف والنّحو فيخلطون بين مباني الكلمات؛ بحيث لا يميّزون بين اسم الفاعل واسم المفعول، ولا يراعون حركة عين الفعل خاصّة المضارع، ولا يحسنون التّثنيّة خاصّة مع الاسم المقصور، والخطأ في ضبط الجمع، سواء الجمع السّالم أو جمع التّكسير، ويخلطون في الاستعمال بين كلمتي كلا وكلتا[16]، ولا يبالي صحافيو الإعلام المرئيّ بحركات الإعراب الصّحيحة لأواخر الكلمات، إنّهم يلجأون إلى تسكين أواخرها فرارا من الوقوع في الخطأ؛ فتصبح لغة لا حياة فيها.

ويضاف في هذا المقام ما يتخلّل كلام الصّحافيّين أثناء تقديم البرامج أو نشرات الأخبار من أخطاء شائعة، «وهي تلك المفردات والتّعابير التي تخالف النّظام اللّغويّ نحوا أو صرفا أو إملاء أو لغة أو تركيبا، وقد انتشرت على ألسنة النّاس، وحلّت محلّ الصّواب، ورسّخها عند الكثيرين المقولة الفاسدة: خطأ شائع خير من صواب ضائع»[17]. وتوظيف الأخطاء الشّائعة هو خروج عن الصّواب، وهو مدعاة إلى الحيرة، والقلق والتّساؤل، فإنّ ما يجري على الألسنة أو ما تكتبه أقلام الصّحافيّين من أخطاء لغويّة فادحة؛ هو مساس للهويّة الشّخصيّة والوطنيّة والدّينيّة.

علاج مشكلات الأخطاء اللّغويّة في وسائل الإعلام: تحتاج عمليّة علاج الأخطاء اللّغويّة في وسائل الإعلام إلى آليّات علميّة تُتَبَعُ في مراحل التّربيّة والتّعليم، وفي مرحلة التّعليم العالي، وفي الممارسة الميدانيّة لمهمّة الصّحافة والإعلام، سواء في مرحلة التّكوين أم في مرحلة العمل الفعليّ لوظيفة الإعلام بمختلف أنواعها، وتتمثّل هذه الآليّات في:

1 – إعطاء أهمّيّة لنشاطيْ التّعبير الشّفهيّ والكتابيّ في حصّة اللّغة العربيّة في طور التّعليم (أيّ ما قبل الجامعة): تحتاج مناهج تعليم اللّغة العربيّة في الدّول العربيّة إلى إصلاح شامل؛ الهدف منه تمكين المتعلّمين من اللّغة الفصحى، وتبدأ هذه العمليّة

منذ المراحل الأولى من التّعليم، من خلال إعطاء كلّ متعلّم فرصة التّعبير عن مشاعره وأحواله وظروفه بِحُرِّيّة، ودفعه إلى البحث، دون الاتّكال على الغير.

وتسعى المنظومة التّربويّة من خلال مناهجها التّعليميّة إلى الوصول بالمتعلّم إلى إتقان اللّغة العربيّة باعتبارها اللّغة الرّسميّة، ولغة التّخاطب، والتّعامل بين النّاس في أماكن عديدة كالمدارس والجامعات والمؤسّسات الإداريّة، وهي لغة القرآن الكريم؛ فلا غرابة إذا لاحظنا هذا الاهتمام المتزايد باللّغة العربيّة في المؤسّسات التّعليميّة سواء بتدريسها للأجيال، أو في الاهتمام بطرق تعليمها، وتطوير مناهجها، وإعداد الوسائل التّربويّة لتدعيم معلّم اللّغة العربيّة؛ لكي يلقّنها للمتعلّمين على الأوجه الصّحيحة والسّليمة نطقا وكتابة.

يعتبر نشاط التّعبير الشّفهيّ والكتابيّ الوسيلة التّعليميّة المثلى لخلق التّواصل المعرفيّ بين المعلّم والمتعلّم؛ لأجل هذا كلّه اختارت المنظومة التّربويّة في بلادنا مراحل التّربيّة لتمكين المتعلّم من التّعبير، وأولته عنايّة كبيرة؛ لكونه نشاطا تربويّا يمارسه المتعلّم في كلّ النّشاطات الأخرى: في نشاط القراءة، ودراسة النّصوص ونشاط القواعد، ويوظّفه كذلك في الموادّ الأخرى.

يتوجّب على معلّم اللّغة العربيّة في نشاط التّعبير الشّفهيّ والكتابيّ؛ أن يراعي الجانب اللّغويّ عند المتعلّم، الذي يعتبر جدّ محدود في هذه المرحلة، والدّور المنوط به في هذه الحالة؛ هو العمل جاهدا للرّفع من كفاءته اللّغويّة؛ خاصّة أنّه يدخل المتعلّم في مجال الممارسة الشّفويّة والكتابيّة للّغة[18]، والذي يتطلّب منه الاسترسال في الحديث وتفادي الخطأ قدر المستطاع نطقا وكتابة، «واللّغة التي ينبغي أن تقوم عليها هذه المادّة هي اللّغة العربيّة الفصحى؛ تلك اللّغة التي تقوم على أساس أن نأخذ من لغة الكلام والحديث الألفاظ الفصيحة والشّائعة فيها، ونأخذ من فصحى التّراث ألفاظها السّهلة البسيطة والمألوفة الشّائعة المتواترة الاستخدام في الحياة الحديثة (...) ممّا يحقّق مساعدة الدّارسين على القراءة والاطّلاع، ولقد نادى بهذا الاتّجاه كثير من المفكّرين والمربّين العرب،»[19] في هذه الحالة على المعلّم أن يصوّب ما يقع فيه المتعلّم من

ألفاظ عاميّة إلى لغة فصحى؛ ليقوّم لسانه، ويدرك أنّ المقام يحتاج إلى اللّغة الشّفويّة الفصيحة، وسمّاها بعض المربّين واللّغويين اللّغة العربيّة المعاصرة، تجمع في طياتها بين التّراث والحديث[20].

2 – إحياء نشاط الصّحافة المدرسيّة: أهمّ ما يجب أن تهتمّ به المناهج التّعليميّة اليوم من أجل الارتقاء باللّغة العربيّة في الإعلام؛ هو تنشيط الصّحافة المدرسيّة حتّى يشارك فيها المتعلّمون بما تيسّر لهم من موضوعات، وهي فرصة لاكتشاف مواهبهم وصقلها، ومعرفة قدراتهم في التّعبير بحريّة، من خلال نشاطات إعلاميّة تتناسب مع أعمارهم، «وتعتبر الصّحافة المدرسيّة نشاطا حرّا؛ يقوم بتنميّة الجانب المعرفيّ للمتعلّم عن طريق تشجيعه على القراءة والاطّلاع، وجمع المعلومات. كما يعنى بالجانب الوجدانيّ، وذلك بالكشف عن مواهبه وقدراته الفنيّة والأسلوبيّة، وتنميّة الجانب الابتكاريّ.»[21]

لتحقيق هذا النّشاط في كلّ مؤسّسة تعليميّة؛ لا بدّ من اتّباع سبل منهجيّة تدفع المتعلّمين إلى الإكثار من مطالعة الكتب؛ لأنّ المطالعة تكاد تكون السّبيل الأنجع لتقويّة اللّغة عند الأفراد، وترقيّة الأسلوب في تعبيرهم، وتنميّة المعلومات والأفكار لديهم ويتسّنى ذلك بـ «تحديث الكتب الدّراسيّة، وتشجيع حركة التّرجمة والتّأليف لإثراء المكتبة، لأنّها السّبيل الوحيد لحمايّة المتعلّمين والهويّة والثّقافة من التّغريب والاختراق الثّقافيّ.»[22] وبمشاركتهم في نشاط الصّحافة المدرسيّة؛ يعملون على تزويد زملائهم «بالأخبار الصّحيحة، والمعلومات السّليمة، والحقائق الثّابتة، التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع، أو مشكلة من المشكلات، بحيث يعبّر هذا الرّأي تعبيرا موضوعيّا»[23] عن مستواهم الفكريّ، وتوصيل أفكارهم البسيطة، وانفعالاتهم التي تظهر اتّجاههم وميولهم نحو موضوع ما أو قضيّة، مع احترام بساطة ما يقومون بتقديمه مراعين في ذلك أعمارهم، وتشجيعهم الدّائم.

3 – تكوين طلبة الإعلام والاتّصال تكوينا لغويّا: تدرّس الكثير من الدّول العربيّة طلبة الإعلام والاتّصال باللّغة الأجنبيّة كالفرنسيّة، أو الانجليزيّة، أو الخلط بين اللّغتين

العربيّة والأجنبيّة، وأقرب مثال على ذلك كلّيات الاتّصال بالجزائر قاطبة التي تتّبع هذه الطّريقة في إلقاء المحاضرات، أو تدريس التّطبيقات مع طلبتها، وفي هذه الحالة لا نتوقّع أن يتخرّج منها رجال يتقنون التّكلّم بالفصحى؛ بل ستشيع على السّنتهم الأخطاء شيوعا يصعب الحدّ منها في أوساط الجماهير، لهذا لا بدّ من تغيير أساليب التّدريس لطلبة الإعلام والاتّصال، وذلك من خلال «إحلال اللّغة العربيّة مكانتها اللاّئقة كلّغة تدريس أساسيّة للمقرّرات الدّراسيّة الإعلاميّة والمهاريّة خاصّة، وذلك على اعتبار أنّ اللّغة العربيّة جزء لا يتجزّأ من هويّة المجتمع.»[24] فتكون بذلك الدّروس كلّها بالعربيّة الفصيحة قصد رفع كفاءتهم في هذا القطاع، ولأداء دورهم على أحسن وجه.

قد يحتجّ الكثيرون بأنّ تطبيق الأمر سيكون في غايّة الصّعوبة؛ بل سيجعلونه مستحيل التّحقّق، لأنّ الأساتذة المؤطّرين في هذه الكلّيّات؛ هم أنفسهم مكوّنون تكوينا أجنبيّا؛ فلا يمكنهم إعطاء ما لا يملكونه؛ لأنّ فاقد الشّيء لا يعطيه، ففي هذه الحالة يمكن اللّجوء إلى حلّ آخر؛ يمكنه أن يساعد على تخفيف الوضع المتأزّم، ويتمثّل الأمر في تدريس طلبة الإعلام والاتّصال حصصا في اللّغة العربيّة الفصحى، بالاستعانة بأساتذة في اللّغة العربيّة من كلّيّة الأدب واللّغة العربيّة، وتكون مهمّة هؤلاء تعليم الطّلبة اللّغة الفصيحة، وتصويب الأخطاء اللّغويّة التي يقعون فيها، وتدريبهم على فنّيات التّقديم وتمكينهم من إجادة اللّغة، حتّى تستقيم السّنتهم وكتاباتهم، ولكنّ مهمّتهم الأولى قبل المهام المذكورة سابقا هي: «إنشاء آليات لخلق حبّ من نوع خاصّ بين الطّالب واللّغة العربيّة (...) فبدون هذا الحبّ لا يمكن للمواطن أن يكون صادقا في خدمة لغته.»[25]

يمكن الوصول إلى نتائج إيجابيّة بهذه الطّريقة البيداغوجيّة في تعليم اللّغة العربيّة الفصيحة لطّلبة الإعلام والاتّصال، ويمكن إضافة إلى هذا الأسلوب البيداغوجيّ عنصر الإغراء قصد تحفيزهم على تعلّم اللّغة وحبّها، خاصّة عند أولئك الذين لديهم الرّغبة الشّديدة في العمل في مجال الإعلام المرئيّ، من ذلك أن نغرس في أذهانهم، أنّ العمل في مجال المرئيّات عمل يتطلّب كفاءة لغويّة جيّدة، والسّبب في ذلك أنّ أغلب

القنوات المرئيّة هي قنوات فضائيّة، بحيث أنّه سيتسنى للملايين من المشاهدين في العالم العربيّ وغيره من متابعتهم، إذا ما تمكّنوا من التّقديم الجيّد: لغة وإلقاءً، ولأنّ «ما يلاحظ في السّنوات الأخيرة أنّ دور الإذاعة قد تناقص في استقطاب المستمعين ويضاف إلى ذلك الاهتمام المتزايد بالتّلفزيون، فهو يعدّ أكبر منافس للإذاعة خاصّة بعد تطوّر الإرسال عبر الأقمار الصّناعيّة، وانتشار ظاهرة الفضائيّات،»[26] فكما يتطلّب من المقدّم على شاشة التّلفزيون؛ أن يكون في صورة حسنة يبتهج لها المستقبلون كذلك يتطلّب منه أن يكون مستقيم اللّسان، حسن الصّوت، فصيح اللّغة، حتّى يستقطب أنظارهم وسمعهم[27].

4 – أمن اللّبس:[28] وهو الابتعاد عن الكلام الذي قد يلتبس على المتلقّي؛ لأنّ الغايّة القصوى من اللّغة هي التّفاهم، أيّ أنّنا «نتكلّم (...) لبيان أفكارنا وإيصالها إلى فهم السّامع، ولا بدّ لنا في هذا من استعمال الجمل؛ فإنّها صور للفكر خطابا وكتابة ذلك لأنّ الجملة تحتوي على شيئين: ألفاظ منسوقة على ترتيب مخصوص، ومعان تقابل تلك الألفاظ، ودلّ عليها بها.»[29] لقد جُعل النّظام اللّغويّ للإفادة أيّ لتبليغ أغراض المتكلّم للمستمع فهو آلة للتّبليغ وجوهره[30]، ومن شروط الإفادة عدم اللّبس في كلّ عمليّة تواصليّة خاصّة أثناء التّواصل الشّفاهيّ؛ «فاللّغة تبقى لغة سواء ظهرت كلاما أم كتابة،»[31] ما دامت تؤدّي وظيفتها.

5 – تفادي اللّحن: إنّ اللّحن إذا أصاب اللّغة يؤدّي إلى إخلال بالمعنى المراد، ولم تحظ كلّ مظاهر اللّحن الصّرفيّة أو النّحويّة أو التّركيبيّة أو الدّلاليّة عند علماء اللّغة العربيّة قديما وحديثا بقبول منهم؛ بل استنكروا ظاهرة اللّحن وشدّدوا عليها، وحكموا بالخطأ على كلّ ما يخالف الفصحى.

يجب على رجال الإعلام أن يعملوا ما في وسعهم لإصلاح لغتهم التي فسدت بسبب اللّحن، ولا بدّ من تحرّي الصّواب والعدول عن الخطأ، وتفاديا للظّاهرة عند الصّحافيّين يلزم على العلماء المختصّين وضع كتب يستفيد منها العاملون في هذا القطاع؛ وتسمّى

هذه العمليّة التّنقيّة اللّغويّة[32]، ولا بدّ من أخذ هذه القضيّة اللّغويّة مأخذ الجدّ حتّى تصان اللّغة من كلّ لحن يشوّه جمالها أثناء الأداء الشّفهيّ، أو الكتابة الإعلاميّة.

6- ضبط الكلمات بالشّكل التّامّ تفاديا للّبس والغموض: تعتبر آليّة ضبط الكلمات بالشّكل، إجراء لغويّا لمساعدة مقدّمي البرامج التّلفزيّونيّة، حتّى يتفادوا الوقوع في الأخطاء اللّغويّة أمام المتلقّي الذي تُلْقَى على مسامعه الكلمات مليئة بالأخطاء، ولا تضبط أواخرها ضبطا صحيحا، وهو ما يعدّ خطأ في الإعراب، ومخالفة وجه الصّواب في النّحو، ولا تضبط صحّتها في بنيّتها ككلّ؛ كما نصّت عليه المعاجم العربيّة، فيميل الكلام عن وجهه الصّحيح، ويخرج عن الاستعمال العربيّ الفصيح، ويخالف بذلك وجه الصّواب في الصّرف، وهو ما اعتبر لحنا في العربيّة عند القدماء والمحدثين[33]. ولتفادي ذلك كلّه لا بدّ من علاج لغويّ؛ يمكّن الصّحافيّ من تفادي الخطأ النّحويّ والصّرفيّ الذي يرتكبه ويشوّه به فصاحة العربيّة.

يتمثّل العلاج أساسا في ضبط الكلمات بالشّكل الصّحيح؛ حتّى ينطق مقدّم البرنامج «الكلمات الفصيحة على الشّكل الذي ينطق به الفصحاء؛ أيّ دون تحريف أو تحوّل في حركات الكلمة، وسكناتها، وتشديدها، والخروج بها عن قواعد علم الصّرف، وقوانين اللّغة.»[34] وحتّى تُضْمَن صحّة العمليّة، وسلامة اللّغة؛ يستوجب في هذه الحالة أن يكلّف خبراء في اللّغة؛ من أساتذة وباحثين ذوي الاختصاص[35]؛ بضبط شكل النّصوص الإعلاميّة كلمة كلمة، وأن يتوخوا الجدّيّة التّامّة في الأمر؛ كي تتلّقاها مسامع المشاهدين صحيحة، وتتعلّم منها الصّواب لتجنّب الخطأ، ولو اعتُمِدَ هذا المنهج لصارت وسائل الإعلام كلّها؛ مؤسّسة تعليميّة مساعدة للمدرسة والمسجد وغيرها من المؤسّسات التي تعلّم الأجيال اللّغة العربيّة الفصحى.

7 – وضع مراجع لغويّة ومعاجم للّغة الإعلام: يمكن أن تقوم وسائل الإعلام عامّة بدور مهمّ في تعليم اللّغة العربيّة، فتشارك بذلك في حركة تطوير اللّغة الفصحى واستمالة الجماهير إلى استعمالها صحيحة، وتوظيف كلماتها الفصيحة في الاستعمال العربيّ اليوميّ، فبدلا أن تقتحم العاميّة الفصحى، تصبح العمليّة عكسيّة، بحيث تتخلّل

الفصحى العاميّة، كما نلاحظه في كثير من الأحيان عند الأطفال الصّغار، وهم يتحدّثون بكلمات فصيحة في الشّارع أثناء اللّعب؛ مقلّدين بذلك أبطال أفلام الرّسومات المتحرّكة؛ التي يدمنون على مشاهدتها، وقد يحصل الأمر نفسه مع بقيّة فئات المجتمع إذا ما اجتهدت وسائل الإعلام، وأصرّت في اجتهادها على توظيف اللّغة العربيّة الفصيحة السّليمة من الأخطاء فيما تقدّمّه يوميّا من موادّ إعلاميّة متنوّعة، لكن من يكفل لهذه الخطوة بالنّجاح والوصول إلى المبتغى المنشود؟ لأنّه لا بدّ من دافع مشجّع ومحفّز على ذلك.

إنّ أهمّ وسيلة لتحقيق الهدف؛ هو وضع مراجع لغويّة في مؤسّسات الإعلام؛ تحمل بين أوراقها لغة عربيّة معاصرة سهلة؛ يستفيد منها العاملون في القطاع، بحيث يعودون إليها، كلّما احتاجوا إلى ترقيّة لغتهم، وتمكين السّنتهم وأقلامهم من الفصاحة والنّقاء اللّغويّ، وتكون لهم القدرة على اكتساب الأسلوب الإعلاميّ، «باستخدام كلمات يغلب عيها طابع الألفة والمودّة والبساطة، وعدم التّكلّف كمن يتحدّث إلى شخص يعرفه فالأسلوب في الإعلام (...)؛ يعني شخصيّة الإعلاميّ، وهو ما يقابل البلاغة في الكتابة، حيث بناء الجملة، فاختيار الألفاظ»[36]. فمن الضّروريّ أن يبقى الإنسان مهما كان مجال عمله؛ مرتبطا بالمطالعة اليوميّة، خاصّة فيما يتعلّق بمجال تخصّصه حتّى يواكب الرّكب الحضاريّ السّريع.

يضاف إلى المراجع اللّغويّة، وضع معاجم خاصّة بلغة الإعلام، لأنّها وسيلة مجديّة لتصويب، «وتقليل الأغلاط التي يقترفها كثير من الإعلاميّين، وتحبيب الفصحى إلى الباثّ والمستقبل، بإثبات صحّة مئات الكلمات التي زعموا أنّها من أخطاء العامّة وبذلك نردم قليلا من الهوّة التي تفصل بين الفصحى والعاميّة، ونزيل خوف بعض النّاس من الفصحى؛ لنجعلهم يدنون منها، ويأنسون بها، ونرفع ذلك الحجاب الأسود الكثيف الذي أسدلوه على وجهها، لتبهر عيونهم أنوارُها، ويسحر ألبابَهم جمالُها»[37]. ويأتي دور المجامع اللّغويّة العربيّة؛ لكي توفّر لهذا القطاع مثل هذه المعاجم، وذلك بتكليف لجنة من المختصّين لتأليف «معاجم حديثة شاملة ودقيقة؛ تثبت فيها المولّد

والمعرّب والدّخيل وتشرف على طباعته، لتخرج للإعلاميّين دون خطأ لغويّ أو طباعيّ، كما هو واقع في معجمات الغرب وكتبه.»[38] والهدف من ذلك هو الحفاظ على سلامة اللّغة العربيّة وجعلها تفي بمطالب الإعلاميّين، ومجاراة اللّغات الأخرى في الاتّساع والتّطوّر.

8 – **اعتبار العربيّة كغيرها من اللّغات لغة علميّة وعالميّة:** من المؤسف أن ينظر أهل اللّغة العربيّة إلى لغتهم؛ أنّها لغة عاجزة عن مسايرة التّقدّم العلميّ، أو أن يعتبروها لغة لا تستحقّ أن توصف بالعالميّة، وهو أمر يسعى أعداء العربيّة من العرب، وغيرهم من الأجانب إلى ترويجه بين صفوف النّاشئة، وغرسه في نفوسهم وجعلهم ينفرون منها ومن تعلّمها، والحديث بها، حتّى في أبسط المعاملات اليوميّة وأنّها لغة عاجزة عن الوفاء بالحاجات التّعبيريّة للمجتمع، والنّظر إليها نظرة دونيّة متناسين عمدا تاريخها الحضاريّ، وكيف أنّ العديد من الأمم تعلّمتها قصد الاستفادة من علومها ومؤلّفاتها التي كانت تزخر بها، وقصد التّقرّب منها سياسيّا، وكسب ودّها ونصرتها.

إنّ الأمر فيه تجنّ على العربيّة «إنّ العربيّة كغيرها من اللّغات كفيلة بإعداد أهلها بما يحتاجون إليه من وسائل التّعبير، وما داموا يتحاورون بها، ويحاولون تنشيطها وتفعيلها بتقديم الزّاد لها من بنات أفكارهم، ومكنون أنفسهم، وحصول معارفهم»؛ فإنّها تصبح قادرة على مواكبة التّطوّر العلميّ، والعودة إلى احتلالها المكانة العالميّة التي كانت تميّزت بها في عصرها الذّهبيّ، لأنّ اللّغة العربيّة «تتعدّد جوانب الثّراء فيها ولا بدّ أن ينعكس ذلك على قدرتها، وتنوّع مستوياتها، وبالتّالي وظائفها، ومن هذا التّعدّد والتّنوّع تتجلّى أهميّتها في مجتمعاتنا العربيّة؛ لا سيما إذا نظرنا إلى هذه الأهميّة في ظلّ مناخ ينادى فيه بالعولمة أو الكونيّة»[39].

9 – مواجهة التّحدّيات التي تعيق انتشار اللّغة العربيّة الفصحى: تواجه اللّغة العربيّة الفصحى تحدّيات كثيرة؛ تكاد تكون السّبب المباشر في الحدّ من انتشارها على أوسع نطاق، منها: استعمال العاميّة، والتي يتمّ بواسطتها «تشجيع المحكيّات المحليّة

ونشر أخطاء اللّغة، وتثبيتها في الأذهان، وعلى الألسنة، ويكرّس الحالات الانفصاليّة بين أقطار الأمّة العربيّة»[40]. ومنها أيضا مزاحمة اللّغات الأجنبيّة لها في عقر دارها.

تتعمّد الكثير من القنوات الفضائيّة – مثلا – النّاطقة بالعربيّة؛ استعمال اللّغة المحلّيّة في تقديم برامجها، ومنها نشرات الأخبار التي تعوّد المشاهد العربيّ في زمن مضى متابعتها بلغة عربيّة فصحى بسيطة، سهلة الفهم للجميع، ومع تطوّر الإعلام، واستعانته بالتّطوّر التّكنولوجيّ، والبثّ عبر الأقمار الصّناعيّة، بدلا أن يتطوّر استعمال الفصحى وتصبح وسائل الإعلام «أداة رئيسيّة ومهمّة لتعليم اللّغة العربيّة وترقيّتها ونشرها؛»[41] أخذت منعرجا آخر غير متوقّع، بحيث أصبح «بمثابة معول ينسفها ويمسحها من الوجود،»[42] باستبداله للفصحى بالعاميّة، وإحلاله محلّها، وسبب ميل الإعلاميّين إلى استخدام الألفاظ أو العبارات العاميّة؛ هو الرّغبة في التّقرّب من المشّاهد، واستمالتّه وجذبه، فهم يبسّطون لغتهم بما هو مألوف في الحياة اليّوميّة، وهو أسلوب أصبح منتشرا في الأعمال اليّوميّة التي يقبل عليها المتلقّي[43]، والمؤسف أنّه يطال أغلب الأخبار والبرامج المقدّمة سياسيّة كانت أو اقتصاديّة أو فنيّة أو ترفيهيّة[44].

بالإضافة إلى العاميّة؛ نجد أيضا تأثّر لغة الإعلام العربيّ باللّغات الأجنبيّة، ونتج هذا عن طريق التّرجمة والأخبار الخارجيّة، فتواردت عليها في البدايّة المصطلحات الأجنبيّة التي لم توجّه إلى هياكل مختصّة في التّرجمة، كي تترجم ترجمة مناسبة، أو تعرّب، أو تمحور بشكل يناسب النّظام اللّغويّ للعربيّة، وإنّما نقلها الإعلاميّون أحيانا بشكل مباشر كما هي، وأحيانا أخرى بشكل لا يليق بالصّياغة العربيّة، وتوسّع التّأثر باللّغة الأجنبيّة فلامس الكلمات المفردة، ثمّ التّركيب، ثمّ الأساليب، وانتشرت بعدها على ألسنة الجماهير العربيّة، فأصبحت لغة يوظّفها العامّ والخاصّ في أحاديثهم اليوميّة[45].

يرى الكاتب محمّد حسن عبد العزيز أنّ طريقة الإعلاميّين في ترجمة اللّغة الأجنبيّة وإقحامها بشكل لا يخضع للضّوابط التي حدّدتها قواعد اللّغة العربيّة ونظامها يمثّل خطرا على أساليب اللّغة العربيّة، بحيث يقول: «إنّ شيوع هذه الظّواهر في لغة

الصّحافة، وما ينبني على ذلك من شيوعها في لغة الصّحافة المعاصرة؛ ينطوي على خطر كبير يتهدّد الأسلوب العربيّ في التّركيب اللّغويّ للجملة (...)، وأنّه يطرد استخدامها ويتزايد تأثيرها بل تزيح كثيرا من الأساليب العربيّة التي يمكن أن تؤدّي مؤدّاها، ولا بدّ من التّنبيه إلى هذا الخطر؛ إيمانا باللّغة القوميّة التي نتكلّمها، ونكتب بها، ونعلّمها لطلابها، وحرصا على أن تكون هذه اللّغة خالصّة ممّا يشوبها من آثار اللّغات الأخرى؛ محتفظة بخصائصها معبّرة عن الفكر العربيّ بالأسلوب العربيّ النّقي»[46].

خاتمة: إذا أردنا تحقيق إعلام ناجح على المستوى اللّغويّ، ومستوى الأداء والإلقاء والتّأثير، ومستوى مضمون الرّسائل الإعلاميّة المفيدة في بناء أفراد صالحين للمجتمع وتطوير حضارة، وصناعة أمّة؛ لا بدّ من تكاتف وتضافر جهود الجميع على جميع الأصعدة، تتقدّمها الإرادة السّياسيّة الرّاغبة – فعلا – في تحسين أوضاع الأمّة، وتتبعها الإرادة الشّعبيّة في التّحلّي بقابليّة التّغيير إلى الأحسن.

قائمة المصادر والمراجع:

أ – الكتب:

1 – أثر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئيّة في اللّغة العربيّة، د. جابر قميحة، من إصدارات نادي المدينة المنوّرة الأدبيّ، د ط، 1418ه.

2 – أخطاء اللّغة العربيّة المعاصرة عند الكتاب والإذاعيّين، د. أحمد مختار عمر، النّاشر: عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1993م.

3– أسس إعداد موادّ تعليم اللّغة العربيّة وتأليفها، د. محمود كامل النّاقة، كتاب اللّغة العربيّة إلى أين؟ منشورات المنظّمة الإسلاميّة للتّربيّة والعلوم والثّقافة إيسيسكو، د ط، 1426ه– 2005م.

4– أضواء على الدّراسات اللّغويّة المعاصرة، د. نايف خرما، الكويت، عالم المعرفة، د ط 1978م.

5 – إنتاج اللّغة الإعلاميّة، محمود خليل، محمّد منصور وهبة، جامعة القاهرة، مركز التّعليم المفتوح، 2002م.

6 – إنتاج اللّغة العربيّة في النّصوص الإعلاميّة، د. محمود خليل، د. محمّد منصور هيبه مركز جامعة القاهرة للتّعليم المفتوح، القاهرة، 2002م.

7 – الحصيلة اللّغويّة: أهميّتها – وسبل تنميتها، د. أحمد محمّد المعتوق، الكويت، عالم المعرفة د ط، 1996م.

8 – اللّحن في العربيّة، تاريخه وأثره، د. يوسف أحمد مطوّع، المطبعة العصريّة، الكويت، د ط د ت.

9 – اللّغة الإعلاميّة، المفاهيم – الأسس – التّطبيقات، د. سامي الشّريف، د. أيمن منصور ندا د ط، 2004م.

10 – لغة الصّحافة المعاصرة، د. محمّد حسن عبد العزيز، النّاشر: دار المعارف، القاهرة، د ط، د ت.

11 – اللّغة والمعنى والسّياق، جون لاينز، ترجمة: د. عبّاس صادق الوهاب، مراجعة: د. يوئيل عزيز، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة للطّباعة والنّشر، العراق، ط1، 1987م.

12 – مختارات من الشّعر والنّثر، د. محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعيّة، الأزريطة، د ط، 2003م.
13 – معجم الأخطاء الشّائعة: معجم يعالج الأخطاء اللّغويّة الشّائعة، ويبيّن صوابها مع الشّرح والأمثلة، محمّد العدنانيّ، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1973م.
4 – المهارات اللّغويّة ماهيتها أو طرق تنميتها، أحمد فؤاد عليان، دار السّلام، الرّياض، د ط.
15 – عثرات اللّسان في اللّغة، عبد القادر المغربيّ، المطبعة الهاشميّة، دمشق، د ط، 1369ه – 1948م.
16 – فنّ الكتابة الصّحيحة: قواعد الإملاء– علامات التّرقيم – الأخطاء اللّغويّة الشّائعة – لغة الإعلانات الصّحفيّة – مختارات من الشّعر والنّثر، د. محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعيّة، الأزريطة، د ط، 2003م.
17 – نظريّة النّحو العربيّ في ضوء مناهج النّظر اللّغويّ الحديث، د. نهاد الموسى، دار البشير، عمّان، الأردن، ط2، 1987م.

ب – **المقالات:**

18 – دور وسائل الإعلام في تعميم اللّغة العربيّة في الجزائر، أ. حسين قادريّ، مجلّة العلوم الإنسانيّة، جامعة محمّد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد الخامس، فيفري 2004م.

الهوامش:

[1] – معجم الأخطاء الشّائعة: معجم يعالج الأخطاء اللّغويّة الشّائعة، ويبيّن صوابها مع الشّرح والأمثلة، محمّد العدنانيّ، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1973م، ص: 07.

[2] – اللّغة الإعلاميّة، المفاهيم – الأسس – التّطبيقات، د. سامي الشّريف، د. أيمن منصور ندا، د ط، 2004م، ص: 34.

[3] – المرجع نفسه، ص: 07.

[4] – ينظر تفصيل كلّ قسم من أقسام النّثر في كتاب: المهارات اللّغويّة ماهيّتها أو طرق تنميتها أحمد فؤاد عليان، دار السّلام، الرّياض، د ط، ص: 145.

[5] – ينظر: إنتاج اللّغة الإعلاميّة، محمود خليل، محمّد منصور وهبة، جامعة القاهرة، مركز التّعليم المفتوح، 2002م، ص: 33.

[6] – أثر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئيّة في اللّغة العربيّة، د. جابر قميحة، من إصدارات نادي المدينة المنوّرة الأدبيّ، د ط، 1418ه، ص: 78.

[7] – المهارات اللّغويّة ماهيتها أو طرق تنميتها، أحمد فؤاد عليان، ص: 35.

[8] – اللّغة العربيّة في الإعلام بين الواقع والمأمول، محمّد أبو الوفا عطيطو أحمد، شبكة الألوكة عبر الأنترنيت، www.google.com، ص: 43 – 44.

[9] – اللّغة العربيّة في الإعلام بين الواقع والمأمول، محمّد أبو الوفا، ص: 12.

[10] – وهذا يتعلّق بدلالة الألفاظ داخل النّصّ الإعلاميّ، التي ينبغي أن تكون واضحة بالنّسبة للمتلقّي؛ ليتمّ إيصال الرّسالة، ومن هذا يأتي أثر الإعلام في تطوّر اللّغة، وتغيّر دلالة الألفاظ. – لغة الإعلام العربيّ، دة. فاديّة المليح الحلواني، مجلّة جامعة دمشق، المجلّد الثّالث، العدد الثّالث 2015م، ص: 14.

[11] – اللّغة العربيّة في الإعلام بين الواقع والمأمول، محمّد أبو الوفا، ص: 39.

[12] – معجم الأخطاء اللّغويّة، محمّد العدنانيّ، ص: 05.

[13] – لغة الإعلام العربيّ، فاديّة المليح الحلواني، ص: 18 – 19.

[14] – اللّغة الإعلاميّة، سامي الشّريف، ص: 165.

[15] – المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[16] – ينظر: المرجع نفسه، ص: 170 – 171.

(17) – اللّغة العربيّة والإعلام، د. محمّد حسان الطّيّان، المؤتمر الدّوليّ الثّاني للّغة العربيّة، دبي 07 – 10 مايو 2013م، ص: 16.

(18) – ينظر: الحصيلة اللّغويّة: أهميّتها – وسبل تنميتها، د. أحمد محمّد المعتوق، الكويت، عالم المعرفة، د ط، 1996م، ص: 39 – 40.

(19) – أسس إعداد موادّ تعليم اللّغة العربيّة وتأليفها، د. محمود كامل النّاقة، كتاب اللّغة العربيّة إلى أين؟ منشورات المنظّمة الإسلاميّة للتّربيّة والعلوم والثّقافة إيسيسكو، د ط، 1426ه – 2005م ص: 10.

(20) – ينظر: أضواء على الدّراسات اللّغويّة المعاصرة، د. نايف خرما، الكويت، عالم المعرفة، د ط 1978م، ص: 36.

(21) – الاكتساب اللّغويّ والإعلام، د. عبد المجيد عيسانيّ، مجلّة الأثر، جامعة قاصديّ مرباح ورقلة، الجزائر، العدد التّاسع، ماي 2010م، ص: 110.

(22) – أزمة اللّغة العربيّة في كلّيّات الإعلام والاتّصال: بين غياب التّخطيط في التّكوين الإعلاميّ ورهانات سوق العمل –تجربة الجزائر أنموذجا–، أ. صليحة خلوفيّ، مقال منشور على صفحات الانترنيت، www.google.com، ص: 10.

(23)– الإعلام واللّغة، د. محمّد عبد المطّلب، فضاء أوروك، 09 مارس 2013م .www.google. com

(24)– أزمة اللّغة العربيّة في كلّيّات الإعلام والاتّصال، صليحة خلوفيّ، ص: 10.

(25) – دور وسائل الإعلام في تعميم اللّغة العربيّة في الجزائر، أ. حسين قادريّ، مجلّة العلوم الإنسانيّة، جامعة محمّد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد الخامس، فيفري 2004م، ص: 89.

(26) – المرجع نفسه، ص: 87.

(27) – يرى عيساوي عبد الرّحمن في كتابه: بأنّ التّلفزيون معجزة العصر الحالي، إذ بواسطته يمكن نقل الصّورة والصّوت والحركة واللوّن إلى المشاهدين. – الآثار النّفسيّة والاجتماعيّة للتّلفزيّون العربي دار الشّروق للنّشر والتّوزيع والطّباعة، جدّة، ط1، 1985م، ص: 99. نقلا عن المرجع السّابق ص: 88.

(28)– اللّبس في اللّغة هو الاختلاط بين الشّيئيين الملتبس أحدهما بالآخر؛ ممّا يؤدي إلى الإشكال في فهم الكلام الملتبس بغيره، أو الكلمة الملتبسة بغيرها، قال ابن منظور: «اللُّبس بالضمّ: مصدره قولك لبست الثّوب، واللَّبس بالفتح: مصدر قولك لبست عليه الأمر، اختلط... يقال: لبست الأمر

على القوم ألبسه؛ إذا شبّهته عليهم، وجعلته مشكلا، واللَّبس: اختلاط الظّلام، وفي الحديث لُبْسَةٌ بالضّمّ: أيّ شبهة ليس بواضح.» – لسان العرب، أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم بن منظور الأنصاريّ الخزرجيّ المصريّ، من إصدارات وزارة الشّؤون الإسلاميّة والأوقاف والدّعوة والإرشاد المملكة العربيّة السّعوديّة، د ط، د ت.، ج 08، مادّة: لبس. ولا يبتعد مفهوم اللّبس اصطلاحا عن مفهومه لغة؛ بل هناك اتّفاق بين المفهومين؛ فاللّبس في الاصطلاح هو حصول إشكال في الكلمة أو الكلام يؤدّي إلى عدم الفهم، أو سوء الفهم، ولذلك فهو ممنوع أبدا لمنافاته القصد من وضع اللّغة لأنّها وضعت لغرض الإفهام. قال السّيوطيّ: «اللّبس محذور.» – الأشباه والنّظائر في النّحو، جلال الدّين، تحقيق: أحمد مختار الشّريف، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة، دمشق، 1407ه – 1987م ج 01، ص: 270.

(29)–الخواطر الحسان في المعاني والبيان، جبر ضومط، طبعة التّأليف (الهلال)، مصر، د ط 1896م، ص: 09.

(30)– ينظر: نظريّة النّحو العربيّ في ضوء مناهج النّظر اللّغويّ الحديث، د. نهاد الموسى، دار البشير، عمّان، الأردن، ط2، 1987م، ص:87.

(31)– اللّغة والمعنى والسّياق، جون لاينز، ترجمة: د. عبّاس صادق الوهاب، مراجعة: د. يوئيل عزيز، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة للطّباعة والنّشر، العراق، ط1، 1987م، ص: 26.

(32)– ينظر: اللّحن في العربيّة، تاريخه وأثره، د. يوسف أحمد مطوّع، المطبعة العصريّة الكويت، د ط، د ت، ص: 128.

(33) – «يقول مصطفى صادق الرّافعي: ما ذلّت لغة شعب إلاّ ذلّ، ولا انحطّت إلاّ كان أمره إلى ذهاب وإدبار، ومن هنا يفرض المستعمر الأجنبيّ على الأمّة المستعمرة لغته، ويركبهم بها ويشعرهم عظمته فيها، ويستلحقهم من ناحيّتها؛ فيحكم عليهم ثلاثة أحكام في عمل واحد: أمّا الأوّل فالحكم بحبس لغتهم في لغته سجنا مؤبّدا، وأمّا الثّاني فالحكم بالقتل على ماضيهم محوا ونسيانا وأمّا الثّالثّ فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها لهم، فأمرهم من بعدها لأمره تَبَعٌ.» – فنّ الكتابة الصّحيحة: قواعد الإملاء– علامات التّرقيم – الأخطاء اللّغويّة الشّائعة – لغة الإعلانات الصّحفيّة – مختارات من الشّعر والنّثر، د. محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعيّة الأزريطة، د ط 2003م، ص: 120.

(34) – عثرات اللّسان في اللّغة، عبد القادر المغربيّ، المطبعة الهاشميّة، دمشق، د ط، 1369ه – 1948م، ص: 06.

(35) – قد يتساءل البعض لم الاستعانة بأهل الاختصاص في اللّغة في مجال الإعلام؟ والجواب: لأنّ المتخرّجين من كلّيّة الإعلام والاتّصال، والمستفيدين من العمل كإطارات في الإعلام؛ تمّ تكوينهم في الجامعة تكوينا بغير العربيّة، فإمّا أنّهم درسوا باللّغة الأجنبيّة، وإمّا تعلّموا بلّغة عربيّة غير سليمة فيها تداخل لغويّ بين العربيّة والأجنبيّة والعاميّة.

(36) – اللّغة الإعلاميّة، سامي الشّريف، ص: 74.

(37) – معجم الأخطاء الشّائعة، محمّد العدنانيّ، ص: 12.

(38) – المرجع نفسه، ص: 08، بتصرّف.

(39) – إنتاج اللّغة العربيّة في النّصوص الإعلاميّة، د. محمود خليل، د. محمّد منصور هيبه مركز جامعة القاهرة للتّعليم المفتوح، القاهرة، 2002م، ص: 17.

(40) – لغة الإعلام العربي، فاديّة المليح حلواني، ص: 12.

(41) – الفصحى المعاصرة في وسائل الإعلام، خلوفي صليحة، مقال في كتاب: لغة الصّحافة تأليف مجموعة من الباحثين، إشراف: د. صالح بلعيد، الأمل للطّباعة والنّشر والتّوزيع، تيزي وزو، الجزائر ط2، 2011م، ص: 114.

(42) – المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

(43) – ينظر: لغة الصّحافة المعاصرة، د. محمّد حسن عبد العزيز، النّاشر: دار المعارف، القاهرة د ط، د ت، ص: 61.

(44) – إن ما أبداه سليمان ياقوت من تخوّف؛ والمتمثّل في استفحال العاميّة في الوسط الإعلامي وخشيته أن تطال كلّ البرامج قد حصل فعلا في السّنوات الأخيرة، قال: «إلى جانب انتشار الخطأ حين استعمال اللّغة، صارت العاميّة التي تحمل داخلها الكثير من الألفاظ غير العربيّة؛ هي لغة الخطاب اليومي في الإذاعة المرئيّة، والإذاعة المسموعة، وأصبحت بعض الصّحف العربيّة؛ تنشر بعض الإعلانات المكتوبة باللّهجات المسموعة (...) وأخشى أن يأتي اليوم الذي نستمع فيه إلى نشرات الأخبار، وهي تقدّم بالعاميّة.» – فن الكتابة الصّحيحة، ص: 210.

(45) – ينظر تفصيل ذلك في المرجع السّابق، من صفحة 42 إلى صفحة 60.

(46) – المرجع نفسه، ص: 60.

اللغة العربية ودورها
في تعزيز الانتماء القومي في ظل العولمة

أ. جمعة مصاص

أ. نعيمة شلغوم

جامعة عباس لغرور، خنشلة.

ملخّص: يعد المعطى اللغوي أهم الأسس التي تقوم عليها صناعة الحضارة؛ إذ تمثل اللغة الركيزة الأساسية والفعالة لتعزيز الانتماء القومي في ظل العولمة، هذه الأخيرة باتت تخترق الحواجز وتتوغل في خصوصيات البلدان والشعوب لتفرض توجه الأقوى وسياسته في ظل عالم لا مكان فيه للضعيف.

ولعل المتتبع لمسار اللغة العربية يقر بمدى التنوع والتجديد الذي تحظى به والدور الفعال المنوط بها في تعزيز الانتماء الإسلامي والقومي جسدته المكانة الهامة لهذه اللغة على الساحة الدولية

إن ما تسعى إليه مداخلتنا الموسومة" **اللغة العربية و دورها في تعزيز الانتماء القومي في ظل العولمة**"، هو التأكيد على أن اللغة هي مصداق الهوية و الانتماء القومي للأمم و الشعوب و وعاء ثقافتها و عماد وحدتها ، و حصنها المنيع من شتى أشكال الاختراق و الغزو ، و ذلك من خلال عرض واقع والتركيز على دور اللغة العربية في استنهاض الانتماء القومي و دعم التماسك الاجتماعي والحفاظ عليه في مواجهة بعض التحديات المحدقة التي تحاصرها في العصر الراهن و أهمها خطر العولمة و ما لها من تأثير، وهذه الخطورة لا تأتي على الهيمنة الثقافية التي تنطوي عليها العولمة فحسب، وإنما على الآليات والأدوات التي تستخدمها لفرضها. وعليه فإن هذه المداخلة تسعى للتأكيد على ضرورة التمسك باللغة العربية وتعميق دورها ومكانتها في الحياة الثقافية العربية، فمن المؤكد أنها

ستبقى الدرع الواقية، والنبعة الصافية لشخصية الأجيال وهويتها القومية، وصاحبة الدور الأبرز والأهم في الحفاظ على الهوية القومية والاعتزاز بها لدى أبناء الوطن الواحد.

- الكلمات المفتاحية: **اللغة العربية، الانتماء القومي، الهوية، العولمة، الأمم**

- **Abstract :**Language is the most important basis for the civilization industry. Language is the main and effective pillar to promote national belonging in the context of globalization. The latter is breaking through barriers and penetrating the specificities of countries and peoples to impose the orientation of the strongest and its policy in a world where there is no place for the weak.

Perhaps the observer of the course of the Arabic language recognizes the extent of diversity and renewal it enjoys, and the active role assigned to it in the promotion of Islamic and national belonging embodied in the important place of this language on the international arena

What our intervention, entitled “The Arabic Language and its Role in Promoting National Belonging in the Globalization”, seeks to emphasize that the language is the credibility of the identity and national belonging of nations and peoples, the foundation of its culture and the foundation of its unity, and its immune fortress of various forms of penetration and invasion. Through the presentation of reality and focus on the role of the Arabic language in the promotion of national belonging and support social cohesion and maintain in the face of some of the challenges facing it in the current era, the most important risk of globalization and its impact, and this risk does not come to cultural hegemony Involved in globalization not only Mechanisms and tools that you use to impose. Thus, this intervention seeks to emphasize the need to adhere to the Arabic language and deepen its role and place in the Arab cultural life, it will certainly remain the protective shield, and the net spring of the character of generations and national identity, and has the most important and most important role in the preservation of national identity and pride in the people of one nation.

Keywords: Arabic language, nationality, identity, globalization, nations

المداخلة: يعد المعطى اللغوي أهم الأسس التي تقوم عليها صناعة الحضارة؛ إذ تمثل اللغة الركيزة الأساسية والفعالة لتعزيز الانتماء القومي في ظل العولمة، هذه الأخيرة باتت تخترق الحواجز وتتوغل في خصوصيات البلدان والشعوب لتفرض توجه الأقوى وسياسته في ظل عالم لا مكان فيه للضعيف.

تعد اللغة الظاهرة التي تميز الإنسان عن باقي المخلوقات؛ والوسيلة التي هيأت له تكوين المجتمعات البشرية وتشييد الحضارات. اللغة العربية باعتبارها من دعائم الثقافة وشريان الحضارة العربية الإسلامية، اكتسبت قوتها من القرآن الكريم وبقيت محافظة على عنفوانها بفضل الملايين من المسلمين الذين ما فتئوا يرددون آيات القرآن الكريم ويتدارسونها بالعربية.

ولعل المتتبع لمسار اللغة العربية يقر بمدى التنوع والتجديد الذي تحظى به، لما تتميز بع عن غيرها من اللغات دفعت بها كي تكون لغة باقية تتأبى الاندثار في ظل الركائز التي تتبناها وأهمها تعزيز الانتماء الإسلامي والقومي جسدته المكانة الهامة لهذه اللغة على الساحة الدولية.

ولا يختلف اثنان **أن** اللغة العربية تمثل ثقلا هاما في المنظومة اللغوية العالمية فهي من أقدم اللغة وأرسخها، ينطق بها أكثر من 244 مليون نسمة، تجمع بلدانا عربية عديدة، في وطن واحد هو الوطن العربي بل وتطمح لمعانقة وتصدر العالم الإسلامي، وذلك اعتبارا للمرجعية الدينية التي تتمتع بها فهي لغة القرآن ولغة الدين الإسلامي الحنيف.

إن اعتماد العديد من الدول العربية لغة رسمية لها؛ تجعلها تحتل المرتبة الثالثة بين لغات العالم، والمرتبة السادسة من حيث عدد المتكلمين بها، والمرتبة الثامنة من حيث متغير الدخل القومي في العامل الاقتصادي.

وجدير بالذكر أن بلدانا كثيرة، تتخذ الحروف العربية وسيلة للغاتها منها: اللغة التركية والفارسية والماليزية والاندونيسية، ولأجزاء كثيرة من جنوب إفريقيا والحبشة وبلاد الأندلس والهند وبلاد آسيا والأفغان والبلقان[1].

فقد كانت اللغة العربية قديما تحتل مكانة الصدارة بين اللغات المشهورة، ينظر إليها العربي عامة والمسلم خاصة بشيء من التقديس والاحترام، وينظر إليها الغربي المنصف بشيء من الإعجاب والإكبار[2]، ناجم عن إعجاب بتنوعها وسعتها وزخمها وغزارة مصادرها وثراء معجمها، ولا عجب فهي لغة القرآن الكريم؛ بها تؤدى الكثير من الشعائر الدينية الإسلامية كالصلاة والحج والصوم...الخ. ورغم التحولات الكبرى التي مست العالم العربي خاصة، والإسلامي عامة إلا أن العربية لازالت صامدة أمام دعوات التغريب ونظريات التجريب التي ما فتئت تقتحم عرينها.

اللغة العربية والتحولات الكبرى في العالم (العولمة): شهد العالم في نهاية القرن الماضي تغيرا في موازين القوى وتراجعا واضحا للقارة العجوز عن الإمساك بمقاليد العالم، فانتهى بالتالي دور الزعامة الأوروبية ليحل محلها الزعامة الأمريكية في مشهد يشبه إلى حد بعيد تبادل الأدوار، فبرزت الولايات الأمريكية المتحدة كدركي للعالم تقوِّمُ من تشاء وتؤدب من تشاء، بفضل ما حققته من مكتسبات علمية ومنجزات تكنولوجية وشركات عامية عملاقة اكتسحت الساحة الاقتصادية..

والحقيقة أن العولمة Globalisation ليست وليد الحاضر بل هي نتيجة تطور تاريخي، استمر ردحا من الزمن ونتج عنه الدمج التدريجي للعالم في نظام عالمي واحد، لكن مفهوم العولمة بالذات لم يطلق على هذه الصيرورة إلا مع بداية الثمانينات من القرن الماضي، ثم شاع وذاع وأصبح متداولا من قبل العام والخاص خلال التسعينات، خاصة وقد وتزامن ذلك مع انهيار الاتحاد السوفياتي سنة 1989، فغدا المجال واسعا أمام الأحادية القطبية للسيطرة على العالم وتوجيهه حسب ما تراه القوى العظمى في العالم.

وقد مست العولمة Globalisation كل جوانب حياة الإنسان المعاصر، وعملت بجد على مسح وانتفاء الحدود والحواجز بين الأمم المختلفة؛ في طموح جامح

لسواد نظام عالمي جديد قائم على الثورة المعلوماتية المعتمدة على كم هائل من المعرفة والمعلومات، دون الأخذ بعين الاعتبار قيم الهوية والحضارة والثقافات والأعراف والحدود الجغرافية والتوجهات السياسية، وهو جوهر العولمة.

هذه الثورة التي اختص بها القرن الواحد والعشرون، تمكنت من تغيير النمطية السائدة في التفكير البشري والتعامل مع الموجودات، فكان من نتيجة ذلك أن ما تم تحقيقه خلال بضعة سنين يفوق ما حققته البشرية عبر آلاف السنين.

دور اللغة العربية في تعزيز قيم الانتماء القومي: تأتي القومية العربية لتعزز قيم الترابط والتلاحم بين الشعوب العربية في مشارق الأرض ومغاربها، سعيا لجعل العرب شعبا واحدا تجمعه اللغة والثقافة والتاريخ والجغرافيا والمصالح؛ وهو إيمان ترسخ عند العرب منذ القديم، بأنهم أمة عريقة، يصعب تلمس وإدراك بداياتها الأولى ، وهذا ما ظهر جلّيا من خلال افتخار العرب بجنسهم وانتمائهم؛ في الشعر العربي، وفي عهد الإسلام تجسدت القومية بشعور العرب بأنهم أمة متميزة ضمن الإسلام، وزاد هذا الشعور خلال العهد الأموي، حيث يؤمن القوميون العرب بالعروبة كعقيدة ناتجة عن تراث مشترك من اللغة والثقافة والتاريخ إضافة إلى مبدأ حرية الأديان. وأن الوحدة العربية هدف القوميين العرب[3].

إن الإيمان بالتكاتف القومي وبالوحدة والانتماء إلى أمة عظيمة يدفع الفاعلين من العرب والمسلمين نحو تجسيد الوحدة والعمل على التكتل في منظومة واحدة ذات أهداف مشتركة تسعى لترقية الفعل القومي، وهو بعد وجودي يتساوق بشكل واضح مع مبادئ الشريعة الإسلامية التي تمكنت من جمع شمل المسلمين تحت راية دين واحد هو الإسلام، فلم تخص بنور هديها أمة دون أخرى ولا إقليما دون غيره، بل خاطبت البرية أجمعين في كافة أصقاع الأرض، فكانت اللغة العربية هي اللغة التي اختارها الشارع للمسلمين، بها يتواصلون ويتفاهمون، لما تتسم به من البلاغة والفصاحة اللتين لا توجدان في غيرها من اللغات.[4]

ولغة الأمة في حقيقة الأمر هي "مصداق هويتها ونسغ حياتها ووعاء ثقافتها ومجلّى حضارتها ومرآة نهضتها، وحاضنة تراثها، وهي ذاكرة الأمة وتاريخها ووجود الأمة مرتبط بوجود لغتها"[5] لأن انقراض اللغة يعني زوال الأمة لا محالة فلا بقاء لها ما دامت لغتها قد تلاشت من الوجود.

من البديهي أن اللغة الأم هي اللغة الأولى التي يكتسبها الطفل تدريجيا في مراحل نموه الأوّلي، بها يتواصل ويناغي، فتترسخ في ذاكرته، وتغدو جزءا لا يتجزأ من كيانه وشخصيته، وتظل قائمة مهما تعلم لغات أخرى فيما بعد.

إنّ ارتباط اللغة العربية بالدين الإسلامي عزز قيم الانتماء القومي رغم الواقع العالمي المفتوح ، الأمر الذي يجعل من التمسك باللغة العربية وتطويعها ضرورة ملحة لخدمة متطلبات القومية العربية والإسلامية والتعامل معها كلغة حية قادرة على استيعاب شتى العلوم والمعارف، وتكييفها حسب معطيات العصر، ولا يتأتى ذلك إلا بالإيمان القوي بالهوية العربية، عن طريق توعية الأجيال الصاعدة لاستخدام الفصحى والتعامل بها عبر وسائل السمعي البصري، وفي المدارس والجامعات، والتوحد اللغوي هو الجامع للأقطار العربية والقاسم المشترك بينها يعضد التوجه نحو تحقيق كيان قوي مترابط العرى، قادر على مقاومة آثار العولمة ومغرياتها.

وتبدو العولمة في وجهها الآخر هي أسلوب حداثي للسيطرة على ثقافات الشعوب ولغاتها، وطمس هويتها وحضارتها، عبر العمل على إلغاء الحدود المعرفية والسيطرة على الأمم معرفيا وسياسيا.

ومن الرهانات التي تتعرض لها اللغة العربية هي توسع العولمة الثقافية اللغوية الأمريكية الأحادية الساعية إلى جعل الرجل العالمي في كل قطر يشبه الرجل العالمي الآخر، يتحدث الانجليزية، وبالتالي لا توجد هوية غير اللغة الهوية الانجليزية، سواء أكان التحدث بها كلغة أمٍّ، لغة ثانية، أم ثالثة. وهي حرب شرسة يقودها دعاة العولمة لمحاصرة اللغة العربية عبر منصات التواصل الاجتماعي

وعالم الانترنيت، تبث وصلات الإحباط لاستهداف الإنسان العربي في صميم هويته، عبر إقناعه بأنها لم تعد صالحة للعلم، وينبغي استبدالها باللغة الانجليزية على سبيل المثال لا الحصر.

ولا نبالغ إذا قلنا أنّ التغييب الذي تنتهجه العولمة، وتستهدف من خلاله الهوية يؤدي لا محالة إلى زعزعة أركان ومقومات القومية، الأمر الذي قد يؤدي إلى هشاشة الفرد ولا مبالاته إزاء القضايا التي تهم وطنه الصغير ووطنه الكبير، فيجد نفسه في عالم متسارع، غير فاعل في البناء الحضاري المعاصر الأمر الذي يحدث شرخا في هويته اللغوية والثقافية، وإحداث التأثير السلبي على استعمال اللغة العربية، ونشرها وتعليمها داخل البلاد العربية وخارجها[6].

ومن هنا فإن تبدو الحاجة ملحة للمحافظة على الهوية العربية التي تمثل خاصية اللغة ووظيفتها الأساسية، يقول الفيلسوف (فيخته): "إن الذين يتكلمون بلغة واحدة يشكلون كيانا ظاهرا متكاملا بروابط متينة وإن تكن غير مرئية"[7]

والحقيقة إن الهوية ليست آنية، ولا تولد مع الإنسان، بل نجدها تتشكل داخل كيانه، يستوعبها عقله، ويتواشج معها فكره، والمجتمع المؤثر في تشكل الهوية ليس المجتمع الحاضر، بل "الوسط الاجتماعي الذي يراه المرء ويتفاعل معه، إضافة إلى المجتمع التاريخي أو تاريخ الجماعة التي ينتمي إليها"[8].

مما سبق يمكن القول إنّ للغة العربية دورا بارزا في تعزيز الانتماء القومي في ظل العولمة عبر ميكانزمات عديدة، يأتي الاعتزاز بالانتماء إليها أبرز ثيماتها، وأن مستقبل اللغة العربية يأتي عبر التحكم في مقومات تواجه بها تحديات العولمة وذلك بالإيمان بقدرات اللغة العربية وكشف جوهر الخصائص اللغوية لها رغم كونها تعاني من محاصرة اللغات الأجنبية لها وعلى رأسها اللغة الانجليزية.

إن الناظر إلى مسار عالمية اللغة العربية في قارات العالم القديم يدرك أن كثيرا من المصطلحات وجدت طريقها إلى اللغة الانجليزية، وأن دخول الأرقام العربية المغربية إلى أوروبا، يعد إسهاما علميا أصيلا في النهضة الأوروبية، هذه النهضة

استفادت من النهضة العربية واستفادت من الدعوة الإسلامية إلى شعوب العالم كافة دون تمييز في الجنس أو اللون أو اللغة، واللغة الفصحى هي لغة أمة عظيمة العدد، متعددة الأوطان، منتشرة على مساحة كبيرة من رقعة العالم، فهي لغة الإسلام والدين الحنيف الذي يدين به مئات الملايين من البشر في مختلف بقاع العالم، وبه تقام شعائر الإسلام في كل بلد "[9]. وهو ديدن الإسلام منذ ظهوره رافعا شعار لا فرق بين أعجمي وعربي إلا بالتقوى والعمل الصالح.

وفي الختام لنا أن نقول:

- ✓ اللغة العربية من الثوابت الأساسية التي تنهض بها الأمة العربية، أن مواجهة تحديات العولمة يكون باعتناق وتوسم قدرات اللغة العربية.
- ✓ تيسير السبل لنشر اللغة العربية وتعليمها، لغير الناطقين بها من الشعوب الإسلامية الذين يتطلعون لتعلمها وهذا حماية للأمن الثقافي الحضاري للأمة العربية الإسلامية.
- ✓ مستقبل اللغة العربية مرتبط بمستقبل ناطقيها.
- ✓ مواجهة العولمة الثقافية باعتماد التقني الحديثة والمتطورة في تعليم اللغة العربية ونشرها عبر المواقع الالكترونية.
- ✓ الإيمان بقوة اللغة العربية وثرائها، وقدرتها على معانقة اللغات العالمية ومواكبة ركب الحضارة واستعمالها في الخطاب الاجتماعي والفكري خاصة في مواقع التواصل الاجتماعي.
- ✓ معالجة الأمية الرقمية على الأفراد والجماعات وانعكاس ذلك على مستوى الإبداع والتلقي.

المصادر والمراجع:

1- أحمد أنور سيد أحمد الجندي: اللغة العربية بين حماتها وخصومها، مكتبة المعارف القاهرة، ج.م.ع/ د.ط.

2-سعيد حسن بحيري: المدخل إلى مصادر اللغة العربية، مكتبة نور، القاهرة، مصر ط1، د.ت.

3- إبراهيم نافع: انفجار سبتمبر بين العولمة والأمركة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط1 /2002.

4- محمد بن سعيد العرفي: اللغة العربية رابطة الشعوب الإسلامية، مقال مقدم ضمن قضايا وحوارات النهضة العربية(28) المنشورة في كتاب (الفصحى والعامية) تحرير وتقديم: محمد كامل الخطيب، دمشق، منشورات وزارة الثقافة (2004).

5- محمد ضياء الدين خليل إبراهيم: اللغة العربية والتحديات المعاصرة- آثار ومتطلبات- مجلة الذاكرة تصدر عن مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، العدد التاسع، جوان 2017.

6- السيد، محمود. اللغة والهوية، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، م85، ج3.

7- معمر فيصل خولي: اللغة العربية: الهوية والانتماء ، موجود على الرابط التالي:

https://rawabetcenter.com/archives/1995

8- https://ar.wikipedia.org/wiki/ وكيبيديا تمت الزيارة يوم 2019/11/25.

9- _ Suleiman. Y. The Arabic and national Identity.

10- Georgetown University Press. Washington DC. 2003.

الاحالات:

[1] ينظر: أنور الجندي: اللغة العربية بين حماتها وخصومها، ص28.

[2] ينظر: المدخل إلى اللغة العربية، ص17.

[3] https://ar.wikipedia.org/wiki/ وكيبيديا تمت الزيارة يوم 2019/11/25.

[4] ينظر: محمد بن سعيد العرفي: اللغة العربية رابطة الشعوب الإسلامية، مقال مقدم ضمن قضايا وحوارات النهضة العربية(28) المنشورة في كتاب (الفصحى والعامية) تحرير وتقديم: محمد كامل الخطيب، دمشق، منشورات وزارة الثقافة (2004)، ص 257، 258.

[5] معمر فيصل خولي: اللغة العربية: الهوية والانتماء ، موجود على الرابط التالي:

https://rawabetcenter.com/archives/1995

[6] ينظر: إبراهيم نافع: انفجار سبتمبر بين العولمة والأمركة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1 /2002، ص56-60.

[7] Suleiman. Y. The Arabic and national Identity. Georgetown University Press. Washington DC. 2003. P. 31.

[8] ــ السيد، محمود. اللغة والهوية، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، م85، ج3،/ ص648.

[9] ينظر: محمد ضياء الدين خليل إبراهيم: اللغة العربية والتحديات المعاصرة- آثار ومتطلبات- مجلة الذاكرة تصدر عن مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، العدد التاسع، جوان 2017، ص 317.

كتابات الشّيخ "محمّد البشير الإبراهيمي" ودورها في الحفاظ على الهويّة.

داه. مختاريّة بن عابد

جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم

ملخّص: لا يمكن لأيّة أمّة أن تحيا بدون هُوِيّة؛ لأنّ الأمم لا تعرف ولا تتمايز إلاّ بهُويّتها التي صنعتها عبر التّاريخ، فتصبح بذلك شيئا مرتبطا بماضيها، ودافعا دائما للبحث عن صيغة أفضل لحياتها في المستقبل، وتعدّ اللغة أحد أهم معالم الهويّة، بل هي هويّة ناطقة في حدّ ذاتها، وليست مجرّد أداة تواصل؛ فهي لسان الجماعة، ومرآة فكرها، ومنجم عطائها، والملمح الرّئيسي لخصوصيتها، ومصدر قوّتها أو ضعفها.

وانطلاقا من ذلك حاولنا في هذه الورقة أن نبرز جهود وإسهامات شيخنا "محمّد البشير الإبراهيمي" الجليلة في الحفاظ على معالم الهويّة الجمعيّة الوطنيّة منها والقوميّة عن طريق اعتماده على اللغة والكلمة، وذلك بمساءلة كتاباته وآثاره التي هي بمثابة ميراث لا يمكن الاستغناء عنه، على الرّغم من قلّتها وضآلة حجمها بالنّظر إلى حياته الحافلة.

• **الكلمات المفتاحيّة:** الهويّة، اللغة، الدّين، الوطن، القوميّة، البشير الإبراهيمي.

The writings of "Muhammad Al-Bashir Al-Ibrahimi" and their role in preserving identity

Abstract: No nation can live without identity; Because nations only know with their identity that they have made throughout history, so She becomes something related to her past, and always a motivation to seek a better formula for her future life, and the Language is one of the most important features of identity; it is a

spoken identity in itself. and it is not just a tool of communication; It is the tongue of the congregation, the mirror of her thought, The main feature of its privacy, and the source of its strength or weakness.

In this paper, we have attempted to highlight the great efforts of "Muhammad Al-Bashir Al-Ibrahimi" in preserving the national and nationalism identity by relying on language and the word, By reading his writings that are an indispensable inheritance.

Keywords: Identity, Language, Religion, Homeland, Nationalism, Al-Bashir Al-Ibrahimi.

مقدّمة: لا يمكن لأيّة أمّة أن تحيا بدون هُوِيّة؛ لأنّ الأمم لا تُعرف ولا تَتمايز إلاّ بهُويّتها التي صنعتها عبر التّاريخ، فتصبح بذلك شيئا مرتبطا بماضيها، ودافعا دائما للبحث عن صيغة أفضل لحياتها في المستقبل، ولذلك تعّد مطلبا ملحّا لا تقلّ أهمّيته عن أيّ مطلب أساسيّ من مطالب الحياة التي يسعى الإنسان إلى تحقيقها بل وتفوقها جميعها؛ لأنّها تحقّق الذّات الفرديّة أو الجمعيّة بالنّسبة إليه. فالهُويّة هي العامل المشترك الذي يجتمع عليه كل أفراد الأمّة من حيث الانتساب والتّعلّق والولاء والاعتزاز، وهذه الأمور تَكتسب قداستها من خلال عدم الشّك بها مطلقا من طرف هؤلاء الأفراد، استنادا للخلفيّة الثّقافيّة والحضاريّة والتّاريخيّة الواحدة ولذلك فإنّ أيّ أمّة من الأمم لا بدّ لها من مجموعة من الأواصر التي تربط بين أبنائها، والتي لا تقتصر على جانب دون آخر، غير أنّ جانبا منها يمكن أن يُقدّم على الآخر لاعتبارات مختلفة، ومن هنا يمكن أن نقول إنّ من أهمّ عناصر الهويّة – والأكثر عرضة للخطر – هو عنصر اللغة.

1- **اللغة والهويّة:** اللغة هُويّة ناطقة[1]، وليست مجرّد أداة تواصل؛ فالعلاقة بين اللغة والهُويّة وثيقة جدا ومتشابكة، حيث يلعب كل منهما دورا مركزيا وجوهريا في حياة المجتمعات؛ إذ إنّ اللغة هي أحد المؤشّرات الهامّة لهُويتها التي تسهم في تشكيلها وتعزيزها، أمّا الهُويّة فهي البوصلة لهذه المجتمعات، والوعاء الحافظ لحيويتها في هذا الكون، و«إذا كانت الهويّة تُبنى ذاتيا على أسس تواصليّة

بين الفرد ومحيطه فإنّ اللّغة تدخل في أساس هذا التّواصل: التّواصل بين الفرد وذاته، والتّواصل بين الفرد ووسطه»[2].

إنّ اللغة هي لسان الجماعة، ومرآة فكرها، ومنجم عطائها، والملمح الرّئيسيّ لخصوصيتها، ولذلك فإنّ «القويّ أو بالأحرى من يشعر بالتّوفيق عموما واعٍ تماما لهذه الأبعاد، ولهذا فإنّه في تنظيراته الحاضرة والمستقبليّة يركّز في هدم خصوصيّات الآخرين على حِصنيْن قَويّيْن: اللغة والدّين؛ إذ يرى فيهما عنصريْن مركزييْن لأيّ ثقافة أو حضارة»[3].

وعليه فإنّ أيّ محاولة لاستهداف اللغة أو إضعافها يعدّ مساسا بكيان الإنسان وتحطيما لهُويته، وقد فَطِن علماؤنا القدماء إلى الرّبط بين قوّة الأمّة وقوّة لغتها حيث قال "ابن حزم": « ...إنّما يَقيِّد لغةَ الأمّة علومَها وأخبارَها قوةُ دولتها، ونشاطُ أهلها وفراغهم، وأمّا من تَلَفتْ دولتهم، وغلب عليهم عدوُّهم، واشتغلوا بالخوف والحاجة والذّلّ وخدمة أعدائهم، فمضمونٌ منهم موتُ الخواطر، وربّما كان ذلك سببا لذهاب لغتهم ... »[4]، وهذا يعني أنّ اللغة لا تقوم إلاّ بقيام الدّولة المتكلّمة بها والعكس صحيح فلا تطوّر ولا تقدّم لأيّ دولة إلاّ بعلوّ مكانة لغتها عند أهلها؛ لأنّها مفتاح حضارتها.

ولقد فطِن الاستعمار إلى مكانة اللغة وأثرها في استلاب هُويّة الشّعوب المغلوبة فوجّه جهوده إلى تدمير اللغة الذي يؤدّي بدوره إلى طمس الهُويّة، على غرار ما حصل للجزائر تحت وطأة الاستعمار الفرنسي، والتي حباها الله تعالى بزمرة علماء ومفكّرين اجتمع فيهم شرف العلم، وشرف التّصدّي لمخططات الاستعمار السّاعيّة لزعزعة الثّوابت الوطنيّة واللّغويّة والدّينيّة، وجاهدوا في سبيل ذلك بكل ما أُوتوا من علم وقوّة وعزم، ليأتي الشّيخ العلاّمة "محمّد البشير الإبراهيمي" في مقدّمة هؤلاء الأفذاذ، الذين حَملوا لواء الإصلاح والتّغيير في مجتمعاتهم، ونبذوا أيّ مشروع تدميريّ أجنبيّ يهدّد الحفاظ على معالم هُويتهم، وذلك عن طريق اللغة والكلمة التي كانت سلاحهم القوّي الذي تمكّنوا بواسطته من تنوير وتوعيّة المجتمع

الجزائري، وإحداث الإصلاح والتّغيير في أفكاره وتوجّهاته، ونشر روح المقاومة في نفسه وعقله، فاندلعت ثورة التّحرير المجيدة التي حقّقتْ استقلال الجزائر. وهو السّلاح عينُه الذي نحن في أمسّ الحاجة إلى استخدامه اليوم، خاصّة ونحن والأمّة العربيّة جمعاء نعيش استعمارا من نوع آخر، وهو استعمار فكريّ ثقافيّ يتّخذ من العولمة والتّكنولوجيا والرّقمنة طريقا له لتحقيق الهيمنة والسّيطرة الشّاملة.

2- **الشّيخ "محمّد البشير الإبراهيمي" وآثاره:** عُرف هذا الرّجل المتميّز بمواقفه الصّارمة وجهوده الجادّة في مجال الإصلاح في إطار عامّ هو الوطن الأم (الجزائر) وفي إطار خاصّ هو جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، فعمل مع رفقاء جهاده على بناء الشّخصيّة الوطنيّة واستعادتها، والدّفاع عنها بكل ما أُوتيَ من جرأة الكلمة وبلاغة اللغة، واندفاع القلم لتخليص الوطن وأبنائه من طغيان المستعمر الذي كان يهدف إلى طمس الهُويّة الجزائريّة انطلاقا من أهمّ مقوّماتها.

2-1. شخصيّة الشّيخ "محمّد البشير الإبراهيمي" في كلمات: إنّه «مفخرة علماء الجزائر، ومن أبرز أقطاب الحركة الإصلاحيّة فيها، وأحد أعظم رموزها الثّقافيّة والأدبيّة، ولذلك فإنّ الحديث عنه يتشعّب، والقلم عنه يحتار من أين يبدأ وماذا يختار فالرّجل بحر خِضَمٌّ ليس له ساحل، وحياته كانت حياة خصبة حافلة سخّرها لخدمة شعبه ووطنه»[5].

فالإبراهيمي مفكّر وأديب وكاتب ثريّ اللفظ والمعنى، صائب الهدف والفكرة شغلته حال الجزائر خصوصا والعرب عموما والمسلمين بشكل أعمّ، ليجنّد لسانه الذي حقّق مراده في مجال النّضال الاجتماعي والسّياسي والدّيني، وبهذا كان بحقّ مجاهدا بالكلمة الحيّة الصّادقة القويّة يَعضُدُها إيمان الرّجل بربّه وحبّه لوطنه وثقته في أمّته وهو الأمر الذي لم يسمح له بالتّأليف والكتابة، إلاّ أنّه ألّف للجزائر رجالا كما يقول: «لمْ يتّسع وقتي للتأليف والكتابة مع هذه الجهود الجبّارة التي تأكل الأعمار أكلا ولكنّني أتسلّى بأنّني ألّفتُ للشعب رجالا، وعملت لتحرير عقوله تمهيدا لتحرير أجساده، وصحّحتُ له دينه ولغته، فأصبح عربيّا مسلما، وصحّحتُ

له موازين إدراكه فأصبح إنسانا أبيّا، وحسبي هذا مقرِّبا من رضا الـرّبِّ ورضـا الشّعب»[6].

2-2. كتاباته وآثاره: إنّ المواضيع التي تناولها شيخنا متعّددة ومتنوّعـة، ولا يمكن الإحاطة بها جميعا في موضع واحد أو دراسة محدودة متعلّقة بجانـب مـن الجوانب النّضاليّة في حياته، وهذا راجع إلى نشاطه الفكريّ الدّائم، ودأبه المتواصل على معالجة قضايا أمّته، «ولو تتبّعنا إسهامات البشير الإبراهيمي الفكريّة والثّقافيّة والأدبيّة لمَا اتّسَع لنا المجال، فقد كان مُصلحا مُخلصا ومُربّيا ناجحا، وكاتبا بليغـا وخطيبا مَفوَّها، وصحفيا بارزا، وإلى جانب ذلك كلّه كان الإبراهيمي أديبا بارعـا صاحب أسلوب أدبيّ رفيع »[7].

فقد سـارت كتابـاته في الاتّجـاه الإصلاحيّ الذي قامت عليه جمعيّة العلمـاء المسلمين الجزائريين سنة 1931م برئاسة الإمام "عبد الحميد بـن بـاديس"، حيـث شكّلت بحقّ صراعا عنيفا بين هذه الجمعيّة التي كان أحدَ أعضـائها، وبـين إدارة الاحتلال الفرنسي، وشمل هذا الصّراع ميادين متنوّعة منهـا مـا يتعلّـق بحرّيّـة المعتقَد، ومنها ما يتعلّق بحرّيّة التّعليم، ومنها ما يتعلّق بالمحتلّ ذاته، وجرائمه التي يرتكبها في حقّ الشّعب الجزائري، كما مثّلت بوضوح موقف الجمعيّة ممّا يجـري في العالم العربي والإسلامي، ووقوفها مع حقّ الأمم في تقرير مصيرها، محاولـةً في الوقت ذاته إعادة بناء عنصر الثّقة في الخطاب العربي الإسلامي، وإعادة تشييد دعائمه العقائديّة والفكريّة التي كادت تغيب عنها شمس الإسلام والنّور والحقّ بفعل الاستعمار الذي ما فتئ يحاصرها، ويسعى إلى طمس معالمها[8].

وإذ أردنا عموما اختصار محاور كتابات "الإبراهيمي" ورسـالتّه النّبيلـة فـي كلمات قلنا: الإسلام والعروبة والجزائر[9]، فقد كانت هذه ثلاث كلّيات تسري سريان الدّم في العروق في شخصيّة هذا الإمام، وما يفتأ يتكلّم عنها في مختلـف كتاباتـه: الإسلام دينا، والعربيّة لغة، والجزائر وطنا، فكان دائم الدّعوة إليها بحيث لا ينبغي أن تنفصل عن كلّ مواطن جزائريّ.

3- **ملامح الهويّة في كتابات الشّيخ "محمّد البشير الإبراهيمي"**: سعى الإمام "محمّد البشير الإبراهيمي" جاهدا عن طريق لغته وكلامه إلى الحفاظ على الهُويّة الوطنيّة والقوميّة، والدّفاع عنها بكلّ قوّة وعزم وإصرار، وقد قمنا برصد معالمها في ثنايا كتاباته وآثاره كما يلي:

3-1. **اللغة العربيّة:** يُولِي الشّيخ "البشير الإبراهيمي" اللغة العربيّة اهتماما منقطع النّظير، فقد عُرف رحمه الله بشدة حبه للّغة العربيّة، حيث ظهر ذلك في عمق الكتابة التي يكتبها، وأصالة الخطاب الذي يلقيه، فيقول عنها أكثر ممّا يمكن أن تستوعبه هذه الورقة البحثيّة، من ذلك قوله: «انشقَّتْ اللغة العربيّة من أصلها السّامي في عصور متوغّلة في القِدم، وجرتْ في السّنة هذه الأمّة التي اجتمعتْ معها في مناسب المجد وأرومات الفخر»[10]، كما يقول في موضع آخر: «أيّها الإخوة: إنّ هذه اللغة العربيّة الشّريفة التي طرقنا خيالها المَؤُوب، ثمّ أسمعنا داعِيَها المَثوب، فاجتمعنا على بِساطها اليوم من جميع أقطار العروبة هي الرّحم الواصلة بيننا، وهي اللُّحمة الجامعة لخصائصنا وآدابنا، فمن بعض حقّها علينا أن نبلها بِبلالها، وأن نرعى حقّها في كل منسوب إليها، كما أنّ من بعض حقّها علينا أن نخّف لنجدتها، كلّما مسّها ضرّ أو حزبها أمر... »[11].

فهو هنا يؤكّد أنّ اللغة العربيّة هي همزة الوصل بين جميع العرب، وهي الحاملة لتراثهم وما يميّزهم عن غيرهم من الأقوام الأخرى، ولذلك لها حق عظيم علينا في صونها ونَجدتها، فهو لمّا أيقن أنّ اللغة هي أساس الهُويّة، وعنصر الانتماء لهذه الأمّة، وأنّ فَوات اللغة موتٌ لها، قال: «إنّ هذه الأمّة تعتقد وتموت على اعتقادها أنّ لغتها جزء من كيانها السّياسي والدّيني، وشرط في بقائها، وقد التّقى على الكفاح في سبيلها الدّينُ والسّياسة، فلم يختلف لهما فيه رأي، ولم يفترق لهما قصد»[12].

ويضيف إلى ذلك أنّ العربيّة ليست لغة جامدة غير قادرة على استيعاب ما وصلت إليه مختلف الحضارات، بل هي قالَب يتّسع لأكثر من ذلك، كيف لا؟ وهي

التي حوتْ تاريخ وحضارة الإنسانيّة يوم كانت اللغات الأخرى في حالة جمود ونسيان، فيؤكّد ذلك بقوله: «... وقد كانت هذه اللغة تُرجمانا صادقا لكثير من الحضارات المتعاقبة التي شادها العرب بجزيرتهم، وفي أوضاع هذه اللغة إلى الآن من آثار تلك الحضارات بقايا، وعليها من رَوْنقها سِمات، وفي هذه اللغة من المزايا التي يعزّ نظيرها في لغات البشر الاتّساع في التّعبير عن الوُجدانيات، والوُجدان أساس الحضارات والعلوم كلّها»[13].

كما يذكر في السّياق ذاته: «أيّها الإخوان: لو لم تكن اللغة العربيّة لغةَ مدنيّة وعِمران، ولو لم تكن لغةً متّسعةَ الآفاق غنيّة بالمفردات والتّراكيب، لما استطاع أسلافكم أن ينقلوا إليها علوم اليونان وآداب فارس والهند، ولَالزّمَتْهم الحاجة إلى تلك العلوم تعليمَ تلك اللغات، ولو فعلوا لأصبحوا عَرباً بعقول فارسيّة وأدمغة يونانيّة، ولو وقع ذلك لتغيّر مجرى التّاريخ الإسلامي برُمّته...، لو لم تكن اللغة العربيّة لغة عالميّة لما وسعتْ علومَ العالم، وما العالم إذ ذاك إلا هذه الأمم التي نَقل عنها المسلمون»[14] فهذا تأكيد على سعة العربيّة وعالميتها وما لها من وزن حضاريّ بالغ، وما هذا الفضل الذي تحوزه هذه اللغة إلاّ أنّها نقلتْ مختلف العلوم التي بُنيت عليها الحضارة الغربيّة بإجماع الباحثين منّا ومنهم، وإنّ المنصفين منهم ليعترفون للغة العربيّة بهذا الفضل على العلم والمدنيّة، ويُوفُونها حقّها من التّمجيد والاحترام.

هذا، ولمّا حاول الاستعمار الفرنسي إحلال لغته مكان العربيّة، وذلك تفريقا للأمّة الجزائريّة، وسعيا منه لدسّ الشّقاق بين أبناء الوطن الواحد، دافع "الإبراهيمي" على ترسيخ عروبة الجزائر ماضيا وحاضرا، في الكثير من المحافل أينما حلَّ، وحيثما ارتحلَ؛ فيقول: « اللغة العربيّة في القطر الجزائري ليست غريبة ولا دخيلة، بل هي في دارها، وبين حُماتها وأنصارها، وهي ممتدّة الجذور مع الماضي، مشتدّة الأواخي مع الحاضر، طويلة الأفنان في المستقبل»[15]، وحيث أنّ اللغة العربيّة هي لغة الإسلام الرّسميّة، ومن ثمّ فهي لغة المسلمين الرّسميّة، فإنّ

لهذه اللغة على الأمّة الجزائريّة حقّان أكيدان- كما يرى البشير الإبراهيمي- كلّ منهما يقتضي وجوب تعلّمها، فكيف إذا اجتمعا: حقٌّ من حيث أنّها لغة دين الأمّة بحكم أنّ الأمّة مسلمة وحقٌ أنّها لغة جنسها، بحكم أنّ الأمّة عربيّة الجنس. ففي المحافظة عليها محافظة على جنسيّة ودينٍ معاً، فضلا على أنّها هُويّة هذه الأمّة.

3-2. **الدّين الإسلامي:** كان أحد أهمّ المحاور التي ارتكز عليه فكر الإمام "البشير الإبراهيمي"، حيث يرى فيه إضافة إلى أنّه دين وعقيدة أشياء أخرى فيقول: «إنّ العالَم الدّينيّ في الإسلام حارس، والحارس إذا نام دخل اللصّ، والعالم الدّيني راعٍ، والرّاعي إذا غفَل هجم الذّئب، والعالم الدّيني رُبّان، والرّبّان إذا لم يأخذ الحِيطة غرقتْ السّفينة، والعالم الدّيني قائد كتائب، فإذا عداه الضّبط اختلّتْ الصّفوف وحلّتْ الهزيمة»[16].

كما يرى فيه جامعا للأرواح ومؤلّفا بينها، وأساسا للوحدة والأخوة، فيدعو قائلا: «أيْ شبابَ الإسلام، إنّ الأوطانَ تجمع الأبدان، وإن اللّغاتَ تجمعُ الالسّنة، وإنّما الذي يجمع الأرواحَ ويؤلِّفُها، ويَصِلُ بين نَكِرَات القلوب فيعرِّفُها هو الدّين، فلا تلتمسوا الوِحْدة في الآفاق الضيّقة، ولكن التّمسوها في الدّين، والتّمسوها من القرآنِ تَجِدوا الأُفُقَ أوسعَ، والدّارَ أجمعَ، والعديدَ أكثرَ، والقُوى أوفَرَ»[17]، ثمّ يضيف: «فإذا نشَأ الشّبابُ على التّديُّنِ أحبَّ الدّين! وإذا أحبَّ ما فيه أحبَّ ما يستَتبِعُه مِن فضَائلَ وأخلاقٍ حميدةٍ، وعَمِلَ على غَرسِها في نُفُوسِ غيرِه مِن الأجيال اللاّحقة»[18].

ومن أسس التّديّن بالإسلام الاعتصام بكتاب الله، وبسنّة نبيّه صلّى الله عليه وسلّم، وهو ما أكّد عليه إمامنا الجليل، وكان دائم الدّعوة إلى التّمسّك بهما، حيث يقول مبرزا بعض فضائل القرآن: «أَحْيُوا قرآنكم تَحْيَوا به، حَقّقوه يتحقّق وجودُكم به أَفِيضوا من أسراره على سرائركم، ومن آدابه على نفوسِكم، ومن حِكَمه على عقولكم تكونوا به أطبّاء، ويكون بكم دواء»[19].

فالقرآن دواء لكلّ داء، وهو عنده مصدر السّعادة والاتحاد، والرّفعة والكرامة للأمّة الإسلاميّة في الأزمنة الفائتة، وابتعادنا نحن عنه فرّق شملنا وحطّ منزلتنا

حيث يقول رحمه الله: «كيف يَشْقَى المسلمون وعندهم القرآن الذي أسعد سَلَفهم؟ أم كيف يتفرّقون ويَضِلّون وعندهم الكتاب الذي جَمَع أوّلهم على التّقوى؟ فلو أنّهم اتَّبعوا القرآن وأقاموا القرآن لما سَخِر منهم الزّمان، وأَنْزَلهم منزِلة الضّعَة والهَوان. ولكنّ الأوّلين آمنوا فأَمِنوا، واتَّبعوا فارْتفعوا، ونحن فقد آمنَّا إيمانا مَعْلولا، واتَّبعنا اتِّباعا مَدْخولا، وكلٌ يَجْنِي عواقبَ ما زرع ...، أمّا أنّ المسلمين الأوّلين سَعدوا بالقرآن واتّباع الرّسول فهذا ما لا مراء فيه، وهو الحقيقة العاريّة التي جلاها التّاريخ على النّاس من جميع الأجناس وزكّاها بشاهدين من آثار العلم ونتائج العقل، فإن احْتُمل أن يَجهل هذه الحقيقة جاهل فهم سواد المسلمين قبل غيرهم، وإن وقف باحث عند الظّواهر السّطحيّة وقال: سَعدوا بالاتّحاد مثلا، قلنا له: وما الذي وحّدهم بعد ذلك التّفرّق الشّنيع غير القرآن؟، أو قال قوم: استيقظتْ فيهم عواطف الخير ونوازع الشّرَف حين ماتت في الأمم فسادوها وقادوها، قلنا له: نعم، ولكن ما الذي أيقظ فيهم تلك العواطف وتلك النّوازع وما هم إلاّ ناس من النّاس، بل قد كانوا قبل القرآن أضلَّ النّاس»[20].

ويضيف قائلا عن ضرورة التّمسّك به من أجل النّهوض والتّقدّم والنّجاح: «تَدبُّر القرآن واتِّباعه هما فَرْق ما بين أوّل الأمّة وآخرها، وإنّه لفرْق هائل، فعدم التّدبُّر أفقدَنا العلم، وعدم الاتّباع أفقدنا العمل، وإنّنا لا ننتعش من هذه الكَبْوة إلاّ بالرّجوع إلى فهم القرآن واتّباعه، ولا نُفلح حتى نؤمن ونعمل الصّالحات»[21].

بل تتعالى نظرة "الإبراهيميّ" إلى القرآن وتسمو، وتهفو به نفسُه وترنو، لأنّه «... إصلاح شامل لنقائص البشريّة الموروثة، بل اجتثاث لتلك النّقائص من أصولها وبناء للحياة السّعيدة التي لا يُظلم فيها البشر، ولا يُهضم له حقّ على أساس من الحبّ والعدل والإحسان، والقرآن هو الدّستور السّماوي الذي لا نُقصَ فيه ولا خلل: فالعقائد فيه صافيّة، والعبادات خالصة، والأحكام عادلة، والآداب قويمة والأخلاق مستقيمة والرّوح لا يُهضم لها فيه حقّ، والجسم لا يَضيع له مطلب، هذا

هو القرآن الذي صلُح عليه أوّل هذه الأمّـــة، وهـــو الـــذي لا يَصـــلُح آخرهـــا إلاّ عليه...»[22].

كما يرى الشّيخ بأنّ التّزام السّنة هو التّطبيق العمليّ لاتّباع القرآن الكـــريم؛ لأنّ السّنة تُبَيّن القرآن عمليا، ومحمّد صلّى الله عليه وسلّم كان قرآنا يمشي بين النّـــاس فمن شـــدَّ على سُنّته ودعا إليها إنّما هو داعٍ للقرآن، عاملٌ بما جاء فيـــه، فيقـــول: « أيّها الإخوان: إنّ نبيَّنا منّا لقريب لو جعلنا الصّلة بيننا وبينه حبلَ الله القرآن، فقد تَرَكَه فينا ليكون النّور الممتدّ بيننا وبينه، وقد كان خُلقه القـــرآن يَرضـــى لرضـــاه ويَغضب لغضبه ويَقف عند حدوده، ويَصنع أفعاله وتُروكَه من أوامـــره ونواهيـــه ويَنحت من مَعدنِه تلك الآداب التي ربَّى بها نفسَه وراضَ عليها أصحابه، ثمّ تَرَكها كلمةً باقيّة فينا، وحُجّةً بالغةً لنا أو علينا، وقد شَرّفنا صلّى الله عليه وســـلّم تشـــريفا يَبقَى على الدّهر، وشَهد لنا شهادة نَتِيهُ بها على الغابرين؛ إذ قال لأصـــحابه: "أنـــتم أصحابي، وإخواني الذين يأتون من بعدي"»[23]، ومن التّمسّك بالسّنة التّمسّك بالسّلف الصّالح الذين طبّقوا السّنة وعملوا بها.

وبيّن الطّريقة الصّحيحة للتّعبير عن حبه صلّى الله عليه وسلّم قائلا: «...الحُـــبّ الصّحيح لمحمّد فهو الذي يدع صاحبه عن البِدَع، ويحمله على الاقتـــداء الصّـــحيح كما كان السّلف يحبّونه، فيُحيُون سُننه، ويذودون عن شريعته ودينه، من غيـــر أن يُقيموا له الموالدّ، ويُنفقوا فيها الأموال الطّائلة التي تفتقر المصالحُ العامّة إلى القليلِ منها فلا تَجدُه، ونحن نحتفل بالمولد على طريقة غيرِ تلك الطّريقة، وبأسلوب غيـــرِ ذلك الأسلوب، فنُجَلِّي فيه السّيرة النّبويّة، والأخلاق المحمّديّة، ونكشف عمّا فيها من السّر، ومالها من الأثر في إصلاحنا إذا اتّبعناها، وفي هلاكنا إذا أعرضنا عنها ففي احتفالاتنا تجديدٌ للصّلة بنبيّنا في الجهات التي هو بها نبيّنا ونحن فيها أمّتُه»[24].

ومن الأمور الأخرى التي حرص عليها الشّيخ "الإبراهيمي" كذلك العمل علـــى ترسيخ مفهوم وحدة الأمّة الإسلاميّة، ونشر العلوم الشّرعيّة بين النّاس مع الأخلاق الفاضلة.

3-3. الوطن الجزائري: حُبّ الشّيخ "البشير الإبراهيمي" الذي لا يمكن وصفه لوطنه الجزائر هو أكثر ما أدّى إلى سيلان حِبره واندفاع قلمه، وجريان لسانه وقوّة عزمه، وجهاده في سبيل تحريره، فيعبّر عن ذلك الحُبّ قائلا: «...قُل للجزائر الحبيبة، هل يَخطُر بِبَالك منْ لم تَغِبي قطّ عن بالِه؟ وهل طاف بك طائف السّلو، وشغلك مانع الجمع وموجب الخلو عن مشغولٍ بهواك عن سواكِ؟ إنّه يعتقد أنّ مِن كلّ جزيرة قطعةٌ من الحُسْن، وفيك الحسْنُ جميعُه، لذلك كنَّ مفردات وكنتِ جمْعاً، فإذا قالوا: الجزائرُ الخالدّات، رجعنا فيك إلى توحيد الصّفة، وقلنا: الجزائر الخالدّة، وليس بمستنكرٍ أن تُجمع الجزائر كلُّها في واحدة»[25].

كما يواسي أبناءه الطّلبة الجزائريين المهاجرين إلى تونس من أجل العلم ويذكّرهم بحُبّ الوطن في قوله: «وَأنَّكم يا أبناءَنا فارقتم الأهل، وفيهم الآباء والأمّهات، وفارقتم الدّيارَ التي خلعتم فيها التّمائم، وفارقتم الوطن الذي له على كل حرّ كريم دَيْن! وَفاؤه الحُبّ، وكَفاؤه النّفع والجميل...، وإنّ الوطن -وهو أبو الجميع- يتطلّع من وراء هذه الهجرة إلى إحياءٍ وتعمير، وإعادةِ مجدٍ، وبناءِ تاريخ»[26].

ولا يخفى على أحد أنّ الإمام في حقل الجهاد السّياسي من كبار علماء الدّين المجاهدين لقضيّة وطنه، ويتّضح ذلك من خلال مواقفه الرّائدة من الثّورة الجزائريّة وصدق جهاده في سبيلها، وقد نجح في خَلْق جِيلٍ من الشّباب الجزائريّ المؤمن بعُروبته، ووطنيّته، ودينه، وكان ذلك الجِيل هو نواة جيش التّحرير الجزائري، ولولا الجِيل الذي رَبّاه "محمّد البشير الإبراهيمي" ومُعاونوه في جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين لَمَا استطاع شعب الجزائر أن يقدّم للثّورة وَقُودَها ويُحقّقَ الانتصار باستقلالها، وفي قوله الآتي لخير برهان على ذلك: «... وأمّا فِراقكِ فَشدّةٌ يَعقُبها الفرج"، ويصف عمله في الشّرق بأنّه "سعيٌ في كشفِ غُمَّتكِ" ويَهوِّنُ عليه غيابه "فلا يَهُولَنَّك فَراغكِ مني أيّامًا، فعسى أن يكون المِسْك خِتامًا وعسى أن تَسْعدِ بآثار غيبتي أعوامًا"، ويبعث بتحيّاته إلى الشّباب الجزائري ويُذَكِّر

بالمهمّة التي أُعِدُّوا لها "... ومن شُبَّانٍ رَبَّيْناهم للجزائر أشبالًا، ووَتَرْناهم لعدوِّها قِسِيًّا ونِبالًا، وصوَّرنا منهم نماذجَ للجيل الزّاحف بالمصاحف، وعَلّمْناهم كيف يُحْيُون الجزائر، وكيف يَحْيَون فيها»[27].

3-4. الانتماء القومي: إنّ الإمام "البشير الإبراهيمي" رجل متعدّد المواهب والانشغالات والاهتمامات ويمكن القول إنّه كان قوميًّا حتّى النّخاع، يتنفّس العروبة ويحيا من أجل الإسلام فهو لم يأخذ على عاتقه حال مجتمعه الجزائري فحسب، بل تعدّاه إلى حَمْل هموم الأمّة العربيّة والإسلاميّة جمعاء، دون تفريق بين دولها أو أبنائها، لقد كان مع كل كلمة ينزف بها قلمُه يلفظ نَفَسا حارّا يعبّر عن ألمه وحسرته من الواقع المُخزي الذي التّ إليه، وفي الوقت نفسه يأمل بل يشدّد على ضرورة وحتميّة الوحدة القوميّة المغاربيّة والعربيّة والإسلاميّة، فتجده يعالج الواقع الذي أحدثه الاستعمار الأجنبي من تمزّق وتفرّق في المجتمعات العربيّة والإسلاميّة بصفة عامّة.

3-4-1) القوميّة المغاربيّة: يؤكّد شيخنا على وحدة المغرب العربيّ الذي يربطه ببعضه رباطٌ مقدّس من العروبة والإسلام، ولذلك يستحيل تَفرقته، ومن حاول ذلك وَجب صَدُّه ومحاربته فيقول: «المغرب العربيّ وحدةٌ لا تتجزّأ، جَمَعها الإسلام على تعاليمه الرّوحيّة السّاميّة، وجَمَعتْها العروبة على بيانها وآدابها وجَمَعها الشّرق على النّور الذي بَعثه مع كتائب الفَتْح الأوّل، ومع اللغة التي وجّهها مع قوافل بني هلال. المغرب العربيّ جَمَعته يد الله وربطته برباط واحد هو الإسلام والعروبة، ومع الإسلام القوّة، ومع العروبة الإباء والشّمم، فلا تفرّقه يد الشّيطان، وكلّ من سعى في التّفرقة بين أبنائه -ولو من أبنائه- فهو شيطان لا يُدفَع باللّعن والاستعاذة كما يُدفَع شيطان الجنّ، وإنّما يُدفَع بالطّرد من الحظيرة، فإن لم يَنْدفع فبإعدامه من الوجود»[28].

كما نجده يعزّز هذه الوحدة بكلامه عن الجزائر كجزء لا يتجزّأ من شمال إفريقيا ويدعو إلى إغاثتها وإخراجها من أزمتها؛ وهو بهذا كان يحاول أن يُوقِظ في

العرب قوْميتَهم تُجاه الجزائر ويذكّرهم بأنّها عربيّة مسلمة، وبالتّالي عليهم مساعدتها باسم الأخوة والانتماء، فكسبتْ بذلك القضيّة الجزائريّة دَعْما عربيّا مُتزايدا خاصّة إبّان الثّورة التّحريريّة، وفي هذا الشّأن يقول: « إنّ الشّمال الإفريقيّ كلُّه فَلْذةٌ من كَبِد الإسلام وقطعةٌ من وطن العروبة الكبير، وبقيّة ممّا فَتَح عُقبة والمُهاجر وحسّان، وإنّ هذا الوطن هو أحد أجنحتكم التي تَطِيرون بها إلى العلاء وإنّه لَامْتدادٌ لوطنكم الأكبر وإنّه متّصلٌ بكم اتّصال الكفّ بالسّاعد...، فأعِينوه على التّحرير، وَأَنقذوه من سوء المصير. إنّ في هذا الشّمال الذي يحدّثكم لسانُه كنوزًا من تراث العربيّة والإسلام طمَرها الاستعمار بِرطاناته عمدًا، وطمس محاسنها بحضارتِه قَصدًا، فأعينونا بقوّة تستخرج هذه الكنوز بإحياء الأخلاق والآداب والتّاريخ، إنّ بينكم وبينه صِلات من اللغة والدّين، وأرحامًا من الجنس والخصائص، فَصِلُوا هذه الأرحام يكنْ بعضنا لبعض قوّة»[29].

2.4-3) القوميّة العربيّة: لطالما قَرَن الإمام "البشير الإبراهيمي" العروبة بالإسلام، واعتبرهما شيئا لا يمكن انفصال أحدهما عن الآخر، وذلك لتقويّة الاتِّحاد والشّمل بين العرب المسلمين، حيث يقول: «إنّ الإسلام والعروبة- يا إخواني ويا أبنائي- إذا ذُكِرا ذابتْ القُيود، وتلاشتْ الحدود، واجتمعتْ الأقطار على رَحْبها في بيت، وإنّ أخوّة الإسلام والعروبة لا تقوم على الأقوال وإن طالتّ وكثُرتْ، وإنّما تقوم على الأعمال والحقائق، ولو أُوتِينا رُشدنا لأقمنا كلمتيْ المسلم العربيّ مقام هذا النّسَب المعروف إلى البلدان والقبائل، فما هذا النّسب إلاّ ثُغرٌ ومداخلٌ لِشيطانِ الوطنيات الضّيّقة التي ليستْ من ديننا ولا من ميراث سلفنا، فتَواصوْا جميعًا بتحقيق هذه النّسبة الإسلاميّة العربيّة، وتثبيت أصولها في نفوس أبناء هذه الأمّة»[30].

لهذا نجد إمامنا يتأسّف ويتألّم لضعف الأمّة العربيّة وهَوانها؛ فهو عندما يتناول موضوع العروبة والفُرقة في مقالاته وكتاباته وخُطبه الوعظيّة، يعبّر عن مشاعره تُجاه العرب بكلّ حزن وحسرة؛ لأنّهم يتخبّطون في مشاكل وأزمات لا نهايّة لها

لكنّه لم يقف إزاء ذلك مكتوف اليديْن، ولم يكتف بِوَصف هذا الواقع المرير فقط إنّما شدّد على عدم تقبّله أو الاستسلام له، فعمل طوال حياته على تغييره وفق خطّة إصلاحيّة محكّمة قَوامها الوعي والمبادرة والعمل.

كما أنّه لم يكن راضيا على تشتّت العرب بسبب انشغالهم بالمصالح الفرديّة وغَرَقهم في اللاّمبالاة والسّهو عن قضايا الأمّة المشتركة، كالقضيّة الفلسطينيّة مثلا التي هي قضيّة العرب والمسلمين جميعا، وحقّ استرجاعها لا يمكن تحقيقه إلاّ بالاتّحاد والجهاد، فيقول: «أيّها العرب، إنّ قضيّة فلسطين محنةٌ امتحن الله بها ضمائركم وهِممكم وأموالكم ووحدتكم، وليست فلسطين لعرب فلسطينَ وحدهم وإنّما هي للعرب كلِّهم، وليست حقوقُ العرب فيها تُنال بأنّها حقّ في نفسها، وليست تُنال بالهُوَيْنى والضّعف، وليست تُنال بالشّعْريات والخِطابيات، وإنّما تُنال بالتّصميم والحَزْم والاتّحاد والقوة»[31]، مؤكّدا على أنّ فلسطين أمانة في أعناقنا، وسنخسر لا محالة إن ضيّعنا هذه الأمانة بقوله: «إنّ فلسطين وديعةُ محمّدٍ عندنا، وأمانةُ عُمَرَ في ذِمَّتنا وعَهْد الإسلام في أعناقنا، فلَئن أَخذَها اليهود منَّا ونحن عُصْبة إنّا إذا لخاسرون»[32] بل يَعتبر إمدادها بالمعونات فرضٌ محتّمٌ على كل عربيّ ومسلم في قوله: «إعانة فلسطين فريضةٌ مؤكّدة على كلّ عربيّ وعلى كلّ مسلم، فمن قام به أدّى ما عليه من حقّ لعروبته ولإسلامه، ومن لم يؤدّه فهو ديْن في ذمّته لا يبرأ منه إلاّ بأدائه »[33].

وكان للشّيخ أيضا موقفٌ ممّا جرى في ليبيا، وما كابده شعبها من أهوال وهو يقارع العدوّ، فقال في شأنها: «ليبيا – بأجزائها الطّبيعيّة– قطعةٌ ثمينة من وطن العروبة الأكبر، ومَعقِل حَصين من مَعاقل الإسلام الباذخة، مُكتنفةً الشّمال والجنوب بجماليْن من مياه البحر الأبيض»[34]، حيث يذكر أنّ هذا الوطن جزء هامّ من الوطن العربي، وهو بذلك يسعى إلى بعث روح القوميّة في نفوس العرب من أجل الوقوف إلى جانبه في ما يعانيه، وهو ما حاول إيصاله كرسالة إلى الشّعب اللّيبي المقاوم بأنّ العرب يساندونهم ويدعمونهم في قوله: «أيّها الإخوان اللِّيبِيُّون: إنّ لكم إخوانًا

يَصِل بينكم وبينهم الماء والصّحراء، ويُشرفون عليكم من مخارم هذه السّلاسل الشّامخة من الأطلس الكبير، وإنّهم يُشاركونكم في الشّدائد والمِحَن»[35]، وبذلك أبْدى هذا الإمام النّبيل تعاطفه مع قضيّة هذا البلد الليبي العربي مع الاحتلال، وحثّ شعبَه على مواصلة النّضال، مذكّرا إيّاه بشروط انتزاع الحريّة، ونيل الاستقلال وهي «الإيمان به مع التّصميم، ثمّ العمل له مع الإصرار، ثمّ المحافظة عليه بعد تحصيله»[36].

3-4-3) القوميّة الإسلاميّة: امتدّ أفق شيخنا القوميّ إلى ما هو أكبر من العربيّة، وهو وحدة الأمّة الإسلاميّة فكان دائم الانشغال بتحقيقها، والعمل على إرساء ثوابتها في النّفوس، كيف لا؟ وهو أحد سفراء الإسلام في أيّ مكان وطِأته قدماه، وأُسمعتْ فيه خُطبه وكلماته، فهو القائل: «أنا سفيرٌ من سفراء الإسلام النّاطقين بكلمته، النّاشرين لدعوته، المُسيِّرين باسمه، المضطلعين بأمانة الله في أهله، وهي التّعاون على البرّ والتّقوى، والتّواصِي بالحقّ والصّبر والرّحمة، وأنا بحكم هذه السّفارة أَحمِل تحيّات أهله في المغرب الإسلاميّ، إلى إخوانهم في المشرق الإسلاميّ، وما أجمل كلمةَ (أخوّة الإسلام)، وما الذّ وَقْعَها في نفوس المؤمنين الصّادقين، وما أشدّ شَوْقَهم إلى تحقُّقها في عالم الواقع وما أَضْيَع حقيقتها بين جمهرة المسلمين»[37].

وفي حديثه عن شعب وطنه الحبيب يركّز على القوميّة الإسلاميّة، وعلى وحدة الأمّة الإسلاميّة باعتبار أمّة الجزائر جزءا لا ينفصل عنها وعن الأمّة العربيّة أبدا وذلك من جانبيْن مهمّين وأساسييْن هما: الدّين واللغة العربيّة، فيقول: «الأمّة الجزائريّة هي قطعة من المجموعة الإسلاميّة العظمى من جهة الدّين، وهى ثلّة من المجموعة العربيّة من حيث اللغة التي هي لسان ذلك الدّين، والأمم الإسلاميّة على اختلاف أجناسها ولغاتها ما بَرِحتْ تُفاخِر أمم الأرض بذلك الدّين وهذا اللسان، وإن كان بَعضُها ضعيف الحظِّ فيهما أو في أحدهما ...، فالأمم الإسلاميّة بهذا الدّين

وبهذا اللسان وحدةٌ متماسكة الأجزاء، يَأْبَى لها الله أن تتفـرّق وإن كثـرت فيهـا دواعي التّفرّق ويَأْبَى لها دينها- وهو دين التّوحيد- إلاّ أن تكون مُوَحَّدة»[38].

بل نرى هذا الرّجل الفذّ لا يكتفي بحمل هموم الإسلام وأمّته في العالم الإسلامي فحسب، بل تزيد همّته ويرتفع أفقه القومي ليصل إلى الأقلّيات الإسلاميّة في الغرب وكأنّه يَرقُب ببصيرته حال تلك الأقلّيات اليوم في فرنسا، وغيرها من دول أوروبـا وأمريكا، فتراه يعمل على تلك الفئات التي تشكّل أقلّيات فـي مجتمعـات غريبـة ويسعى إلى تعليم أبنائها العربيّة، وكيفيّة الحفاظ على هُويتها[39].

خاتمـة: ما سبق يعدّ نموذجا صادقا يجسّد بعمقٍ قوّة اللغة، وكيـف يمكـن أن تكون سلاحا يُحطِّم كل القيود حينما تستعمل من قبل أهلها الـذين يُـدركون تمـام الإدراك مدى أهمّيتها وقيمتها، وكيفيّة استخدامها من أمثال هـذا الشّـيخ الجليـل والمفكّر المتميّز والإمام المبدع؛ فمحمّد البشير الإبراهيمي وَعَّـى وأيقـظ وحـرّر النّفوس والعقول والأجساد، وألّف وأصلَح وربّى رجالا لا بل أجيالا، وبأيّ وسيلة؟ فقط بكلمته الصّادقة ولغته العربيّة البليغة، فليس لنا في هذا المقام سوى أن نعـزِّي أنفسنا فيه، ونترحَّم على روحه الزّكيّة الطّاهرة، وندعو له، ولأنفسنا في هذا الزّمان بالذّات أن يُخلِفنا الله فيه من يحملون المِشعل وراءه.

المصادر والمراجع:

أوّلا: كتب:

1. عبد الله البريدي، اللغة هويّة ناطقة، كتاب المجلة العربيّة 197، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، الرّياض، 1434ه.

2. ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، الجزء01، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1403هـ/1983م، ص 32.

3. آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطّبعة الأولى، 1997م.

4. بسام بركة وآخرون، اللغة والهويّة في الوطن العربي: إشكاليات التّعليم والتّرجمة والمصطلح، المركز العربي للأبحاث ودراسات السّياسات، قطر، الطّبعة الأولى 2013م.

ثانيا: مجلات ودوريات:

1. عبد الحميد هيمة، الآراء النّقديّة للشّيخ البشير الإبراهيمي في كتابه التّراث الشّعبي والشّعر الملحون في الجزائر، مجلة الأثر، العدد 17، جانفي 2013م.

2. كريمة محمّد كربيّة، اللغة والهويّة، مجلة الآداب، جامعة الملك سعود، الرّياض المجلّد 27، العدد 01، 1436ه/2015م.

3. لويزة حوفاف، نداء القوميّة وإشكاليّة العروبة في آثار محمّد البشير الإبراهيمي مجلّة أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 12، 2016م.

4. مرزوق العمري، الوطنيّة في فكر الشّيخ البشير الإبراهيمي، مجلّة المعيار، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة قسنطينة، الجزائر، المجلّد 03، العدد 06 2003م.

5. يوسف العايب، تجليات ثقافة المقاومة في فكر محمّد البشير الإبراهيمي وأدبه مجلّة علوم اللغة العربيّة آدابها، جامعة الوادي، الجزائر، المجلّد 07، العدد 07 2015م.

الاحالات:

[1] عبد الله البريدي، اللغة هويّة ناطقة، كتاب المجلّة العربيّة 197،> مكتبة الملك فهد الوطنيّة الرّياض، 1434هـ، ص 23.

[2] بسام بركة وآخرون، اللغة والهويّة في الوطن العربي: إشكاليات التّعليم والتّرجمة والمصطلح المركز العربي للأبحاث ودراسات السّياسات، قطر، الطّبعة الأولى، 2013م ص 27.

[3] كريمة محمّد كربيّة، اللغة والهويّة، مجلة الآداب، جامعة الملك سعود، الرّياض، المجلّد 27 العدد 01، 1436ه/2015م، ص 52.

[4] ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، الجزء01، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1403هـ/1983م، ص 32.

[5] عبد الحميد هيمة، الآراء النّقديّة للشّيخ البشير الإبراهيمي في كتابه التّراث الشّعبي والشّعر الملحون في الجزائر، مجلّة الأثر، العدد 17، جانفي 2013م، ص 63.

[6] آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي (خلاصة حياتي العلميّة والعمليّة)، الجزء 05، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطّبعة الأولى، 1997م، ص 288.

[7] لويزة حوفاف، نداء القوميّة وإشكاليّة العروبة في آثار محمّد البشير الإبراهيمي، مجلّة أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 12، 2016م، ص 286.

[8] ينظر: يوسف العايب، تجليات ثقافة المقاومة في فكر محمّد البشير الإبراهيمي وأدبه مجلّة علوم اللغة العربيّة آدابها، جامعة الوادي، الجزائر، المجلّد 07، العدد 07، 2015م، ص 185-186.

[9] ينظر: مرزوق العمري، الوطنيّة في فكر الشّيخ البشير الإبراهيمي، مجلّة المعيار، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة قسنطينة، الجزائر، المجلّد 03، العدد 06، ص 175. ولويزة حوفاف مرجع سابق، ص 286.

[10] آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي (العربيّة: فضلها على العلم والمدنيّة، وأثرها في الأمم غير العربيّة)، الجزء 01، ص 374.

[11] المصدر نفسه، (كلمة في مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة)، الجزء 5، ص 292.

[12] آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، (اختلاف ذهنين في معنى التّعليم العربي)، الجزء 03 ص 284.

[13] المصدر نفسه، (العربيّة فضلها على العلم والمدنيّة وأثرها في الأمم غير العربيّة)، الجزء 03 ص 374.

[14] المصدر نفسه، (العربيّة فضلها على العلم والمدنيّة وأثرها في الأمم غير العربيّة)، الجـزء 03 ص 376.

[15] آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، (اللغة العربيّة في الجزائر عقيلة حرة)، الجـزء 03 ص 206.

[16] آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، (أخوة الإسلام)، الجزء 04، ص 61.

[17] المصدر نفسه، (فلسفة جمعيّة العلماء)، الجزء 01، ص 163.

[18] المصدر نفسه، (الشّباب المحمّدي)، الجزء 04، ص 121.

[19] المصدر نفسه، (خطبة الأستاذ الإبراهيمي التي ختم بها حفلة التّكريم للأستاذ ابن باديس في كليّة الشّعب)، الجزء 01، ص 365.

[20] آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، (فلسفة جمعيّة العلماء)، الجزء 01، ص 158-159.

[21] المصدر نفسه، (كلمة تصدير لمجلة الشّهاب)، الجزء 01، ص 327.

[22] آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، (لا يصلح آخر هذه الأمّة إلاّ بما صلح به أوّلهـا* إلـى القرآن من جديد)، الجزء 04، ص 95.

[23] المصدر نفسه، (في ذكرى المولد النّبوي 1-2)، الجزء 04، ص 145.

[24] آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، (المولد النّبوي الكريم 1-2)، الجزء 02، ص 341.

[25] المصدر نفسه، (تحيّة غائب كالأيب)، الجزء 04، ص 182-183.

[26] المصدر نفسه، (إلى أبنائي الطّلبة المهاجرين في سبيل العلم)، الجزء 03، ص 201.

[27] آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، (السّياق التّاريخي 1952-1954)، الجزء 04، ص 11.

[28] آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، (اتحاد المغرب العربي الكبير)، الجزء 04، ص 301.

[29] آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، (بغداد تكرّم المغرب العربي)، الجزء 04، ص 104.

[30] المصدر نفسه، (رسالة إلى الطّلبة الجزائريين بالزّيتونة)، الجزء 02، ص 152.

[31] آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، (المقدّمة)، الجزء 02، ص 10.

[32] المصدر نفسه، (مقدّمة)، الجزء 03، ص 07-08.

[33] المصدر نفسه، (الهيئة العليا لإعانة فلسطين)، الجزء 02، ص 209.

[34] آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، (ليبيا – موقعها منا)، الجزء 03، ص 402.

[35] المصدر نفسه، (ليبيا – موقعها منا)، الجزء 03، ص 408.

[36] المصدر نفسه، (ليبيا – موقعها منا)، الجزء 03، ص 405.

[37] آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، (أخوة الإسلام)، الجزء 04، ص 59.

[38] المصدر نفسه، (الإسلام والمسلمون: شجون من الحديث عنهما وعن الإصلاح الدّيني) الجـزء 01، ص 107.

[39] لويزة حوفاف، مرجع سابق، ص 291.

حوسبة اللغة العربيّة: استثمار وانتشار

داه. شهرزاد غول

جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم.

ملخّص: تُعَدّ اللغة العربيّة من أقدم اللغات، نشأت في شبه الجزيرة العربيّة، وانتشرت في معظم أرجاء العالم، واستطاعت في فترة وجيزة أن تستوعب حضارات مختلفة وتجعل منها حضارة واحدة، فلا أحد يماري في أنّ اللغة العربيّة، تتمتع بالعديد من الخصائص التي تميزها عن غيرها من اللغات ويكفيها تميزا أنّها لغة القرآن.

وحتى تواكب لغتنا التّطوّر التّكنولوجي والمعرفي الذي نشهده في حياتنا، لابدّ لها أن تساير الأحداث، ونظرا لحاجتنا الماسة والملحّة لنهضة لغويّة شاملة، قادرة على تلبيّة مطالب العصر ومقتضياته، شريطة ألاّ يُلقى ذلك على عاتق اللغويّين فقط، بل لا بدّ من وجود وإسهام التّقنيين والفنيين في مجال الحواسيب، والعلماء بشتى التّخصّصات إلى جانب المبدعين في الكتابة للوصول إلى صيغ، ومصطلحات ومفردات عربيّة سليمة دقيقة علميّة وعمليّة ومن هذا المنطلق تجلت أهميّة مداخلتي الموسومة بـ: "**حوسبة اللغة العربيّة استثمار وانتشار**" سنحاول من خلالها الإجابة على بعض التّساؤلات أهمّها: إلى أي مدى يتمّ تمثيل اللغة العربيّة ومستوياتها لنظام البرمجة الحاسوبيّة؟

إلى أيّ مدى وصلت إليه نتائج معالجة اللغة العربيّة حاسوبيا؟ وكيف يمكن توظيف تخصّص كاللسانيات الحاسوبيّة في خدمة اللغة العربيّة؟

- **الكلمات المفتاحيّة:** اللغة العربيّة، الحاسوب، البرمجة، الحوسبة، التّواصل الرّقمنة التّقييس.

Summary: Arabic is one of the oldest languages, originated in the Arabian Peninsula, and spread in most parts of the world, and was able in a short time to accommodate different civilizations, and make it one civilization, no one in the fact that the Arabic language, has many characteristics that distinguish it from other Languages and enough to distinguish it as the language of the coran.

In order for our language to keep pace with the technological and cognitive development that we are witnessing in our lives, it must keep pace with events, and given the urgent and urgent need for a comprehensive linguistic renaissance, capable of meeting the demands and requirements of the times, provided that not only the linguists, but the presence and contribution of technicians and technicians In the field of computers, scientists in all disciplines as well as creators in writing to access the Arabic formulas, terminology and vocabulary sound, accurate scientific and practical. To the The extent of the Arabic language and the representation levels of the system of computer programming?

To what extent have the results of the Arabic language processing computerized? How can a specialization such as computational linguistics be employed in the Arabic language service?

تمهيد: لقد جاد الشّاعر اللبناني حليم دموس لما قال:

لغة إذا وقعت على أسماعنا كانت لنا بردا على الأكباد

ستــظلّ رابطة تؤلّف بيننا فهي الرّجاء لناطق بالضّاد

إنّها اللغة العربيّة لغة الضّاد، ولغة الفصاحة والقوّة والبيان، لغة القرآن الكــريم، كمــا أنّها مرآة الفكر وأداته، وثمرة العقل ونتاجه. تميّزت عن سائر اللغات برصــيدها الكبيــر الضّخم في النّثر على مختلف أنواعه والشّعر بمختلف ضروبه وموضوعاته.

مكانة اللغة العربيّة وأهميّتها: احتلت اللغة العربيّة مكانا مرموقا حيث أصبحت اللغــة العالميّة الأولى في مختلف العلوم والفنون، في عصر ازدهار الحضارة العربيّة الإسلاميّة وإنّ عالميتها ظهرت واضحة عندما كانت البعثات العلميّة في مختلف الأقطار الأوربيّــة تؤمّ مراكز الإشعاع الثّقافي للدّراسة في مختلف العلوم والفنون باللغة العربيّة، وقد اتّسمت بخصائص كثيرة، تتّضح بجلاء في كل عنصر مــن عناصــرها الثّلاثــة: الأصــوات، والألفاظ والأساليب.

فاقت اللغة العربيّة غيرها من اللغات، حين تميّزت بخصائص أبرزتها، مــن النّاحيّــة الصّوتيّة، والمترادفات، والوضوح، وشدّة الارتباط بين الصّوت والمعنــى فــي كلماتهــا والاشتقاق والاعراب، والتّغيير في الدّلالات بتغيير بنيّة الكلمات، يقول أرنســت رينــان

العالم الفرنسي: "إنّ هذه اللغة قد بلغت حدّ الكمال في قلب الصّحراء عند أمّة من الرّحل ففاقت اللغات بكثرة مفرداتها، ودقّة معانيها، وحسن نظام مبانيها"[1].

تعدّ اللغة العربيّة أكثر اللغات الانسانيّة ارتباطا بعقيدة الأمّة، وهويّتها، وشخصيّتها ولذلك صمدت طويلا، سجلا أمينا لحضارة أمّتها. إنّها لغة ذات إرث حضاري واسع وعميق، تفرّدت بالشّرف الإلهي والمنزلة الرّبانيّة، فجمعت بين الشّعوب العربيّة والشّعوب الاسلاميّة التي شاركت ازدهار الثّقافة العربيّة الاسلاميّة. تتمتّع بمزايا وتنفرد بخصائص تستحق أن تكون لغة عظيمة. فاللغة العربيّة والحروف العربيّة، باتت تحتلّ في نظر الجماهير مكانة الاحترام والقداسة فانفردت بعالميّة من بين جميع لغات الأمم الأخرى، حيث أصبحت لغة الثّقافة، والإدارة، والتّجارة، والمراسلات، ووسيلة الاتّصالات الدّوليّة[2]. وهكذا بسبب انتشارها، وعالميتها وخصوصياتها، قررت الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة في جلستها العامّة رقم 2006 بتاريخ 18 ديسمبر 1973م إدخال اللغة العربيّة ضمن اللغات الرّسميّة لغات العمل المقرّرة في الجمعيّة العامّة ولجانها الرّئيسيّة[3]. ومن هنا تبدو الأهمّيّة الكبرى لتدعيم مكانة اللغة العربيّة والعمل على نشرها وتعليمها، حتى لغير النّاطقين بها من الشّعوب الإسلاميّة لأنّ في ذلك حمايّة للأمن الثّقافي الحضاري، وللأمّة العربيّة الإسلاميّة كما أنّ هيبة الدّولة في المحافل الدّوليّة مرهونة بمدى اهتمامها بلغتها القوميّة _على حدّ قول صالح بلعيد_ "وهل قامت دولة في العالم دون لغة البلد، فإن قامت فهل حصلت لها قائمة بما قامت، وهل هي في قائمة الدّول التي هي في قائمة القماقم، فأعد حسابك أيّها القائم، فلا يمكن قيام دولة عربيّة دون لغة عربيّة يا بشر!"[4]. فالاعتزاز والفخر بلغتنا واجب، والعمل على نشرها وارتقائها فرض على كلّ عربي ومحبّ لهذه اللغة، وكيف لا وجلّ التّقارير الدّوليّة تشهد بسموّ مكانتها في عالم الحضارة، وتصنّفها السّلطات الأمريكيّة في خانة اللغات الاستراتيجيّة، ويرسمها الكيان الصّهيوني إلى جانب العبريّة[5].

لغتنا من أجمل اللغات وأروعها، شريان حضارتنا النّابض، ووجه ثقافتنا المشرق تتجلّى فيها عظمة التّراث، وتتدفّق منها شلالات العطاء، فهي سيّدة اللغات... وهل في لغات الكون كاللغة التي يسمو بأحرفها كلام الله.

حوسبة اللغة العربيّة: يواجه العالم اليوم، نهضة علميّة عملاقة، لها خصائصها المحدّدة وصفاتها الخاصّة، وعلى المجتمعات العربيّة أن تساير الرّكب، وتتواصل مع مجتمع العولمة خاصّة ونحن في عصر التّكنولوجيا والاتّصالات لا بدّ من النّهوض بلغتنا والسّير بها إلى بر الحوسبة، لتتجاوز التّهميش والاهمال والرّكود في معالجة مشكلاتها. ويستدعي هذا ربط المعلوماتيّة بالتّنميّة اللغويّة عن طريق معالجة اللغة العربيّة آليا لمواجهة التّفجر المعلوماتي.

تعريب الحاسوب: تعود قضيّة تعريب الحاسوب إلى بدايّة السّبعينات حيث تظافرت جهود العديد من المختصّين (في الالكترونيات، لسانيات، شركات معلوماتيّة غربيّة) لإدخال اللغة العربيّة في الحاسوب ويمكن تلخيص تلك الجهود في النّقاط الآتيّة:[6]

_ تعريب خدمات الإدخال والإخراج بالحرف العربي ويشمل إدخال البيانات وتشفيرها وخزنها وإظهارها على الشّاشة وطبعها.

_ تعريب التّطبيقات الحاسوبيّة أو البرمجيات.

_ تعريب نظام تشغيل الحواسيب حسب أحجامها.

كما أنّ هناك عدّة مستويات أخرى لتعريب الحاسوب[7]:

_ المستوى الأوّل: يتمّ فيه التّعريب على مستوى نظام التّشغيل الدّاخلي.

_ المستوى الثّاني: يتمّ فيه التّعريب على مستوى نظام تشغيل الأقراص الممغنطة.

_ المستوى الثّالثّ: يتمّ على مستوى برامج التّطبيقات.

تقييس اللغة العربيّة في الحاسوب: بدأ تقييس اللغة العربيّة في مجال الحاسوب من قبل مراكز البحث العربيّة في بدايّة السّبعينات، ثمّ تظافرت الجهود وتبلورت في الثّمانينات بعد أن تبنت العديد من المنظمات والهيئات العربيّة والدّوليّة عمليات وضع مواصفات عربيّة خاصّة بالحواسيب وباستخدام اللغة العربيّة. ونتج عن ذلك اعتماد عدّة

مواصفات عربيّة ودوليّة في هذا المجال، حيث تـمّ اسـتخدام الحـروف العربيّـة فـي الحاسوب وهنا ظهرت الحاجة لاستعمال الحرف العربي في الحواسيب علـى مسـتوى الإدخال والمعالجة والنّشر أو الطّباعة، لذلك اهتمّت العديد من الدّول العربيّـة والغربيّـة بالموضوع وكانت أوائل التّجارب في هذا المجال في كل من العراق والمغرب العربـي إلى جانب تجارب في الدّول الغربيّة في كندا وفرنسا، إلاّ أنّ عدم التّنسـيق بـين هـؤلاء أدّى إلى عدم الاستفادة من الجهود المبذولة وظهرت محاولات عديدة أخرى، آخرها قيـام المنظّمة العربيّة للمواصفات والمقاييس كوّنت لجنة فنيّة (رقم 8) وهـي لجنـة الحـرف العربي (مواصفات أسمو 708)، أقرّت بتمثيل كل محرف بثمانيّة عناصر ثنائيّة[8].

وقد تضمّن المقياس العربي مجموعة محارف 45، مقسّمة كالآتي[9]:

21_ صوتا صامتا.

1_ مصوّتات (الحركات القصيرة والحركات الطّويلة).

4_ محارف للضبّط (الشّدة، التّنوين، السّكون، وهمزة الوصل).

7_ محارف خاصّة (الألف الممدودة، الألف المقصورة، الهمزة بأشـكالها الأربعـة: على الواو، على الألف، تحت الألف، وعلى النّبرة).

8_ البحث عن جذور الكلمات العربيّة وأوزانها، والهدف حل إشكاليّة التّرجمة الآليّـة خاصّة.

التّقنيات المعتمدة في حوسبة اللغة: إنّ المعالجة الآليّة لأي لغة من اللغات لا تتحقّـق فعليا إلاّ بتوفّرها على مجموعة من الوسائل تكون عاملا مساعدا في تقنيّة الحوسبة نـذكر منها اللسانيات، المعلوماتيّة، الرّياضيات من جبر وإحصاء، الذّكاء الاصـطناعي، حيـث تقدّم اللسانيات وصفا شاملا للغة، وعلى هذا الأساس تسهل عمل اللغة الحاسـوبيّة. أمّـا اللسانيات الحاسوبيّة فلها القدرة على اختيار الحلّ الأمثـل فـي الخوارزميـات وبـرامج المعالجة، وتتعرّف الرّياضيّات على الخصائص الشّكليّة لوسـائل المعالجـة والنّظريـات اللغويّة، أمّا الذّكاء الاصطناعي فيسمح بإيجاد الطّرائق المناسبة للتّمثيل المعلوماتي.

اللغة العربيّة وتحدّي الحوسبة: ثبتت طواعيّة اللغة العربيّة لتقنيات المعلوماتيّة، سواء في أساليب معالجة الكلمة والجملة، أم في المعالجة الآليّة للكلام المنطوق، أم في تعامل الأجهزة والمعدّات مع الحرف العربي، والأهم قابليّة اللغة العربيّة وقدرتها على احتواء النّظم الحاسوبيّة والبرمجيات، مثلما ثبتت أيضا سعة ميادين استخدام اللغة العربيّة في المعلوماتيّة كالتّوثيق والتّخزين والتّعليم والتّعريب والابداع والاتّصال، فحلّت المشاكل المتّصلة بالحرف العربي، وصارت المعدّات والأجهزة متوفّرة نسبيا، ولا سيما أنّ النّظم الأساسيّة ونظم التّشغيل في مجملها أصبحت متاحة باستعمال الحرف العربي، ممّا ساعد على اتّساع سوق المعلوماتيّة، وهذا جعل شركة "ميكروسوفت" تتيح للتّداول المستمر عدّة نظم معلوماتيّة ميكروسوفتيّة، تأخذ بعين الاعتبار خصوصيات اللغة العربيّة في ميادين الابتكار والابداع والاتّصال. عن طريق الذّكاء الاصطناعي وتطويع الخيال المعلوماتي[10] ونشير إلى أن ثمّة تحدّيات كثيرة للحوسبة أمام اللغة العربيّة من النّشر الالكتروني وأهمّيّة تعريبه، ولطالما دعا اللغويّون العرب إلى تنميّة اللغة العربيّة في العصر الحديث، وفكروا في تطوير الحاسوب والمعاجم.

مراحل تطوّر اللسانيات الحاسوبيّة في الدّراسات العربيّة المعاصرة: حاول العديد من المختصّين في علم اللغة، وبعضهم في علم الحاسوب، وقدّموا جهودا وإسهامات نذكر منها:

جهود ابراهيم أنيس وجامعة الكويت في السّبعينات[11] وكتاب نبيل علي المعنون باللغة العربيّة والحاسوب الصّادر سنة 1988م والذي يعدّ أوّل مؤلّف يتناول موضوع اللسانيات الحاسوبيّة مطبّقة على أنظمة اللغة العربيّة صوتا وصرفا ونحوا ومعجما مع المعالجة الآليّة لهذه النّظم اللغويّة جميعها. وصدر كتاب آخر بعد سنوات: الحاسوب واللغة العربيّة "لعبد الذياب العجيلي" كخطوة جزئيّة إيجابيّة نحو معالجة مسائل متنوّعة من العربيّة والواقع أنّ خير دليل على الإسهامات التي يقدّمها علم اللسانيات الحاسوبيّة لمعرفة اللغة البشريّة، هو الدّراسة التي قدّمها محمّد مراياتي بالتّعاون مع زملائه في مركز الدّراسات والبحوث العلميّة في سوريا تلك الدّراسة التي تدور حول إحصائيّة الجذور العربيّة، حيث درس الجذور العربيّة القديمة دراسة حديثة معتمدا في ذلك على

الحاسبات الالكترونيّة التي تساعد كثيرا في ضبط العمليّة الإحصائيّة والسّرعة العلميّة وهو ما دفع بمراياتي لأن يحصي النّسب المئويّة للجذور الثّنائيّة والثّلاثيّة والرّباعيّة والخماسيّة في اللغة العربيّة، وقد دفعه أيضا لأن يحصي الدّرجات المئويّة التي يمكن فيها للأصوات العربيّة أن تندمج مع بعضها البعض أو تنفصل عن بعضها، ثمّ القوانين التي تحكم هذا الدّمج والانفصال الواقع[12]. ويلاحظ أنّ الدّراسات اللسانيّة العربيّة _على حد قول مازن الوعر_ قد حوت محاولات جادة لتطوير تقنيات الحاسوب للغة العربيّة بما يتوافق مع شخصيتها ومحارفها ورسومها من جهة، ومواءمة قواعد اللغة العربيّة وخصائصها للحاسوب من جهة أخرى، بادئة ببرمجة الحروف والنّصوص العربيّة بهدف تحسين الاتّصال الآلي بين الإنسان والحاسوب[13]. وذكر محمّد مراياتي أنّ ثمّة إشكاليّة تستدعي مضاعفة الجهود لوضع تعامل الحرف العربي مع الأجهزة والمعدّات مثل: ترميز الحرف المنطوق، توزيع الحروف العربيّة على لوحة الملامس، ترميز الحرف المكتوب وتقييسه، ضغط النّصوص العربيّة بغيّة خزنها في ذاكرة الحاسوب اقتصاديا وغيرها[14].

ولعلّ آخر هذه المؤلّفات في اللسانيات الحاسوبيّة، كتاب "نهاد الموسى" المعنون بـ "العربيّة نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبيّة" الذي صدر سنة 2000م ويعدّ هذا الكتاب أوّل ما ألّف في هذا العلم اللغوي الحديث يصدر عن متخصّص في اللغة العربيّة وعلومها والكتاب بمثابة محاولة في الانتقال من وصف العربيّة إلى توصيفها وذلك في ضوء الأطروحة العامّة للسانيات الحاسوبيّة وهذا ما ذكره المؤلّف الذي حاول إسقاط رؤى حاسوبيّة على الأنظمة العربيّة خاصّة النّحو والصّرف والمعجم إضافة إلى تصويب الأخطاء النّحويّة والصّرفيّة والإملائيّة[15].

اقتراحات لحل مشكلة حوسبة اللغة العربيّة: ثمة نموذج اقترحه "وجدان محمّد صالح كينالي" ليكون منهجا للسانيات الحاسوبيّة حيث يقدّم تصوّرا تأسيسيا لمنهجيّة التّناول تتعدّد فيه المقاربات تبعا لتباين الأنظمة اللغويّة الجزئيّة التي تتكامل فيما بينها وتشكّل تلك الأنظمة مجتمعة النّظام الكلي للغة العربيّة[16].

أوّلا توصيف النّظام الفونيتيكي: تؤول العربيّة في نظامها الصّوتي إلى أربعة وثلاثين فونيما، ثمانيّة وعشرون صامتا وستّة صوائت تمثّلها الحركات الثّلاث القصيرة الفتحة الكسرة والضّمّة والحركات الثّلاث الطّويلة حروف المدّ، ويعني في الجانب الفونيتيكي بتوصيف تلك الأصوات.

ثانيا توصيف النّظام الفونولوجي: تخضع الفونيمات العربيّة لقواعد فونولوجيّة تحكم تتابعها في سياق الكلمة أو الجملة، وقد يطرأ على الفونيم تغيير في صفته ويعني ذلك أنّ التّوصيف الفونيتيكي لا يكفي وحده ليمكن الحاسوب من تمييز الفونيمات وأنّه يحتاج إلى توصيف آخر لما يعتري فونيمات العربيّة في سياقها الوظيفي (التّضعيف، الإدغام، ال الشّمسيّة).

ثالثّا توصيف النّظام المورفولوجي: تمكين الحاسوب من التّعامل مع المورفيمات الوحدات الصّرفيّة التي تشكل التّراكيب اللغويّة المتنوّعة.

رابعا توصيف النّظام الإعرابي: وذلك بتصنيف كلم العربيّة إلى المبني والمعرب ذلك أنّ المبني سيدخل في الحاسوب على هيئة لا تتغيّر ويحصر جهدنا على الاسم المعرب والفعل المعرّب.

خامسا توصيف النّظام الدّلالي: هو نواة المعالجة الآليّة، فجل هذه العمليات للتّراكيب اللغويّة، تستند بشكل من الأشكال عليه وتحال إليه.

الخاتمة: وختاما نقول إنّ العلاقة بين الحاسوب واللغة، علاقة تبادليّة، وذلك أنّ دراسة اللغة من منظور قياسي هندسي تكشف القناع عن أسس علوم اللغة والقدرات اللغويّة وكيفيّة قيام الذّهن بعمليّة تحليل اللغة. وفي الوقت نفسه، تسهم اللغة في تطوير أنظمة الذّكاء الاصطناعي الذي يسعى إلى محاكاة وظائف الذّهن اللغويّة والقدرات البشريّة. أمّا فيما يخصّ السّعي إلى حوسبة اللغة العربيّة مازال في طور الإنجاز رغم الجهود الفرديّة والمؤسّساتيّة والجامعيّة التي بذلت ومازالتّ تبذل من أجل استثمار وانتشار حوسبة اللغة. ولعلّ أهمّ مشكلة مستقبليّة بالنّسبة للغة العربيّة وتنميتها هي الاسهام في تقليص الفجوة الرّقميّة بين المجتمعات العربيّة ومجتمع المعلومات.

الاحالات:

[1]_ عبد الرّزاق السّعدي، مقومات العالميّة في اللغة العربيّة وتحدياتها في عصر العولمة، العدد 63 1429ه، ص 47.

[2]_ خاطر محمود شكري، طرق تدريس اللغة العربيّة والتّربيّة الدّينيّة في ضوء الاتجاهات الحديثة دار المعرفة، القاهرة، ص 37.

[3]_ خليفة عبد الكريم، عالميّة اللغة العربيّة ومكانتها بين لغات العالم، مجمع اللغة العربيّة، 2003م دمشق، ص 21.

[4]_ صالح بلعيد، في الأمن اللغوي، دار هومة، الجزائر، ص 18.

[5]_ محمد أرزقي فراد، مقال بعنوان: صالح بلعيد... باحث هاجسه الأمن اللغوي، جريدة الشّروق https://www.echouroukonline.com>

[6]_ نزهة ابن الخياط، من قضايا اللغة والحاسوب، تاريخ الإتاحة: 2018/02/27م، متاح في www.membres.lyocs.fr/abedjbri/21-30-table.html

[7]_ محمد مراياتي، تعامل الأجهزة والمعدات مع الحرف العربي، المنظمة العربيّة للتربيّة والثّقافة والعلوم، 1996م، تونس، ص 79.

[8]_ أحمد أبو الهيجاء، المواصفات والمقاييس لتعريب المعلوماتيّة، المجلس الاقتصادي والاجتماعي جوان 2003م، الأمم المتحدة، ص 153.

[9]_ مجدي بن محمد الخواجي، المعلوماتيّة واللغة العربيّة: القيمة والتّحدي، مجلة عالم الكتب، ط2 2005م، ص 183.

[10]_عبد الله أبو هيف، مستقبل اللغة العربيّة: حوسبة المعجم العربي ومشكلاته اللغويّة والتّقنيّة أنموذجا، مجلة التّراث العربي، العدد (94-93) (محرم- ربيع الثّاني) 1425ه (مارس-جوان) 2004م، ص 99.

[11]_ عبد الرّحمن بن حسن العارف، توظيف اللسانيات الحاسوبيّة في خدمة الدّراسات اللغويّة العربيّة مجلة مجمع اللغة العربيّة الأردني، العدد 73، 2007م، الأردن، ص 19.

[12]_ ديدوح عمر، فعاليّة اللسانيات الحاسوبيّة العربيّة، مجلة الآداب واللغات، العدد 08، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2009م، ص 89.

[13]_ مازن الوعر، اللسانيات والحاسوب واللغة العربيّة، صحيفة رؤى ثقافيّة، دمشق، ص 23.

[14]_ محمد مراياتي، تعامل الأجهزة والمعدات مع الحرف العربي، ص 79.

[15]_ عبد الرّحمن بن حسن العارف، توظيف اللسانيات الحاسوبيّة في خدمة الدّراسات اللغويّة العربيّة جهود ونتائج، ص 20.

[16]_ وجدان محمد صالح كنالي، اللسانيات الحاسوبيّة العربيّة _المنهج والإطار، بحث قدم في المؤتمر الدّولي الثّاني للغة العربيّة في دبي، 30 جمادى الثّانيّة 1434ه، ص 10 وما بعدها.

الأصول اللغوية الفصحى للكناية في الخطاب التواصلي العامي الجزائري

د. نور الدين دحماني

جامعة مستغانم

ملخّص: تسعى هذه الورقة لاستقصاء نماذج من التراكيب العامية التي تبوّأت منها الكناية مكانة رامزة. ولعلّ التصوير الكنائي أن يكون مظهرا من مظاهر الارتباط الحيويّ بين أساليب التعبير على مستوى الخطاب التواصليّ العاميّ بأصول العربية الفصحى، ذلك أن كثيرا من مناحي هذا الخطاب لا تجد بدّا من استحضار الكنايات لتوضيح مقاصد الكلام، وعضد حجّيتها في سياقات شتّى كالوصف والنصح والحكمة والدعاء والمدح والذمّ والاستحسان والاستهجان والتهنئة وغيرها... وتلك أغراض أبانت عن اقتدار قولي رغم مجانبة أساليبها لضوابط الفصحى بفعل اللحن. وتتحدّد الإشكالية كالآتي: ما طبيعة التوجيه البياني للصورة الكنائية في الخطاب التواصلي العامي الجزائري؟ وما طبيعة المحاذير التي تطرحها إشكالية الفصحى والعامية في استخدام التراكيب الكنائية؟ وما هي تجلّيات الفصحى وانعكاساتها لسانيا في مثل هذا التوظيف؟

الكلمات المفتاحية: الفصحى، العامية، الكناية، لازم المعنى، الرمز، اللحن القيمة اللونية.

Abstract:

Classical linguistic origins of metonymy in Algerian slang

This paper discusses the presence of metonymy in rhetorical expressions according to the use of algerian slang. So the different contexts of speech are very rich which serves to clarify the meaning according to various imaginative methods, either for argumentative reasons opt to persuade the receivers, or to demonstrate the qualities of efficiency of the speaker such as his wisdom and his popular culture Algerian, and its communicative competence useful.

We can be seen that the structure of this discourse was not generally far from the logic of classical Arabic, nor of its rhetoric in particular, but often inspired by its phonetic, morphological, grammatical and rhetorical aspects. We therefore try to study some examples of these rhetorical expressions relating to metonymy in the Algerian dialect familiar; according to the following problematic: What is the nature of the links between the Algerian slang and the classical Arabic language according to the use of metonymy?-

تمهيد: يتوسّل الخطاب التواصلي العامي الجزائري في شتّى مقامات الكلام بتعبيرات بيانية يؤتى بها إما للطائف فنية تعنى بإيضاح الدلالة وفق طرائق تخييلية متنوّعة، وإما لمقتضيات حجاجيّة تستهدف غاية الإقناع، لأنّها تقدّم لنا القضيّة وفي طيّها برهانها على حدّ تعبير الجرجاني، وإما للتدليل على كفاءة المتكلّم الحكمية ورصيده من الثقافة الشعبية المركوزة في أوساط المجتمع الجزائري وتقاليده في التواصل النفعي.

ولم تكن بنية هذا الخطاب منفصلة عن منطق اللغة العربية الفصحى بعامة، ولا منطقها البلاغي بخاصّة، بل كثيرا ما استقت منه مقوّماتها الصوتية والاشتقاقية والصرفية والنحوية والبلاغية، رغم ما اعتراها من لحن وتلوّث لغوي جرّته عليها عوامل تاريخية تتصل غالبا بظروف الاستدمار التي عطّلت نموّها.

وهي نماذج أغلب ما تكون مبثوثة في تضاعيف كلام الأشخاص ذوي التجربة الناضجة والعريضة في مضمار الحياة، ممّن عايشوا أحداثا وتجارب مثيرة في حياتهم، وخالطوا منذ حداثة سنّهم أقواما حنّكتم المحن والخطوب، فضربوا بسهم وافر في مجال الحكمة ورجاحة الرأي والكلام الموزون الرصين المكتنز بالدلالات والقيم المجتمعية والخلقية، شأنهم في ذلك تماما شأن الأعراب الخلّص الذين خبروا الحياة واعتصروا منها نهج كلامهم.

- **حول مفهوم الصورة الكنائية:** نرتئي استهلال الموضوع انطلاقا من مكاشفة مفهوم الكِنايَة وفق التحديد الاشتقاقي، حيث إنها من مصدر كنيتُ أو كنوت بكذا بمعنى أن تتكلَّم بشيء وتريد به غيره[1]. ويذهب ابن فارس إلى أن «الكاف والنون

والحرف المعتلّ يدلُّ على توريةٍ عن اسمٍ بغيره. يقال: كنيت عن كذا. إذا تكلَّمت بغيره مما يُستَدَلُّ به عليه. وكَنَوْتُ أيضاً. ومِمَّا يوضِّح هذا قول القائل:

وإنِّي لأكنو عن قَذُورَ بغيرِها وأُعرِبُ أحياناً بها فأُصارِحُ

ألا تراه جعلَ الكِنايةَ مقابِلة للمصارحة. ولذلك تسمَّى الكُنْية كُنيةً، كأنَّها توريةٌ عن اسمه...»[2].

وفي العامية الجزائرية تطلق لفظة **(كنّة)** على زوجة الابن، وهي مأخوذة من أصل فصيح، لأنها تقترب من معنى الستر والإخفاء والتورية، وكأن المرأة إذا ما تزوّجت وانتقلت إلى بيت أهلها احتجبت عن أنظار العامة ممن كان مباحا لها ملاقاتهم ومحادثتهم قبل زواجها، فصارت مستورة مواراة عن الأنظار، باستثناء أهلها وأهل زوجها وخاصته العائلية غالبا.

واصطلاحا هي لفظ أُطْلِقَ وقُصِد به لازم معناه الذي وُضع له، مع جواز إرادة المعنى الأصلي، لعدم وجود قرينة تصرفنا عن إرادته، فهي أننا نريد إثبات معنى ما، فلا نصرّح بلفظه، ولكن نعمد إلى معنى يرادفه فنومئ به إلى المعنى الأول ونجعله دليلا عليه[3].

الكناية لدى العسكري أن يُعَرَّض بالأمر ويُتْرَك التصريح[4]، ورأى "الجرجاني" أن الصفة إذا ما كنّينا عنها كان ذلك أفخم لشأنها وألطف لموضعها، وأسبغت على الشيء الموصوف مزيّة وفضلا وحسنا ورونقا[5]. والكناية عند "ابن الأثير" تقتضي الميل مع المعنى وترك اللفظ جانبا، وقد يتجاذبها كلّ من الحقيقة والمجاز، بحيث يجوز حملها على الوجهين معا[6]. وتتحدّد الوظيفة الجمالية للكناية في إيراد المعنى بألين لفظ، بغية التنويه أو التفضيل أو التعظيم، ولعلّها أولى من التصريح والشرح وقد يرد من سكوت لازمته الإشارة والإيماء من إصابة الحاجة والمرام ما يعجز عنه الكلام[7].

تتوسَّل الصورة الكنائية بالعالم الحسّي في غالب حالاتها، وتتغيّ بذلك إما الانتهاء إلى أبعاد حسّية أخرى في الدلالة الأبعد، وإما بلوغ القيم المجرّدة الذهنية

والنفسية عبر حركة داخلية[8]. قد تتجاور مجموعة من الصور الكنائية المركّبة وتتضامّ في سياق محدّد، مما من شأنه إثراء النصّ بكثافة تصويرية متّسقة ومتناغمة، تتيح للمتلقي التفاعل مع الموقف الشعوري أو الفني المهيمن فيه.

وهناك ملمح تركيبيّ آخر للصورة الكنائية يرتبط بالسياق، ولكن من جهة الائتلاف مع الصور الفنية الأخرى – وهذا أمر واسع الانتشار – إذ تتداخل صور التشبيه أو الاستعارة بالكناية، مما يؤدّي إلى التباس التصور الفني[9]. وقد أومأ "الجرجاني" إلى ما يمكن عدّه من قبيل الصورة الكنائية المركّبة حينما توقّف عند قول زياد الأعجم، وجلّى ما فيها من مسلك دقيق خفيّ رائق[10]:

إنَّ السَّماحَةَ وَالمُروءَةَ وَالنَّدى ... في قُبَّةٍ ضُرِبَت عَلى ابنِ الحَشرَجِ
مَلكٌ أَغرُّ مُتَوَّجٌ ذو نائِلٍ ... لِلمُعتَفينَ يَمينُهُ لَم تَشنَجِ
يا خَيرَ مِن صَعِدَ المَنابِرَ بِالتُّقى ... بَعدَ النَّبِي المُصطَفى المُتَحَرِّجِ
لَمّا أَتَيتُكَ راجِياً لِنَوالِكُم ... أَلفيتُ بابَ نَوالِكُم لَم يُرتَجِ

فقد عدل عن التصريح بنسبة هذه الخلال إلى الممدوح، بل ركبّها في لفظ (قبّة). فهي صورة اشتملت على خطوط متداخلة من جهات عدّة لترسم بؤرة مشعّة تعزّز القيمة الإبلاغية والحجاجية والتخييلية للخطاب.

- **البعد الرمزي في الكناية:** وتستدعي الصورة الكنائية الحديث عن الرمز فمن القدماء من قرن بينهما[11]، ولكن لم يتعمّقوا الكشف عن بلاغته، بيد أن ما تجدر الإشارة إليه هو أن مقولة الرمز كان لها حضور في مجال النقد الأدبي الحديث، بطرح مغاير من حيث الإطار المعرفي، ومن حيث التناول، فقد غدا مبدأً حيويا قامت عليه النزعة الرمزية في الفن والأدب.

الرمز تصويت خفيّ باللسان كالهمس، والرمز إشارة وإيماء باليدين والعينين والحاجبين والشفتين[12]. قال ابن وهب في (البرهان في وجوه البيان): «وأما الرمز فهو ما أُخْفِي من الكلام... وإنما يستعمل المتكلّم الرمز في كلامه فيما يريد طيه عن كافة الناس والإفضاء به إلى بعضهم...»[13]. وقال الله تعالى مستجيبا لطلب

زكريا عليه السلام: ﴿**قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا...**﴾[14]. أي: إشارة وإيماء.

والرمز بيانيا أحد أقسام الكناية باعتبار الوسائط والسياق، و«هو الذي قلّت وسائطه، مع خفاء في اللزوم بلا تعريض، نحو: فلان عريض الوسادة، كناية عن بلادته وبلاهته»[15]. وبيّن بعضهم الرمز بأن «يريد المتكلّم إخفاء أمر ما في كلامه مع إرادته إفهام المخاطب ما أخفاه، فيرمز له في ضمنه رمزا يهتدي به إلى طريق استخراج ما أخفاه من كلامه»[16]. وقد أشار صاحبا كتاب (نظرية الأدب) إلى أن «الرمز موضوع يشير إلى موضوع آخر، لكن فيه ما يؤهّله لأن بتطلّب الانتباه أيضا لذاته، كشيء معروض»[17]، فهو وسيط يتيح إمكانية استدعاء عناصر ذات طبيعة مغايرة تحيل إلى دلالة معينة تنبجس بين ظلال الإيحاء.

إن الرمز شيء حسّي قوامه مشابهة بين ظاهرتين استشعرتها مخيّلة الرامز كالإشارة إلى أمر معنوي،[18] وبذلك فهو يرتكز فنيا على «التشابه النفسي بين الأشياء، وهو ثمرة يقتطفها الشاعر من خلال إدراكه الحدسي للعلاقات العميقة والخفية بين الظواهر المادية وما يختبئ وراءها من أسرار، ثم يوظّف الطاقة الإيحائية المتولّدة من التقاء الأشياء للكشف عن تلك الأسرار»[19]. وبهذا التوصيف يكتسب الرمز قيمته الفنية الجمالية التعبيرية المقابلة للقيم الشعورية التي يصدر عنها الشاعر في تجربته. ويتخطّى الرمز الواقع الحسّي إلى الدلالات الضمنية التي يستكشفها بوساطة الحدس، فكلّ من ملكتي الحسّ والحدس مطلوبتان لإبداع عالم رمزي.

وتندرج الصورة الرمزية بما فيها الأسطورية ضمن الصورة الفنية، بوصفها جانبا يؤثّر في بنية العمل الفني، وفي المتلقي معا، ومن هنا يفهم سرّ حضور الرمز والأسطورة في الأعمال النثرية القديمة كألف ليلة وليلة، وكذا احتفاء الشعراء المعاصرين به على غرار السياب ونازك الملائكة وصلاح عبد الصبور وغيرهم[20]، نظرا لما لمسوه فيه من إمكانية الإفادة «من مخزونه المعنوي حيث

يُخفي وراءه ميثولوجية كاملة... وهي طاقة محرّكة للنصّ تثريه وتفسّره وتكشف عن القيم الباطنة الكامنة فيه»[21]، فالصورة الرمزية صورة تتجاوز حدود الدلالة الحسية الضيّقة، وتعتمد على الإيحاء الرحب وليس على مجرّد التقرير[22].

يفرّق النقاد بين الرمز اللغوي والرمز الأدبي؛ فإذا كان اللغوي يتسم بخاصيتين: هما الإيجاز والتجريد، فإن الرمز الأدبي يعدّ أسلوبا تعبيريا يضطلع بوظيفة جمالية، وتأتلف عبره التجربة مع سائر عناصر النص الإبداعي، ويتمظهر في أشكال لغوية، منها الألفاظ المفردة التي تحيل رمزيتها إلى مكان أو زمان أو حادثة تاريخية أو موقف أو تجربة عاطفية، نحو ألفاظ: عنترة، سندباد، حطين، الخورنق مجنون ليلى، لوركا وغيرها مما يعدّ لمحات في منتهى الإيجاز تعمّق دلالات الموقف الشعري، وتذكي إيحاءات النص[23].

ولعلّ ذلك ما اصطُلح عليه بالرمز الجزئي، إذ هو «أسلوب فني تكتسب فيه الكلمة المفردة أو الصورة الجزئية قيمة رمزية من خلال تفاعلها مع ما ترمز إليه فيؤدّي ذلك إلى إيحائها واستثارتها لكثير من المعاني الخبيئة»[24]. وهناك تجلٍّ آخر للرمز الأدبي يتجلّى في السياق التركيبي يمتدّ مع عبارات النص يُطلق عليه الرمز الكلّي، وهو «معنى محوري شفّاف مُجسّد في إحدى الظواهر المادّية، تتمركز على أرضه جلّ الصور الجزئية التي تتوزّع العمل الشعري، وتشدّه نحو هدف جمالي منظور، ويربطها به ينبوع التجربة الشعورية»[25]. وتتباين الأشكال الرمزية الأخرى فيما بينها اتساعا وامتدادا، وفق طبيعة الموقف النفسي والفكري والاجتماعي الذي يصدر عنه الشعراء، مما يجلّي توهّج الرمز في ومضات متصاعدة. لتشمل معظم القصيدة في مظهر حكائي يتلبّس بمعاناتهم[26].

اللغة الفصحى: تعرَّف اللغة الفصحى بأنها لغة الكتابة التي تُدَوَّن بها المؤلَّفات والصحف والمجلاَّت، والوثائق الرسمية المتصلة بالقضاء والتشريع والإدارة ويؤلّف بها الشعر والنثر الفني، وتُستخدم في الخطابة والتدريس والمحاضرات وفي تفاهم العامة إذا كانوا بصدد موضوع يمت بصلة إلى الآداب والعلوم[27].

وعن فضل القرآن الكريم على اللغة العربية الفصحى، يقول الأديب والمؤرّخ اللبناني "ألفيكونت فيليب دي طرزي" في كتابه (تاريخ المصاحف): «لقد أصبح المسلمون بقوّة القرآن أمّة متوحّدة في لغتها ودينها وشريعتها وسياستها؛ فقد جمع شتات العرب، ومن المقرّر أنه لولا القرآن لما أقبل الألوف من البشر على قراءة تلك اللغة وكتابتها ودرسها والتعامل بها، ولولا القرآن لظلّ كل بلد من البلدان التي انضمت للإسلام ينطقون بلهجة يستعجمها أهل البلد الآخر. وقد حفظ القرآن التفاهم بالعربية بين الشعوب الإسلامية وبين العرب»[28].

فاللغة الفصحى كانت شتاتا توزّع بين لهجات عديدة شهِدَت منشَأَها بين مختلف القبائل العربية، ثم توحّدت وانصهرت في لهجة قريش التي عُدّت أفصحها آنذاك، لذلك نزل بها الوحي، واستمدّت نضارتها ونصاعتها من كلام الأعراب الخلّص الذين استوطنوا البوادي، فباتت لغة تواصلهم، ثمّ توشّحت بها آدابهم، لتتأسّس عليها حضارة مُشْرِقَة جابت الربوع والأصقاع.

الخطاب التواصلي العامي: تطّرد ظاهرة ملازمة العامية للغة العربية الفصحى في جميع اللغات، ولكل منهما مجالاته واستعمالاته، وتُعَرَّف اللهجة العامية بأنها طريقة الحديث التي يستخدمها السواد الأعظم من الناس، وتجري بها كافة تعاملاتهم الكلامية، وهي عادة لغوية في بيئة خاصة تكون هذه العادة صوتية في غالب الأحيان[29].

وتعزى أسباب حدوثها وتشكّلها بلهجاتها المختلفة إلى جملة من العوامل منها: العامل الجغرافي؛ فقد تتسع الرقعة الجغرافية للمتكلمين باللغة، وتفصل بينهم الجبال والأنهار، ويقل التواصل بينهم، فتأخذ اللغة بالتغير شيئاً فشيئاً، ويسلك المتكلمون باللغة مسلكاً مختلفاً عن غيرهم، مما يؤدي إلى حدوث لهجة جديدة.

ومنها العامل الاجتماعي، إذ تؤدّي الظروف المجتمعية في البيئات متعددة الطبقات، إلى تعدُّد اللهجات، فكل طبقة تحاول أن تكون لها لغتها، وأسلوبها الذي يميّزها عن الأخرى. ومنها العامل السياسي، فقد يساعد انفصال قبيلة أو دولة

واعتناق المذاهب السياسية أو الدخول في الديانات الجديدة على دخول ألفاظ واصطلاحات جديدة في اللغة، تسهم في تشكّل لهجة جديدة وفق ظروف جديدة نابعة من سياقات سياسية في الأصل.

وقد يضاف إلى ذلك عامل الصراع اللغوي، ولعلّه أهم العوامل التي تؤدّي إلى تعدّد اللهجات، وانتصار واحدة على أخرى، طبقا لقوانين لغوية؛ فالأقوى حضاريا تكون له الغلبة[30].

وترتدّ أصول اللهجات العامية المعاصرة إلى لهجات العرب القديمة التي تمّ تصنيفها إلى عدّة أنواع منها: التضجُّع، وهو التراخي في الكلام أو التباطؤ فيه وقد لهجت بها قبيلة قيس، والتلتلة وهي كسر حرف المضارعة مطلقاً نحو (يعلم). والشنشنة التي يُقصد بها إبدال الكاف شينا مطلقاً عند أهل اليمن خاصة في قولهم لبيك (لبيش)، وهي لا تزال شائعةً لدى أهل حضرموت. أما الكشكشة فتعني إبدال كاف المخاطَبَة المؤنّثة في حالة الوقف شيناً، نحو (أعطيتش) في أعطيتكِ في حالة الوقف.

وتضاف إلى ذلك لغة أكلوني البراغيث، التي يلحق فيها أصحاب هذه اللهجة بالفعل فاعلين؛ مثل: جاؤوا الطلاب فالواو في جاؤوا فاعل، والطلاب فاعل ثان. وقد اعتبر القدماء هذا من ضعيف اللغة، وبعض المعاصرين يعتبره غير جائز؛ إذ يكتفي الفعل بفاعل واحد[31]. وقد اكتنف هذه اللهجة كثير من الجدل قديما، حيث أن هناك من احتج بها، وعدّها من فصيح الكلام.

خصائص اللهجات العامية: يسعى دعاة العامية إلى تسويغ استخدام العامية زاعمين أن لها عدة مميّزات، ومن أبرز هؤلاء "أنيس فريحة" الذي يذهب إلى أن اللهجة العامية تمتاز بعدة خصائص منها:

– كونها حيّة متطوّرة، وتتغيّر نحو الأفضل؛ لأنها تتصف بتجافي الإعراب وبشكلها العادي المشترك المألوف واعتمادها الفصحى معينا لها

– الاقتصاد اللغوي، وهو أمر يتوافق وخصوصية الإيجاز الذي يقتضيه البعد التداولي للاستخدام التواصلي العامّي.

– الإهمال والاقتباس والتجديد في المعنى؛ فالعامية برأيه نامية مسايرة لطبيعة الحياة تحرص على إماتة وإهمال ما يجب أن يهمل، واقتباس ما تقتضيه الضرورة من الألفاظ.

– البعد الإنساني يضفي عليها مسحة الحياة؛ فالفصحى لدى "أنيس فريحة" ليست لغة الكلام؛ لأنها لا تعبّر عن الحياة بحلاوتها وقسوتها كما تفعل العامية، ودليله على ذلك أننا لا نستطيع التعبير بواسطة الفصحى، بنفس الطلاقة التي نُعَبِّر فيها بواسطة العامّية عما نريد.

صلة اللهجات العامية بالفصحى: بما أن كلا من اللهجات العامية والفصحى من أصول عربية، فلا بدّ من وجود تشابه بينهما؛ لأنهما من صنع مجتمع عربيّ لسانا وتصميما. غير أن ما يُمَجّ من تلك اللهجات أنها أشلاء لغات تهشّمت، وأعقاب ألسنة لم تبلغ الأوج، وهي تردّ العربية إلى الوراء حيث كانت القبائل متباعدة النطق، وتبخس الجهد التاريخي الذي أسلم العربية إلى صيغتها النقية الصافية[32] ومع ذلك تجدر الإشارة إلى أهم أوجه الاختلاف القائم بينهما:

– العامية هي لغة السواد الأعظم لمجموعة من الناس، بينما الفصحى تقتصر على الخاصة.

– تحرّر العامية من الضوابط والأحكام اللغوية، لتنطلق علي سجيتها الكلامية باعتبارها اللغة المحكية بأحكام الصرف والنحو والألفاظ الدلالية المنتقاة.

– من يتحدّث العامية، ولا يقوى على القراءة والكتابة، يعاني صعوبة في فهم واستيعاب ما تعنيه.

– افتقار العامية إلى مالا يحصى من المصطلحات العلمية والفنية، والمفردات المستحدثة، ولاسيّما مستلزمات التطوّر الحضاري والتقدُّم التكنولوجي[33].

تحليل نماذج كنائية في الخطاب التواصلي العامي الجزائري: يطفح الخطاب التواصليّ العامّيّ الجزائريّ بتراكيب كنائية من الوفرة بمكان، تستدعيها مقامات كلامية وأحوال تعبيرية شتّى تتراوح ما بين النصح والحكم والأمثال والدعاء والوصف كما أومأنا إليه آنفًا، نرتئي الاقتصار على بعض منها بغية الوقوف عند مقتضيات استخدامها والمعاني التي تصوّرها والوشائج التي تربطها بالفصحى وأهمّ المحدّدات اللغوية والفكرية والثقافية والفنّية التي تضبط ديناميّتها ضمن هذا الخطاب.

1- المَنْدَبَة كْبِيرَة والمَيِّت فَار: تركيب مَثَليّ يُستخدم للذي يُحْدِث صخبا كبيرا حول أمر هيّن غير ذي شأن عظيم فيهوّله، من قبيل **الكناية عن صفة. (فالمندبة)** صيغة صرفية حسب الاستخدام العامّي ذات أصل فصيح طرأ عليها اللحن مجترَحة من ندب الميّت، إذا بكى عليه وعدّد محاسنه، والاسم منه النُّدبة بالضمّ، والندب أيضا: أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد[34].

وإطلاق النَدَبَ في الموت يشي بمعنى نَدب جراح فقده، لأنّه احتراق ولَذْغ من وقع الحزْن[35]. وصارت تُطلَق على المناحَة والمأتم الذي يُقام لتلقّي العزاء في ميّت، وقد طرأ عليها اللحن في سياق الاستخدام العامّي.

وكذلك لفظ **(فار)** فصيح، لكن طبيعة اللحن فيه صوتية، إذ أُسقطَت الهمزة وأُبْدِلَت ألف مدّ، ومنطق المقابلة التي جمعت ما بين متباعِدَين هو ما أذكى من دلالة التركيب، وطرافة المعنى فيه، حتى ليكاد يُسْلِمَه إلى جوّ الهزل والتهكّم مع أن فحوى الظاهر يشي بموقف الحزن وأجواء الأسى، ممّا يحقّق تجلّيا من تجلّيات المفارقة الأسلوبية. ولهذا المثل أصل يقترب منه في الأمثال العربية القديمة، حيث يقال: **(أسمع جعجعة ولا أرى طحنا)**؛ أي: أسمع جلبةً ولا أرى عملاً ينفع.

2- الهدرة عليّ والمعنى على جارتي: هذا التركيب الكنائيّ أَدْخَل فيما يُعرف **بالتعريض**، وهو أحد أنواع الكناية باعتبار الوسائط، يطلق على من أراد أن يتحدّث عن شخص بطريق غير مباشرة، فيدع التصريح بذلك، إلى نوع من التلميح الذي

يدرك ضمنيا من سياق الكلام، وتدلّ عليه قرائن واضحة، فيسهل فهم المقصود لقلّة الوسائط أو اللوازم، خلافا للرمز الذي تكثر فيه الوسائط للانتقال من المعنى إلى لازمه.

(فالهدرة) لفظ عربي فصيح، أصله من قول العرب هدر البعير، إذا ردّد صوته في حنجرته، وإبل هوادر، وكذلك هَدَرَ الحمام وهَدلَ، ويقال أيضا هَدَرَ الغلام وهدَلَ إذا صوّت وإذا أَراغَ الكلامَ وهو صغير[36]. وذكر ابن فارس أن الهاء والدال والراء أصل يدلُّ على سقوطِ شيء وإسقاطه، وعلى جنسٍ من الصَّوت[37]. ومنه هدير أمواج البحر وهو صوتها حينما تتلاطم.

وتمّ استخدام لفظ **الهدر** في العامية الجزائرية بمعنى الكلام بجامع الصوت الحادث، طرأ عليه لحن على مستوى اشتقاق المصدر بإضافة تاء التأنيث. وكذا سائر كلمات التركيب جميعها فصيح. وما يلحظ ههنا استحضار كلمة الجارة لانطوائها على قيمة اجتماعية دالّة على التقارب والتداني الحاصلين بين المعنى ولازمه بلا وسائط عديدة، تمكينا للفهم من أوّل وهلة.

3- الفُمْ المَزْمُوم ما تُدَّخْلَه ذَبَّانَة: هذا مثل يؤتى به في الكلام العامي لنصح من يكثر الكلام والثرثرة جول الأمور، توخّيا للحيطة والحذر والتحفّظ في الحديث اتقاء عواقب سيّئة، تشوّش عليه وتنغّص باله، يمكن عدّه كناية عن **صفة** التحفّظ وتلافي التهوّر في الحديث. وكلمة **(مزموم)** تعني مغلق بإحكام، ولعلّها مشتقّة من الأصل **(زمم)**، قال ابن منظور: «زَمَّ الشيءَ يَزُمُّه زَمّاً فانْزَمَّ: شدّه، والزِّمامُ ما زُمَّ به والجمع أَزِمَّةٌ، والزِّمامُ الحبل الذي يجعل في البُرَةِ والخشبة، وقد زمَّ البعير بالزِّمام...، وقد يسمّى المِقوَد زِماماً. وزِمام النعل ما يشدّ به الشِّسْع...، وفي الحديث أَنه تلا القرآن على عبد الله بن أُبَيٍّ وهو زامٌّ لا يتكلّم، أَي رافع رأْسه لا يُقْبِل عليه»[38]. فتحرير المعنى أن الكلمة تفيد معاني شدّ الفم بإحكام وحذر لئلاّ يتفلّت اللسان بما يجرّ مكروها على صاحبه.

وأما كلمة (ذَبّانَة) فذات أصل فصيح أيضا، رغم ما قد يبدو من أنها مخالفة لأصل الاشتقاق اللغوي، وهي الحشرة الضارّة المعروفة، فالواحدة كما يقول الجوهري ذبابة ولا يُقال ذبّانة، وجمع القلّة أذِبّة **والكثير ذِبَّان**، نحو: غراب وأغربة وغربان[39]. ويبدو أن الاستخدام العامي اتكأ في اصطناع ذبّان على جمع الكثرة لميل الناس إلى المبالغة في تبيان أذى هذه الحشرة، فيقال مثلا **(الغاشي في السوق كالذبّان)**، ومع ذلك فهناك لحن طارئ من جهة الإطلاق على المفرد.

وفي هذا المعنى مثل يقول: **(لسانك حصانك إن صنته صانك، وإن خنته خانك)**.

4- الله يْغَطِّيكْ بِبَرْنُوس السْتَر: يرد هذا التركيب في سياق الدعاء الذي يكون من قبل الوالدين أو الجدّين وهما يدعوان لأبنائهما وبناتهما مثلا بالستر، ويعَدّ من الوجهة البلاغية **كناية عن نسبة**، أي نسبة صفة الستر للمدعو له (الموصوف)، فلا يُصرّح بها بل يُكنّى عنها **(بالبرنوس)**، ، وهو كلمة واردة في كلام العرب **(البُرْنُس)**، حُوِّرت بشكل طفيف بإضافة واو المدّ، ومعناها في الصحاح: «قلنسوة طويلة، وكان النساك يلبسونها في صدر الاسلام»[40]. ويعضد ذلك ما ورد في لسان العرب: «كلّ ثوب رأْسه منه مُلْتَزِقٌ به دُرَّاعَةً كان أَو مِمْطَراً أَو جُبَّة... وقد تَبَرْنَسَ الرجل إِذا لبسه. قال: وهو من البِرْس بكسر الباء: القطن، والنون زائدة وقيل إِنه غير عربي»[41].

وهذا التركيب البياني مشحون بنبرة عاطفية رامزة طافحة يؤدّيها لفظ برنوس الموحي بدلالة رجاء شدّة ملازمة الستر الماديّ والمعنويّ للفتى والفتاة، من خلال وسائط يُنتَقل فيها من المعنى إلى لازم المعنى، لاسيّما إذا ما علمنا أن للبرنوس في الثقافة العامية قيمة رمزية ترتبط بالأفراح حيث يتَّخَذُ لباسا في الأعياد ومناسبات الختان للأطفال والأعراس، إذ يرتديه العروسان تفاءلا بحياة هانئة يشعّ منها الستر. ومنه كأن ينصح الجدّ جفيده قائلا: **(إحفَظ وصيَّتي في عمامة رأسك)**. وما يمكن

عدّه من هذا الضرب من الكناية في التعبير العامي: **(ربّ يفتح بيبان الخير)** فالأبواب هنا كناية عن نسبة الخير إلى الله عزّ من قائل.

ومن نظائر الكناية عن نسبة في القرآن الكريم قوله تعالى: **(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ*)**[42]. إذ كنّى التعبير القرآني عن نسبة الوعد الصادق الذي ادَّخَرَه الله تعالى لعباده المتّقين بالمقعد الموحي بمعنى الاسترخاء والراحة التي يكون منها السعادة الأبدية، وفي ذلك مبالغة لتوكيد هذه النسبة. أما في الشعر العربي فكثيرا ما يستشهد البلاغيون بأبيات نظير قول زياد الأعجم،[43]:

إِنَّ السَّماحَةَ وَالمُروءَةَ وَالنَّدى في قُبَّةٍ ضُرِبَت عَلى ابنِ الحَشرَجِ

وقول البحتري: **أَوَ مَا رَأَيْتَ الجُودَ أَلقى رحْلَهُ في آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لمْ يَتَحَوّلِ**

وقول شاعر آخر: **اليُمْنُ يَتْبَعُ ظِلَّهُ والمَجْدُ يَمْشي فِي رِكَابِهِ**

5- حمّر لي وجهي وبيّضَه / صفّر لِي وجهي وسوّده: في هذا النوع من التعبير الخبري الوصفي كناية عن **صفة**، يقال إذا شرّفك شخص وأعلى قدرك بصنيع محمود طيّب، وخلافه من أخزاك وخيّب ظنكّ وحطّ من قدرك بسلوك وضيع مهين يُقْدِم عليه. وقوام هذا التصوير استدعاء حقل الألوان التي تعضد مواقف استحسان سلوك أو استهجانه، وإطراء موقف أو تقبيحه.

بيد أن المقصود في نحو هذه التراكيب ليس الألوان بحدّ ذاتها، إنما قيمتها اللونية، التي تذكي المنحى الإبلاغي للتعبير الكنائي حتى يغدو رامزا مفعما بالإيحاءات النفسية، فاللون موضوع ثابت قارّ يخضع لتدرُّجات من الفاتح إلى الغامق، أما قيمته اللونية فمتغيّرة وفق الموضوع الذي تتجلّى فيه.

فلو دقّقنا جيّدا مثلا في قوله تعالى: **(إنَّها بَقَرَة صَفراء فَاقِعٌ لَوْنُها تَسُرُّ الناظرين)**؛ نجد أنّ الأداء قد ركّز في وصف البقرة على البعد اللوني. ولم يكن دون شكّ هنا اللون هو المقصود بذاته، وإنما القيمة اللونية التي وجّهها التعبير القرآني توجيها جماليا صرفا، ذلك أن اللون الأصفر في العادة يحيل إلى معانٍ

سلبية كالذبول بالنسبة إلى أوراق النبات، والسقم بالنسبة إلى وجه المريض والمساءة بالنسبة إلى موقف الخزي والفضيحة.

وقد أومأ التعبير القرآني إلى ما يتصل بدلالته السلبية في موضع آخر من قوله تعالى: **(وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ)**، إذ أن «اصفرار الزرع بعد اخضراره يدلّ على يبسه، وكذا السحاب يدلّ على أنه لا يمطر، والريح على أنها لا تلقّح»[44].

ولكن قد يندّ اللون الأصفر عن ذلك ليحيل أحيانا إلى قيم إيجابية، من ذلك أنه يغدو علامة لنضج بعض الثمار مثلا، كما اكتسى هذا اللون قيمة روحية، إذ أولت العديد من الديانات عناية خاصة به، واتخذت له دلالات رمزية، فربطته ببعض الطقوس والشعائر الدينية، فقد كان لونا مقدّسا في الصين والهند، فضلا عن أن الكنيسة استخدمته في اللوحات المقدّسة في شكل خلفيات من أوراق الشجر الذهبية، ولصلة اللون الأصفر بالشمس والضوء استخدمه المصريون القدامى رمزا لإله الشمس حسب معتقدهم[45].

وجاءت صفرة البقرة الفاقعة هنا باعثة على السرور الذي يُعدّ «حالة نفسانية تعرض عند حصول اعتقاد أو علم أو ظن بحصول شيء لذيذ أو نافع»[46]. فغدا سرور النظر إذن مظهرا من مظاهر الإحساس بالألوان الذي يقتضي تحقّق ضوابط يرتدّ بعضها إلى «عوامل داخلية في جسم الإنسان وتركيب أجهزة الإحساس فيه وبعضها يعود إلى عوامل خارجية منها مقدار الضوء الواصل إلى العين، وطول موجته، وزاويته، ولونه»[47].

وكذلك توصيف السواد الذي يقترب في الاستخدام العامّي الجزائري من اصفرار الوجه الدالّ على مفهوم الخذلان والخزي؛ ليس مذموما موحيا بقيم سلبية كالحزن والتشاؤم والظلمة في جميع أحواله، ألا ترى أننا نستملح الخال في الوجه الأبيض، وأنّ المسك الذي نتطيّب به أسود نحو قول عنترة:

لئن أكُ أسوداً فالمسكُ لوني ... ومَا لِسوادِ جِلدي منْ دواء
ولَكِنْ تَبْعُدُ الفَحْشاءُ عَنّي ... كَبُعْدِ الأَرْضِ عَنْ جوِّ السَّماء

كما أن الشعراء لطالما تغنّوا بسواد الشعر استحسانا له. وتاجر الخُمر ما كان ليبيع ما كسَد عنده منها لسَواده لولا تمثّله ببيتي الشاعر:

قُل للمليحة في الخمار الأسود ... ماذا فعلتِ بِناسِكٍ مُتَعبّد
قد كان شمّر للصلاة ثيابَه ... حتى قَعَدْت له بباب المسجد

والأمر نفسه ينسحب على حمرة الوجه، فالأحمر لون حارّ، تختلف قيمته اللونية باختلاف الموضوع الذي تتموقع فيه، فقد يكون دالاً على الغَضَب والعُنف وسهرات الشراب والمجون، وقد يدلّ على الحسن والنضج والحبّ وجمال الطبيعة حين التمتُّع بمنظر الورود الحمراء. وحتى توزيع الأحمر في الوجه الواحد يختلف حسنا وقبحا من عضو إلى آخر، ألا ترى أنّ حمرة الوجنتين والشفتين من أمارات الحسن والجمال لدى المرأة، وليست كذلك في الأنف لأنها مما يُستقبَح.

والبياض أيضا يُعتَدّ بقيمته اللونية حسب طبيعة الموضوع الذي يناطُ به وصفه فرغم أنه يحيل إلى معاني النصاعة والصفاء والطهر والسلام والبِشْر، لكنّه ينزاح إلى سياقات معيّنة تتصل بما ينبو عنه الذوق كبياض البرص على الجلد، وبياض العين الذي يسقمها ويضعف البصر، والشيب الذي يفزع منه الإنسان وينذره بمرّ السنين، وكثرته الدالّة على تراكم الهموم، نحو قول المتنبّي:

لِهَوَى النّفُوسِ سَرِيرَةٌ لا تُعْلَمُ ... عَرَضاً نَظَرْتُ وَخِلْتُ أني أسْلَمُ
يا أُخْتَ مُعْتَنِقِ الفَوَارِسِ في الوَغى ... لأخوكِ ثَمّ أرَقُّ منكِ وَأرْحَمُ
رَاعَتْكِ رَائِعَةُ البَيَاضِ بمَفْرِقي ... وَلَوَ أنّهَا الأولى لَرَاعَ الأسْحَمُ
لَوْ كانَ يُمكِنُني سفَرْتُ عن الصّبى ... فالشّيبُ مِنْ قَبلِ الأوَانِ تَلَثُّمُ
وَلَقَدْ رَأيتُ الحادِثاتِ فَلا أرَى ... يَقَقاً يُمِيتُ وَلا سَوَاداً يَعصِمُ
وَالهَمُّ يَخْتَرِمُ الجَسِيمَ نَحَافَةً ... وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصّبيّ وَيُهرِمُ

فالمتنبّي يسعى لإيجاد معادل موضوعيّ يتخفّف به من وطأة الأثر النفسي الذي يخلّفه مظهر الشيب أمام أخت سيف الدولة التي يبدو أنه كان يهواها، ويخشى إعراضها بسببه، وإن كان بعضهم يسترسل في تبيان مزية المشيب وأنه أمارة على الوقار والحنكة والخبرة الواسعة واحتمال الخطوب.

وورد هذا التصوير الكنائي في الخطاب القرآني، إذ جاء فيه قوله تعالى: **(يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ*)**[48].

لقد توقّف المفسّرون كثيرا عند دلالة البياض والسواد في هذه الآية، واختلفت آراؤهم بين عدّهما حقيقة أو مجازا أو كناية، فممّا ذكره الرازي: «أن البياض مجاز عن الفرح والسرور، والسواد عن الغمّ، وهذا مجاز مستعمل»[49]، ويحقّق ذلك من كلام العرب الذين يقولون «لمن نال بغيته وفاز بمطلوبه: ابيضَّ وجهه، ومعناه الاستبشار والتهلّل، وعند التهنئة بالسرور...»[50]، وقد أورد كذلك قول الذين رجّحوا منحى الحقيقة الذي نصر به محمد الطاهر بن عاشور، باعتبار أن البياض والسواد خاصّين بحال المؤمنين والكفّار في الآخرة، لأنه لم يقم دليل على أن ذلك يحتمل غير الحقيقة[51]. أما البيضاوي فيميل إلى أنهما كنايتان[52].

6 – اللي فاتّه الرجلة يكملها بالوشام: يقال في الخطاب التواصلي العامي فيمن فوّت على نفسه الأخذ بأسباب الرجولة، واكتفى بوضع وشم على ذراعه ادعاءً للشهامة والشجاعة، فهي كناية عن **صفة** تلازم من كان ذاك حاله. وكلمات التركيب جميعها من أصل لغوي فصيح، بيد أن مقتضيات الاستخدام العامي جعل اللحن يعرف سبيله إليها، حسب المنوال الآتي:

اللِّي ← الذي

فاتَّهْ ← فاتته – فوّت على نفسه

الرَجْلة ← الرجولة

كَمَّلْها ← أكملها وتمّمها، كَمَّلَها (المبالغة)

الوْشَامْ ← الوشم

واللافت للنظر في لفظة (**الوشام**) أنها تحمل دلالة إيحائية رامزة، تتصل هنا بالمفهوم الضيّق للرجولة في مظهرها المادّي السطحيّ المتجسّد في حفر رسومات ورموز في الجلد دالّة على معاني الشدّة والعنف والجرأة السليطة المستقاة غالبا من أخلاط ثقافة مركوزة في اللاوعي الجمعي، ألا ترى أن الوشم ينطوي على بعد ثقافي وحضاري تتفاوت دلالته لدى الأمم، وليس الثقافة الجزائرية فحسب، بل منذ العصر الجاهلي على الأقلّ نلحظ حضوره في المقدّمة الطللية التي تعدّ مرتكزا حيويّا من مرتكزات الشعرية العربية، فهذا الشاعر طرفة بن العبد يطلّ علينا بمعلّقته قائلا:

لِخَولة أطْلالٌ ببُرقَة ِ ثَهمَدِ، تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليدِ

والأمر نفسه مع زهير بن أبي سُلمى:

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ بِحَوْمَانَةِ الدُّرَّاجِ فَالمُتَثَلَّمِ

وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّها مَرَاجِيْعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ

ولئن كانت تعاليم الإسلام الحنيف تتحرّج من الوشم لاعتبارات دينية أخلاقية فإنه ظاهرة قديمة عُرفت أيضا لدى مختلف الأجناس البشرية، كالعَجر، وفي إفريقيا وآسيا وأوربا والأمريكيتين، وتتفاوت قيمتها الرمزية من مجتمع لآخر، حسب أعرافه وتقاليده، إذ ارتبطت بالمنحى التجميلي والمنحى العرقي والمنحى الرجولي بمفهومه السلبي الضيّق الذي غالبا ما يشي بقيم الانحراف والتظاهر بالقوّة وغيرها بل صار مشاهير الفنون والرياضة في العصر الحالي يتهافتون على جعلها مظهرا تصطبغ به رقابهم وأدرعهم وسائر أبدانهم دعاية لإيديولوجيات ومعتقدات وفلسفات معيّنة.

لذلك ترتكز الصورة الكنائية على تمثُّل عميق لسياق التعبير، حيث يتعيّن الالتفات إلى العلاقة بين الدلالة المباشرة وبين الدلالة المجاورة لها، وهنا تكمن

علاقة اللغة بالثقافة التي تنطوي على القيم الفكرية والاجتماعية والسلوك الصادر عنها، وإذا كان إدراك كنه هذه العلاقة متاحا لأذهان أفراد المجتمع الذي عاصر هذه الكناية أو تلك، فإنه بعيد المنال نسبيا عن غيره من المجتمعات في العصور المتأخّرة وذوي الثقافات المغايرة. وهذا أمر له تأثيره في انتشار الصورة الكنائية وانكماشها إن في التراث القديم أو المعاصر[53].

ومن الكناية ما ينطوي على ملامح خاصّة في ثقافتها ودلالتها اللغوية، بحيث أن ثمة صفات للأشياء وللناس وللعلاقات فيما بينهم تهيمن في حقبة زمنية وفقا لظروف تحيط بالمجتمع فتستحضر هذه المنظومة من القيم، وسرعان ما تتلاشى تلك الدلالات اللغوية ذات الإطار الاجتماعي والفكري[54]. ومن ذلك قول زهير:

فَأَقسَمتُ بِالبَيتِ الَّذي طافَ حَولَهُ رِجالٌ بَنَوهُ مِن قُرَيشٍ وَجُرهُمِ
يَمينـاً لَنِعمَ السَيِّدانِ وُجِدتُما عَلى كُلِّ حالٍ مِن سَحيلٍ وَمُبرَمِ
تَدارَكتُما عَبسا وَذُبيانَ بَعدَما تَفانوا وَدَقُّوا بَينَهُم عِطرَ مَنشِمِ

فقد استحضر الشاعر في هذه الصورة الكنائية تقليدا كان المجتمع العربي قديما يعتدّ به في مواقف الحروب، وهو التعطّر بعطر «**منشم**» إيذانا بضراوة القتال. ويغدو المتلقّي في هذه الحالة كأنه يعيش مع تلك الصورة وهي تحيا مع إثارة الكناية، وبذا تغتني رؤاه ويتعزّز تواصله مع الموقف أو مع روح تلك الثقافة.

7- كَمْشَة نْحَلْ خِيرْ مَنْ شْوارِي ذَبَّانْ: تحرير المعنى في هذا المثل العامّي أن جماعة قليلة من الأفراد الناجعين فيه نفع أفضل من جماعة كثيرة العدد لا نفع البتّة في أفرادها ولا صلاح، وهو باعتبار المعنى المكنّى عنه كناية عن **صفة**. وقد يحتمل معنى **التلويح** باعتبار الوسائط، لأن قائله يلوّح متباهيا مثلا بأفضلية عدد قليل من أبنائه النابهين والناجحين في حياتهم على من رُزِق بكثرة الولد من غير نقع يرتجى منهم.

وجميع ألفاظ هذا التركيب يرتدّ إلى أصل فصيح في كلام العرب باستثناء كلمة **(شواري)** التي تعدّ بفعل الاستخدام العامي دخيلة- إذ هي مأخوذة من كلمة

(Chariot) الفرنسية التي تعني عربة حمل السلع والبضائع، وتمّ اصطناعها ضمن هذا السياق بلفظ الجمع الخاضع لمنطق العربية الصرفي وفق جمع التكسير على وزن **(سواقي – روابي – قوافي – بوادي...)**.

واصطناع الجمع عوضا عن المفرد للمبالغة وإمعانا في تحقير وتهوين أهمية الكثرة التي لا يرجى منها جلب منفعة ولا همّة عالية ولا عمل ناجع، بل ضررها أوكد. خلافا لجماعة محدودة العدد التي يتحقّق في عملها خير عميم ومصلحة ذات شأن. ورغم طول المرحلة الاستدمارية في المجتمع الجزائري التي ترتَّب عنها امتزاج اللسان العربي بالفرنسية، ورغم إشكالية التعدّدية اللغوية إلا أنه قد نَدُرَ استخدام كلماتها الدخيلة كالتي تسلّلت إلى هذا التركيب.

أما **(الكَمْشَة)** في العامّية الجزائرية فتستخدم عادة لبيان المقدار، قد يراد بها الشيء اليسير أو ما يقبض باليد الواحدة دون الحفنة، وإذا ما استقصينا أصلها الاشتقاقي نجد أن **الكَمِش** لفظ يطلق على «الرجل السريع الماضي، وكمشته تكميشا إذا أعجلته، وانكمش وتكمّش: أسرع، والكمشة هي الناقة الصغيرة الضرع»[55].

وهذا المعنى يعزّز الدلالة الكمّية **(للكمشة)** في العامّية، إذ تشي بقلّة المقدار ويشفع ذلك ذهاب "ابن فارس" إلى أن الكاف والميم والشين أصلٌ صحيح يدلُّ على لَطافةٍ وصِغَر[56]. والمستفادُ من هذا التخريج الاشتقاقي أنّ معاني الصغر والسرعة واللطافة توحي بقلّة ما يُحْمَل باليد في عجلة وحركة سريعة لطيفة.

وإذا ما تَقَصّيْنا كلامَ العرب الفصيح لوجدنا في تضاعيفه ما يقترب من هذا المعنى الذي ينوّه بجهد المقلّ، ومنه قول النبيّ صلّى الله عليه وسلم: «**أفضل الصدقة جهدُ المقلّ إلى الفقير في سرّ**». وهذا في بيان فضل الإسرار في الصدقة. وقد قال الحكماء: **القليل من القليل أحمد من الكثير من الكثير**[57]. ومن ذلك أيضا قولهم: «**يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر**».

8- كنايات أخرى عن موصوف: تُصطنع في الخطاب التواصلي العامي كنايات دالّة على **موصوفات** معيَّنة، **كالربح** للملح، **والقانع** للكلب، **وقبر الدنيا**

للمنزل أو البيت،... جريا على العرف البياني المعهود لدى فصحاء العرب كإطلاقهم **بنت شفة** كناية عن الكلمة، **وبنت عدنان** عن اللغة العربية و**الأصغرين** كناية عن القلب واللسان، **والثقلين** عن الإنس والجنّ، وهلمّ جرا...؛ وأصل تلك الكلمات عموما فصيح إلاّ ما تطرأ عليه عوارض اللحن الصوتي.

فبالنسبة إلى إطلاق **الرَّبْح** كناية عن مادّة الملح، من جهة أنّه يُعدّ رمزا إيجابيا لتماسك الأواصر المجتمعية، كقولهم في العامّية الجزائرية **(كْلاَ مَلْحِي)**؛ إذا قصدوا: أصاب من بركة طعامي، فصار كالموثق الذي تُصَان به عُرَى الوُدّ وحسن العِشرة، وإخال الأمر كذلك في بعض المجتمعات العربية كاللهجة المصرية التي يُقال فيها: **(بيني وبينك عيش وملح)**. ومن ناحية أخرى تجيء تكنيتهم عنه بالربح تفاديا لما تومئ إليه دلالته العكسية السلبية التي ترتبط بنزوع تشاؤمي غير محبّب. وفق المعتقد الشعبي المتداول في المجتمع الجزائري في هذا الباب.

أما التكنية عن الكلب **بالقانع** في الاستخدام التواصلي العامّي، فمردّها إلى أنّ هذا الحيوان الأليف لطالما عُرف غريزيا بصفات تقترب من بعض الأخلاق الإيجابية المحمودة منها الإخلاص والوفاء وحسن الرفقة والعشرة، فيستخدمه الإنسان للقيام بشتّى أغراضه كالحراسة والصيد والرعي، بل صار يستعان به في الوظائف الرسمية المتصلة بالتحقيقات الأمنية والجمارك، فيبلي فيها البلاء الحسن وربّما بمجهود مُضْنٍ، ومع ذلك لا يكلّف مستخدِمَه الكثير، فيكتفي بما يقدّم له من طعام دون أن يتجرّأ على ما حوله من بهائم أضعف منه. فلعلّ ذلك أن يكون سببا في تسميته بصفة القانع.

بينما يُكنّي العوامّ كما هو شائع عن الدار **(بقبر الدنيا)**، ربّما لأنه يمثّل بالنسبة إليهم مأوىً مؤقّتًا لقِصَر المقام فيه قياسا إلى **دار الآخرة**، مما يشي وفق التصوّر البديعي بمقابلة ضمنية تُستَشَفّ من السياق، فتوحي بالبعد الإيماني النابع من مقرّرات الدين الإسلامي المركوزة في ضمير المجتمع الذي درج حسب عرفه العامّ على التهوين من شأن البيت درءا لأسباب الاغترار ببهرج الدنيا ومتاعها الزائل.

ولعلّ في ذلك نزوعا زهديّا، وجنوحا إلى التحلّي بشيء من القناعة التي تجعل من الدار مجرّد وسيلة وليست غاية في حدّ ذاتها، وهذا ما يبرّره قول بعضهم أيضا **(خَيْمَة رَبِّي)** عوض (بيتي) ناسبا البيت إلى الله تعالى. وقد يُعزى سبب التسمية إلى ما يجده الإنسان فيه من راحة بعد عناء يوم كامل من الكدّ والعمل، مثلما يمثّل القبر في اعتقاد بعض الناس مثوى للاستراحة من عناء خطوب الدنيا ومشقّة الحياة.

ويدخل في باب الكناية عن **موصوف** أيضا تسمية بعض الكوارث الطبيعية بغير اسمها كإطلاق لفظة **(الرحمة)** لكارثة الزلازل، وذلك اتقاء لعواقبها وتفاؤلا واستلطافا لما سيترتّب عنها من ضرظر، وإشفاقا من أهوالها لا قدّر الله. ومن نظائر ذلك في كلام العرب أنهم يطلقون وفق منطق التضادّ على من لدغته حيّة أو عقرب بالسليم استبشارا بتعافيه، والصحراء بالمفازة تفاؤلا بنجاته من التيه في مجاهيلها.

وفي ذلك كلّه إيعاز بأن المجتمع الجزائري تسفر لغته التواصلية العامية عن مدى حرصه على تخيّر دقيق اللفظ الملائم لطبيعة الموصوفات، وتشبُّثه بروح الفصحى ومنطقها، وتشبّعه بالمنحى الحِكَمي في خطابه التداولي؛ وقد كانت هذه المزايا متلازمة في كلام العرب القدامى ومخاطباتهم.

خاتمة:

لقد رأينا كيف أن الكناية بسطت ظلالها الإبلاغية في لغة الكلام العامي، ومع ذلك لم تتنكّب لأصولها العربية الفصحى، فاستطاعت أن تحافظ على منطقها البياني في أداء شتى الأغراض والمقامات القولية، إذ لازمت النصح والوصف والأمثال والدعاء وغيرها. ولم تبتعد فلسفة استخدامها عن التراكيب الكنائية العربية الفصيحة.

حرص الاستخدام الكنائي في الخطاب التواصليّ العاميّ من حيث المنحَى المعجمي في معظم ما وقع بين أيدينا من نماذج؛ على توظيف الألفاظ التي لها

أصل فصيح، وذلك ما حقّقناه استنادا إلى بعض معاجم اللغة ومصادر الأدب، ولم يَنِدَّ عن ذلك إلا اليسير، فنادرا ما نقع على ألفاظ غير عربية دخيلة تقتحم التركيب الكنائي، نحو ما رأينا مع كلمة (**شواري**) التي أخذت عن الفرنسية (**Chariot**) وذلك لعامل تاريخي يتصل بالحقبة الاستدمارية.

تعدّ الكناية وسما أو طابعا بريديا يحدّد سمة الأمم والمجتمعات الثقافية، فهذه الصورة لا ينبغي أن تظلّ أسيرة الفهم المنطقيّ الذي جفّف نضارتها وضيّق حدود وظيفتها البيانية، بل ينبغي أن يتأدّى فهم محمولاتها عبر تضافر تركيبها اللغوي مع الأثر الجمالي الذي يشعّ ممّا تطفح به من إيعاز فني يوحي بثقافة أو معتقد أو إيديولوجيا أو فلسفة ما، ويتجلّى ذلك أكثر مل يتجلّى في الكنايات التي تتوسّل بالقيم اللونية المختلفة لأداء أعراضها ومقاصدها.

تضطلع الكناية في هذا الخطاب فضلا عن الوظيفة الجمالية التأثيرية بالوظيفة التداولية الإقناعية، ذلك أنّها وردت لتزكّي محمولات وقيم مجتمعية وأخلاقية ونفسية متعدّدة، وقد استقام لها ذلك نظرا إلى خصوصيتها الحجاجية التي تنساب مع التراكيب التي سيقت فيها، وهذا ما يتفق مع حقيقتها، إذ تعطينا الدلالة مصحوبة بدليلها والقضية في طيّها برهانها حسب رأي "الجرجاني.

مكتبة البحث:

- القرآن الكريم برواية ورش.

1- إبراهيم، حافظ، الديوان، ضبط وترتيب جماعة من الكتاب، دار الجيل، بيروت.

2- ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح. أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، ط.2، (د.ت).

3- البخاري،الصحيح، كتاب الطب، باب إن من البيان سحرا، رقم الحديث: 5325. برنامـــج حاسوبي خـــاص بموسوعة الحديث الشريف، شركة صخر للبرامج الإسلامية الدولية، الإصدار الثاني، 2000.

4- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تح. عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، 1996.

5- الجاحظ، الرسائل، تح. عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت.ط).

6- الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة في علم البيان، تح. محمد الاسكندراني و م. مسعود، دار الكتاب العربي، بيروت، ط.2، 1998.

7- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح. ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، .2003

8- ابن جعفر، قدامة، نقد الشعر، تح. محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة، ط1، 1978م.

9- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصِّحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تح. أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط.4، .1990

10- الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن سنان، سرّ الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت 1402هـ / 1982.

11- الداية، فايز، جماليات الأسلوب، الصورة الفنية في الأدب العربي، دار الفكر، دمشق ودار الفكر المعاصر، بيروت، ط.2، .1996

12- الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح. محمد أحمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط.3، .1976

13- صالح، بشرى موسى، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط.1/ 1994.

14- صلوح بنت مصلح السريحي، الصورة في شعر الرثاء الجاهلي، رسالة دكتوراه كلية التربية للبنات بجدة، 1419 هـ/ 1998.

15- ابن طباطبا، عيار الشعر، تح. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية.

16- العسكري، أبو هلال، الحسن بن عبد الله، الصناعتين، تح. علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط.1، 2006.

17- العقاد، عباس محمود وإبراهيم عبد القادر المازني، الديوان في الأدب والنقد، مكتبة السعادة، القاهرة، ط.2، 1921.

18- قاسم، عدنان حسين، التصوير الشعري – رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، الدار العربية للنشر، القاهرة، 2000.

19- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، تح. الشيخ محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، ط.3، 1987.

20- القزويني، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت.

21- القيرواني، ابن رشيق، أبو علي الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط.2004.

22- القيس، امرؤ، الديوان، تح. محمد أبو الفضل، دار المعارف، القاهرة، ط.5 1990.

23- المبرّد، أبو العباس، الكامل في اللغة والأدب، تح. جمعة الحسن، دار المعرفة بيروت، ط.2، 2007.

24- المرزوقي، أبو علي أحمد، شرح ديوان الحماسة، تح. أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط.1، 1991.

25- مطلوب، أحمد، معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1 1989.

26- ابن المعتز، عبد الله، الديوان، اعتنى به محيي الدين الخياط، مطبعة الإقبال بيروت.

27- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، تح. أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط.3، 1419هـ / 1999.
28- الهاشمي، السيد أحمد، جواهر البلاغة، تح. محمد التونجي، مؤسّسة المعارف بيروت، ط.2، 2004.
29- مجد البرازي، مشكلات اللغة العربية المعاصرة. مكتبة الرسالة، عمان، ط1 1989.
30- نقلا عن: أنور الجندي، الفصحى لغة القران، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.
31- علي عبد الواحد وافي.فقه اللغة، ط7، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة ، 1972.
32- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط 4 1973.
33- محمود تيمور، مشكلات اللغة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، 1956.
34- أحمد مختار، تاريخ اللغة العربية في مصر، الهيئة المصرية للطباعة، 1970.

الاحالات:

[1] – الجوهري، الصحاح، مادة (كنى)، 6 / 2477، وابن منظور، لسان العرب، مادة (كني)، ج 12، ص 174.

[2] – أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح. عبد السلام محمد هارون دار الفكر، 1399هـ – 1979م، مج5، ص139.

[3]– القزويني، الإيضاح، ص 330، والسيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 368، 370.

[4] – العسكري، الصناعتين، ص 334.

[5] – الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 305.

[6] – ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج3، ص 49، 50، 51.

[7] – الجاحظ، الرسائل، تح. عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ج1،ص307.

[8] – المرجع نفسه، ص 149 وص 155.

[9] – المرجع نفسه، ص 153، 154.

[10] – الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 305، 306.

🕮 – ذكر الأصفهاني هذه الأبيات، وأورد بأن زياد قالها في أمير سابور عبد الله بن الحشرج الجعدي لما وفد عليه. ينظر: الأغاني، ج 12، ص40.

[11] – ابن رشيق، العمدة، ج1، ص 269، الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 417، القزويني الإيضاح، ص 339، وينظر أيضا: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 373.

[12] – ابن منظور، لسان العرب، مادة (رمز)، ج 5، ص 312.

[13] – نقلا عن: أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، ج 2، ص 22.

[14] – آل عمران: 41.

[15] – أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 373.

[16] – نقلا عن: أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، ج 2، ص 23.

[17] – ريني ويلك وأوسطن وارن، نظرية الأدب، ص 243.

[18]– محمد فتوح، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، القاهرة،1977، ص40.

[19] – عدنان حسين قاسم، التصوير الشعري – رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، ص 167.

[20] –فايز الداية، جماليات الأسلوب، الصورة الفنية في الأدب العربي، ص 19.

[21] – صلوح بنت مصلح السريحي، الصورة في شعر الرثاء الجاهلي، رسالة دكتوراه، كلية التربية للبنات بجدة، 1419 هـ/ 1998، ص 183.

[22] – محمد فتوح، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ص 306.

[23] – المرجع السابق، ص 174، 175.

[24] – عدنان حسين قاسم، التصوير الشعري – رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، ص 190.

[25] – المرجع نفسه، ص 192.

[26] – فايز الداية، جماليات الأسلوب، الصورة الفنية في الأدب العربي، ص 176.

[27] – مجد البرازي، مشكلات اللغة العربية المعاصرة. مكتبة الرسالة، عمان، ط1، 1989 ص55.

[28] – نقلا عن: أنور الجندي، الفصحى لغة القران، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص 32.

[29]– علي عبد الواحد وافي.فقه اللغة، ط7، القاهرة: دار النهضة مصر للطباعة والنشر، 1972 ص 153، ــ154

[30] – المرجع نفسه، ص 128.

[31] – إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط 4، 1973، ص 12، ــ126.

[32]– محمود تيمور، مشكلات اللغة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، 1956، ص197، 198.

[33] – أحمد مختار، تاريخ اللغة العربية في مصر، الهيئة المصرية للطباعة، 1970، ص20.

[34]– ينظر: الجوهري، الصحاح، ج1، ص223.

[35]– ينظر: ابن منظور، لسان العرب،> ج1، ص753.

[36] – الجوهري، الصحاح، ج2، ص853، وابن منظور، لسان العرب، ج5، ص257.

[37] – ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج6، ص 39.

[38] – لسان العرب، ج12، ص 272.

[39]– الصحاح، ج1، ص126.

[40] – الصحاح، ج3 ، ص908.

[41] – لسان العرب، ج6، ص26

[42] – القمر: 54، 55.

[43] – الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 305، 306.

[44] – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 16، ص 449.

[45] – أحمد مختار عمر، اللغة واللون، عالم الكتب، القاهرة، ط.2 ، 1997، ص 193.

[46] – الرازي، التفسير الكبير، ج 3، ص 111.

[47] – المرجع السابق، ص 91.

[48] – أل عمران: 106، 107.

[49] – الرازي، التفسير الكبير، ج4، ص332.

[50] – المصدر نفسه، ج4، ص، 333.

[51] – ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص185.

[52] – ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج1، ص375.

[53] – فايز الداية، جماليات الأسلوب، الصورة الفنية في الأدب العربي، ص 143.

[54] – المرجع نفسه، ص 145.

[55]– الجوهري، الصحاح، ج3، ص1018. وينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص343.

[56] – معجم، مقاييس اللغة، ج5، ص138.

[57]– ابن عبد ربّه، العقد الفريد، تح. مفيد محمّد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1983 ج1، ص196.

تدريس قواعد اللغة العربيّة من منظور المقاربة بالكفايات: قراءة في مناهج الجيل الثاني

د. أحمد قوية

جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم

الملخّص: يولّي منهاج اللغة العربيّة –الجيل الثّاني– عنايّة خاصّة بتعليميّة أنشطة اللغة العربيّة، وعلاقاتها البينيّة إذ تتقاطع النّصوص الأدبيّة والتّواصليّة بوصفها نصوصا محوريّة تتدرج تحتها مجموعة من الرّوافد كقواعد اللغة والإملاء والبلاغة ضمن مقاربة جديدة هي "المقاربة النّصيّة".

فالإشكاليّة في تدريس هذا النّشاط:

1– تدريس القواعد النّحويّة بمعزل عن البلاغة وذلك بالتّركيز على النّحو الصّوري دون بعده الوظيفي الذي يستوجب تحديد الغرض البلاغي من الصّورة؛

2– تقديم نصوص محوريّة تفتقر إلى المرجعيّة والجماليّة بمعنى البحث عن استقامة الظّاهرة المقصودة بالحكم، كما لا يتضمّن المنتج النّصي كل أجزاء القاعدة النّحويّة أو الصّرفيّة أو البلاغيّة.

وبدراسة متفحّصة لموقع تدريس اللغة العربيّة في المدرسة الجزائريّة من منظور منهاج جيل الإصلاحات فإنّه ما زال يكرّس نحو الجملة بعيدا عن نحو النّص الذي ننشده من خلال ملمح دخول وتخرّج المتعلّمين في كل مراحل التّعليم.

الكلمات المفتاحيّة: تدريس – لغة – مقاربة – كفايات – منهاج

Abstract

The realm of the didactics of languages involves a number of approaches and difrent interrelated activities.The scope of this research revolves around the teaching/learning of arabic language especially in the current arabic curriculum of the second generation.It is commonly known thqt the linguistic Literary and communicative texts intersect qs central texts under which a range of tributaries such as grammar dictation and

rhetoric.The problematic that this research is based upon is how grammar if isolated from rhetoric besides one of reasons for the inappropriate teaching of Arabic language in Algeria is that of not providing the learner with sufficient and efficient references which she could rely on to improve his command of thr language.Hence this research delves on the how and why of thes approaches in a sense which they either lack credibility or the appropriate approaches of its transmission.

Keywrds didactics, Arabic language, linguistics, communicative.

تقديم: تُعدُّ هذه الدّراسة حلقة من حلقات البحث النّحوي الذي يشغل جزءا في روافد النّص الأدبي المحوري في مناهج الجيل الثّاني. وهي محاولة لسبر أغوار هذا النّشـــاط بوصفه مؤشّرا على فهم كثير من التّعلّمات.

وحسبي أنّني أطرح مجموعة من الأسئلة التي استوحيتها من وحي تجربتـــي فـــي ميدان التّفتيش في مرحلتي المتوسّط والثّانوي.

الإصلاح التّربوي من خلال مراحله المختلفة –والذي مسّ المدرسة الجزائريّة فـــي فتراتها المتباينة ومستوياتها المتعدّدة– محطّة كاشفة لتقويم مسارات التّعلـــيم كالتّعـــديل والحذف والزّيادة. وتبنّت الوزارة المعنيّة جملة من المقاربات منها المقاربة بالمحتويات مرورا بالأهداف ووصولا إلى المقاربة بالكفايات وشمل الأطوار جميعها.

إشكاليات تعليم اللغة العربيّة: وقد سعت لجانها المتخصّصة إلـــى وضـــع منـــاهج ووثائق مرفقة وأدلّة توجيهيّة[1] شابها الكثير من الشّطط وفيه نلفي أنفسنا أمـــام إشـــكاليّة عويصة نظرا للأسباب الموضوعيّة الآتيّة:

أ/ تكوين المكوّن: هناك أسئلة بيداغوجيّة محرجة تحمل في طيّاتها قضايا جوهريّـــة ومفادها ضعف التّكوين النّاجع للمدرّسين الذين ظلّوا حبيسي الـــذّهنيات القديمـــة علـــى الرّغم من الانفجار المعرفي الرّقمي والعولمي من جهةـــ وتنوّع المقاربـــات المنهجيّـــة من جهة أخرى.

فالدّورات التّكوينيّة والأيام الإعلاميّة بوساطة التّجمّعات الفصليّة ظلّت بعبدة عن تطلّعات الأساتذة لسقوطها في أتون الإملاءات النّظريّة بعيدا عن ملامسة الجانب التّطبيقي ومواجهة الواقع الميداني، الشّيء الذي انعكس سلبا على تحصيل المتعلّمين. فالزّمن البيداغوجي المخصّص لا يعكس حقيقة "التّغذيّة الرّاجعة" للمتمدرس.

فالنّقص في تكوينهم المعرفي والتّعليمي مقارنة بما يحدث لتعليميّة اللغات الأجنبيّة التي تقوم على التّطبيقات الميدانيّة التي تأتي تتويجا لتجارب وخبرات تؤطّرها الوسائط التّربويّة والبيداغوجيّة.

يكاد يخلو الدّرس النّحوي من التّدريبات التي تتمثّل الكفايّة الختاميّة المندمجة وتُفعّل فعل الإدماج بكتابة فقرة من إنشاء المتعلّم أو إعادة بناء نصّ وفق شبكات تقويميّة تشي بمؤشّر الكفايّة. وقد لاحظنا في الميدان ضعف المتلقّي في التّقويم التّكويني الذي يسعى من خلاله إلى تثبيت المهارات اللغويّة المكتسبة.

لقد وقع المعلّم في فخّ الرّتابة، إذ أصبح عبدا للكتاب المدرسي يقتفي أثر أسئلته ويتمثّل الإجابات التي يقدّمها والمعالجات التي يقترحها والوضعيات التي يفرضها والحال أنّه يُفترض أن يقدّم البدائل الممكنة التي تحقّق الإضافة النّوعيّة التي تعمل على استمالة ذهن المتبقّي لأنّه كلّما انشغل اشتغل. وعليه اقترنا جملة من التّقنيات المساعدة على تمكينه من إحداث القفزة النّوعيّة على النّحو الآتي:

-عدم الالتّزام بالنّصوص الأدبيّة المبرمجة في الكتاب المدرسي-كتاب المتعلّم- شريطة ملاءمتها لموضوع الوحدة التّعلّميّة مع مراعاة مستويات المتعلّمين.

-تغيير الأسئلة المطروحة بما يتمشى ونجاعة التّحصيل لديه.

-اختيار النّصوص الجميلة والتي يكون بينها وبين المتعلّم رابط موضوعي للحفظ والفهم والتّعبير.

-النّأي بالمتعلّم عن المسائل النّحويّة الخلافيّة ذات البعد الفلسفي أو الدّخول معه في تشعّبات معرفيّة أو تعقيدات مذهبيّة ÷ وفي غنًى عنها.

ب/ غياب التّواصل بالعربيّة شفويا وكتابيا، فمتعلّمونا يسمعون عن التّعبير أكثر ممّا يمارسونه وتبقى الوضعيات الإدماجيّة –وإن كانت وظيفيّة نظريا– لا يستعمل ذلك في تواصله اليومي.

ج/عدم توظيف دروس القواعد النّحويّة والبلاغة العربيّة، إذ لا نجدها في الوضعيات الإدماجيّة[2] وقد تصبح قوالب جاهزة تتمّ عن الحفظ أكثر من امتلاكها لتصوّر، بمعنى المتعلّم يعيد استنساخ ما يقوله في كل موضوع.

كما يجب أن يوضع المتلقّي أمام وضعيات مختلفة كالتّقديم والتّأخير بين عناصر الجملتين الاسميّة والفعليّة وتأثيرهما على المعنى. وقد يلجأ المعلّم إلى تبيان ظاهرة الحذف والذّكر ومواضع توظيف الظّاهرة النّحويّة من عدمها كالتّوكيد –مثلا–في الخبر من ابتدائي وطلبي وإنكاري. وهنا يُنصح بأن يكمل المعلّم أجزاء القاعدة الجزئيّة من إنشائه شريطة أن تكون مستوحاة من الوحدة المدروسة نفسها.

إنّ طرائق التّدريس المعتمدة في مؤسّساتنا التّربويّة ما زالتّ بحاجة إلى رؤيّة تجديديّة في عمق الإصلاح (إنّ أساليب تعليم اللغة العربيّة القائمة حاليا، وكذلك الظّروف التّربويّة والاجتماعيّة لتطبيقها تكاد تؤدّي إلى وضع العربيّة في موضع (لغة أجنبيّة) يدرسها الطّالب وليس اللغة الأمّ)[3]، فمحنة لغتنا –إذًا– في أساليب تقديمها للمتعلّم العربي بالشّكل الذي يتجاوز فيه صرامة المعيار إلى يُسر التّطبيق إذ يجعله ممارسا لها في أعلى تجلياتها.

فالمنهاج الجديد يقترح الطّرائق النّشطة لتحقيق أقصى قدر ممكن من الفاعليّة (في ممارسة عمليّة التّعلّم النّاجعة وفق منظور المقاربة بالكفايات ...وجعل المتعلّم يمارس نشاطه التّعلّمي ضمن مسارات تدفعه إلى المبادرة الحرّة التي تمكّنه من الملاحظة والمعالجة والابتكار والاستقلاليّة في القرار الشّخصي)[4]، فقوام هذه الاستراتيجيّة تعميق التّعلّم إذ يصبح المتعلّم منتجا وفاعلا في بناء التّعلّمات كلّها وليس مستهلكا ومسترجعا

بمعنى لم يعد المعلّم مالكا للمعرفة بل مناقشا ومشاركا متعلّميه في إنجاز البرنامج كيفا لا كمًّا.

تقويم التّعلّمات المكتسبة: فعدم فاعليّة التّقويم التّشخيصي الذي نفتقر إلى أليات تعميقه جانبنا التّركيز في تصحيح الأخطاء دون معرفة أسباب الوقوع فيها ومن ثمّ معالجتها وعليه نقف أمام مشروعيّة الأسئلة الآتيّة:

هل يعود إلى ضعف أداء المتعلّم ورغبته وضعف مكتسباته القبليّة، هل يفتقر إلى تقنيات التّواصل بينه وبين المعلّم؟ هل يرجع إلى صعوبة المادة المقدّمة وعدم التّكامليّة بين الأنشطة والمواد الأخرى ونقصد ههنا التّكامليّة العموديّة والأفقيّة؟ وهل نعوز ذلك إلى ضعف التّحصيل لدى المتعلّمين من خلال مراحل التّعليم ومن ثمّ يبرز الإخلال الخاص بالكفايات المستهدفة المقترحة في مناهج الجيل الثّاني الذي ما فتئ يبشّرنا بالمقاربة بالكفايات، ويعدنا بالأساليب المُثلى في تدريس لغتنا وقد يكون الأمر كلّه في غياب أدوات التّقويم النّاجعة.

ولعلّنا نتساءل لماذا المقاربة النّصيّة في تدريس روافد اللغة العربيّة؟

أ/ الوقوف على أسباب القوّة والضّعف في الأساليب؛

ب/ امتلاك المتعلّم لدقّة الملاحظة والموازنة وإصدار الأحكام؛

ج/ الوعي بدلالة المفردات ومعانيها لفهم الظّاهرة الصّرفيّة أو النّحويّة مع إدراك مستواها المعجمي؛

د/ التّدريب على استعمال الظّاهرة النّحويّة المقصودة بالحكم في مواقف تعلّميّة عدّة.

فالمنهاج يرنو إلى تحقيق الكفايّة اللغويّة، فهي (ليست مادة دراسيّة فحسب، ولكنّها وسيلة لتعلّم المواد الأخرى، ومن هذا المنطلق فإنّ منهاج اللغة العربيّة ليس غايّة في حدّ ذاته، وإنّما هو وسيلة لتمكين المتعلّمين من القدرة على تعديل سلوكهم اللغوي، من خلال تفاعلهم مع الخبرات والأنشطة اللغويّة)[5].

فتعلّم العربيّة واجب، والبحث في مظنّتها فرض يقتضيه الانفتاح على اللغات الأخرى من علوم وفنون وترجمات (لذلك اشترط علماء الأصول في الاجتهاد، أن يكون لديه علم باللغة من مفردات ونحو وصرف وبلاغة...وتوسّعوا في أبواب الأمر والنّهي والحقيقة والمجاز والاستثناء والمطلق والمقيّد والعام والخاص)[6]، وهنا ندرك ما للعربيّة من مجالات عدّة للتّعلّم والتّدبّر في أسرارها وخصوصا إذا تعلّق الأمر بفهم الجوانب العقديّة.

اقتضت سنّة الحياة ان تتخدد مشاربنا وصورنا ولغاتنا لنتعارف ونتثاقف بوساطة اللغة (فهي وسيلة للتّحاور والتّفاهم، واختلاف الألسنة كاختلاف الأشكال والألوان والأنواع آيّة من آيات الله في الكون)[7]، وذلك مثقالا لقوله تعالى:(ومن آياته خلق السّماوات والأرض واختلاف السّنتكم وألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين). سورة الرّوم، الآيّة:22.

فنحن أمام متعلّم –وحتى مرحلة التّعليم الثّانوي– يفتقد إلى أبجديات الوظائف الأساسيّة للّغة عادة، فلو سالتّه لماذا تتعلّم أيّة لغة يقول لك (كي أفهمها حين أسمعها منطوقة ولكي أفهمها حين أراها مكتوبة ولكي أتكلمها وأكتبها بطلاقة ودقة معبرا عن أفكاري)[8]، فإذا كان عاجزا عن تفكيك شفرات اللغة الأمّ فكيف به يتدارس اللغات الأجنبيّة.

اللغة العربيّة واللغات الأخرى: إنّ التّحكم في اللغة أساس التّحكم في المواد الدّراسيّة الأخرى، التي تساعد على إثراء جوانب معرفيّة متنوّعة لدى المتعلّمين وتمكّن من تنميّة كفاءات عرضيّة في مجال الفكر والثّقافة، والمنهجيات، والتّواصل الاجتماعي والفردي. فعن طريق اللغة يستوعب المتعلّمون المفاهيم الأساسيّة ويعبرون بها عمّا لديهم من أفكار في تفاعل مشترك مع المواد الدّراسيّة المقرّرة، لأنّ العزلة بين اللغة وبقيّة المواد غالبا ما تؤدّي إلى عدم الانسجام، ممّا يتسبّب في ظهور تفاوت مشين في نوع المفردات والتّراكيب المقدّمة في إنتاج المتعلّمين[9] ، لذا يتوجب على الأساتذة

في مرحلة التّعليم المتوسّط خاصّة مراعاة تنميّة مهارات اللغة المختلفة، بالاستعمال السّليم لها في تعاملهم مع المواد الدّراسيّة الأخرى تعزيزا لتكامليّة التّعلّم ذي الملامح المشتركة.

لقد دلّت التّجارب على أنّ تقدّم المتعلّمين في اللغة يساعدهم على التّقدّم في المواد الأخرى التي يعتمد في تدريسها على القراءة والفهم، ومن هنا وجب التّركيز على تقويّة الصّلة بين اللغة وغيرها من المواد الدّراسيّة، فلا غرو من تقدّم الأمم الغربيّة بلغتها فقط مع الانفتاح على أبحاث الآخر ومستجدّاته العلميّة.

ونظرا للأهمّيّة القصوى التي تحظى بها اللغة العربيّة في التّعليم، ركّزت المناهج الجديدة في إصلاح المنظومة التّربويّة على دعم اللغة العربيّة بتخصيص الوقت الكافي لها والمناسب لممارسة أنشطتها المتنوّعة، ورفع معاملها ليصبح الاهتمام بها كبيرا في جميع الوضعيات التي تستعمل فيها.

إنّ تحكم المتعلّم في اللغة العربيّة نجاح، يساعده على بناء شخصيّته الفكريّة والنّفسيّة والاجتماعيّة، ممّا يؤهله لبلوغ مراحل أخرى بيسر وثقة تعينه على فهم روح العصر والتّكيف مع الحياة العمليّة تكيفا يمكنّه من مجابهة المشكلات التي تعترض سبيله فيجد لها الحلول المناسبة بمساعيه الذّاتيّة أو بتعاونه مع أفراد المجتمع الذي ينتمي إليه أو يكون موجودا فيه.

ملمّحا دخول وتخرّج المتعلّم: إنّ نظرة فاحصة لمناهج الجيل الثّاني من حيث ملمّحا دخول المتعلّم وتخرّجه بالنّظر إلى مساره الدّراسي نراها متشابهة وطموحة إلى حدّ المبالغة ونسردها على النّحو الآتي على سبيل المثال لا الحصر[10]:

1/ يمارس اللغة العربيّة نطقا وكتابة في مختلف الوضعيات التّعلّميّة بوصفها "كفايّة ختاميّة"، وقراءة النّصوص المتنوّعة[11] قراءة صحيحة ومسترسلة ومتمثّلة للمعاني ومعبّرة عن المواقف وإدراك ما تشتمل عليه من معطيات تضمّنها المُنتَج، ويكون

مدعوًّا إلى اكتشافها ومناقشتها[12] تمهيدا لدراسة الظّواهر اللغويّة وعنصري الاتّساق والانسجام.

إنّ اعتماد بيداغوجيا "حل المشكلات" كونها عمليّة واقعيّة أساسها ربط مكتسبات المتعلّم المدرسيّة بالحياة وذلك بإثارة مشكلات من واقعه المعيش الأمر الذي سيولّد لديه الرّغبة في حلها باستخدام الوسائل اللازمة وجمع المعلومات المناسبة وتقديم النّتائج المتوصّل إليها، وعليه يصبح صانع معرفته الخاصّة وبانيها عوض فرضها عليه.

2/ قراءة نصوص متنوّعة وفهمها وتصنيفها حسب أنماطها وأنواعها[13] ويكتب أنماطا متعدّدة بعد الوقوف على خصائصها وآلياتها المتباينة من تفسيريّة وحجاجيّة وحواريّة وسرديّة وأمريّة.

3/ تجنيد معارفه لحل الوضعيات المشكلة[14] التي تواجهه أي تفعيل التّعلّمات بالإدماج.

4/ تحليل المقروء وترتيب محتوياته وضبط أفكاره بالمناقشة والنّقد بهدف تذوّقه واكتشاف جوانبه الجماليّة[15]، ليخلص إلى التّعبير عن مشاعره وآرائه وتعليلها بأمثلة وشواهد وبراهين تناسب المواقف.

فما قدّمه المنهاج مشروع طموح على المستوى النّظري إلى حدّ كبير، لكننا لا ينبغي القفز على الواقع المرير الذي تعيشه مدارسنا من انعدام للوسائل الماديّة أو استراتيجيّة المشاريع.

وحتى المنهاج نفسه يتعارض مع مضامين الكتاب المدرسي، فنصوص المتوسّط من الأنترنت والجرائد اليوميّة وانعدام المرجعيّة ومع ذلك نجعل منها نصوصا محوريّة[16] لتدريس الرّوافد، فلزاما علسنا بناء المعرفة النّحويّة المعياريّة من النّصوص المنتقاة والمعدّة سلفا (إنّ دراسة القاعدة اللغويّة حيّة في نص له أثره في المتلقّي أفضل من دراستها في مقال مبتور، أو جملة منقطعة عمّا قبلها وعمّا بعدها، إذ إنّ الطّريقة الأولى تخدم أكثر من هدف... فهي إلى جانب تعليم القاعدة، تُربّي ملكة التّعبير)[17].

ويعزّز هذا الرّأي بيداغوجيّة الانتقال بالتّدريس من نحو الجملة إلى نحو النّص، بمعنى الوقوف على دلالة الكلمة في سياقات مختلفة معجميا وصرفيا ونحويا ودلاليا.

خاتمة: ومهما يكن الأمر فإنّ هاجس تدريس العربيّة يبقى مرهونا بمدى وعي أهلها والقائمين عليها من مربّين وأكاديميين بضرورة تطويرها وتحديقها ومن ثمّ عولمتها، وهذا يستدعي منّا ما يأتي:

-المدرسة الجزائريّة بحاجة إلى مناهج تربويّة تكون وثيقة عمل ومشروع مجتمع متكامل.

-الإفادة من البحوث العلميّة الخاصّة بمجال لسانيّة النّص وعلم تدريس اللغات.

-النّحو العربي تعقيد فيه -كما يدّعي دعاة التّجديد- بل طرائق تدريسه ما زالتّ عقيمة ومتخلّفة.

-لا يجب أن يكون الدّرس النّحوي مقصورا على الإعراب دون أن يرقى إلى مستويات التّعبير والأداء من خلال وضعيات مشكلة مدرسيّة وحياتيّة ولها علاقة بمحيط المتعلّم.

-عدم تجاهل ظاهرة الحفظ شريطة انتقاء الشّواهد وعرضها من القرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف وعيون الشّعر العربي بغيّة صقل الملكة اللغويّة ومن ثمّ امتلاكها.

الاحالتّ:

[1]– يُنظر: منهاج اللغة العربيّة للتعليم المتوسط، وزارة التّربيّة الوطنيّة، اللجنة الوطنيّة المتخصصة 2015م، ص:14.

[2]– هي وضعيّة مركبة بواسطتها نجعل عناصر منفصلة ومختلفة مرتبطة فيما بينها ارتباطا منسجما لبلوغ هدف محدد. يسمح الإدماج للمتعلم بتجنيد مكتسباته التي كانت موضوع تعلمات منفصلة (معارف، مهارات) وتوظيفها يشكل مترابط في إطار وضعيّة ذات دلالة. كما تمكنه من تنميّة الكفاءات العرضيّة وكفاءات المادة من خلال تجنيده واستخدامه للموارد المكتسبة من مختلف المواد. إذن الوضعيّة الإدماجيّة ليست تطبيقات تجرى لترسيخ المعارف المكتسبة فقط. الوثيقة المرفقة لمنهاج التّعليم المتوسط، ص:22.

[3]–أحمد، عبده عوض، مداخل تعليم اللغة العربيّة– دراسة مسحيّة نقديّة، مركز البحوث التّربويّة والنّفسيّة، المملكة العربيّة السّعوديّة، عام 2000م، ص:12.

[4]– منهاج التّعليم المتوسط، وزارة التّربيّة الوطنيّة، اللجنة الوطنيّة المتخصصة، جوان 2013م ص:18.

[5]– الوثيقة المرافقة لمنهاج مادة اللغة العربيّة، مرحلة التّعليم المتوسط، وزارة التّربيّة الوطنيّة إعداد المجموعة المتخصصة لمادة اللغة العربيّة، جويليّة 2015م، ص:25–30.

[6]– مساعد بن راشد، العيدان، فتح العفو في تيسير النّحو، بتصرف، عام 1431ه، ص:01.

[7]– حمزة عبد الله، النّشرتي، من مظاهر التّخفيف في اللسان العربي، (بدون طبعة) عام 1986م ص:03

[8]– داود، عبده، نحو تعليم اللغة مؤسسة العلوم، العربيّة وظيفيا ط1، عام1979م، ص:12.

[9]– الوثيقة المرفقة لمنهاج اللغة العربيّة في مرحلة التّعليم المتوسط، إعداد المجموعة الوطنيّة المتخصصة، جويليّة 2015م، ص:06.

[10]– يُنظر: منهاج الطّور الأوّل من التّعليم المتوسط (السّنة الأولى)، وزارة التّربيّة الوطنيّة اللجنة الوطنيّة للمناهج، ماي 2015م، ص:10.

[11]–والمقصود هنا النّصوص الأدبيّة والنّصوص التّواصليّة: يدعو المنهاج إلى المحافظة على مبدإ النّصوص الأدبيّة لما لها من إنماء للحس الجمالي لدى المتعلّم، ويقتضي اكتشاف المبادئ الأدبيّة

الأوليّة أن تكون ذات طابع إبداعي لتغذّي خيال المتعلّم وتصقل ذوقه وتستثير مشاعره وتنمّي قدرته على التّحليل والنّقد بوصفها عمليّة حس-حركيّة تؤثر على الوجدان والسّلوك وعلى هذا الأساس تدفع الطّرائق النّشطة المتعلمين إلى المشاركة الفعليّة في كل التّعلّمات وتحقيق الكفايات التي تقيس قدراتهم الفعليّة في الإنجاز والإتقان مجسّدين بذلك البناء المتدرّج للمعرفة والابتعاد عن الحشو والتّلقين.. منهاج التّعليم المتوسط، ط2013م، ص:12.

[12]-يسترسل المنهاج في عرضها مفصّلة على النّحو الآتي:1/ يستعمل استراتيجيّة القراءة السّريعة (القراءة الانتقائيّة) أثناء بحثه عن المعلومات.2/ يطالع نصوصا مستقاة من سندات متنوّعة (صحف مجلات، إعلانات إشهاريّة، وصفة استعمال دواء، بطاقة تشغيل جهاز، شرائط مسموعة...) 3/ يتفاعل مع النّص ويصدر بعض الأحكام النّقديّة في مضمونه. 4/ يميز بين المعنى المجازي والمعنى الحقيقي مع شرح المفاهيم المجرّدة. 5/ يميّز بين النّصوص العلميّة والنّصوص الأدبيّة ويصنّفها تبعًا لأنماطها.6/ يستخرج مميّزات النّص الحجاجي ويقارنها بالأنماط الأخرى علمًا بأنّه يدرّس مكرّرا بين السّنة الثّالثّة والرّابعة المتوسطتين نظرا للآليات اللغويّة العديدة التي يتطلّبها.7/ يستخدم ملامح وجهه وهيئته الجسميّة كما يسرد تجربة شخصيّة معيشة أو ينقل خبرا مسموعا أو مقروءا.8/ يستخدم الاستقراء والاستنباط وتحليل القضايا إلى عناصرها.9/ يجيد الحوار والمناظرة. المصدر السّابق، ص:09.

[13]- المقصود هنا ليس الأنماط فقط وإنما أنواع مختلفة (رسالة، خطبة، مقالة، مسرحيّة).

[14]- هي وضعيّة تعلميّة يعدها الأستاذ بهدف إنشاء فضاء للتفكير والتّحليل. فهي وضعيّة تعلميّة واقعيّة ذات دلالة، تدعو المتعلم إلى الحيرة والتّساؤل، واستعمالها المبني على النّشاط يعطيه الفرصة لشرح مسعاه وأفكاره، وتبرير اختياراته للإجابة عن الأسئلة المطروحة، أو المشكلة التي ينبغي حلها ويشترط فيها أن تكون: **أ** / شاملة أي لها سياق (معطيات أوليّة). **ب** / واقعيّة (من واقع المتعلم ولها هدف). **ج** / مركبة (تجند عدة موارد).

-منهاج اللغة العربيّة، وزارة التّربيّة الوطنيّة، جوان 2013م، ص:08. [15]

[16]-إنّ تبنّي المقاربة النّصيّة في تعليميّة اللغة العربيّة يتطلّب استنباط القواعد اللغويّة النّحويّة منها والصّرفيّة من النّص المقرر في حصة القراءة الذي يفترض أنّ المتعلّم تدرّب على قراءته بطريقة جيّدة وتفهّم معانيه وأدرك مبناه، قبل أن يتحوّل إلى لغته بقصد اكتشاف وظائف الكلمات داخل الجملة وتركيبها وصيغها. المصدر السّابق، ص:13.

[17]– عبد الإله، إبراهيم، وعلي الرّحيم، الحلو، وعبد العباس، عبد الجاسم، علي جعفر، عبيد قواعد اللغة العربيّة للصف الأول المتوسط، جمهوريّة العراق، وزارة التّربيّة، المديريّة العامة للمناهج، المركز التّقني لأعمال ما قبل الجامعة، الطّبعة 01، عام 2011م، ص:03.

مشروع الذّخيرة اللغويّة ومعالجته آليا

أ. بوسغادي حبيب
المركز الجامعي عين تموشنت

ملخّص: ينصبّ اهتمام الباحثين المختصّين في مجال الهندسة الآليّة على تطويع وتمثيل اللغة بمختلف خصائصها على نحوٍ تستطيع فيه البرمجيات بلغتها الرّياضيّة التّعامل مع اللغة بصفة عامّة واللغة العربيّة على وجه الخصوص. لقد ازدادت الحاجة في وقتنا الرّاهن إلى تطوير أدوات المعالجة الآليّة للغة العربيّة نتيجة الانفجار المعلوماتي الهائل الذي فرض علينا التّعامل مع مجموعات ضخمة من النّصوص؛ إنّ الهدف الرّئيس لمشروع الذّخيرة هو تمكين الباحث العربي على وجه العموم من العثور على كلّ ما يحتاجه من معلومات مصدرها واقع استعمال اللغة العربيّة بكيفيّة آليّة وفي وقت وجيز، وهذا سيتحقّق بإنجاز بنك آلي للغة العربيّة المستعملة بالفعل يتضمّن أمّات الكتب التّراثيّة الأدبيّة منها والعلميّة والتّقنيّة وغيرها؛ ويشتمل على الإنتاج الفكري العربي المعاصر في أهمّ صوره، بالإضافة إلى العدد الكبير من الخطابات والمحاورات في شتّى الميادين؛ وعلى إثر هذا فإنّ هذه النّصوص المجموعة تمثّل الاستعمال الحقيقي للغة العربيّة المحرّرة منها والمنطوقة طوال خمسة عشر قرنا على حدّ تعبير العالم عبد الرّحمن الحاج صالح.

تحاول هذه الورقة أن تجيب عن سؤال جوهري لطالما شغل الباحثين والتّقنيين ردحا من الزّمن؛ وهو هل بإمكان الآلة أن تحوسب اللغة العربيّة؟ وإذا تمّ لها ذلك ما هي أبرز تطبيقاتها التي يمكن استخدامها في تطوير برامج تعليميّة تفاعليّة للغة العربيّة؟ وما هي تطبيقات الذّخائر اللغويّة التي يمكن أن تُستَثْمَرَ في بناء العديد من أدوات معالجة اللغة العربيّة؟

الكلمات المفتاحيّة: الذّخيرة اللغويّة؛ المعالجة الآليّة؛ التّطبيقات اللغويّة.

Research Summary: Researchers specialized in the field of mechanical engineering focus on the adaptation and representation of the language with its various characteristics so that software in its mathematical language can deal with the language in general and the Arabic language in particular.

The need to develop automatic Arabic language processing tools has increased as a result of the huge information explosion that has forced us to deal with large sets of texts.

The main objective of the ammunition project is to enable the Arab researcher in general to find all the information he needs from the reality of the use of the Arabic language in a timely and automatic manner, and this will be achieved by the completion of an automated bank for the Arabic language already used includes the mother of literary heritage books, including scientific, technical and others; It includes contemporary Arab intellectual production in its most important forms, in addition to the large number of speeches and dialogues in various fields.

As a result, these compiled texts represent the real use of the Arabic language written and spoken for fifteen centuries in the words of the scholar Abdul Rahman Haj Saleh.

This paper attempts to answer a fundamental question for as long as researchers and technicians have spent time. Is the machine computerizing Arabic? If so, what are the main applications that can be used in the development of interactive educational programs for the Arabic language? What linguistic munitions applications can be invested in building many Arabic language processing tools? This is what this paper will try to answer

تنهض الورقة على العناصر التّاليّة:

أوّلا/ اهتمام الباحثين الجزائريين بالكتابة في المعالجة الآليّة للغة العربيّة:

ثانيا/ ما المقصود بالذّخيرة اللغويّة (الأنترنت العربي)

ثالثّا/ متى ظهرت فكرة الذّخيرة اللغويّة العربيّة:

رابعا/ نحوَ حوسبة الذّخيرة اللغويّة :

خامسا/ مشروع الذّخيرة اللغويّة كما عرضه صاحبه[1] في كتابه (بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة):

سادسا/ تطبيقات مشروع الذّخيرة اللغويّة.

نص المداخلة:

أوّلا/ اهتمام الباحثين الجزائريين بالكتابة في المعالجة الآليّة اللغة العربيّة:

الباحثون الجزائريون بمختلف تخصّصاتهم ومجالاتهم العلميّة وعبر العصور ليجد القارئ أنّ لهم صولة وجولة في مجال العلم والمعرفة عموما ومجال اللغة الأدب خصوصاً؛ ومن المجالات التي كتب فيها هؤلاء وبرع فيها حديثهم عن اللغة العربيّة ومدى مواكبتها لعصر الحوسبة والرّقمنة.

والمطلع على البوابة الوطنيّة الجزائريّة للمجلات العلميّة يجد كثرة من المقالات التي عالجت اللغة العربيّة واهتمّت بها أيّما اهتمام؛ خاصّة ما كان له الصّلة الوثيقة بمشروع الذّخيرة اللغويّة التي أسس لها المرحوم عبد الرّحمن الحاج صالح الجزائري وحسبنا في هذه العجالة أن نشير إلى أهم الكتابات التي تحدثت عن مشروع الذّخيرة اللغويّة وعلاقته بالحوسبة الآليّة.

أ/ **المقال الأوّل:** مشروع الذّخيرة اللغويّة العربيّة وأبعاده العلميّة والتّطبيقيّة لصاحبه عبد الرّحمن الحاج صالح، المنشور بمجلة الآداب الصّادرة بجامعة قسنطينة، بالمجلّد (1) في العدد (3)، وهذا البحث تحدث فيه صاحبه عن مشروع الذّخيرة اللغويّة محدّدا أهداف المشروع ، ومزايا الذّخيرة اللغويّة و فوائدة على المدى الطّويل خصوصا في ظلّ التّحول نحو الحاسوبيّة والمجتمع الرّقمي، كما يوضح المقال وظائف الذّخيرة الأساسيّة انطلاقا من تحصيل المعلومات التي تخصّ الكلمة العربيّة سواء أكانت عاديّة ام مصطلحا ، ثمّ تحصيل معلومات تخصّ الجذور وصيغ الكلم ، وكذلك تحصيل معلومات تخصّ أجناس الكلم ، بالإضافة إلى المعجم الجامع لألفاظ اللغة العربيّة المستعملة وكيفة إنجاز الذّخيرة ومنهجها المتبع[2].

ب/ المقال الثّاني: دور اللسانيات الحاسوبيّة في ترقي استعمال اللغة العربيّة– مشروع الذّخيرة العربيّة لعبد الرّحمان الحاج صالح أنموذجا لصاحبته لعقد سارة المنشور بمجلّة البدر جامعة بشّار، بالمجلّد (11) بالعدد (9)، وقد أشارت الباحثة من

أهمّيّة اللسانيات الحاسوبيّة بوصفها أداة ترتكز في عملها على الحاسوب من منطلق أنّ له القدرة على الاحتفاظ بقدر كبير من المعلومات والمعارف؛ ولعلّ العلاقة التي جعلته يرتبط كل هذا الارتباط باللغات هو محاولة اللسانيين استثمار الحواسيب في مجال اللغويات بغرض تسهيل استغلال كل تلك المعارف والمعلومات بطريقة آليّة في وقت قصير جدا، ولعلّ أهمّ المشاريع التي حاولت ومازالتّ إلى اليوم تسعى في إطار استغلال قدرات الحواسيب في مجال اللسانيات مشروع "الذّخيرة العربيّة لعبد الرّحمن الحاج صالح"[3].

ج/ المقال الثّالث: النّشر الإلكتروني بالوطن العربي في ظلّ مشروع الذّخيرة اللغويّة لصاحبته موساوي سهام، المنشور بمجلّة الصّوتيات بجامعة البليدة بالمجلّد (13) في عدده (1)، وفي هذا البحث ارتأت الباحثة إظهار مدى فعاليّة النّشر الإلكتروني في تطوير مشروع الذّخيرة العربيّة ،باعتباره المشروع العربي الذي يختصّ باللغة العربيّة في ذاتها وذلك من خلال الجمع الكلي والمسح الشّامل لموروث اللغة العربيّة ، من أقدم العصور حتى العصر الحاضر، واستغلاله ضمن آليات التّطوّر التّكنولوجي الحاسوبي الحديث ووصف هذه الذّخيرة بالأنترنيت العربي المتفاعل ممّا يسهم في ترسيخ الهويّة العربيّة[4].

د/ المقال الرّابع: تقييم التّجربة الجزائريّة والعربيّة في رقمنة المحتوى العلمي. (الواقع والآفاق) للباحثة لوحيشي آسيّة المنشور بمجلّة اللغة العربيّة جامعة الجزائر، في المجلّد (20) بالعدد (4)، وفيه أشارت إلى دور الجزائر في اقتراح أضخم مشروع ثقافيّ، علميّ لغويّ، وهو مشروع الذّخيرة اللغويّة العربيّة. وهو بالأهمّيّة بمكان ليبعث روح الحضارة العربيّة، ويقف بها في ركب التّقدّم في عالم يطالب كلّ شيء أن يكون رقميا، وذلك باستثمار الحرف العربيّ والمعرفة العربيّة، والكونيّة حاسوبيا. ممّا يتيح للباحث استخدام انترنت عربيّ بقاعدة بيانات عربيّة، ليحصل على أي معلومة أراد وفي أي فنّ من الفنون، وفي أيّ علم من العلوم كان من جذوره الأولى، وبتطوّراته عبر العصور، وصولا إلى نتائجه الحديثة كلّ ذلك أتيح له وسيتاح أكثر من خلال

رقمنة المزيد من المعارف باللغة العربيّة، فأثبتت جدارتها بذلك فأصبح التّعرّف الآلي على المكتوب العربيّ ممكنا[5].

هـ/ المقال الخامس: حوسبة اللغة العربيّة في ضوء المتجدّد المعلوماتي، للباحث ابراهيمي بوداود، الصّادر بمجلّة جسور المعرفة بجامعة الشّلف بالمجلّد (5) في عددها (1)، ويؤكّد البحث على أهمّيّة المعالجة الآليّة للغة التي أصبحت مجالا معرفيا تجاوز حدود الذّكاء الفطري للإنسان، ليراود فضاء الذّكاء الاصطناعي، حيث تصل الكفاءة العلميّة إلى ذروة سنامها، وبذلك تهيئ للغة أفقا إجرائيا ينأى بها عن المعالجة المجرّدة التي تسترشد بالكفاءة العلميّة للدّارس لتمتاح من الوضع التّقني المتجدّد الذي أفرزه الزّمن التّكنولوجي، الذي استجابت النّظريّة اللسانيّة لإغراءاته، في مسعاها لدخول عوالم التّقنيّة ومراودة فضاء الذّكاء الاصطناعي، المعتمد في اللغات الطّبيعيّة والاستفادة من الإمكانات التي يتيحها الحاسب الآلي، وتجاوز تلك النّظرة التّقليديّة التي تحصر أسباب استخدامه في سرعته الفائقة. ومن هنا، تأتي إشكاليّة البحث لتسلّط الضّوء على أنموذج إجرائي رائد في حقل حوسبة اللغة العربيّة، رام صاحبه–المرحوم الدّكتور عبد الرّحمن حاج صالح– إنشاء مدوّنة رقميّة انطولوجويّة أو ما اصطلح عليه بمشروع الذّخيرة اللغويّة، وهو إنجاز ينهض على جمع الأنساق اللغويّة في أسيقتها الاستعماليّة. ومن ثمّة، تشتغل البرامج الحوسبيّة (المحلّلات)المُعدّة على تحليل المادّة اللغويّة تحليلا صوتيا ومعجميا ودلاليا. وننتهي في الأخير إلى تقديم أنموذج تطبيقي لبرنامج WordNet نشتغل ضمنه على إيجاد المقابلات الدّلاليّة للصيغ اللهجيّة في الجزائر[6].

و/ المقال السّادس: علم المصطلح وعلاقته باللسانيات واللغة– التّطبيقات الحاسوبيّة من خلال مشروع الذّخيرة اللغويّة العربيّة، للباحثة بختة تاحي، المنشور بمجلّة جسور المعرفة في مجلّدها (5) في العدد (3)، وأشارت الباحثة إلى أنّ الممارسة الاصطلاحيّة تتعلّق باللسانيات التّطبيقيّة التي تتضمّن أعمال القاموسي المختصّة والتّرجمة والتّحرير وتعليم اللغات، وبالفعل؛ فإنّ هذه التّطبيقات المهنيّة الأربع للسانيات

تقترن فيما بينها بدقّة. ويتبيّن ذلك من خلال مشروع الذّخيرة اللغويّة لـــ " عبد الرّحمن الحاج صالح"، ذلك المكنز الغني بالمصطلحات اللسانيّة المنفـــردة بصـــيغتها ومعناهـــا حيث اقترح من خلالها تكريس الوسائل البشريّة والماديّة : وذلك بإنشـــاء فريـــق مـــن الممارسين والاختصاصيين يكلّفون بإدخال المعطيات في ذاكرة الحاسوب[7].

ثانيا/ ما المقصود بالذّخيرة اللغويّة (أنترنت العربي) يمكن تعريف الذّخيرة اللغويّـــة بأنّها مجموعة كبيرة من النّصوص المكتوبة أو المنطوقة للغة، يمكـــن التّعامـــل معهـــا باستخدام الآلة ويتمّ التّحكم في بياناتها بالإضافة أو الحذف أو التّعديل، وذلك من خـــلال قواعد بيانات صمّمت لتكون قادرة على التّعامل مع هذه النّصوص وتمثّل هذه القواعـــد مخزنا كبيرا للغة، يرجع إليه وقت الحاجة ويتحمّل أيّ قدر من النّصوص التي يمكـــن أن تضاف إلى المادّة الأساسيّة للذّخيرة اللغويّة مستقبلا؛ وإذا كانت اللغة عبـــارة عـــن كلمات وعبارات ونصوص فالذّخيرة اللغويّـــة (Linguistic Corpus) تضـــمّ أيضـــا كلمات وعبارات ونصوصا، وهي بهذا نموذج مصغّر للغة، نستخدمه في تمكين الآلـــة من فهم طبيعة اللغة وعناصرها، بما يساعد على معالجتها وتطوير الأدوات والبـــرامج المساعدة على ذلك.

ثالثًا: متى ظهرت فكرة الذّخيرة اللغويّة العربيّة: يمكن اعتبار فترة ستينيات القـــرن الماضي، فترة ظهور فكرة الذّخائر اللغويّة المصادفة لظهور الحواســـيب الإلكترونيّـــة، حتى أمكن استخدام هذه الأخيرة في بلدان الغرب –أمريكـــا وأروبـــا– فـــي مختلـــف أغراض المعالجة الآليّة للغات على غرار ميادين: التّرجمـــة الآليّـــة، بنـــاء المعـــاجم والقواميس الآليّة التّعلم الآلي، وغير ذلك من الميادين.

أمّا اللغة العربيّة فلم تعرف طريقها إلى الذّخائر إلا مع مطلع الألفيّة الثّالثّة (القـــرن الواحد والعشرين) حيث ازدادت الحاجة إلى تطوير أدوات المعالجة الآليّة لهـــا، نتيجـــة ذلك الانفجار المعلوماتي الهائل الذي فرض نفسه ولا يمكن مجابهته إلاّ بالآلة.

لقد حاولت بعض المؤسّسات العربيّة الاقتداء بنظيراتها الغربيّة فـــي هـــذا المجـــال فراحت تؤسّس لفكرة الذّخائر اللغويّة على غرار ما فعلت:

المنظمة العربيّة للتّربيّة والثّقافة والعلوم (ALECSO)	ومدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتّقنيّة بالرّياض (KACST)	ومركز تقنيات اللغة العربيّة في القاهرة (ALTEC)

كما قام عدد غير قليل من الباحثين العرب باقتراح العديد من الذّخائر اللغويّة العربيّة لأغراض بحثيّة متعدّدة، على غرار ما أسّس له الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح الأب الرّوحي للفكرة عند العرب في العصر الحديث[8].

رابعا/ نحوَ حوسبة الذّخيرة اللغويّة: كان العرب قديما يستخدمون النّصوص في تعليم وتلقين اللغة واستنباط القواعد وإعداد الفهارس وصناعة المعاجم وغير ذلك، وقد خلّفوا لنا تراثا ثريا يصعب الإحاطة به أو عدم القدرة على التّعامل مع مجموعات كبيرة من النّصوص لما يتطلّب ذلك من الوقت والجهد.

مثل ما فعل أصحاب البيبليوغرافيات العربيّة على غرار ما فعله ابن النّديم في كتابه الفهرست، أو طاش كبري زاده في كتابه مفتاح السّعادة ومصباح السّيادة، أو حاجي خليفة في كتابه كشف الظّنون، أو فؤاد سزكين في كتابه تاريخ التّراث العربي وغير ذلك ممّن برع في مجال البيبليوغرافيات؛ يقول المعتز بالله سعيد: "هل تعرف أنّ بعض فهارس القرآن الكريم والكتاب المقدس قد وضعت منذ مئات السّنين؟ لقد قام العلماء باستخدام محتوى القرآن الكريم والكتاب المقدّس كصورة من الذّخيرة اللغويّة وصنعوا من هذا المحتوى فهارس الموضوعات والآيات والأماكن والأعلام وغيرها لكنهم تعاملوا مع هذه النّصوص يدويا في حدود ما تتيحه إمكانات عصورهم؛ ولما ظهر الحاسوب تطوّر الأمر بصورة كبيرة لأنّه ساعد الإنسان على تخزين النّصوص

واستدعائها وقتما يشاء وساعده أيضا على التّعامل مع مجموعات هائلة منها، فاستطاع أن يجمعها ويدققها ويرتبها ويجري عليها عمليات عديدة... ولأنّ اللغة العربيّة واحدة من أكثر اللغات في العالم انتشارا فقد استفادت من ظهور الحواسيب التي فتحت المجال للتّعامل مع تراثنا العربي قديما وحديثا ومع أنّنا لم نصل بعد إلى مستويات بعض اللغات الأخرى في استخدام الذّخائر اللغويّة إلاّ أنّنا استطعنا تحقيق نتائج إيجابيّة وأصبح بإمكاننا التّعامل مع ذخائر لغويّة عربيّة لأغراض تقنيّة المعلومات وإنتاج أدوات معالجة اللغة العربيّة"[9].

خامسا/ مشروع الذّخيرة اللغويّة كما عرضه صاحبه[10] في كتابه (بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة): لا ينكر جهود العلاّمة الحاج صالح إلاّ جاحد، ليس فقط على مستوى البحوث اللسانيّة المتميّزة، وإنّما أيضا من خلال إبراز دور اللغة العربيّة وبين قدرتها على مسايرة التّطوّرات التّكنولوجيّة الحديثة، ولعلّ أسمى أثر إبداعي خلّد اسم الرّجل في الآفاق بلورته لمشروع الذّخيرة اللغويّة، يقول الحاج صالح:" إنّ هذا المشروع نشأ من فكرة الاستعانة بالكمبيوتر واستغلال سرعته الهائلة في علاج المعطيات وقدرته العجيبة في تخزين الملايير من هذه المعطيات في ذاكرته لإنشاء بنك آلي من المعطيات يحتوي على أهمّها حرّر بالعربيّة ممّا له قيمة علميّة وأدبيّة وتاريخيّة وغيرها، وأعز ما أنتجه الفكر العربي قديما وحديثا، وما سينتجه على مرّ السّنين"[11].

ويرى الدّكتور الحاج صالح أنّ للذّخيرة اللغويّة العربيّة جانبين هامّين هما:

الأوّل: هو الجانب اللغوي ويتمثل في ديوان العرب لأنّه يمثّل الاستعمال الحقيقي للغة العربيّة القديم والحديث، من خلال الملايين من النّصوص الأدبيّة والعلميّة والتّقنيّة وغيرها.

الثّاني: هو الجانب الثّقافي ومنه العلمي والتّربوي لأنّه يجمع في محتواه ومن خلال النّصوص: من جهة جميع المعلومات المتعلّقة بجميع الميادين العلميّة والتّقنيّة والتّاريخيّة والاجتماعيّة وغيرها ومن جهة أخرى جميع الطّرائق التّعليميّة[12].

ولما كان مشروع الذّخيرة يستهدف الوصول إلى هذا البنك الآلي فإنّه" يستلزم القيام بحوسبة هذا البنك أي أن يوضع له ما يسمّى بالقوام البرمجي وهي مجموعة البرمجيات التي لابدّ منها لاستثمار الذّخيرة – إلقاء أسئلة على الحاسوب – وهذا القوام هو في الواقع نظام (نسق) لتسيير قواعد المعطيات التي هي نصوص بالنّسبة للذّخيرة"[13].

ثمّ إنّ هذا الهدف بيّن من خلال مشروع الذّخيرة وضع المعاجم الآليّة للغة العربيّة وتيسير البحث فيها، يقول الحاج صالح" إنّ ولوج مجامعنا اللغويّة في مجالات الحوسبة سيفتح أمامها آفاقا جديدة في خدمة اللغة العربيّة، وعلومها، ونواحي تطبيقها، وسيسرع بها نحو تحقيق كثير من أغراض إنشائها، وسيوجد معزّزات تقنيّة تعيننا في الحفاظ على تمايز هويتنا اللسانيّة"[14].

فتصبح حينها من المصادر التي تغنّي البحث فتصل به إلى الجدّة في الطّرح والتّمايز إضافة، كما يمكن أن تقدّم خدمة للباحثين على غرار : الإحصاء الآلي لنص واحد أو عدّة نصوص لكلّ وحدة لغويّة أيا كانت بما في ذلك العبارات والجذور والأوزان، يقول صادق عبد الله:" يحتاج العرب اليوم إلى صناعة تقنيّة للمعاجم العربيّة بكل أنواعها وما يفكر فيه أهل الاختصاص سواء ما تعلّق الأمر بالمعجم التّاريخي للغة العربيّة والذي يتطلّب السّعي إلى إنجازه تحدّ كبير بالنّسبة للمهتمّين بتاريخ اللغة العربيّة نظرا لوظيفته الخطيرة فهو يعبر عن كل تاريخ مفردات اللغة وتراكيبها منذ نشأتها ويسير معها في أزمان وبيئاتها المتنوّعة في مختلف الطّبقات الاجتماعيّة، أم ما تعلّق بالمعجم الشّامل للغة العربيّة أم بالمعاجم التّقنيّة لمختلف العلوم كمعجم المصطلحات الحاسوبيّة وغيرها، وعليه فإنّ الرّكون إلى مشاريع المعجمات أو المدوّنات أو المكانز المحوسبة المناسبة في مضامينها لمستويات الفئات التي تعدّ لأجلها سيسهم في علاج مشكلات توحيد المصطلح العربي وإيجاد لغة علميّة يتداولها أبناء الأمّة العربيّة، لأنّه سيوفّر للدّارسين المادّة العلميّة التي يحتاجونها، وأنّ اللغة تحيا باستعمال أبنائها لها"[15].

كما تسعى الذّخيرة أيضا إلى وضع المصطلحات العلميّة وتوحيدها من خلال إيجاد أنترنت عربي يضمن شيوع المصطلحات الموحّدة والتي يكثر توظيفها من خلال الاستعمال الحقيقي للغة على لسان الفرد العربي أينما كان، يقول الحاج صالح:" وعلى هذا فالذي يحتاج إليه واضع المصطلحات هو بنك من النّصوص يستخرج منه قاموس كبير، تجمع فيه وترتب جميع ألفاظ العربيّة التي وردت في الاستعمال الفعلي أي النّصوص التي وصلتنا حتى المخطوطة منها، مع عدد كبير جدا من السّياقات والقرائن من الشّعر الجاهلي حتى الصّحف في عصرنا الحاضر وهذا لا يمكن أن يتمّ إلاّ بما أشرنا إليه من التّنظيم وتكافل الأعمال بالآلات المهيّئة لذلك"[16].

سادسا/ تطبيقات مشروع الذّخيرة اللغويّة:

1/ بناء محركات البحث: إنّ الذّخيرة اللغويّة ستقدم خدمة متميزة للمحرّكات البحثيّة من خلال فهرسة شاملة لكلمات اللغة، والتي تضمّ بدورها نصوصا مستمدّة من واقع اللغة، ثمّ إنّ القائمين على محرّكات البحث ببعض العمليات الإحصائيّة لاستخلاص الكلمات التي تلحق بكلمات البحث أو تسبقها، ثمّ يضعون هذه المخرجات في قاعدة بيانات يتمّ التّحكم في محرك البحث من خلالها، وبالتّالي فإن عمل المحرّك يقوم أساسا على هذه الذّخيرة.

إضافة إلى ذلك أنّ الذّخيرة تساعد على مضاعفة سرعة محرّكات البحث لأنّها تكون مادّة لبيانات مخزّنة يتمّ استدعاؤها؛ وهذا أسرع كثيرا ممّا لو لم تكن هذه البيانات موجودة أصلا[17].

2/ التّرجمة الآليّة: من أهمّ تطبيقات الذّخيرة اللغويّة التّرجمة الآليّة، "إذ لا يمكن تطوير أدوات فعالة للتّرجمة الآليّة بين اللغات إلاّ باستخدام ذخائر متوازيّة تضمّ مجموعات كبيرة من النّصوص، فإذا أردنا مثلا أن نصنع نظاما للتّرجمة الآليّة بين العربيّة والإنجليزيّة، فإنّ علينا أنْ نصنع ذخيرة لغويّة كبيرة تحوي النّصوص العربيّة وما يقابلها في اللغة الإنجليزيّة ثمّ نقوم بتدريب الآلة على فهم قواعد النّحو وأنماط الجمل ومعاني الكلمات والتّراكيب بين اللغتين، وحتى تتمّ الاستفادة الكاملة من الذّخيرة

اللغويّة في التّرجمة الآليّة بين اللغات فإنّنا سنكون بحاجة إلى إجراء معالجات إحصائيّة دقيقة على مادة الذّخيرة، سعيا إلى استخلاص إحصاءات تتّفق مع واقع الأنظمة اللغويّة لمجموعة اللغات التي تُتَرْجم منها وإليها"[18].

3/ تعليم اللغات: إنّ اعتماد مشروع الذّخيرة اللغويّة في تعلّم وتعليم اللغات له أكثر من مزيّة وفائدة كيف ذلك؟ إنّها" توفّر الكثير من الوقت والجهد في عمليتي التّعليم والتّعلّم، لأنّها تساعد على استخلاص أكثر الكلمات والتّراكيب والقواعد استخداما في اللغة، فيتمكّن المتعلّم بهذا من التّعرّف على القدر الأكبر من المعارف اللغويّة بأقل جهد ممكن، ومن ناحيّة أخرى فإنّ الذّخيرة اللغويّة تساعد بصورة كبيرة على تطوير المناهج التّعليميّة للغات في مراحل التّعليم المختلفة؛ إذ من خلالها يمكن توجيه الطّلاب إلى واقع اللغة الملموس، بعيدا عن التّعقيدات التي قد لا يستفيدون منها في تواصلهم مع أبناء المجتمع فهما وإفهاما، وبطبيعة الحال فإنّ المعلّمين والمتعلّمين يستقبلون نتائج معالجة الذّخائر اللغويّة في صورة جاهزة...ولعلّنا نستشعر أهمّيّة استخدام الذّخائر اللغويّة في تعليم اللغة العربيّة بالنّظر إلى معاناة طلاّب المراحل الأساسيّة في فهم مناهجها خصوصا قواعد النّحو العربي التي تؤدّي إلى نفور كثير من الطّلاب من تعلم العربيّة، ففي كثير من الأحيان يدرس الطّالب القاعدة النّحويّة بصرف النّظر عن الاستخدام الفعلي لها، لتبدو المادّة العلميّة بعيدة عن اللغة التي يمارسها قراءة أو استماعا.

الذّخائر اللغويّة ببساطة مقياس لضبط العمليّة التّعليميّة ووسيلة مثاليّة لإحداث التّجانس بين اللغة التي يدرسها الطّالب واللغة التي يستخدمها في ميادين الحياة، وحتى يتمّ ذلك على أفضل وجه، فإنّنا نعمل على تمكين الآلة من التّعامل مع ذخائر لغويّة تضمّ قدرا كبيرا من النّصوص المناسبة للمستوى العمري والمعرفي للطّلاب، من خلال إجراءات لغويّة وإحصائيّة وحاسوبيّة دقيقة ونستطيع استخدام نتائج هذه الإجراءات في إعداد المقرّرات التّعليميّة، ونستطيع استخدامها كذلك في صناعة معجم مدرسي يساعد الطّالب على فهم مفردات اللغة واستخدامها على الوجه الأمثل[19].

4/ بناء أدوات تحرير النّصوص:

لا شكّ أنّنا جميعا نستخدم محرّرات النّصوص مثل:(MS OFFICE) في أغـراض متعدّدة خلال تفاعلنا مع الآلة، مثل: الاستذكار وكتابة الرّسائل وإعداد الأبحاث وإرسال الرّسائل عبر البريد الإلكتروني، فهل تعلّـم أنّ أدوات التّحريـر الملحقـة بمحـرّرات النّصوص من مثل:

المدقّق الإملائي	المصحّح اللغوي	المشكل الآلي
لصنع أداة للتّـدقيق الإملائي فنحن بحاجـة إلى ذخيرة لغويّة خاليّـة مـن أخطـاء الإمـلاء لتكـون مـادّة لقاعـدة بيانـات الأداء التـي تصنعها.	إذا أردنـا صـنع أداة للتّصحيح اللغوي فنحن بحاجة إلى ذخيرة لغويّة تحوي قدرا كبيرا من التّراكيب والجمـل الصّـحيحة لغويـا، لتكـون مصدرا للقواعد اللغويّة التـي يقوم عليها نظام التّصحيح.	كذلك إذا أردنا صنع أداة للتّشكيل الآلي فأنت بحاجة إلى ذخيرة لغويّة مشكولة، تُجرى عليهـا العمليـات الإحصـائيّة اللازمـة لاسـتخلاص ضوابط التّشكيل.

التي تعتمد أساسا على الذّخائر اللغويّة؟ إذن نحن بحاجـة مسـتمرّة إلـى معالجـة الذّخائر اللغويّة لتطوير أدوات تحرير النّصوص والتّأكد من سلامة مخرجاتها[20].

الخـــاتمـــة:

– مشروع الذّخيرة اللغويّة من المشاريع الهامّة التي نـادى بهـا أبـو اللسـانيات الجزائري عبد الرّحمن الحاج صالح؛ والتي لابد من تفعيلهـا وإجرائهـا علـى أرض الواقع.

– أسفر البحث على أهميّة الآلة في معالجتها للحرف العربي، ومن ثمّ لابـدّ مـن مواكبة العصر ومسايرة المستجدّات في مجال الحوسبة والرّقمنة.

– أشار البحث إلى أهمّيّة التّطبيقات اللغويّة في معالجة الـذّخيرة اللغويّـة؛ علـى غرار التّرجمة الآليّة، وأدوات تحرير النّصوص، وتعليم اللغات، وبناء محركات بحـث عربيّة.

– نقترح على القائمين في وضع البرامج التّربويّة إدخال اللسانيات الحاسوبيّة فـي هذه البرامج نظرا لأهمّيتها ودورها الفعال.

– نقترح على طلبة الدّراسات العليا (الماجستر والدّكتوراه) الاهتمام والبحـث فـي موضوعات تخصّ المعالجة الآليّة والحوسبة العربيّة.

مكتبة البحث:

المعالجة الآليّة للغة العربيّة بين الواقع والآفاق، إبراهيم عبد النّور؛ ضـمن كتـاب (المـؤتمر الدّولي للغة العربيّة والنّص الأدبي على الشّبكة العالميّة، جامعة الملك خالـدّ، السّـعوديّة 17–18–19 جمادى الأولى سنة 1438هـ.

الذّخائر اللغويّة، ضمن كتاب المعالجة الآليّة للغة العربيّة آفاق التّطوير للحاق بركب التّقنيـات المعاصرة، مجلة الألكسو العلميّة للفتيان، تونس، العدد 28، ديسمبر 2017.

بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة، منشورات المجمع الجزائري للغـة العربيّـة، مـوفم للنشر، الجزائر، 2007، 1/ 409. نحو استثمار أفضل للحاسوب في مجالات خدمـة اللغـة العربيّة وعلومها، صادق عبد الله، مجلة المجمع الجزائري للغة العربيّة، ع6 السّنة3، ديسمبر 2007.

المواقع الالكترونيّة:

الموقع الإلكتروني: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/18395
الموقع الإلكتروني: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/60586
الموقع الإلكتروني: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/39780
الموقع الإلكتروني: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/66651
الموقع الإلكتروني: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/82766
الموقع الإلكتروني: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/99294

الاحالات:

[1]– عبد الرّحمن الحاج صالح من مواليد 1927م أستاذ وباحث بجامعة الجزائر، تقلد العديد من الوظائف منها: تعيينه رئيسا لقسم اللغة والأدب العربي وقسم اللسانيات، ومديرا لمعهد العلوم اللسانيّة بالجزائر، ثم مديرا لمركز البحوث العلميّة لترقيّة اللغة العربيّة، ثم انتخب عميدا لكليّة الآداب، وبقي على رأس هذه الكليّة إلى غايّة 1968، كما أشرف على المعهد الكبير للعلوم اللسانيّة والصّوتيّة واسس أيضا مجلة اللسانيات بالجزائر، بعد إنجازه لأطروحة الدّكتوراه التي تحدث فيها عن النّظريّة الخليليّة والبحث والتّنقيب حول اصالة النّحو العربي اهتدى إلى فكرة الذّخيرة اللغويّة العربيّة وهل يمكن برمجتها حاسوبيا، وأعتقد أنه كان أول عالم عربي يدعو إلى هذا المشروع، كما كان أول الدّاعين إلى تبني المنهج البنيوي وإنشاء جوجل عربي.

وتقديرا لجهوده في البحث والإبداع قلّد وسام الاستحقاق من طرف الملك فيصل سنة 2010، نظير تميزه في تحليله للنظريّة الخليليّة النّحويّة وعلاقتها بالدّراسات اللسانيّة المعاصرة ودفاعه عن أصالة النّحو العربي، وإجرائه مقارنات علميّة بين التّراث ومختلف النّظريات في هذا الموضوع. ينظر: مقال المعالجة الآليّة للغة العربيّة بين الواقع والآفاق، إبراهيم عبد النّور= = ضمن كتاب (المؤتمر الدّولي للغة العربيّة والنّص الأدبي على الشّبكة العالميّة، جامعة الملك خالدّ السّعوديّة، 17–18–19 جمادى الأولى سنة 1438هـ، 1/ 20–21 (بتصرف).

[2] - ينظر الموقع الإلكتروني: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/18395

[3]– ينظر الموقع الإلكتروني: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/60586

[4]– ينظر الموقع الإلكتروني: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/39780

[5]– ينظر الموقع الإلكتروني: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/66651

[6]– ينظر الموقع الإلكتروني: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/82766

[7]– ينظر الموقع الإلكتروني: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/99294

[8]– ينظر: المعالجة الآليّة للغة العربيّة آفاق التّطوير للحاق بركب التّقنيات المعاصرة، مجلة الألكسو العلميّة للفتيان، تونس، العدد 28، ديسمبر 2017، ص15.

[9]– الذّخائر اللغويّة، ضمن كتاب المعالجة الآليّة للغة العربيّة، مجلة الألكسو العلميّة للفتيان ص17.

[11]– بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة، منشورات المجمع الجزائري للغة العربيّة، موفم للنّشر الجزائر، 2007، 1/ 409.

[12]– ينظر: مقال المعالجة الآليّة للغة العربيّة بين الواقع والآفاق، إبراهيم عبد النّور، ص21.

[13]– بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة، 157/2.

[14]– نحو استثمار أفضل للحاسوب في مجالات خدمة اللغة العربيّة وعلومها، صادق عبد الله مجلّة المجمع الجزائري للغة العربيّة، ع6، السّنة3، ديسمبر 2007، ص45.

[15]– المرجع نفسه، ص65–66.

[16]– بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة، 379/1.

[17]– الذّخائر اللغويّة، ضمن كتاب المعالجة الآليّة للغة العربيّة، ص18.

[18]– المرجع نفسه، ص18.

[19]– ينظر: المرجع السّابق، ص18–19.

[20]– المرجع السّابق، ص20–21.

أثر اللّسانيات الحاسوبيّة
في تعليميّة النحو بين الواقع والمأمول

داه. عمار منور

جامعة مستغانم

ملخّص: التّرقيم وتحويل الأشياء إلى أرقام أو اتباع نماذج رقميّة أثّرت في علوم اللّغة بشكل عميق، والحاسوب يقوم بعمليّة حساب المسائل اللّغويّة وتحويلها إلى أنظمة رقميّة يقوم الحاسب الآلي بمعالجتها. ومن بين هذه المسائل ذات الأهمّيّة في التّحليل الرّقمي والمعالجة الآليّة مسألة النّحو العربي.

وتبقى الجهود العربيّة في إثراء هذا المجال بعيدة عن تحقيق الأهداف المرجوة، نظرا لصعوبة إخضاع اللّغة للحاسوب، لذا وجب الاهتمام بهذا الجانب من خلال تضافر جهود اللّغويين مع أصحاب البرمجة والمعلوماتيّة، أم أنّنا سنردّد فكرة عدم إمكانيّة ترييض القضايا اللّغويّة، وهل سنمشي على آثار تشومسكي وأشياعه في توطيد الصّلة بين اللّغة والحاسوب؟، لذا حاولنا بهذه الطّريقة البحثيّة الوقوف على أثر اللسانيات الحاسوبيّة في تعليميّة النّحو، والإجابة عن بعض التّساؤلات:

- **ما المقصود باللّسانيات الحاسوبيّة؟**
- **ما أثر الرّقمنة في التّحصيل اللّغوي والنّحوي؟**
- **إلى أي مدى يمكن أن تسهم اللّسانيات الحاسوبيّة في تعليم مادّة النّحو؟**

الكلمات المفتاحيّة: اللّسانيات الحاسوبيّة، النّحو، الرّقمنة، البرامج الحاسوبيّة.

المداخلة:

تمهيد: إنّ ظهور اللّسانيات الحاسوبيّة جعل اللّغة العربيّة تواجه تحدياً آخر ألا وهو مواكبة هذه التّكنولوجيا الحديثة، وكذا القدرة على الاستفادة منها، فظهور المواقع الاجتماعيّة كان له الأثر الواضح على التّحصيل اللّغوي ممّا جعل مهمة اللّغويين

العرب لا تقتصر على اللّغة فقط، بل أصبح لزامًا عليهم معرفة على الأقل الاستخدام الأمثل لهذه التّكنولوجيا المرتبطة أساسًا بالأنترنت، وحتى يتمكّنوا من التّواصل وكذا فتح النّقاش البناء في القضايا اللّغويّة، والواقع أنّ الاستغلال الأمثل لمواقع التّواصل الاجتماعي يُمكن الطّلاب والباحثين من التّحصيل اللّغوي في مختلف فنون اللّغة وعلى رأسها علم النّحو وهذا التّزاوج الحاصل بين الحاسوب واللّغة مهد لظهور اللسّانيات الحاسوبيّة.

-1مفهوم اللّسانيات الحاسوبيّة: تتعدَّد تعريفات وتسميات اللّسانيات الحاسوبيّة ومعها يصعب إعطاء تعريف جامع وشامل لها، لكن ما يمكن أن يجمع بينها هو أنّها "دراسة علميّة للّغة الطّبيعيّة من منظور حاسوبي، وهذه الدّراسة لا يمكن أن تتمّ إلاّ ببناء برامج حاسوبيّة لأنظمة اللّغات البشريّة من خلال تقييس ومحاكاة نظام عمل الدّماغ البشري لنظم عمل الحاسب الآلي"[1]، وهناك مَن يعرِّفها بأكثر من ذلك، ويذهب إلى اعتبارها "الدّراسة العلميّة للنّظام اللّغوي في سائر مستوياته بمنظار حاسوبي ويتجلّى هدفها في تطبيق النّماذج الحاسوبيّة على الملَكة اللّغويّة"[2].

من خلال هذه التّعريفات يمكن القول إنّ اللّسانيات الحاسوبيّة هي دراسة اللّغة بواسطة الحاسوب من خلال برامج حاسوبيّة، وتهدف هذه اللّسانيات إلى تطبيق النّماذج الحاسوبيّة على اللّغة.

والحاسوب آلة ذكيّة، تحاكي في قدرتها وظائف الإنسان وقدراته الذّهنيّة، بمعنى أنّه "أصبح في إمكان الحاسوب محاكاة نمط اشتغال العقل الإنساني وتقييسه من خلال لغة صوريّة خوارزميّة أشبه ما تكون باللغة الصّناعيّة، كما أصبح أيضًا مجالًا تطبيقيًّا لاختبار الفرضيات حول الطّريقة التي يشتغل بموجبها العقل الإنساني"[3].

إنّ الحاسوب هو الآلة التي تمكّننا من معالجة اللّغة آليًا، ويتأتّى ذلك من خلال لغة صوريّة خوازميّة، وللحاسوب أيضا لغات متعدّدة يستخدمها المبرمجون، فأصبح بإمكان الحاسوب محاكاة العقل البشري.

والعصر الذي نحيا تحت ظلاله هو عصرُ التّفجُّر المعرفـــي، والانتشـــار الثّقـــافي الخاطف، والعلم، والثّقافة، والتّكنولوجيا، والاتّصال، والمعلومات، ولقـــد أحـــدثت هـــذه التّطوّرات بأدواتها ووسائلها "تأثيرًا بارزًا على مختلف مناحي الحياة، وبذلك بِتْنـــا نجـــد صدى للحاسوب في الإدارة، والبنوك، والاقتصاد، والتّعليم، واللغة، إلخ، وبهذا، فقد قدّم الحاسوب خدمات جليلة للإنسان، واستفادت اللّغة هي أيضًا من الامتيازات التي يقـــدّمها الحاسوب.

لذلك كان الحاسوب الرّكيزة الأساسيّة في هذا الفرع اللّســـاني التّطبيقـــي الحـــديث المتّصل بالذّكاء الاصطناعي (Artificial Intelligence)، باعتبار هذا الأخير يُركز علـــى قواعد المعارف الأعمق والأشمل من قواعد البيانات، واللّغة العربيّة استفادَتْ منه كثيرًا في إنجاز تطبيقات لغويّة حققت بها قفزة نوعيّة.

2- الرّقمنة ومشروع الذّخيرة اللّغويّـــة: إنّ الرّقمنة قضيّة مهمّة في المحافظة على التّراث اللّغوي العربي، فاستعمال الوسيط الالكتروني مكنّ انتقال النّص من الورقيّة إلى الرّقميّة، فأصبح بالإمكان رقمنة الكتب المهمّة وعلى رأسها كتب النّحو، فأصـــبح مـــن اليسير الحصول على كتب النّحو من خلال التّحميل على الأنترنـــت، فرقمنـــة الكتـــب عجلت ظهور المكتبات الإلكترونيّة التي يسرت على الباحثين والرّاغبين في التّحصـــيل العلمي الاستفادة من الكتب الالكترونيّة، سواء عن طريق التّحميل أم القراءة المباشـــرة ووجبّ أن ننوّه بالمجهود الشّاق الذي حمله الدّكتور عبد الرّحمن حاج صالح رحمه الله على عاتقه والمتمثّل في "إنجاز بنك آلي للغة العربيّة المستعملة بالفعل، يتضمّن أمّهـــات الكتب التّراثيّة الأدبيّة والعلميّة والتّقنيّة وغيرها ويشتمل على الإنتاج الفكـــري العربـــي المعاصر في أهمّ صورة بالإضافة إلى العدد الكبير من الخطابات والمحاورات العفويّـــة بالفصحى في شتّى الميادين"[4].

يظهر أنّ عبد الرّحمن حاج صالح خطّط لمشروع ضخم يحتاج إلى التّكـــاتف مـــن قبل الباحثين العرب، فهو يشمل الإنتاج اللّغوي العربي بمختلف أشكاله، وجعله ضـــمن

بنك آلي يسهل الوصول إليه من طرف الباحثين، وهذا لا يتأتّى إلّا باستخدام الحاسوب نظرا لما يوفّره من طاقة تخزينيّة هائلة، ومعالجة سريعة للمعلومات.

وهنا يجب أن ننوّه أنّ عمل الباحثين لا يقتصر على رقمنة البحوث العربيّة بما فيها النّحو، ولكن الحاسوب يوفّر لنا عدّة خدمات، لعلّ أبرزها البرامج التّعليميّة، وذلك من خلال استخدام برامج وإتقان لغات البرمجة المختلفة، فيمكننا الاستفادة من هذه البرامج لتصميم وإنجاز برامج تعليميّة لتيسير النّحو، كما يمكننا جعل دروس النّحو مكتوبة ومسموعة ومرئيّة وهذا ما نراه هذه الأيام متفشياً على مواقع التّواصل الاجتماعي بفضل الوسائط المتعدّدة.

3- الوسائط المتعدّدة: لعلّ ظهور الحاسوب والتّطوّر الحاصل في هذا المجال أثّر أيضًا على اللّغة، وكذا على الوسائط أيضا، وتجلّى ذلك في النّصوص التي انتقلت من الورقيّة إلى الالكترونيّة أو حتى من الشّفهيّة إلى الالكترونيّة مباشرة، وبتطوّر الوسائط والوسائل قد تطوّر هيكل أو شكل النّص، فالوسائط المتعدّدة الفائقة أعطت للنّص بُعداً مرئياً هذا ما أضفى جمالًا وإبداعا آخر للنّص، وكأنّ النّصوص أصبحت أجسادًا حيّة فبظهور الأنترنت أصبح ممكناً مشاهدة نص مرئي ومسموع ومكتوب في آن واحد، وهذا سابقًا كان ضرباً من الخيال، وقد ساعد ظهور الأنترنت في انتشار هذا النّوع من النّصوص، وقد تزامن ظهور الأنترنت مع ظهور الوسائط المتعدّدة.

4- العلاقة بين الوسائط المتعدّدة والأنترنت: هناك علاقة متبادلة بين الأنترنت والوسائط المتعدّدة، فالأنترنت تؤثّر في الوسائط المتعدّدة ويمكن حصرها في النّقاط التّاليّة:

1- **القدرة التّخزينيّة:** فالأنترنت توفّر لمنتجي الوسائط المتعدّدة قدرة تخزينيّة عاليّة تتجاوز سعات الأقراص المرنة والمدمجة.

2- **الاتّصال الشّبكي:** الأنترنت تتيح لتّطبيقات الوسائط المتعدّدة إمكانيّة الاستفادة من الواصل الشّبكي، فيصبح بإمكان العديد من المستخدمين الاستفادة من تقنيات الوسائط المتعدّدة، عوض الاقتصار على العروض محدودة التّفاعليّة.

3- **البعد الجماهيري:** فقد مكّنت الأنترنت الجمهور من الدّخول إلى المصادر والملفات والصّوت والفيديو والصّور...، وبالتّالي أصبح استعمال تقنيات الوسائط المتعدّدة جماهيرياً.

"ومن ناحيّة أخرى فقد أثرت الوسائط المتعدّدة على الأنترنت ويمكن ذكرها في النّقاط التّاليّة:

- بدون الوسائط المتعدّدة لم يكن لشبكة الأنترنت أن تحقق هذا الانتشار الواسع وأصبح وسيلة إعلاميّة جماهيريّة.

- سمحت مختلف برمجيات الوسائط المتعدّدة لمصممي مواقع الأنترنت بإضفاء المزيد من الجماليّة والخدمات والتّفاعليّة على صفحات الأنترنت.

- كما أنّ لغة Java ولغات برمجيّة أخرى أسهمت في إضفاء المزيد من التّفاعليّة على شبكة الأنترنت"[5].

4- **ظهور المنتديات والمواقع التّربويّة:** تزامن ظهور الأنترنت مع ظهور المواقع التي اختلفت من حيث خدماتها، فظهرت المواقع التّجاريّة والرّياضيّة والتّعليميّة والجامعيّة وأصبح بإمكان الطّلبة الولوج إلى مواقع الجامعة للاستفادة من الخدمات التي تقدمها المؤسّسة الجامعيّة، وقد أتاحت لهم هذه المواقع إمكانيّة تحميل الكتب بنسخ رقميّة والمنتديات الأدبيّة ليست حكرا على الأنترنت، بل كانت معروفة من قبل، منذ أن عرف الأدب، ولعل المنتديات التي ظهرت في العصر الأموي خير دليل على ذلك ليظهر حديثًا المنتديات الالكترونيّة وهي "أكثر من أن تحصى، ويتخذ كل منها طريقة وأسلوبا مختلفا في التّواصل وتبادل الأدب بفنونه المختلفة، شعرًا ونثرًا، ويفتح فيها باب النّقاش حول النّصوص كتابة، من خلال المداخلات والتّعليقات، والنّقد البناء"[6].

فالمنتديات الإلكترونيّة إذن ألغت الحدود، وضمت كل الفئات من مختلف البلدان ويكفي أن تقوم بالتّسجيل على المنتدى، كما تمكن المنتمين إلى المنتدى من النّقاش البناء، وكذا طرح الأفكار والتّواصل ويتأتّى ذلك كتابةً غالبًا.

ظهور المنتديات تبعه ظهور مواقع التّواصل الاجتماعي التي جعلت الكثيرين ينتسبون إليها، فظهور الفايسبوك جعل التّواصل بين الأفراد ممكنا وفي أي وقت على شرط أن يكون الفرد المنتسب متّصلًا بالأنترنت، وأصبح بإمكان المختصّين من استغلال هذا الفضاء في زيادة التّحصيل المعرفي، وقد ظهرت مجموعات متخصّصة في مجالات علميّة معيّنة مثلًا، مثل مجموعة النّحو بكل أطيافه، هذه المجموعة التي نوّعت من الدّروس، فتراها في بعض الحالات تعتمد الطّريقة التّقليديّة ألّا وهي السّؤال وفتح المجال للأجوبة وفي الأخير تقديم الجواب الصّحيح أي ما يعرف بالطّريقة التّنشيطيّة، وتارة تقدّم دروس النّحو على شكل مخطّطات، وأحيانا دروساً مرئيّة تسهل على الطّلبة معرفة مسائل النّحو.

5- **مجموعة النّحو بكل أطيافه:** النّحو بكل أطيافه هي مجموعة متواجدة على الفايسبوك، متخصّصة في علم النّحو، وكذا البلاغة وعلم العروض، عدد الأعضاء المنتسبين إليها 136073 عضواً والعدد في تزايد يومي من مختلف البلدان يشتركون جميعا في هدف واحد ألا وهو التّحصيل النّحوي.

ونذكر بعض المسائل النّحويّة التي أشاروا إليها:

- **المنشور الأوّل:** عندما نقول إنّ الكلمة في اللغة العربيّة ثلاثة أقسام:

1- حرف 2- فعل 3- اسم

يجب معرفة أنّ الحرف لا محلّ له من الإعراب إذن: حروف الجر وحروف العطف وحروف النّصب والأحرف المشبهة بالفعل .... لا محلّ لها من الإعراب ولكن ليس هنا مربط الفرس بالنّسبة للطلبة فالفخ الذي يقعون فيه ظنهم أنّ الضّمير حرف (كتاء الفاعل ونون النّسوة وواو الجماعة...)

★الضّمير طلبتنا الأكارم: اسم وهنا توجد ملاحظتان:

1-يكتفى عند إعراب الفعل (شربوا) بأنّه فعل ماض مبني على الضّم لاتّصاله بواو الجماعة، بل يجب ذكر محلّ الواو من الإعراب (لأنّ الواو كما أسلفنا مصنّفة مع الأسماء كونها ضمير) فنقول: والواو ضمير متّصل مبني في محلّ رفع فاعل

2-عندما يعرب أحدهم الفعل في (ولدت الهرّة) فعل ماض مبني على الفتح لاتّصاله بتاء التّأنيث السّاكنة والتّاء ضمير متّصل لا محل لها من الإعراب (يكون قد ارتكب خطأين فادحين) الأول: أن تاء التّأنيث مصنّفة كحرف لا كضمير الثّاني: لا يوجد ضمير لا محلّ له من الإعراب (في حال قوله ضمير مثلا) والإعراب الصّحيح يكون: فعل ماض مبني على الفتح لاتّصاله بتاء التّأنيث السّاكنة والتّاء حرف لا محلّ له من الإعراب.

بقي أن نذكر للطّلبة أنّ الضّمائر يجب أن لا يخلطهما الطّالب بتاء التّأنيث أو نوني التّوكيد لأنّهما حروف بينما الضّمائر هي: مجموعة (نواتي) أي:

نون النّسوة واو الجماعة ألف الاثنين التّاء المتحركة ياء المؤنثة المخاطبة وتعرب هذه الضّمائر في محلّ رفع فاعل (فهي تتّصل بالأفعال) أمّا المجموعة الثّانيّة فهي (هيك) أي: هاء الغائب ياء المتكلّم كاف الخطاب

وتعرب هذه الضّمائر في محلّ نصب مفعول به (إذا اتّصلت بالأفعال) وفي محلّ جرّ بالإضافة (إذا اتّصلت بالأسماء) ويبقى ضمير واحد وهو (نا الدّالة على الجماعة) فيعرب إن اتّصل بالفعل في محلّ رفع فاعل أو في محلّ نصب مفعول به كما سيأتي لاحقا وهناك تفاصيل مبسطة لاتّصال الضّمائر بحروف الجر أو بالأحرف المشبهة بالفعل أو بالأفعال النّاقصة.

يوضح هذا المنشور أنّ الضّمير اسم، ويشير إلى الخلط الحاصل عند الطّلبة بين الضّمير والحرف، كما يضيف ملاحظة مهمّة ألا وهي أنّه لا يوجد ضمير لا محلّ له من الإعراب، والضّمائر هي (نواتي) أي نون النّسوة، واو الجماعة، ألف الاثنين، التّاء المتحرّكة، ياء المؤنّثة المخاطبة، و(هيك) هاء الغائب، ياء المتكلّم، كاف المخاطب ويبقى ضمير واحد وهو نا الدّالة على الجماعة.

-**المنشور الثّاني:** الطّلبة يعرفون أنّ جملة جواب الشّرط يجب اقترانها بالفاء إذا كانت: اسميّة طلبيّة وبجامد وبما ولن وبقد وبالتّسويف لكنهم لا يعرفون عن الطّلبيّة إلاّ: الأمر والنّهي والطّلب أوسع من ذلك وهو 7 أنواع:

1- الأمر
2- النّهي
3- التّمني
4- التّرجي
5- الاستفهام
6- العرض
7- الحض

★★★★★★★

والمطلوب: ضرب أمثلة عن الحالات السّبع

- هنا نلاحظ كيف أشار القائمون إلى الأنواع السّبعة التي تقترن بجملة جواب الشّرط الاسميّة الطّلبيّة، فيوضح لطالب النّحو أنّه توجد سبعة أنواع ثمّ يطلب منهم الإتيان بأمثلة، وهكذا يبدأ التّفاعل بين مختلف أعضاء المجموعة وتبدأ الإجابات تتهاطل مع الشّرح، وهكذا يستفيد المنتمي إلى المجموعة من هذه المسألة من خلال التّعليقات والشّروحات.

المنشور الثّالثّ: ((الدّلالةُ الزّمانيّة للفعلِ الماضي))

جعلَ النّحاةُ لحظةَ التّكلمِ هي الأصلُ في تقديرِ الزّمان، فهي الدّالةُ على الحاضر وما قبلَها هو الماضي ، وما بعدَها هو المستقبل، فجعلوا الفعلَ أقساماً ثلاثةً حسبَ الدّلالةِ الزّمانيّة، ذلك صحيحٌ لكنَّه غيرُ وافٍ ، فالماضي قد يكونُ سحيقًا ممعنًا في القدم ،وقد يكونُ قريبًا دانيًا من الحاضر.

1- إن سُبق الماضي ب (قَدْ) قَرُبَ زمنُه من الحاضرِ ودلَّ على الماضي القريبِ قدْ جاءَ زيدٌ - قدْ كتبَ الوظيفة.

2- إنْ سبقته (كانَ) دلَّ على الماضي البعيدِكقولِه تعالى: **{ولقدْ كانوا عاهدُوا اللهَ من قبلُ لا يولُّونَ الأدبار}**.

3- إنْ سُبقَ بأداةِ شرطٍ دلَّ على المستقبل نحو: إنْ زرتَني أكرمتُك.

4- إنْ دلَّ على صفةٍ ثابتةٍ كانَ الماضي مستمرًا غيرَ محددٍ بـزمنٍ مـا ،نحـو: نِعمَ الخلقُ الوفاءُ – ما أكرمَ الاستشهادَ في سبيل الوطن – عَظُمَ الشّـهيدُ فـي دنياه وآخرته.

في هذا المنشور يتحدّث عن الدّلالة الزّمانيّة للفعل الماضي، ويشير إلى نقطة مهمّـة وهي أنّ هذا التّقسيم وفق الدّلالة الزّمانيّة غير واف، فالماضي قد يدل علـى الماضـي البعيد وعلى المستقبل، وقد يكون مستمرًا غير محدّد بزمن، وهكذا يعالج أصحاب هـذه المجموعة بعض المسائل النّحويّة التي يرون أنّها غير وافيّة.

المنشور الرّابع:

قد يكون المنشور عبارة عن مخطّط كما ما هو ظاهر في الصّورة أعـلاه، وهـذا المنشور يتحدّث عن معاني حرف الجرّ (الباء)، والمخطّط يسهل على الطّالـب الحفـظ والتّذكر، والمخطّطات معروفة ولكن الحاسوب أضفى عليهـا طابعـا جماليـا، فهـذا

المنشور يتميّز بالاختصار فنلاحظ أنّه يحدّد معنى حرف الجرّ مقرونا بمثال، وهذه طريقة رائعة للتّحصيل ولتيسير النّحو.

خاتمة: إنّ الانتشار الهائل للأنترنت وإسهامها في التّحصيل اللّغوي أمر جيّد ولكن وجب على الباحثين العرب باختلاف تخصّصاتهم الإسهام في إنتاج المزيد من البرمجيات الموجّهة للتّعليم، وكذا ولوج عالم الأنترنت، واكتساح مواقع التّواصل الاجتماعي والتّحكّم في الكم المعرفي الهائل الذي يتدفق يوميا، ويجب ضبطه بما يخدم المنظومة التّعليميّة ولا يحيد عنها، وفي الأخير نخلص إلى ما يلي:

1-إنّ ظهور الأنترنت ساعد المستخدمين على الاستفادة من الخدمات المقدّمة، ممّا ساعدهم على التّحصيل النّحوي.

2-إنّ ظهور مواقع التّواصل الاجتماعي ساعد كثيرًا في التّحصيل اللّغوي، ومجموعة النّحو بكل أطيافه خير دليل على ذلك.

3-المهتمّون باللّغة العربيّة قادرون على خدمة اللّغة العربيّة من خلال هذه المواقع كما تساعدهم هذه المواقع على التّواصل، وكذا إقامة علاقات والدّخول في نقاشات مهمّة تساعدهم في بحوثهم المستقبليّة، والإفادة من المنشورات الجادّة.

4-ضرورة الاستفادة من تجارب هذه المجموعات، وتعميم التّجربة على المؤسّسات الأكاديميّة والجامعيّة.

5-جمع المواد المعروضة في هذه المجموعات، وطبعها في سلسلة وتوجيهها إلى الطّلبة للاستفادة منها.

6- ضرورة استخدام الوسائط المتعدّدة في المواقع لزيادة التّحصيل اللغوي.

7-ضرورة التّعاون بين أهل اللغة والمبرمجين لخدمة اللّغة العربيّة، وذلك بتقديم تحفيزات والتّشجيع المناسب، والعمل المتواصل من خلال شراكة أكاديميّة.

8-تضافر جهود الباحثين العرب من أجل إعداد برامج حاسوبيّة تساعد على التّحصيل اللّغوي والنّحوي، وهذا لا يتأتّى إلاّ بالاستخدام الصّحيح والأمثل للغات البرمجة.

قائمة المصادر والمراجع:

1-مهديوي عمر، توليد الأسماء من الجذور الثّلاثيّة الصّحيحة في اللغة العربيّة – مقاربة لسانيّة حاسوبيّة – الجزء الأوّل، إشراف عبد الغني أبو العزم، جامعة الحسن الثّاني – عين الشّق – كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة – الدّار البيضاء، شعبة اللغة العربيّة وآدابها – وحدة علوم اللغة العربيّة والمعجميات، 2008.

2-نهاد الموسى، اللغة العربيّة نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبيّة، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، ط1، 2000.

3-خالدّ زعموم، السّعيد بومعيزة، التّفاعليّة في الإذاعة، أشكالها ووسائلها، سلسلة بحوث أدبيّة (61) تونس، 2007.

4-فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التّفاعلي، المركز الثّقافي العربي، المغرب، ط1، 2006 ص31.

5- الحاج صالح عبد الرّحمان، مشروع الذّخيرة اللغويّة العربيّة وأبعاده العلميّة والتّطبيقيّة مجلّة الآداب، قسنطينة، العدد 03، 1996م.

الاحالات:

[1] مهديوي عمر، توليد الأسماء من الجذور الثّلاثيّة الصّحيحة في اللغة العربيّة – مقاربة لسانيّة حاسوبيّة – الجزء الأول، إشراف عبد الغني أبو العزم، جامعة الحسن الثّاني – عين الشّق – كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة – الدّار البيضاء، شعبة اللغة العربيّة وآدابها – وحدة علوم اللغة العربيّة والمعجميات، 2008، ص 17.

[2] نهاد الموسى، اللغة العربيّة نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبيّة، المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر، ط. 1، 2000، ص 53.

[3] مهديوي عمر، المرجع نفسه، ص 5.

[4] الحاج صالح عبد الرّحمان، مشروع الذّخيرة اللغويّة العربيّة وأبعاده العلميّة والتّطبيقيّة، مجلة الآداب، قسنطينة، العدد 03، 1996م، ص 7.

[5] خالدّ زعموم، السّعيد بومعيزة، التّفاعليّة في الإذاعة: أشكالها و وسائلها، سلسلة بحوث أدبيّة (61) تونس، 2007 ، ص 56.

[6] فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التّفاعلي، المركز الثّقافي العربي، المغرب، ط1، ،2006م ص31.

اللغة العربيّة
بين التحدّيات المستعصيّة والحلول الممكنة

د. حسين بن عائشة

ج. عبد الحميد بن باديس، مستغانم

الملخّص: ليس شكّاً إذا قلنا إنّ التّحدّيات التي تواجه اللغة العربيّة هي عديدة ومتعدّدة تتطلب منّا نحن الأساتذة والهيئات العلميّة المعنيّة المسؤولة والباحثين عامّة على نشرها في كافة المجالات سواء الاقتصاديّة والاجتماعيّة منها والثّقافيّة والعلميّة والتّعليميّة وغيرها.

ونشر اللغة العربيّة يفرض هو الآخر الكثير من بذل الجهود العلميّة على المستوى المصطلحي لصناعة المعجم، سواء أكان ذلك يتعلّق بوضع المصطلح باللغة العربيّة أم بترجمة ما هو أجنبي، تفاديا للإشكال وإثراء للرّصيد المعرفي من جهة. وإنجازا للمعاجم والموسوعات العلميّة المتخصصة تفعيلا لتداولها عبر جميع الميادين من جهة أخرى. وضمانا لتحقيق ذلك يجب الحرص كل الحرص على تطهير البرامج والمناهج التّعليميّة للغة العربيّة في كافة المراحل التّعليميّة من التّعقيد والتّلقين والحشو الممل والمرهق للأستاذ والمتعلّم كليهما، وتطعيمها بمناهج حديثة تتمشّى والواقع الرّاهن الذي تعيشه اللغات الأجنبيّة عبر العالم.

الكلمات المفتاحيّة: التّحدّيات، المصطلح، المعاجم، الموسوعات، البرامج المناهج.

Abstract

The challenges facing the Arabic language are many and multiple, requiring us as professors and responsible bodies concerned and researchers working to disseminate in all fields, whether economic, social, cultural, scientific, educational and others.

The publication of the Arabic language also imposes a lot of scientific efforts at the terminological level, whether it is related to the development of the term in Arabic, or to translate what is foreign to avoid the forms and enrich the knowledge balance on the one hand. To accomplish the dictionaries and specialized scientific encyclopedias in order to activate their circulation across all fields on the other hand. To ensure this, care must be taken to cleanse the educational programs and curricula of the Arabic language in all educational stages of complexity and indoctrination and fill the boring and exhausting of the professor and the learner in particular, and vaccinated with modern curricula in line with the current reality experienced by foreign languages across the world

Keywords: Challenges, terminology, dictionaries, encyclopedias, programs Scientific Methods.

المداخلة: لقد حبا الله عزّ وجلّ أن تكون اللغة العربيّة لغة كتابه العزيز دون سائر اللغات الأخرى لقوله تعالى: **(إنّا أنزلناه قرآناً عربياً)** فاللغة تعبير عن الأمّة، فهي العنصر الموحد لها والمحافظ عليها من الذّوبان والتّمزيق والتّفريق، وبها تصان الهويّة الثّقافيّة والعلميّة والتّاريخيّة، وبدونها تصبح الأمّة بلا هويّة ولا تاريخ. ولا قيمة لوجودها في الحياة إذا كانت الأمّة فاقدة للإبداع والتّجديد والتّطوير في جميع مجالات الحياة. ولعلّ السّؤال المطروح الذي يتبادر إلى أذهاننا: ماهي التّحدّيات التي تعاني منها اللغة العربيّة؟ كيف يمكن لنا تجاوزها وبأي منهج أو طريقة يمكن تجاوزها؟ إجابة على هذه الأسئلة نستطيع القول أنّ هذه التّحدّيات متعدّدة تقتضي أن نقف عندها مليا قصد تفادي الإشكال الذي يعترضها وتتمثّل هذه التّحدّيات في الآتي:

أ – التّحدّي التّعليمي إنّ ما يعاني منه المتعلّم في مدارسنا هو تعقيد قواعد اللغة العربيّة كالإسراف في ظاهرة الإعراب الذي مازال هو الشّغل الشّاغل في تعليم اللغة العربيّة، فأصبح يشكل بدايّة الدّرس ونهايته. ومما زاد الطّين بلة هو حشو ذهن التّلميذ بالاختلافات النّحويّة في المسألة الإعرابيّة الواحدة، التي اختلف حولها النّحاة، حيث أصبح الأستاذ يطعم المتعلّمين بهذه الاختلافات التي شغلت النّحاة قديما وحديثا ودفعت

بهم إلى التّأويلات المعقّدة، والشّروحات الغامضة التي لا يفهمها إلاّ الخواص أو أهل النّخبة ممّا "يتوجب على الطّلاب العرب أن يدرسوا ويفهموا فلسفة الإعراب، كما فهمه القدماء بالمصطلحات ذاتها وبالأساليب نفسها. ومن المعروف أنّ علماء النّحو اختلفوا فيما بينهم في العديد من الحالات الإعرابيّة وخاصّة بين علماء البصرة والكوفة، ممّا جعل في بعض الأحيان كل شيء يصحّ الرّفع والنّصب والجرّ ممّا يروى أنّ عضد الدّولة البويهي سأل يوما الإمام أبا علي الفارسي: لماذا ينصبّ المستثنى في نحو قام القوم إلاّ زيدا؟ فقال بتقدير استثني زيدا، فقال عضد الدّولة: لما قدرت استثني؟ هلا قدرت امتنع زيد فرفعت، فلم يجد جوابا"[1]. إلى جانب ذلك إقحام المنطق والفلسفة في الدّرس اللغوي نتيجة لتأثّر النّحاة العرب بهذا المنطق الذي جاء به "أرسطو" حيث أصبح المنهج الفلسفي هو السّائد والمبني أساسا على العلّة والمعلول والعامل والمعمول والتّقدير والإضمار والافتراض والاعتقاد بوجود أثر سحري لكلّ كلمة فيما يجاورها من كلمات. إضافة إلى ذلك أنّ تعليم اللغة العربيّة مازال في معظم مدارسنا أسير المنهج التّقليدي الذي يعتمد على التّلقين والإلقاء، وأصبح الخطاب التّعليمي تغيب فيه الفعاليّة والحيويّة، فأضحى المعلّم هو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة، فهو الذي يسأل ويجيب، في حين أنّ المتعلّم يسمع ويسجل ما كتب ثمّ يعيده مرّة أخرى حفظا وتطبيقا. وهذا إن دلّ على شيء، فإنّما يدلّ على أنّ الطّريقة التّلقينيّة تفتقد إلى منهج سليم مبني على أسس سليمة، ولذا فتعليم اللغة العربيّة يحتاج إلى منهج عمل يجنبه الفوضى والارتجاليّة، ويكون موائما ومنسجما مع خصوصيات ومسلّمات ذلك المجتمع ومتمشّياً مع ظروف العصر المتغيّرة، وتقلبات العالم"[2].

ولكي يكون المنهج سليما فلا بدّ أن يراعي الأسس الأربعة الاستراتيجيّة وهي[3]:

1 –الأساس الدّيني العقائدي؛

2 – الأساس العلمي المعرفي؛

3 – الأساس النّفسي؛

4 – لأساس الاجتماعي الثّقافي والاقتصادي.

زيادة على ذلك يجب ربط التّقويم بعناصر المنهج بحيث تكون هذه العلاقة خطّيّة باعتباره هو العنصر الأخير لا يكون إلاّ في نهايّة الحصّة التّعليميّة، بل يجب أن تكون هذه العلاقة دائريّة فيكون مؤثّرا ومتأثّرا في جميع عناصر المنهج فتكون وظيفته (التّغذيّة الرّاجعة) فمن خلاله ندرك " مقدار ما يتحقّق من الأهداف التّربويّة أي التّغيرات التي تطرأ على سلوك الطّلاب بالفعل ودراسة العوامل والظّروف التي تسهل الوصول إلى الأهداف أو تعطّلها"[4] وعناصر المنهج التي يجب مراعاتها هي تقويم الأهداف والمحتوى الخاص المقرّر، والكتاب المدرسي وأساليب التّدريس والوسائل التّعليميّة.

ب – تحدّي الازدواجيّة اللغويّة: إنّ ارتفاع بعض الأصوات هنا وهناك من أجل إدراج العاميّة في الحقل التّعليمي أمر خطير يقتضي زوال هذه الأمّة وطمس هويتها ومحو تاريخها، والهدف من ورائها هو تشتيت شملها ومحاربة دينها وشخصيّتها العربيّة الإسلاميّة، لتصبح هذه الأمّة جسما بلا روح، ورأسا بلا تفكير، وتفكيرا بلا منطق ويعشعش الاستدمار في فكر مثقّفيها، وفي عقول أبنائها من خلال طرح العاميّة في المدارس مع الفصحى قصد التّشويش على عقول النّشء، ممّا يجد المتعلّمون من أجيالنّا نمطين من الاستعمال اللغوي. أحدهما عامّي يعيشه يوميا والثّاني فصيح يتلقّى مبادئه في المؤسّسة التّعليميّة. ولعلّ انتشار الأخطاء التّعليميّة سببها هو الازدواجيّة اللغويّة، نتيجة لخلط المتعلّم بين ما يستعمله من صيغ تعبيريّة عامّيّة في حياته العمليّة وبين ما يقابلها من تعابير تؤدّي معناها في اللغة الفصحى. والأطفال ميالون إلى اعتبار العاميّة نموذجا يقارنون به نطقا وكتابة كل اللغات الطّارئة عليهم بما فيها العربيّة الفصحى"[5]. ومهما يكن من أمر فإنّ ظاهرة "الازدواج اللغوي" معروف في أي مجتمع، على اختلاف في الدّرجات التي قد تضيق وتتّسع حسب تقدّم المجتمعات وتطوّرها. ولهذا مهما حاولوا محاربة اللغة العربيّة بالعاميّة نجد هذه الأخيرة "ليست منفصلة عن الفصحى، وإن هي إلاّ الفصحى محرّفة ومستهلّة فيتمّ إبدال بعض الحروف وتبديل في النّطق، وإدخال مفردات ونحت أخرى وتساهل في القواعد. وقد

عرفت اللغة العربيّة هذا منذ العصر الجاهلي، من دون أن يحول بين اللغة الفصحى أن تكون لغة الدّين والعلم والتّدوين، كما أنّه لم يحلّ بينه وبين الابتكار على مختلف صعد الحياة"[6]. وفي الجزائر قد سعت فرنسا وما زالتّ تسعى إلى تشجيع الازدواجيّة اللغويّة والعمل على تدعيم اللهجات في البلدان المستعمرة في حين أنّها تمنعها منعا باتا في بلدها وتخاف أشدّ الخوف من انتشار اللغة العربيّة حتى بين الجاليّة العربيّة في فرنسا لأنّها تخشى من زوال لغتها وضياع هويتها، وتلجأ كما يقول أحد الباحثين الفرنسيين "جلبير غرانيوم" إلى فرض ما يسمّى بـ: "الازدواجيّة المتوحّشة" إذ يعتبر هذا العنف اللغوي وما تنتهجه فرنسا في بلاد المغرب العربي هو نوع من الليبراليّة المتوحّشة المعتديّة على الحقوق اللغويّة لهذه البلدان المغاربيّة التي تريد تطبيق التّعريب[7].

ج – التّحدّي المصطلحي: نظرا للتّطوّر العلمي والتّكنولوجي الذي يشهده العالم المتقدّم في مجالات الحياة المختلفة والذي تسبّب في تدفّق الكثير من المصطلحات العلميّة والأدبيّة والاقتصاديّة. يدفعنا ذلك إلى الكثير من الأسئلة وهي كيف تستوعب تلك المصطلحات؟ وكيف يتمّ توظيفها؟ وما هي السّبل الكفيلة التي تمكّننا من تفادي إشكاليّة التّرجمة المصطلحيّة التي ما زالتّ اللغة العربيّة تعاني منها؟ في وقت ما زال التّطوّر العلمي مستمرا، حتى إنّ عدد المصطلحات المتخصّصة يبلغ الآن أكثر من (مليون ونصف مليون) مفردة حصّة الطّب فيها ما تقارب (الخمسين ألف) مفردة أو أكثر وهذه الحركة لا تنفك تفرز من المصطلحات ما يتراوح بين (خمسين ومائة) مصطلح جديد يوميا[8]. وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أنّ ناقوس الخطر قد دقّ وأنّه قد حان الأوان لتأسيس هيئة علميّة تضمّ كافة الباحثين من تخصّصات مختلفة. كما تضمّ نخبة من المترجمين، سعيا منها لإيجاد كل الحلول الخاصّة بتعريب المصطلح وترجمته وبرمجته عبر الوسائل الحاسوبيّة، على أن تكون هذه الهيئة تابعة لوزارة التّعليم العالي أو هيئة مستقلة ولها علاقة تنسيقيّة بالمجلس الأعلى للغة العربيّة وبجميع المجامع العربيّة عبر الوطن العربي، وأن تعمل على حلّ إشكاليّة ترجمة المصطلح انطلاقا من مرحلتين هما:

أ – وجوب الاعتماد على استعمال أو شيوع المصطلح بغض النّظر عن فصاحته أو عدمها معيارا لإقرارها وجعلها في عداد ألفاظ اللغة العربيّة.

ب – وفيما يخصّ المصطلحات الجديدة سواء التي نشرت أم لم تنشر انتشارا واسعا فعلى هذه الهيئة التّنسيق مع المجامع العربيّة لكي تبحث عمّا هو مقابل لها في العربيّة وفقا لما تمليه ظروف وضع المصطلح، وإن لم تتمكّن من ذلك فإنّه يجب اللجوء إلى التّعريب أو الاقتباس[9].

د – التّحدّي الإعلامي: لقد عملت وسائل السّمعيّة البصريّة والكتوبة في الكثير من نشراتها على إفساد لغة الأطفال الذين هم على الفطرة، اعتقادا منهم في أنّ هذه الوسائل الإعلاميّة قدوتهم في التّعبير باللغة العربيّة، ولهذا السّبب فإنّ الكثير من الغيورين على اللغة العربيّة يحملون وسائل الإعلام مسؤوليّة تشويه اللغة العربيّة وإرهاقها بصيغ لغويّة هجينة ومستقبحة مبنى ومعنى، وقد عزا ذلك إلى التّرجمة المشوهة التي يرتكبها مراسلو وكالات الأنباء حين تصرّفهم غايّة السّبق الصّحفي عن الاهتمام بصياغة الخبر الذي ينتجه عامل السّرعة كما اتفق، فيأتي ضعيف النّسيج مثقلا بالشّوائب"[10] وهذا يدلنا دلالة واضحة على ما يرتكبه الإعلاميون من أخطاء في التّعبير المنطوق لعدم معرفتهم بمخارج الحروف وآليّة التّصريح بها. وما يزيد الطّينة بلّة لجوء رجال السّياسة في الكثير من المناسبات إلى الحديث أمام شعوبهم عن طريق وسائل الإعلام بلغة عاميّة مزيجة بالفصحى حتى لا يكاد يميّز السّامع بين الفصحى والعاميّة وهذا ما يربك اللغة لدى المتعلّمين بصفة خاصّة، والجمهور المستمع بصفة عامّة. إنّها لغة عاميّة تعبث بكلّ قوانين اللغة وتخدش آذان السّامع بلغة فصحى، مهشّمة، مفكّكة الأوصال ضبابيّة المعاني[11].

والسّبب في هذه الأخطاء العلميّة هو أنّه لا يوجد مقياس اللغة العربيّة لتدريس طلبة كليّة الإعلام، وكأنّ الإعلام بأنواعه المختلفة لا علاقة له بلغة الضّاد نحوا وصرفا نطقا وكتابة. ولذا نرى من الضّروري أن يتلقى الطّالب المتخصّص بكلّيات الإعلام المتخصّصة دروسا ومحاضرات كثيفة في مبادئ اللغة العربيّة، وأصول لفظ الحروف

بإدراك مخارجها، أضف إلى ذلك الفنون الإبلاغيّة التي تسوغ عمليّة التّقديم والتّأخير في الجملة الواحدة المقدّمة إلى المتعلّم الإعلامي.

ه –**التّحدّي التّنموي:** ليس هدف اللغة التّعبير من أجل التّواصل مع الآخر فقط، بل تعتبر أيضا أداة من أدوات الاستثمار ورأس مال الدّول والشّعوب حيث يمكن استغلالها في التّنميّة كتداول السّلع في السّوق، والاستثمار اللغوي يخضع للقانون الذي تخضع له الأسواق عامّة من عرض وطلب ومنافسة. والمقصود من وراء ذلك هو كيفيّة استثمار ما يملكه من رأسمال لغوي استثمارا مباشرا في تفعيل العامل الاقتصادي، بغيّة أن تتحوّل إلى مصدر من مصادر الدّخل الوطني والقومي اقتداء بالدّول الكبرى كأمريكا الشّماليّة وبريطانيا وفرنسا التي عملت الكثير وبدون كلل أو ملل على تسويق لغاتها عبر العالم من خلال إنتاج برامج تعليميّة متطورة لنشر لغاتها وتعليمها أو من خلال إنشاء المدارس والمعاهد المتخصّصة[12]. أو بوسائل أخرى كالطّرق التّبشيريّة التي تعمل على إفشال نشر اللغة العربيّة في أوطانها وتدعيم العاميّة من أجل الإبقاء على لغاتها في الدّول المستعمرة سابقا من فرنسا التي مازالتّ تنفق الأموال الطّائلة من أجل نشر لغتها في كلّ بلدان العالم ومنها الجزائر التي مازالتّ تعاني من سيف فرنسا التّغريبي على دولتها وشعبها لإبعاده عن شخصيّته ودينه وهويّته. ولعلّ مقولة ديغول مازالتّ شاهدة على ذلك إذ يقول فيها "لقد صنعت لنا اللغة الفرنسيّة ما لم تصنعه الجيوش"[13].

وبالتّالي لا محالة من أن نستنتج بأنّ التّبعيّة اللغويّة هي تبعيّة اقتصاديّة وسياسيّة في الوقت نفسه، بل بالأحرى نستطيع القول جازمين في ذلك على أن فرنسا حينما تنشر لغتها وثقافتها في مستعمراتها السّابقة ما هو إلاّ خدمة لمصالحها الاقتصاديّة " فالاقتصاد هو الهدف وهو الأساس، وإنّما اللغة وسيلة أساسيّة ومعبر ضروري"[14]. وحفاظا على شخصيّتنا وهويّتنا العربيّة والاسلاميّة لا بدّ لنا من حمايّة أمننا الثّقافي واللغوي فبالنّسبة للأمن الثّقافي نستطيع تحقيقه بواسطة النّقاط التّاليّة:

أ- التّنميّة الثّقافيّة وهي التّركيز على الإكثار من المنتوج الثّقافي إنّ على مستوى السّمعي البصري، والعمل على إحياء التّراث الثّقافي الوطني والعربي وتشجيع عمليّة الإبداع فنّيا وفكريا وصناعيا وحضاريا

ب – إثبات الهويّة والحفاظ على مكوناتها الدّينيّة واللغويّة والوطنيّة.

ج – رفض التّبعيّة الثّقافيّة والفكريّة الفرنسيّة، والعمل على إثبات الخصوصيّة الثّقافيّة الجزائريّة العربيّة المبنيّة على الثّقافة النّوفمبريّة والاستقلال الفكري والثّقافي والوطني الذي تحقّق بعد الثّورة التّحريريّة الخالدّة.

د – تحقيق الأمن الثّقافي الذي يعتبر عاملا من عوامل نهضة التّنميّة الثّقافيّة والذي لا يمكن أن ننعم به إلاّ أوّلا بتحقيق التّنميّة اللغويّة، فاللغة العربيّة أساس الهويّة الوطنيّة وعامل من عوامل وحدتها، ولسان كتابها العزيز الحافظ لها من الاندثار والذّوبان في ثقافة الآخر والذي قال فيه عزّ وجلّ: **(إِنَّاأَنزَلْنَاه قرآنا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)** (الآيّة 2 من سورة يوسف).

فيه يتمّ نشر الوعي وتعميم التّعليم وتوطين المعرفة، وتعميم المشاركة وتقويّة التّماسك الاجتماعي والتّحرّر من التّبعيّة الثّقافيّة والاستلاب اللغوي والفكري وكلّها عوامل فاعلة في التّنميّة الشّموليّة، وتؤدّي في الوقت نفسه إلى تحقيق ما نسمّيه الأمن الثّقافي[15].

وثانيا إبعاد كلّ السّياسات الهدّامة التي تعمل على زرع الشّك حول مقوماتنا وهويتنا ومحاولة القضاء عليها وعدم الانبهار بمزاعمها البراقة ، وحمايّة الأطفال من التّأثر منها والأخذ بهم إلى بر الأمان، البعيد عن السّياسات الهدّامة التي تشعل الأزمات وتزيد من تعقيدها، وبر أمانهم هو غرس حب العلم في نفوسهم والتّسلح بسلاحه وتفتحهم على لغات العالم وخاصّة الانجليزيّة منها ورفض التّبعيّة الفرنسيّة للخروج من ثقافة المغلوب إلى ثقافة الغالب، وهذا ما يدفعنا إلى القول بان "حمايّة أمن الأمّة العربيّة والإسلاميّة في مجالاتها المختلفة، يستدعي ذلك منّا حمايّة الفصحى وتقويّة انتشارها وأمّا تقويّة اللهجات فهي بلا شكّ تهدّد هذا الأمن بمختلف عناصره أيضا"[16]

وثالثًا وضع سياسة لغويّة حكيمة مبنيّة على تخطيط لغوي سليم لتعميم اللغة العربيّة"يعتمد على تحليل الآفاق على المديين المتوسّط والبعيد ويمرّ بمرحلتين الصّياغة فالتّنفيذ عن طريق مخطّط وفي الأخير قد يكون التّخطيط محلّ تقويم"[17] و أهمّيّة التّخطيط يسهم في تعميم اللغة الوطنيّة عبر جميع المؤسّسات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والثّقافيّة تعمل السّلطة على فتح المجال لها في التّعامل مع الشّعب بلغته وعدم التّعامل بلغة المستعمر لنكون بذلك أعزاء غير أذلاء، ولن نرضى بأن نكون عبيدا عند أي أحد.

وعمليّة التّخطيط اللغوي تقوم على جملة من المبادئ تستلزم علينا تحقيقها وهي:

1 –توفير مكانة سياديّة خاصّة، وفريدة من نوعها للغة الضّاد، والتي اختارها الله لتكون لغة كتابه العزيز الذي يتطلّب منا احترامها والمحافظة عليها وتعميمها دون خوف من المستعمر أو أي عدو كان في جميع مجالات الحياة سياسيا واقتصاديا إعلاميا وتعليميا، صناعيا وفلاحيا، وطنيا ودوليا، ماضيا وحاضرا ومستقبلا وهكذا نكون أو لا نكون.

2 – لقد حان الأوان للتّعامل مع لغة أجنبيّة أخرى حقّقت المزيد من الانتشار في العالم التّكنولوجي والتّطوّر العلمي ألا وهي اللغة الانجليزيّة، وتقليص التّعامل مع لغة المستعمر الذي أصبح هو الآخر يتهافت عليها مهمّشا لغته حيث أصبحت معظم بحوثه تنطلق من اللغة الانجليزيّة في شتّى ابتكاراته متخلّيا عن لغته في هذا المجال. لكن العجيب في الأمر أنّه لا يريد لها أن تموت في مستعمراته السّابقة ليأخذ بها إلى المجهول. لكن استعمال اللغة الانجليزيّة يتطلّب منّا تحديد الهدف من تعليمها واستعمالها وهو التّفتح على العالم الخارجي والتّواصل معه، والاستفادة منها في اكتساب أنواع الخبرة المحتاج إليها، والاستعانة بها في البحث العلمي، والتّبادل التّجاري[18] في حدود ما يمليه قانون التّعامل مع الآخر فلا ضرر ولا ضرار. ومسألة تعليم اللغة الأجنبيّة تتطلّب هي الأخرى تخطيطا مدروسا وذلك بإيجاد مدرس اللغة الأجنبيّة الكفء والمتعلّم الذي يجب أن نوفّر له المجال أو البيئة المناسبة لتعلم هذه اللغة ووضع برنامج

كفيل بتحقيق الهدف الذي تصبو إليه الدّولة ، مع ربط ذلك بالأسلوب والمنهج "فإذا أردنا تطوير الواقع العربي تطويرا حضاريا منفتحا على كل ما يستجد في عالم العلم والتّكنولوجيا ، فإنّه لا بدّ من تطوير حقل تعليم اللغات الأجنبيّة تطويرا يشمل الإنسان المعلّم والإنسان المتلقّي والمادّة المعلّمة، ثمّ المنهج والأسلوب الذي من خلاله تتمّ عمليّة التّعليم والتّعلّم وذلك ليكون النّقل والاتّصال الحضاري ممكنا وسهلا ومستمرا"[19].

الحلول الممكنة لتحصين اللغة العربيّة.

بناء على ما تطرّقنا إليه في السّابق من تحديات يجدر بنا أن نضع بعض الحلول الممكنة لتذويب الصّعوبات وإزالة الأشواك المعترضة من على الطّريق وصولا إلى ازدهار وتطوّر اللغة العربيّة على مستويات عدّة.

1 –**على مستوى المناهج التّعليميّة:** إذا كان الإعراب في اللغة العربيّة يؤدّي إلى تعقيد تعليم العمليّة التّعليميّة لدى المتعلّمين، نظرا لكون المعلّم داخل الفصل أصبح شغله الشّاغل في تدريس اللغة العربيّة هو الإكثار من الإعراب حيث يكون هو بدايّة الدّرس ونهايته، وعلى أساسه تقوم عمليّة تقويم المتعلّمين للحكم على مستواهم من جهة ولإقحام معظم المعلّمين الخلافات النّحويّة سواء بغرض التّعجيز أم لإجبار المتعلّمين على حفظها من جهة أخرى. إلى جانب ذلك كثرة التّخريجات حول نظريّة العامل التي تزيد من تعقيد اللغة العربيّة. فإنّه قد حان الأوان لإعادة النّظر في القواعد اللغويّة تجنبا لكل التّعقيدات وتيسيرا على المتعلّمين في المراحل التّعليميّة كلّها، ليزدادوا حباً وإقبالاً لتعلم لغتهم، واقتداء بما جاء به "ابن جني" الذي يعتبر أوّل لغوي انتفض إلى نظريّة العامل، وعد حجج النّحويين "أقرب إلى علل المتكلّمين منها إلى علل المتفقّهين"[20]. وسار على نهجه ابن مضاء القرطبي [21] في التّخفيف من أهمّيّة العوامل والعلل في معالجة المسائل النّحويّة. ثمّ أنّ عمليّة حشو ذهن المتعلّم بكثير من المسائل النّحويّة والاحتمالات التي تعود إلى المسألة اللغويّة الواحدة، يمكن أن يؤدّي إلى اضطراب فكر المتعلّم وإلى عدم فهمه لأيّ وجه من الوجوه الملقّنة. ومعنى ذلك أن نجنّب المتعلّمين هذه المسائل ونؤجّلها إلى المرحلة الجامعيّة حفاظا على القدرة الاستيعابيّة لدى الطّفل.

كما يتعيّن على القائمين بوضع البرامج اللغويّة توظيف المناهج اللسانيّة الحديثة ضمن البرامج اللغويّة في المراحل التّعليميّة المختلفة كالمنهج الوصفي والتّداولي والتّكاملي، ومحاولة الخروج من دائرة تدريس النّحو العربي من نطاق الجملة إلى نطاق النّص، ولا تدرس الجملة إلاّ إذا انطلقت من البنيّة الكبرى ألا وهي النّص إدراكا للعلاقات بين سائر البنى الجزئيّة داخل النّص وتعرفا على سياقها المقالي والمقامي[22].

2 – المستوى المصطلحي: في هذا المجال لا بدّ من تكثيف العمل عبر الهيئات المعنيّة كالمراكز العلميّة والمجامع اللغويّة والجامعات، لأنّه قد حان الوقت لبذل الجهود على كافة الأصعدة لوضع المصطلح بعد ظهوره وترجمته وصياغته، ووضع الموسوعات على حسب المجال الذي تنتمي إليه، ومعاجم المصطلح المتخصّصة في المجالات المتعدّدة كاللغويّة والأدبيّة، الطّبيّة والتّعليميّة، الصّناعيّة والفلاحيّة، الفزيائيّة والكيميائيّة وغيرها من المجالات الأخرى. مع تظافر الجهود بين العلماء من ذوي اختصاصات مختلفة. وما ذلك بعسير على الباحثين الغيورين على لغة القرآن الكريم فاللغة العربيّة قادرة ومازالتّ قادرة على التّعبير عن الحضارة وعبرت عنها و" خطت خطوات واسعة بنزول القرآن الكريم، فازدهرت ألفاظا ودلالات وأساليب وصورا وبدأت الألفاظ القرآنيّة بدلالاتها الجديدة تدخل معجم الشّعراء والخطباء والمتحدّثين [23]". وقضيّة وضع المصطلح تتطلّب قواعد وطرقا منهجيّة مفروضة رأت المجامع اللغويّة ضرورة الالتّزام بها ومنها– على سبيل المثال لا الحصر – المجمع اللغوي بالأردن الذي اقترح مجموعة من الشّروط لوضع المصطلح وهي[24]:

أ – أن يكون المقابل العربي لها معبّرا تعبيرا دقيقا عن المصطلح الأجنبي وأن يكون معبّرا عن الوظيفة التي يدلّ عليها هذا الأخير إذا كان النّقل الدّقيق لألفاظه يخرج به في العربيّة عن وظيفته

ب –أن يكون المقابل العربي للمصطلح الأجنبي عربيا تراثيا كلّما كان ذلك ممكنا.

د – أن يكون المقابل العربي للمصطلح الأجنبي هو هذا الأخير بالذّات مع تحوير يجعل له جريا عربيا إذا أعيانا وضع المقابل العربي بطريقة من الطّرق السّابقة.

هـ – أن يكون المقابل العربي للمصطلح الأجنبي هو نفسه إذا كان له من الشّيوع والذّيوع حيث أصبح متداولا بين المراجع العلميّة.

ومسألة المصطلح الدّخيل يجب الأخذ به وإخضاعه للأوزان العربيّة ومنطق اللغة ثمّ نضعه بصيغته الأصليّة إلى جانب الصّيغة العربيّة ويستند هذا الرّأي إلى جملة من الاعتبارات الآتيّة:

1 – اعتبار مسألة التّلاقح والتّفاعل والافتراض اللغوي شيءاً معتاداً بين اللغات. والقرآن الكريم خير دليل على ذلك، حيث كان السّباق في تشريع باب من اللغات الأعجميّة، وهو المصدر الذي استنبطت منه قواعد اللغة العربيّة ، ومن المفردات الأجنبيّة الأصول التي ورد بعضها في القرآن الكريم ، حيث نجد بعض الكلمات كالسّندس، الدّيباج، الزّنجبيل وهي فارسيّة الأصل .والفردوس، السّراط، القسطاس القيان وهي يونانيّة الأصل، وكذلك المشكاة، النّجاشي من أصل حبشي. والقنطار القسطل البطريق، التّرياق وهي مأخوذة من اللاتينيّة[25].

2 – وجوب المحافظة على المصطلح المنتشر في الواقع وهذه الحالة تقتضي الأخذ بأسماء المخترعات الأصليّة مهما ترجم إلى العربيّة مثل (الحاسب أو الحاسوب الآلي) فنرى من النّاس يستعملون لفظ (الكمبيوتر). فإنّ واضعي المصطلح من اللغويين لا يستطيعون إقناع النّاس مباشرة وفي مدّة وجيزة بالتّخلي عن المصطلح الأجنبي، وإنّما يأتي ذلك بعد مرور الأيام حينما يعتاد النّاس على ذلك، ولعلّ مصطلح «Logarithme» ما زال محافظا على أصالتّه الذي يرجع الفضل في وضعه إلى العلامة الرّياضي الخوارزمي (ت849 م) المؤسّس لهذا العلم ولعلّ المجمع اللغوي في القاهرة أقام ندوة في سنة 1908 م حول المعرّب والدّخيل من اللغات الأجنبيّة وموقف العربيّة منها. و"انتهى علماؤه إلى وجوب البحث في اللغة العربيّة عن أسماء للمسميات الحديثة، وإذا لم يتيسر ذلك يصار إلى استعارة اللفظ الأعجمي، واستعماله بعد صقله وإخضاعه لمناهج اللغة العربيّة ثمّ ضمّه إلى اللغة الفصحى"[26].

3 – ومسألة التّجديد لابدّ منها إذا كانت الضّرورة تقتضي ذلك، فمثلا مسألة أوزان الآلة في اللغة العربيّة ليست وحيا منزلا من السّماء كي تبقى على صيغ أوزانها الثّابتة بل بإمكان علماء اللغة أن يضيفوا عليها أوزانا أخرى على ما يمليه الواقع الصّناعي للآلات الحديثة. إذ استطاع المجمع اللغوي بمصر –على سبيل– المثال أن يجتهد في وضع واستحداث أوزان أخرى لأسماء المكان والزّمان. وأجازوا الاشتقاق من الجامد وتوسعوا في المصدر الصّناعي لاستعماله في توليد أسماء المذاهب والمدارس الفكريّة وسلموا بجواز النّسب إلى الجمع[27] .

إنّ قضيّة وضع المصطلح تفرض علينا الاهتمام باللسانيات النّصيّة واللسانيات الحاسوبيّة والذّكاء الاصطناعي لفتح المجال أمام المعالجة الآليّة للغة العربيّة وبرمجتها حاسوبيا ، وهذا نظرا لقدرة الحاسوب الاستيعابيّة ، والقدرة الهائلة على تحليل وتنظيم ما لا يستطيع الانسان فعله يدويا، مع العلم أنّ كثرة المصطلحات وتضخّم أعدادها تعرفه الكثير من اللغات ومنها اللغة العربيّة نتيجة لعنصري التّأثير والتّأثر اللذين سادا طبيعة الوضع المعرفي الجديد سيؤدّي لا محالة إلى ولادة معجم او معاجم ذات زوايا متعدّدة .ويتطلّع المعجم إلى ثلاثة محاور[28]

1 – تخزين المعاجم على شرائح الكترونيّة أو على رسائل ممغنطة؛

2 – تحليل العلاقة بين مفردات المعجم وعناصره؛

3 – وقبلهما محاولة تخزين أكبر عدد ممكن من مصطلحات وألفاظ اللغة.

وأهمّيّة اللسانيات الحاسوبيّة تتجلّى في ربط اللغة الطّبيعيّة وتمظهراتها بالحاسوب وأنظمته، حيث أنّها " الفرع الذي يبحث في مختلف طرق كيفيات الاستفادة من قدرات الحاسوب في تحليل اللغة ومعالجتها وتعليمها وتعلمها"[29]. وبتعبير آخر تعتبر محطّة تقنيّة تدرس بنيّة اللغة الطّبيعيّة في ارتباطها بجهاز الحاسوب. والفوائد المرجوّة من اللسانيات الحاسوبيّة هي أنّها تعمل على برمجة اللغة العربيّة ومعالجتها آليا. كما أنّها تساعدنا على رقمنة قواعد اللغة الصّوتيّة والنّحويّة والدّلاليّة بغيّة تسهيل تعليمها للنّاطقين بها وغير النّاطقين بها. وتوصف بالإطار العلمي الذي يتأسّس موضوعه على

البحث " في اللغة البشريّة كأداة طيعة لمعالجتها في الآلة... وتتألّف مبادئ هذا العلم من اللسانيات العامّة. بجميع مستوياتها التّحليليّة، الصّوتيّة والنّحويّة والدّلاليّة، ومن علم الحاسبات الالكترونيّة، ومن الذّكاء الاصطناعي والمنطق ...ثمّ الرّياضيات مشكّلة بذلك مبادئ اللسانيات الحاسوبيّة"[30].

بالإضافة إلى أنّها تساعد الباحث أيضا في مجال البرمجة اللغويّة على التّرجمة الفوريّة وتوليد مصطلحات عربيّة جديدة نتيجة لعمليّة التّأثير والتّأثر، وتمكّن من إثراء رصيد اللغة العربيّة معجما وتركيبا وصوتا ودلالة. ولذا فإنّ الإشكال قائم في مجمله على تيمة المصطلح وكيفيّة التّعامل معه كمادّة خام لمعالجة ضوابط أساسيّة أهمّها التّرجمة حين يتعلّق الأمر بوضع المقابل المتناسق معنى وشكلا مع المفردة الأجنبيّة. الشّيء الذي يستوجب نهضة سريعة وتأهيلا عمليا للاستفادة من العبر والتّعرف على الضّوابط والأسس التي تسيطر على القائم بالفعل البرمجي وتحقيق انتشاره[31].

ولذلك أصبح من الأهمّيّة بمكان تدريس اللسانيات الحاسوبيّة في الجامعة الجزائريّة ليس ضمن تخصّص اللغة العربيّة وآدابها فحسب، بل حتى لدى طلبة تخصّص الإعلام الآلي والذي يجب أن تكون اللغة العربيّة مقياسا هاما كبقيّة المقاييس الأخرى التي تدرّس لهؤلاء الطّلبة.

الخاتمـــة: بعد هذه الدّراسة نستطيع التّوصل إلى جملة من النّقاط نراها ضروريّة التّحقيق في الواقع حمايّة للغة العربيّة ونشرها وهي:

1 – اللغة العربيّة اختارها الله لتكون لغة كتابه العزيز المعجز فهو ضمان حمايتها ونشرها فهما لشريعته السّمحاء وتطبيقا لأركانها ولمبادئها السّاميّة.

2 – أنّ ظاهرة الاشتقاق الذي تتميّز به اللغة العربيّة وهو عامل من عوامل تفتحها على الآخر وآليّة من آليات توليد المصطلح بعد تحويله وصياغته ليصبح مصطلحا عربيا.

3 – وجود أوزان الآلة في اللغة العربيّة لا ذلك أنّها منزلة من السّماء جامدة ثابتة لا تتغيّر، بل هي قابلة للإثراء كلما استجد مستجد في الواقع الصّناعي كظهور آلات

جديدة فإنّها تتطلّب من المجامع الرّسميّة وضع أوزان مناسبة لها تدعيما للغة الضّاد وإثراء لها مصطلحيا ومعجميا.

4 – إن مصطلح التّعريب مصطلح هام يجب العمل به وتوظيفه إذا تعذّر انعدام وجود المصطلح المقابل باللغة العربيّة لفتح المجال أمام المصطلح الأجنبي وإدخاله إلى اللغة العربيّة مراعاة لخصائصها ولذوقها الذي تتميّز به.

5 – إنّ مسألة التّحدّي الإعلامي والعلمي تتطلّب وجود تدريس اللغة العربيّة في جميع الكلّيات بدون استثناء تجنبا للأخطاء الشّائعة مع المطالبة بفتح قنوات تعليميّة للمتعلّمين كما هو الشّأن في بعض الدّول العربيّة كمصر وسوريا والعراق.

6 – ضرورة تطهير المناهج التّعليميّة من مسألة تعقيد تدريس قواعد اللغة العربيّة وإبعادها معرفيا عن كل الخلافات النّحويّة، وربطها بظاهرة الإعراب كمحور أساسي تتبني عليه العمليّة التّعليميّة، إلى جانب ذلك وجوب تجنب الزّخم المعرفي المتمثل في تدريس أكثر من درس في حصّة واحدة تجنبا للملل والإكراه، وغرسا لحب اللغة العربيّة.

7 – تحقيقا للتّنميّة المستدامة نطالب بربط اللغة العربيّة بالحقل السّمعي البصري لإنتاج الأفلام السّينمائيّة بعد تحويل الرّوايات والقصص وخاصّة الثّوريّة منها إلى سيناريوهات ومسلسلات تلفزيونيّة غرسا للروح الوطنيّة وتدعيما للإنتاج الجزائري وتصديره للخارج في إطار التّعاون الدّولي من ناحيّة وتحصينا للجاليّة الجزائريّة وربطها بلغتها أو وطنها العزيز وبثورتها المجيدة من ناحيّة أخرى .واللغة السّينمائيّة تتكوّن "من أوضاع خاصّة وتتمثّل في(سلم اللقطات، زوايا التّصوير، حركات الكاميرا تقنيات السّينما والتي بدورها تشمل كلاً من السّيناريو، المونتاج، الحوار...الخ)[32].

8 – وتحقيقا للتّنميّة أيضا يجب فتح كليات ومعاهد في القطر الوطني خاصّة في المناطق الاقتصاديّة وفي الخارج لتعليم اللغة العربيّة لغير النّاطقين بها سواء عبر جالياتنا في الخارج التي تطمح وبرغبة شديدة في تعلّم لغة الضّاد لربطها بدينها ووطنها وكذلك لتعليم الجاليّة الأجنبيّة التي تريد تعلّم اللغة العربيّة. مع العمل على وضع برامج

خاصّة في السّمعي البصري لتعليم اللغة العربيّة للنّاطقين بلغات أخرى . ولتكوين معلّمين مختصّين في هذا المجال أيضاً.

قائمة المراجع والمصادر:

القرآن الكريم بروايّة ورش

1. ابراهيم عمر سليمان زبيدة، حركة تجديد النّحو وتيسيره في العصر الحديث، دراسة تحليليّة تقويميّة، دار الكتب الوطنيّة، ليبيا، ط1 2004 ص233 وما بعدها

2. أبو الفتح عثمان بن جني. الخصائص. تحقيق محمد علي النّجار دار الكتب المصريّة. ج1.1371 هـ/1952

3. إميل بديع يعقوب فصول في فقه اللغة العربيّة. المؤسسة الحديثة للكتاب. بيروت. ط1 2011

4. حمادي الموقت، اللغة العربيّة وإشكال التّواصل في ضوء اللسانيات الحاسوبيّة. مطبعة طوب بريس. الرّباط.2017

5. رضوان بلخيري، سيميولوجيا الخطاب المرئي، من النّظري إلى التّطبيقي، جسور للنّشر والتّوزيع ط1 .1437 ه/2016 م ص70

6. زيدان جرجي. تاريخ اللغة العربيّة. دار الحداثة. بيروت.1980 ط1

7. الزّين عبد الفتاح، قضايا لغويّة في ضوء الالسّنيّة، دار الكتاب اللبناني. بيروت 1987ط1

8. صالح بلعيد. هكذارقى الفرنسيون لغتهم فهل نعتبر؟منشورات مختبر الممارسات اللغويّة في الجزائر2014

1. عبد العلي الودغيري. لغة الأمة ولغة الأم. دار الكتب العلميّة. بيروت1435 هـ/2014م ط1

9. عبد العلي الودغيري. لغة الأمة ولغة الأم. دار الكتب العلميّة. بيروت1435 هـ/2014م ط1

10. عمر هاشمي. تقييم المناهج ن الكتاب السّنوي الثّالثّ. المركز (و.ث.ت). وزارة التّربيّة الوطنيّة2000

11. في الثّقافة والهويّة. منشورات البوكيلي.القنيطرة.المغرب.1995

12. كمال فرحاوي. تصميم المناهج التّعليميّة. دار الخلدونيّة .الجزائر 1438 هـــ/2017 م
13. لعبيدي بوعبد الله. مدخل إلى علم المصطلح والمصطلحيّة. دار الأمل للطباعة والنّشر والتّوزيع 2012م
14. لويس جان كالفي السّياسات اللغويّة. ترجمة: محمد يحياتن. الــدّار العربيّــة للعلــوم. ناشرون1430 هــ/2009
15. مازن الوعر. قضايا في علم اللسانيات الحديث. ذار طــلاس للدراســات والتّرجمــة والنّشرط1 1988م
16. محمد مصابيح. تعليميّة اللغة العربيّة وفق مقاربات الأنشطة من الأهداف إلى الكفاءات طاكسيج. توم الدّراسات والنّشر والتّوزيع .الجزائر 2014
17. محمود الدّوادي. اللسان العربي وإشكاليّة النّص. منشورات. دراسات الوحدة العربيّة. بيروت 2007

المجلاّت:

1. مجلّة الفكر العربي عدد 61 تموز / إيلول /يوليو. سبتمبر 1990
2. مجلّة الهلال. ج4 السّنة 25 1981
3. مجلّة الآداب، جامعة القاهرة، العدد: 11، 1956 م
4. مجلّة الفكر العربي. بيروت. تموز90ع: 61
5. مجلّة القومي العربي. بيروت. حزيران 1990 ع:66
6. مجلة التّعليميّة. مجلة دوليّة أكاديميّة محكمة. مخبر تجديد البحث في تعليميّة اللغة العربيّة في المنظومة التّربويّة الجزائريّة.ع:14 ماي 2018
7. مجلّة العربي. الكويت. كانون الثّاني1990.ع:374
8. مجلّة عالم الفكر. الكويت. تشرين الأول1989 /ع:3

الاحالات:

[1]- مجلّة الفكر العربي عدد 61 تموز / إيلول /يوليو. سبتمبر 1990.

[2]- محمّد مصابيح. تعليميّة اللغة العربيّة وفق مقاربات الأنشطة من الأهداف إلى الكفاءات. طاكسيج. توم للدّراسات والنّشر والتّوزيع. الجزائر 2014 ص 168.

[3]- عمر هاشمي. تقييم المناهج ن الكتاب السّنوي الثّالثّ. المركز (و.ث.ت). وزارة التّربيّة الوطنيّة 2000 ص 212 /213.

[4]- كمال فرحاوي. تصميم المناهج التّعليميّة. دار الخلدونيّة. الجزائر 1438 هـ/2017 م ص 100.

[5]- نفسه، ص 100

[6]- الزّين عبد الفتاح قضايا لغويّة في ضوء الالسّنيّة، دار الكتاب اللبناني. بيروت1987ط1 ص73.

[7]- انظر عبد الفتاح عبادة. تاريخ اللغة العاميّة ومن ومن كتب بها. مجلة الهلال. ج4 السّنة 25 1981 ص280 /287.

[8]- صالح بلعيد. هكذا رقى الفرنسيون لغتهم فهل نعتبر؟ منشورات مختبر الممارسات اللغويّة في الجزائر2014.

[9]- إميل بديع يعقوب فصول في فقه اللغة العربيّة. المؤسسة الحديثة للكتاب. بيروت. ط1 2011 ص271.

[10]- أحمد حسن الزّيات. مجمع اللغة العربيّة بين الفصحى والعاميّة. مجلة الآداب ع : 11 جامعة القاهرة 1956.

[11]- مرحبا. ع. الرّحمن. اللغة العربيّة وما ألحقته بها التّرجمة من تشويهات. مجلة الفكر العربي.بيروت.تموز90ع: 61 ص72.

[12]- انظر عبد العلي الودغيري. لغة الأمة ولغة الأم. دار الكتب العلميّة. بيروت1435 هـ/2014م ط1 ص 45.

[13]- الزّين عبد الفتاح. مجلة القومي العربي. بيروت. حزيران 1990 ع:66 ص44.

[14]- عبد العلي الودغيري. في الثّقافة والهويّة. منشورات البوكيلي.القنيطرة.المغرب.1995 ص72.

[15]- عبد العلي الودغيري المرجع السّابق ص54

[16]– محمود الدّوادي. اللسان العربي وإشكاليّة النّص. منشورات. دراسات الوحدة العربيّة. بيروت 2007

[17]– لـويس جـان كـالفي السّياسـات اللغويّـة. ترجمـة: محمـد يحيـاتن. الـدّار العربيّـة للعلوم.ناشرون1430 هـ/2009 م.ص17

[18]– عبد العلي الودغيري. المرجع السّابق ص 58

[19]– مازن الوعر. قضايا في علم اللسانيات الحديث. ذار طلاس للدراسات والتّرجمة والنّشـرط1 1988 ص475

[20]– أبو الفتح عثمان بن جني. الخصائص. تحقيق محمد علـي النّجـار دار الكتـب المصـريّة. ج1.1371 هـ/1952 ط2 ص48.

[21]– حسين بن عائشة. تداوليّة الخطاب التّعليمي المنطوق بين المنهج والإجراء. مجلّة التّعليميّـة. مجلة دوليّة أكاديميّة محكّمة. مخبر تجديد البحث في تعليميّة اللغة العربيّة في المنظومة التّربويّـة الجزائريّة. ع:14 ماي 2018 ص 134 /149.

[22]– انظر ابراهيم عمر سليمان زبيدة، حركة تجديد النّحو وتيسيره في العصر الحـديث دراسـة تحليليّة تقويميّة، دار الكتب الوطنيّة، ليبيا، ط1 2004 ص233 وما بعدها

[23]– لعبيدي بوعبد الله. مدخل إلى علم المصطلح والمصطلحيّة. دار الأمـل للطّباعـة والنّشـر والتّوزيع 2012 ص.14

[24]– المرجع نفسه ص 98.

[25]– انظر زيدان جرجي. تاريخ اللغة العربيّة. دار الحداثة. بيروت.1980 ط1 ص38

[26]– عباس حسن. مظاهر العنايّة الحديثة بالعربيّة. مجلة العربي. الكويت. كانون الثّـاني1990. ع:374 ص209

[27]– الحمو أحمد. محاولة السّنيّة في الإعلال. مجلة عالم الفكر. الكويـت. تشـرين الاول1989 /ع:3.ص167

[28]– حمادي الموقت اللغة العربيّة وإشكال التّواصل في ضوء اللسانيات الحاسوبيّة. مطبعة طوب بريس. الرّباط.2017 2ص79

[29]– حمادي الموقت اللغة العربيّة وإشكال التّواصل في ضوء اللسانيات الحاسوبيّة. مطبعة طوب بريس. الرّباط. 2017 2ص79

[30]– المرجع نفسه ص.17

[31]– مازن الوعر. المرجع السّابق ص 435

[32]– رضوان بلخيري، سيميولوجيا الخطاب المرئي، من النّظري إلى التّطبيقي، جسور للنّشر والتّوزيع ط1 .1437 ه/2016 م ص70

اللغة العربيّة بين دقّة الرّسالة واتساع التواصل

أ. مزواغ ليلى

ج. عبد الحميد بن باديس، مستغانم

ملخّص: تعدّ اللغة بصفة عامّة أداة للتّواصل، ولا يتحقّق التّواصل إلاّ إذا كانت ذات قواعد وميزات تتيح لها تحقيق التّفاهم بين أفراد المجتمع. ومن أهمّ مميّزات التّفاهم أن تكون الرّسالة التي يبعثها المرسل إلى المرسل إليه واضحة لا غموض فيها. ومن أسباب الغموض اتّساع المعنى وتعدّده، وتداخل مقاصده وغرابة ألفاظه وعدم دقّتها.

واللغة العربيّة هي من أكثر اللغات التي يمكنها أن تحقّق المعجزات بسماتها الرّائعة. وسأخصّ بالدّراسة في هذه المداخلة محطّات مهمّة كلّها تظهر أنّ **اللغة العربيّة هي لغة تواصل**؛ وتواصل ناجح، لغة معجزة في بيانها وفي إعرابها عن المعاني وهي:

- معاجم المعاني؛
- معاجم الألفاظ (نماذج عن المثلّثات)؛
- معاجم الصّيغ الصّرفيّة (مناسبة الصّيغ للمعاني)؛
- اللغة العربيّة لغة العلوم قديما؛
- تواصل اللغة العربيّة مع لغات أخرى (الإنجليزيّة والإسبانيّة).

إذن يتّضح من خلال العنوان الإشكال المراد معالجته وهو: ما سرّ نجاح اللغة العربيّة في تحقيق التّواصل الواسع؟ وفيم تتجلّى دقّة اللغة العربيّة؟ وما النّماذج أو البراهين الدّالة على ذلك؟ هذا ما سيتمّ التّفصيل فيه من خلال العناصر المذكورة أعلاه.

- **الكلمات المفتاحيّة:** اللغة العربيّة – التّواصل – الدّقّة– المعاجم – الرّسالة– الاتّساع.

المداخلة:

اللغة العربيّة بين دقّة الرّسالة واتساع التّواصل: إنّ دقّة الرّسالة في العمليّة التّواصليّة أمر ضروري لتكون مفهومة وواضحة المعالم ويفهم من خلالها المطلوب والمعنى المرجو إيصاله. ولكن كيف لها أن تحقّق تواصلها على المستوى الواسع؟ أي كيف تتّسع العمليّة التّواصلة كلما كانت اللغة دقيقة؟

إنّ المقصود باتساع العمليّة التّواصليّة هو تعدّد المفردات التي تؤدّي إلى معنى واحد وكذلك تعدّد الاستعمالات وكثرة الإمكانات اللغويّة والصّيغ الصّرفيّة التي تلائم الأسيقة المتنوّعة، والحالات والأحوال المختلفة. وهذه الثّروة اللغويّة لا تتجلّى إلاّ في المعاجم التي تعتبر أهم مصدر يمكن أن يلجأ إليه الباحث الذي يريد أن يروي عطشه لمعرفة أي لغة.

إنّ اللغة العربيّة لغة دقيقة في ألفاظها ومعانيها وإذا تصفحنا معاجم الأبنيّة. نجد الدّليل على ذلك واضحا. إنّ هذا النّوع من المعاجم "يهتمّ بجمع الوحدات اللغويّة في إطار الظّواهر الصّرفيّة وتهدف إلى حصر الألفاظ العربيّة الموزّعة على أبنيتها (الأوزان الصّرفيّة). فالأبنيّة فيها هي أساس العمل المعجمي ثمّ تأتي المفردات تابعة لهذا البناء... وهي تراعي في ترتيب الكلمات الحركة إلى جانب الحرف السّاكن وقسمت إلى مجاميع ثلاثة اعتمدت حصر الألفاظ تحت كل بناء:

- مختصّة ببناء الأفعال؛
- مختصّة بالمقصور والممدود؛
- مختصّة بالمذكّر والمؤنّث أسماء وأفعالا[1].

وقد بدأ التّأليف مع جهود النّحويين "وكان سيبويه أوّل من عالج الأبنيّة وأوفى من سطرها لذلك أفرد لها في كتابه أبوابا، جمع فيها ما عرفه من أبنيّة اللغة العربيّة وقسمها تقسيما كميا مع فصل أبنيّة الأسماء عن أبنيّة الأفعال ومثّل لكل نوع منها.

وقد ذكر الأسماء 308 بناء بين ثلاثي مجرّد ومزيد وخماسي مجرّد ومزيد وذكر للأفعال 34.

بناء بين ثلاثي مجرّد ومزيد ورباعي مجرّد ومزيد"[2].

وتتجلّى دقّة عمل سيبويه في هذا الإحصاء التّالي الذي حصر فيه الأبنيّة[3]:

الأسماء										الأفعال				
الثلاثي		الرباعي					الخماسي		الثلاثي			الرباعي		
المجرد والمزيد	مج	مز و	مز ي	مز ا	مز ن	مز. بالتضعيف	مج	مز	المجرد	المزيد غير ملحق بالرباعي	المزيد الملحق بالرباعي	مج	مز
	5	13	00	21	05	09	4	5	3	12	15	1	3
308 بناء للأسماء									34 بناء للأفعال				
342 بناء للأسماء والأفعال													

إنّ هذا الجدول يبرز مدى دقّة اللغة العربيّة من خلال صيغها، وفي الوقت ذاته يدل على اتّساعها ورحابتها؛ حيث انطلاقا من عدد محدود من الصّيغ يمكننا أن نجد أفعالا وأسماء لا حصر لها. وإمكانيّة الإحصاء العددي هذه تدلّ كذلك على مرونة اللغة العربيّة وقدرتها على أداء معانيها من خلال صيغها. فلكل صيغة معنى ولكل صيغة كلمات كثيرة تقابلها.

ومن النّماذج الدّالة على اتّساع اللغة العربيّة من حيث الصّيغ أو أبنيّة الكلمات صيغة "فعلّل" الدّالة على التّكرار، وصيغة "تفاعل" الدّالة على المشاركة.

إنّ معاني أبنيّة الأفعال محدودة تضاف إلى الدّلالة المعجميّة للمفردة، فتوسّع من معناها وتجعلها تكتسب دلالة معنويّة أخرى. أي دلالة الصّيغة والمعنى المعجمي للفعل مثل: تصارعا وتداخلا...

وبعد جهود النّحاة تلا ذلك " تخصيص بحوث للأبنيّة في الكتب اللغويّة، وهذه لم تتّسم بطابع خاص. فمنها من اهتم بذكر ألفاظ البناء المشتبه فيها، ومنها ما تعلّق بالأبنيّة التي يتعدّد ضبطها. ومنها ما اختصّ بالأبنيّة النّادرة...

وقد صاحب هذه البحوث أو تلاها اتّجاه معجمي أخذ شكلين:

أحدهما وجه عنايته لأبنيّة الأفعال والأسماء سواء اهتمّ ببناء أم أبنيّة معيّنة منهـا. أم اهتمّ بها جميعا (معاجم نوعيّة)[4].

وهناك من اهتمّ بالأبنيّة جميعها أفعالا وأسماء مع ذكر أمثلة عـن ذلـك (المعـاجم الشّاملة)[5].

1-ومن أمثلة المعاجم النّوعيّة: أمّا المؤلّفات التي جاءت فـي صـيغتي "فعلـت وأفعلت" فهي كثيرة وقد ألف فيها كل من:

- قطرب (ت. 206) فعل وأفعل؛
- الفراء (ت 207) فعل وأفعل؛
- أبو عبيدة (ت 209) فعل وأفعل؛
- ابن السّكيت (ت 244) فعل وأفعل؛
- أبو حاتم السّجستاني (ت 255) فعلت وأفعلت[6]

وهذا الأخير عالج مجموعة من أفعال جاءت على هذين الوزنين ومعناهمـا واحـد وأخرى معناها يختلف وذكر أيضا الأفعال التي جاءت فقط على **فعل** ولـيس منهـا وزن أفعل مثل: "نضر الله وجهه" ولم نسمع أحداً يقول أنصر وأخرى جاءت على **أفعل** فقط وليس منها وزن فعل مثل "أخلد إلى الأرض ولا تقال غير ذلك فهو مخلّـد. كمـا أشار إلى أفعال جاءت على فعل لازم ثمّ دخلت عليها الهمزة فعدّتها"[7].

إذن هذه الأسرار عن صيغ الأفعال لا تكشفها لنا معاجم الألفاظ العاديّة اليوم و إنّمـا تتجلّى في هذا النّوع من المعاجم التي دقّقت في معاني الأفعال التي جاءت على هـاتين الصّيغتين..

فلولا ثراء هاتين الصّيغتين لما نوع الدّارسون في إقامة الحدود بينها. والجميل أنّـه يمكن حصر عدد لا بأس به من الكلمات التي جاءت على وزن "فعلت وأفعلت" وهـي مترادفة. وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على اتّساع هاتين الصّيغتين ورحابة المعـاني التي يمكن أن تحويها من ترادف إلى تضاد في الوقت نفسه.

2-معاجم المعاني: وبالإضافة إلى معاجم الأبنيّة نجد "معاجم المعاني" وهي التي تقوم بجمع المفردات بحسب الحقل الدّلالي الذي تنتمي إليه مثل حقول الإنسان، الألوان الحيوانات ...

وهي على ستّة أنواع[8]:

1.نمط النّدرة والغرابة: أي ما جمع أصحابه فيه الألفاظ الغريبة النّادرة ككتاب أبي زيد الأنصاري "النّوادر في اللغة".

2.الموضوعات والمعاني: وهي ما جمع فيه أصحابه ألفاظ اللغة المتعلّقة بموضوع من الموضوعات، أو بمعنى من المعاني ككتاب "الأجناس" للأصمعي، وكتاب "المطر" لأبي زيد الأنصاري ومجموع هذه الكتب عبارة عن رسائل صغيرة.

3.الأضداد: كالأضداد للأصمعي الذي جمع الألفاظ التي وردت بمعنيين متناقضين مثل صرد السّهم أخطأ وصرد أصاب ونفذ.

4.مثلث الكلام: وهو ما جمع فيه أصحابه الألفاظ التي وردت على ثلاث حركات بمعان مختلفة، ككتاب مثلّثات قطب.

5.الأفعال ذات الاشتقاق الواحد: مثل فعلت وأفعلت.

6.الحروف: وهو ما جمع من الألفاظ ورتّب بحسب الحروف ككتاب الهمز لأبي زيد الأنصاري.

إنّ هذه المعاجم تنبأت إلى قضايا مهمّة في اللغة العربيّة وأسرار رائعة مثل "تلك الكلمات التي اختلفت ألفاظها واتفقت معانيها والصّيغ التي تأتي بمعنى واحد وهي على وزن "فعلت وأفعلت" وأيضا ما اختلفت ألفاظه من المفردات بإبدال بعض الأحرف والتّقت معانيه ونمثّل عليه بكتاب "الإبدال والمعاقبة والنّظائر للزّجاجي "وكذلك المفردات التي تفيد الاشتراك في بعض المعاني مثل الألفاظ الكتابيّة للهمذاني وفقه اللغة للثّعالبي..."[9].

وفي هذا السّياق سيتمّ اختبار بعض النّماذج التي تبيّن وبوضوح دقّة اللغة العربيّة في تسميّة الأشياء مهما دقّت أو صغرت. دقّة دالة على اتّساع اللغة العربيّة وكثرة

مفرداتها واتّساع مجالات تخصّصها وبراعة ضبط الحالات والأحوال فيهـــا. ولـــيكن نموذجنا في ذلك كتاب "**الألفاظ الكتابيّة للهمذاني**".

قام الهمذاني في هذا الكتاب بجمع المرادفات والعبارات المتعلّقة بمعنى من المعـــاني كباب "**في معنى صلح الشّيء**"، حيث ذكر مجموعة من العبارات المرادفة وهي:

"واستقام المائل
وانشعب الصّدع
وانجبر الوهي
وانحسم الدّاء
وارتتق الفتق
واعتدل الميل
واندمل الكلم"[10]

"**وفي باب حسم الفساد**"

كسّرت عنهم شوكته
قلّمت عنهم ظفره
فللت عنهم حده وشباته
نكبت عنك درءه
كفّفت عنهم غربهم
أمطت عنهم أذاه
وكفّفت عرامهم
زمّمت لسانهم"[11]

باب رجوع الأمر إلى أهله"

"رجع الأمل إلى من يقوم به
رجع إلى أهله
وأعاذه الله في نصابه

أقرّه الله في قراره

وردّه إلى معدنه

طلعت الشّمس من مطلعها"[12].

إنّ هذه النّماذج أقوال كلاميّة جاهزة لسياق واحد؛ فعنوان الباب هو السّياق العام التي تقال فيه تلك العبارات التي تؤدّي المعنى نفسه والوظيفة ذاتها ولكن الذي يجعلها تتنوّع هو مستوى أو مستويات الكلام من مباشر وغير مباشر أي إدخال نوع من المجاز في العبارات. وأحيانا يدخل في تلك المترادفات عبارات جاهزة معروفة في ذلك السّياق على أنّها حكم أو أمثال تلائم العبارة مثل قوله السّالف الذّكر: ردّه إلى معدنه، كسّرت عنهم شوكته استقام المائل...

إنّ هذا النّوع من المعاجم يعلّمنا الفصاحة ويعلمنا أن نعبّر عن المعاني بطرق متعدّدة، فإذا فهم المتلقّي معنى: حسم الفساد وما نريد التّحدث عنه ذهبنا به إلى المعنى الثّاني وهو كسر شوكة المفسد، وتقليم ظفره، كما أنّه لا يمكنه أن يفهم معنى طلعت الشّمس من مطلعها إلاّ إذا علمنا أنّنا نقصد بذلك "رجوع الأمر إلى أهله" إذن هناك معان مباشرة واضحة وهناك عبارات ذات معان غير مباشرة أو معنى المعنى. ولكنّها تبقى حاملة المعنى الأصلي.

إذن هذه النّماذج إن دلّت على شيء فهي تدلّ على اتّساع اللغة العربيّة في الإخبار عن سياقات متعدّدة بمعان متعدّدة بل وعن سياق واحد بمعان مختلفة تؤدّي نفس الدّلالة المقصودة وهذا ما أكّده الهمذاني قائلا: "فليست لفظة منها إلاّ وهي تنوب عن أختها في موضعها من المكاتبة أو تقوم مقامها في المجاورة. وإمّا بمشاكلة، أو بمجانسة، أو بمجاورة فإذا عرفها العارف بها وبأمكنتها التي توضع فيها كانت له مادّة قويّة وعونا وظهيرا"[13].

هذا النّموذج للهمذاني مثال عن المشترك اللفظي الذي تتحقّق فيه **دقّة الجمع** بين المفردات.

كما تتجلّى دقّة الجمع في اللغة العربيّة كذلك في تلك الألفاظ المثناة التي تحيل إلى شيئين بينهما جامع مثل:

الدّاران: الدّنيا والآخرة

الأصغران: القلب واللسان

الثّقلان: الإنس والجنّ

النّقدان: الذّهب والفضّة

الأبيضان: السّكر والملح

وتظهر دقّة الجمع كذلك في تلك المعاجم التي تجمع الألفاظ التي لها مدلول مشترك (المترادفات).

2- دقّة التّسميّة والتّفريق: إنّ دقّة التّسميّة في اللغة العربيّة تتجلّى في نوع آخر من معاجم المعاني وهي معاجم الموضوعات مثل كتاب المطر لأبي زيد الأنصاري الذي جاء فيه هذا النّموذج عن السّحابة: "سحابة وجماعها السّحاب ومثله الغيم وجماعه الغيوم وهو يكون في قليل السّحاب وكثيره. والغمام واحدتها غمامة وهي الغراء من السّحاب وجماعة الغراء الغرُّ والمزن من السّحاب البيض واحدتها مزنة ومنه الحماء وهي السّحابة السّوداء ومنه السّيّق وهو كل ما طردت الرّيح وافترزته من السّحاب إن كان فيه ماء أو لم يكن، والخلق من السّحاب كل سحابة يرجى أن يكون فيها مطر وواحدتها خلقة والصّبّير من السّحاب الذي تراه متراكما أعناقا في بياض"[14].

وفي دقّة التّفريق بين المعاني لنا في كتاب "الفروق اللغويّة" لأبي هلال العسكري ما يشفي عطش الباحث، ويزيده ثقافة عن أسرار وخبايا مفردات اللغة العربيّة فمثلا في **الفرق بين الصّفة والنّعت** يقول:

"النّعت: لما يتغيَّر من الصّفات.

والصّفة: لما يتغيّر وما لا يتغيّر، فالصّفة أعمّ من النّعت"[15].

"وفي الفرق بين البعض والجزء:

البعض ينقسم.

والجزء لا ينقسم.

والجزء يَقتضي جمعًا.

والبعض يقتضي كلاًّ"[16].

أمّا الثّعالبي في "فقه اللغة" فيورد كذلك أمثلة دالة على دقّة اللغة العربيّة كقوله: "ولد السّبع جرو، ولد كل طائر فرخ، ولد كلّ وحشيّة طفل"[17]

3-مثلث الكلام دقّة ضبط تعدد المعاني باختلاف حركات الحرف: إنّ حركات اللغة العربيّة الثّلاث من ضمّ وفتح وكسر علامات مهمّة في الإعراب لإجلاء المعنى وتبيينه من خلال ضبط الفاعل من المفعول به. وكذلك هي مهمّة في تحديد معاني الكلمات والمثلّثات خير دليل على هذه الدّقّة. حيث جمع أصحاب المثلّثات "الألفاظ التي وردت على ثلاث حركات بمعان مختلفة ككتاب مثلّثات قطرب بن المستنير"[18].

"سمّيت بالمثلّثات لأنّها تضمّ ثلاث مفردات لها نفس الصّيغة الصّرفيّة ونفس الحروف والمتغيّر فيها هو فاء الكلمة، فيحصل بهذا تغيير المعنى"[19] مثل قوله في ثلاثيّة السّلام السّلام السّلام:

بدا وحي بالسّلام رمى عذولي بالسّلام

أشار نحوي بالسّلام من كفه المخضب

السّلام: بفتح السّين وهي التّحيّة المعروفة في الإسلام

السّلام: بكسر السّين هي الحجارة الصّغيرة

السّلام: بضم السّين عروق ظاهر الكف والقدم[20].

3-معاجم الألفاظ:

3-1- التّواصل وطرائق شرح المعنى المعجمي: إنّ الآليات التي يعتمدها المعجميّ في شرح معاني المفردات، هي عمليّة تواصليّة يقوم بها بينه وبين القارئ أو المتعلّم لأنّ التّواصل بينهما يشوبه نوع من الغموض، ومرد الأمر في ذلك إلى أنّ

المعنى المعجمي عاجز في كثير من الأحيان عن تقديم المعنى الكامل أو المتعدّد للمفردات. " فهو ليس كلّ شيئ في إدراك معنى الكلام، وذلك كشخصيّة المتكلّم وشخصيّة المخاطب، وما بينهما من علاقات، وما يحيط بالكلام من ملابسات وظروف ذات صلة به كالجو أو الحالة السّياسيّة.....فمثلا كلمة صباح الخير قد يكون لها من المعاني عشر أو أكثر إذا نظرنا إليها من حيث السّياقات التي تقع فيها أي إذا أدخل الدّارس في اعتباره العناصر الاجتماعيّة غير اللغويّة"[21].

وحتى يكون المعنى المعجمي ملما بهذه السّياقات لابدّ أن يتبع طرقا لأجل ذلك. وهذه التّقنيات ما هي إلاّ آليات لتحقيق التّواصل ويمكن التّمثيل لها في المخطّط التّالي[22]:

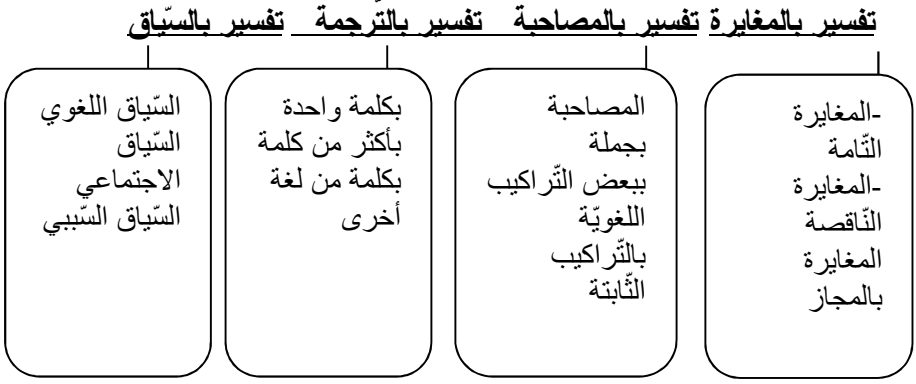

1-تفسير المغايرة: هو أن يشرح معنى الكلمة بأن تذكر أخرى تغايرها في المعنى فيتضح الضّد بالضّد.

2-التّفسير بالتّرجمة: أن تفسّر الكلمة بكلمة أخرى من اللغة نفسها أو بأكثر من كلمة، أو بكلمة من لغة أخرى[23].

3- التّفسير بالمصاحبة: هو نوع من التّحديد للكلمات المستعملة في تركيب ما دون اعتبار للنّحو أو غيره من القواعد اللغويّة المعروفة[24] حيث " يكون الشّرح بجملة كاملة ترتبط أجزاؤها (العبارات الجاهزة) وهي التي يراد بها التّراكيب التي تتكوّن عادة من كلمتين فأكثر، ويجري استعمالها بصورة واحدة دائما دون تغيُّر يطرأ

عليها.... وتستخدم في مواقف اجتماعيّة متكرّرة. مثل: "يضرب أخماسا في أسداس"... وهذه العبارات تدلّ بكاملها على دلالة محدّدة هي دلالة يعطيها التّركيب متجاوزا دلالات الجزئيات المكوّنة. وقد يكون ارتباط المصاحبة ببعض التّراكيب اللغويّة حيث يكون لكلّ لفظ فيها معنى مستقل، فإذا اجتمع اللفظان فإنّهما يؤدّيان معنى يحدّده اللفظ الأوّل ويخصّصه اللفظ الثّاني. والمصاحبة في هذه التّراكيب تكون في صورة تلازم أي تضام"[25].

4- التّفسير بالسّياق: "أي ما يصاحب اللفظ ممّا يساعد على توضيح المعنى. وقد يكون التّوضيح بما ترد فيه اللفظة من الاستعمال"[26].

إنّ هذه الطّرق ضرورة لابدّ منها لإيصال المعنى المراد للقارئ. والمتفحّص في التّقنيّة الثّالثّة – التّفسير بالمصاحبة- يجد ذلك الاهتمام أو الاعتبار المعطى لثقافة المتلقّي وكذلك نلحظ خروجا عن ما هو لغوي (مصدر، فعل، اسم فاعل، اسم مفعول...) ممّا يدلّ على اتّساع العمليّة التّواصليّة. فهي ليست حبيسة الصّيغ الصّرفيّة والمعاني اللغويّة فقط بل تنفتح على سياقات ثقافيّة كالأمثال والحكم والعبارات المسكوكة أو القوالب اللغويّة الجاهزة المعروفة. وفي الوقت نفسه هذا دال على الدّقّة في انتقاء صيغ مصاحبة دون غيرها، دقّة في اختيار هذه الطّريقة في الشّرح دون غيرها، لأنّها تتلاءم والمعنى المراد إيصاله.

إنّ تعدّد طرائق شرح المعنى دليل على اتّساع التّواصل في اللغة العربيّة، ممّا يجعلها قادرة على إيصال الرّسالة إلى المتلقّي. إذن هي لغة واصفة قادرة على أن تشرح نفسها بنفسها، وامتلكت بذلك مقوّمّات اللغة الدّقيقة والمتطوّرة.

وفي الأخير وردا عل كل من يرمي اللغة العربيّة بالعجز نقول لهم يكفي أنّها لغة القرآن الكريم، لغة أهل الجنّة.

ما أجملك أيّتها اللغة العربيّة الزّاخرة بالأسرار والعجائب، لغة لا تضاهيها أي لغة أخرى نجد فيها من الألفاظ ما هو مخصّص لكلّ حالة ولكل شيء مهمّا دقّ أو صغر وفي كلّ شأن من شؤون الحياة.

الاحالات:

[1] يمينة مصطفاوي تشكّل بناء المعجم العربي دراسة وصفيّة تحليليّة أنموذج الصّوتيات الوظيفيّة. رسالة دكتوراه. جامعة البليدة 2 ديسمبر 2013. ص

[2] مختار أحمد عمر معاجم الأبنيّة في اللغة العربيّة ط 1 1995-1415 عالم الكتب. ص11.

[3] ينظر المرجع نفسه. ص 12- 13.

[4]دزيرة سقال.نشأة المعاجم العربيّة وتطورها (معاجم المعاني- معاجم الألفاظ).دار الفكر العربي. بيروت. ص07.

[5]ينظر دزيرة سقال. نشأة المعاجم العربيّة وتطورها.ص07.

[6]مختار أحمد عمر. معاجم الأبنيّة في اللغة العربيّة. ص26

[7] مختار أحمد عمر. معاجم الأبنيّة في اللغة العربيّة. ص28-29

[8]عبد المجيد الحر. المعجميات والمجامع العربيّة. دار الفكر العربي.ط1 .1994.ص20-32

[9]دزيرة سقال. نشأة المعاجم العربيّة وتطورها. ص21.

[10]الهمذاني. كتاب الألفاظ الكتابيّة. دار الكتب العلميّة. ط1. 1991.ص15.

[11]المرجع نفسه. ص 68.

[12]الهمذاني. كتاب الألفاظ الكتابيّة. ص109.

[13]الهمذاني. كتاب الألفاظ الكتابيّة. ص10

[14]أبي زيد الأنصاري. كتاب المطر. المطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيين. بيروت. ط1905. ص13

[15]أبو هلال العسكري. الفروق اللغويّة. ص30

[16]المرجع نفسه. ص142.

[17]دزيره سقال. نشأة المعاجم العربيّة. ص26 نقلا عن فقه اللغة للثعالبي.

[18] دزيره سقال. نشأة المعاجم العربيّة. ص20.

[19]إبراهيم مقلاتي. شرح مثلثات قطرب .هومة للنشر.ص10.

[20]المرجع نفسه. ص15-16.

[21]محمد أحمد أبو الفرج. المعاجم اللغويّة في ضوء دراسات علم اللغة الحديث. دار النّهضة العربيّة. ط1996. ص95.

[22]ينظر: مجدي ابراهيم محمد إبراهيم. بحوث ودراسات في علم اللغة الصّرف. المعاجم. الدّلالة. مكتبة النّهضة المصريّة. القاهرة. ص 151-155.

[23]محمد أحمد أبو الفرج. المعاجم اللغويّة. ص102-106.

[24]المرجع نفسه. ص111.

[25]مجدي ابراهيم محمد إبراهيم. بحوث ودراسات في علم اللغة. ص151-152.

[26]محمد أحمد أبو الفرج. المعاجم اللغويّة. ص116.

جدل العلاقة بين اللغة العربيّة والهويّة

داه. جلال مصطفاوي

المركز الجامعي عين تيموشنت.

ملخّص: تتمحور هذه الورقة حول تسليط الضّوء على مدى التّرابط القائم بين اللغة والهويّة، انطلاقا من مسلمة مفادها أنّ لغة شعب من الشّعوب، إنْ هي إلاّ مرآة لثقافته وروحه ونمط تفكيره، ومؤشّر على هويّته، وكاشف عن ذاته، مع التّركيز على اللغة العربيّة، في ماضيها المجيد، وفي واقعها الرّاهن، والتّحدّيات التي تواجهها في خضم العولمة وتدفّق المعلومات وتخلّص الدّراسة إلى القول بأنّ اللغة العربيّة تمرّ بأزمة حقيقيّة نتيجة ظروف وأسباب موضوعيّة، منها ما هو داخليّ، ومنها ما هو خارجيّ. ومن ثمّ فالإصلاح الشّامل والواعي أصبح – أكثر من أيّ وقت مضى– ضرورة ملحّة، لتجديد اللغة العربيّة، والنّهوض بها لتسترجع مكانتها، وتصبح اللغة المهيمنة في مناحي الحياة المختلفة

- **الكلمات المفتاحيّة:** اللغة–الهويّة–الأزمة–العولمة–الإصلاح اللغوي.

تمهيد: تكتسي اللغة أهميّة بالغة في الحياة الإنسانيّة، لصلتها الوثيقة بالفكر والأفكار فلا يمكن للإنسان أن يفكّر لحظة واحدة خارج دائرة اللغة، ولا بدّ للإنسان أن يتواصل مع غيره ليعبر عن تجاربه ومقاصده وتفاعله مع الحياة وليبني علاقاته الاجتماعيّة الضّروريّة، ولا يتمّ هذا التّواصل إلاّ باللغة الوسيلة الجوهريّة التي تتكفّل بحمل الوعي والفكر، بل إنّ اللغة هي التي تمنح العالم الوجود (اللغة بيت أو سكنى الوجود كما يقول "هيدجر"). كما أنّ اللغة تشغل حيّزا بارزا في كافّة الحقول المعرفيّة على اختلاف مشاربها وتعدّد غاياتها. ولمّا كانت للغة هذه المكانة العظيمة فقد حظيت باهتمام الدّارسين منذ القديم، ويصنّف المؤرخون الابستمولوجيون الدّراسات اللغويّة إلى اتّجاهين مختلفين من حيث المنهج والمعطيات الإجرائيّة، وهما: المقاربة الشّكليّة للغة

(وهي التي تتعامل مع اللغة في سكونيتها وثبوتيتها (ستاتيك) في سبيل معرفة بنائها والنّظام الذي تقوم عليه تراكيبها...). والمقاربة التّواصليّة للغة (وهي التي تُعنى بدراسة اللغة في حيويتها وديناميكيتها، أي أثناء استعمالها ما بين البشر في سياقاتها المتعدّدة)... والحديث عن جدل العلاقة بين اللغة والهويّة ليس جديدا، لكن الظّروف والحيثيات المحيطة بالعربيّة اليوم والتي تكشف عن تربص أعداء الإسلام والعروبة بعربيتنا، هي من تجعل تجديد الحديث عن اللغة العربيّة أمرا ضروريا ومحوريا في مسار سعينا للإصلاح من أنفسنا في سبيل وضع لغتنا في مكانها الذي تستحقّه والتي هي أهل لأحسن منه.

1- مفهوم اللغة ودورها: اللغة- في أصل الوضع اللغوي- من لغا يلغو لغوا: إذا تكلّم. وأصلها لُغْوَةٌ[1]. والفعل (لغا) بهذا المعنى، ورد ذكره في قوله، صلّى الله عليه وسلّم: «إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ: أَنْصِتْ، يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَالإِمَامُ يَخْطُبُ، فَقَدْ لَغَوْتَ»[2]، وفي قوله صلّى الله عليه وسلّم أيضا: «مَنْ مَسَّ الحَصَى، فَقَدْ لَغَا»[3] . واستعمال [اللِّسَان] مرادفا لـ [اللغة] كثير في اللغة العربيّة، ورد ذكره في قوله تعالى، في ردّه على المشركين الذين زعموا أنّ النّبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، يتعلّم القرآن من رجل أعجمي كان بين أظهرهم يقرأ الكتب القديمة، وربّما تحدّث معه النّبيّ، صلّى الله عليه وسلّم أحيانا، فأشار تعالى إلى بطلان بهتانهم بأنّ اللسان الذي ينسبون إليه التّعليم أعجميّ غير مبين، في حين أنّ هذا القرآن الكريم لسان عربيّ مبين. فمن أين للأعجمي أن يتذوّق بلاغة هذا التّنزيل وما حواه من العلوم، فضلا أن يكون معلّما فيه؟[4]، فقال تعالى: "**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ، لِسَانُ الذي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**"[5].

وورد كذلك، في قوله تعالى، حين أخبر عن المصدر الحقيقي للقرآن الكريم، وبيّن واسطة نزوله على النّبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، والغايّة من نزوله، واللغة التي أنزل بها فقال تعالى: "**وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**".[6]

وهناك كلمة أخرى ترادف كلمة اللغة، لكن بدرجة أقل، هي كلمة [اللّحْـن]. يقـال: لَحَنَ الرّجُلُ يلحَن لَحنا: إذا تكلّم بلغته. ولحن بلحن بني فلان: إذا تكلّم بلغتهم[7]. فقد نُقِل عن أبي ميسرة، في قوله تعالى فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ العَرِمِ، وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ"[8] قولُه: العرم: المسناة [حاجز يبنـى لمنع السّيل]، بلحن اليمن، أي: بلغتهم[9].

أمّا اللغة من حيث الاصطلاح، فيراد بها مجموع الأصوات المفيدة، التي "يعبّر بهـا كلّ قوم عن أغراضهم"[10]. ويفهم من إسناد التّعبير للقوم لا للفـرد، أنّ اللغـة ظـاهرة اجتماعيّة تختلف باختلاف الشّعوب والعصور، ولكنّها تتّفـق جميعـا فـي كونهـا أداة تواصل بين أفراد المجتمع الواحد.

وإذا كان هذا التّعريف قد سكت عن الإشارات، والأصوات الطّبيعيّـة، والظّـواهر الجسديّة، التي تقترن عادة، بالانفعالات العاطفيّة، فإنّ عبارة [التّعبير عـن الأغـراض] تشير ضمنيا إلى أنّ هذه الإشارات والرّموز تدخل ضمن صميم اللغة جنبا إلـى جنـب مع الكلمات، متى كانت مقصودة.

واللغة ليست حبيسة المجال الضّيق، المتمثّل في وظيفة التّواصل بين أفراد المجتمـع الواحد، أو بين الشّعوب والأمم المختلفة، بل تؤدّي، فضلا عن ذلك، دورا فـي غايّـة الأهميّة، بالنّسبة إلى تكوين شخصيّة الفرد وتشكيل ذاته المتميّزة عن الآخـر، وهـي ديوان المنجزات الحضاريّة والعلميّة للأمّة، وهي، في نظر جاك بيـرك [ت 1995 م] تشكّل القانون الأوّل الذي يفرض نفسه بقوّة على كل فـرد داخـل المجتمـع، فرضـا يستغرق مرحلة التّنشئة الاجتماعيّة برمّتها، ويمكّن أفراد المجتمع من الانتقال النّـوعي من الفطرة إلى الثّقافة، ويتيح لهم تبادل الخضوع للقانون مـن خـلال اللغـة والثّقافـة لتحقيق الهويّة ضمن علاقة الجزء بالكل[11].

2 – مفهوم الهويّة: الهويّة – من حيث الاشتقاق – مصدر صناعي، ومصطلح لم يرد ذكره في مصنفات قدماء العرب وإنّما دفعت الحاجـة العلميّـة المتـأخّرين إلـى

صياغته من الرّابط [هــو] الدّال عند العرب على مدى الارتباط القائم بــين المحمــول والموضوع، من حيث الحقيقة والجوهر[12].

وكلمة الهويّة – في صورتها المبسّطة – من أقرب الكلمات منّا، إذ هــي متداولــة على ألسنتنا في الحياة اليوميّة: فقد يطلب منّا رجل الأمن إظهار هويّتنــا، وقــد نســمع خبرا بوجود جثّة لامرأة مجهولة الهويّة، تبين أنّها مقتولة بفعــل فاعــل، وأنّ البحــث مازال جاريا لمعرفة هويّة الجاني.

فالهويّة، على مستوى الاستعمال اليومي، لا تعدو أن تكون عبارة عمّــا اصــطلح على تسميته بـــ [بطاقة التّعريف الوطنيّة]، التي تشير إشارة مباشرة إلــى مــا يخــص الفرد، من اسم، وتاريخ ميلاد ومكانه، وانتماء إلى وطــن معــين، وبعــض علاماتــه الخصوصيّة الظّاهرة. ومن ثمّ، فهي – وإنْ كانت تتضمّن وعيا بسيطا عفويّا، خاضــعا لضغوط مشاغل الحياة وهمومها– إلاّ أنّها قلما تنصرف إلى الأنا الجمعيّة بما تنطــوي عليه من أبعاد دينيّة، وثقافيّة، وحضاريّة، وتاريخيّة، وجغرافيّة، ونفسيّة

أمّا الهويّة، على مستوى نخبة المثقفين والأكاديميين، فقضيّة في غايّة التّعقيد، يتعــذّر الوقوف على مفهومها، والإحاطة بمدلولها بتعريف جامع مانع، كما يقول أهل المنطق.

ولعلّ ذلك يرجع أساسا، إلى كونها "ظاهرة رمزيّة مجرّدة، ليس لها أيّ تحقّق مادّي يربطها بعوالم الحسّ الوجوديّة"[13]. فضلا عن كونها ذات جذور متشــعّبة، تمتــد ذات اليمين وذات الشّمال، لتطال جملة من فروع المعرفة كالفلسفة والمنطق، وعلــم الــنّفس وعلم الاجتماع، والتّصوّف، والسّياسة إلخ. ومن ثمّ، فإنّ تعريفات الهويّة قد تعدّدت تبعا لتعدّد هذه العلوم: فهي– من وجهة النّظر الفلسفيّة مثلا – تعني الجمع التّام بين الــذّات والموضوع، وبين الطّبيعة والفكر، وبين المثل الأعلى والواقع، في وحدة غيــر قابلــة للانفصال، والرّجوع بها في نهايّة المطاف، إلى شيء واحد، هو المطلق[14].

ومبدأ الهويّة، عند أهل المنطق، هو القول: ما هو، ويعبرون عنه بالجملة: ب = ب أو [ب] هي [ب]. ممّا يعني أنّ المحمول في هذا الحكــم لــيس جــزءا مــن مفهــوم الموضوع بل هو الموضوع عينه[15].

ويشير بها المتصوّفة إلى هويّة الحق تعالى عينه، الذي لا يمكن ظهوره، إلاّ باعتبار جملة الأسماء والصّفات، فكأنّها إشارة إلى باطن الواحديّة، وإلى كنه ذاته تعالى باعتبار أسمائه وصفاته، مع الفهم لغيبوبة ذلك. قال الشّاعر:

إنَّ الهُويّة عَيْنُ ذَاتِ الوَاحِدِ وَمِنَ المُحَالِ ظُهُورُهَا فِي شَاهِدِ
فَكَأَنَّهَا نَعْتٌ، وَقَدْ وَقَعَتْ عَلَى شَأْنِ البُطُونِ، وَمَا لَهُ مِنْ جَاحِدِ[16].

ويركّز الحكّام ورجال السّياسة على الحدود السّياسيّة، والاستقلال الذّاتي، الذي غالبا ما يسوغ بحجج تتمحور حول الإرث الثّقافي المشترك، حيث العنصر الاثني مع ذلك متعدّد بشكل لا يمكن تفاديه[17].

كما ينظر علماء الاجتماع إلى الهويّة من جهة علاقتها مع الآخر، مؤكّدين أنّ العلاقة مع الذّات إنّما تخضع أساسا، إلى التّفاعل الاجتماعي بوصفه أداة ناجعة لتأثير النّاس في بعضهم البعض، وتعديل مواقفهم من خلال التّبادل المشترك للأفكار والمشاعر وردود الفعل[18].

يتبيّن لنا، من خلال هذه الفهوم المتباينة تباين تكامل، لا تباين تضاد، أنّ لمصطلح الهويّة دلالات تتمحور حول الوحدة، وحقيقة الشّيء وجوهره، وكنّه الذّات الإلهيّة والانسجام في الأفكار والمشاعر بين أفراد المجتمع الواحد، والإرث الثّقافي المشترك.

3- جدليّة العلاقة بين اللغة والهويّة: تعدّ اللغة عاملا له شأنه في بناء الهويّة لأي مجتمع إنساني، حيث تميّز الإنسان عن غيره من سائر المخلوقات، بوصفه حيوانا ناطقا وعاقلاً وتتيح له فرصة التّعبير عن أفكاره، ومشاعره، وأحاسيسه، وحاجاته فهي بهذا وعاء لتفكيره ومنجزاته الحضاريّة عبر تاريخه، فضلا عن كونها من أهمّ الخصوصيات التي تميّزه عن غيره.

ويؤكّد المهتمّون بالعلوم الإنسانيّة أنّ ثمّة ارتباطا وثيقا بين اللغة والهويّة، بما تشتمل عليه من ثقافة، وقيم حضاريّة، وأنماط تفكير، حتى إنّه لمن الصّعوبة بمكان تصوّر الانفصال بينهما.

فاللغة، من هذا المنظور، هي بمنزلة وحدة الأمّة ورمز هويّتها، وهي، إلى جانب ذلك، المؤشّر على هويّة الفرد، والكاشف عن ذاته. وقد عبّر الفيلسوف الألماني مارتن هيدجر [ت 1889 م]، Martin Heidegger عن مدى التّرابط القائم بين اللغة والهويّة بقوله : " إنّ لغتي هي مسكني، هي موطني ومستقرّي، هي حدود عالمي الحميم ومعالمه وتضاريسه، ومن خلال نوافذها، ومن خلال عيونها، أنظر إلى بقيّة أجزاء الكون الواسع "[19].

فالهويّة اللغويّة جزء لا يتجزأ من الهويّة الوطنيّة، وإن كانت الثّانيّة تبدو أكثر تجريدا من الأولى: فكلمة [جزائريّ] – على سبيل المثال، لا الحصر– لا توجد بمعزل عن [الجزائريّين] الذين يمتلكونها إلاّ بوصفها تصورا مجرّدا[20].

ومن ثمّ، فإنّ الهويّة الجماعيّة التي ننتمي إليها كأفراد، تغذي وعينا الفردي بهويّتنا اللغويّة. ويقول الشّاعر الصّقلي إجنازيا بوتينا، في قصيدته الرّائعة [لغة وحوار]:

ضَعْ شَعْبًا فِي السّلاَسِلِ
جَرِّدْهُمْ مِنْ مَلاَبِسِهِمْ
سُدَّ أَفْوَاهَهُمْ. لَكِنَّهُمْ مَا زَالُوا أَحْرَار.
خُذْ مِنْهُمْ أَعْمَالَهُمْ. وَجَوَازَاتِ سَفَرِهِمْ
وَالمَوَائِدَ التي يَأْكُلُونَ عَلَيْهَا
والأَسِرَّةَ التي يَنَامُونَ عَلَيْهَا
لَكِنَّهُمْ مَا زَالُوا أَحْيَاء
إِنَّ الشّعْبَ يَفْتَقِرُ وَيُسْتَعْبَدُ
عِنْدَمَا يُسْلَبُ اللِّسَانَ
الذي تَرَكَهُ لَهُ الأَجْدَاد
وَعِنْدَهَا يَضِيعُ لِلأَبَد[21].

يربط الشّاعر بين اللغة وبين والحريّة والهويّة، ويخلص إلى فكرة مفادها أنّ اللغة عامل محوري في تشكيل الهويّة، وأنّ حريّة الشّعوب والأفراد مرهونة بتمسكهم بلغتهم والحفاظ عليها، وإلاّ وقعوا حتما، في فخّ الاستعباد والاغتراب.

ولندَع الآن، الحديث عن اللغة والهويّة في الإطار العام المجرد، ونلتفت قليلا، إلى القضيّة التي تهمنا نحن العرب المسلمين، أعني قضيّة لغتنا العربيّة، وهويّتنا العربيّة الإسلاميّة.

4 – اللغة العربيّة بين الأمس واليوم: ولتكن البدايّة بالإشارة إلى أنّ اللغة العربيّة في عصورها الذّهبيّة، قد أدّت دورها كأحسن ما يكون الأداء، في جميع مناحي الحياة: بدءا من الحياة الفكريّة، ومرورا بالحياة الاجتماعيّة والسّياسيّة، وانتهاء بحياة العلم والإبداع.

وَنَحْنُ الأُلَى كَانَ الحَرِيرُ بُرُودَهُمْ، عَلَى حِينِ، كَانَ النّاسُ مَلْبَسُهُمْ جِلْدَا[22].

ولا أقول هذا من قبيل التّغني بأمجاد الماضي، والوقوف على الأطلال– كما يحلو لخصوم اللغة العربيّة، ومنكري فضل الحضارة الإسلاميّة على الإنسانيّة جمعاء، أن ينعتوا به كلّ عربيّ أبدى اعتزازه بماضيه، لتثبيط عزيمته، وزرع بذور الشّك في هويّته وانتمائه – بل أقول هذا من قبيل الحقيقة التي لا يماري فيها إلاّ جاحد أو مكابر.

وحسب العربيّة أنّها اللغة التي، بها أثبت العرب أنّهم "لم يكتفوا باقتباس تراث فارس القديم، وتراث اليونان المدرسي وهضمه، بل حوّلوا التّراثين لحاجاتهم الخاصّة وطرق تفكيرهم، وأضافوا إليهما ما استطاعوا أن يستنبطوه[23].

نكتفي بهذه الإشارة، فلا حاجة بنا إلى الوقوف كثيرا، عند هذه المسألة، لأنّها أضحت مسلّمة ظاهرة للعيان، ولم تعد موضع جدل.

لكن مع الأسف، ما إن حلّ منتصف القرن الثّالث عشر الميلادي، حتى وقعت البلاد الإسلاميّة فريسة للأطماع الخارجيّة، فتداعت عليها الدّول الأوروبيّة والتّتار والمغول فذهبت ريحها، وتمزّقت كل ممزّق، وساءت أحوالها، وتبعا لذلك، دبّ

الضّعف في اللغة العربيّة، وفقدت مكانتها كلغة رسميّة، وحلّت الفارسيّة والتّركيّة محلّها.

ولحسن الحظ، قيّض الله للأمة العربيّة رجالا من أبنائها، أقالوها من عثرتها. فَإِنَّ نُفُوسَ العُرْبِ كَالشّهْبِ، تَنْطَوِي وَتَخْفَى، وَلَكِنْ لَيْسَ تَبْلَى، وَلاَ تَصْدَى[24]

فبعد جهاد مرير، وانتشار موجات التّحرّر، التي توجت منذ أواخر القرن التّاسع عشر الميلادي بنهضة عربيّة عامّة، صحبتها نهضة لغويّة استعادت فيها اللغة العربيّة جزءا مهمّا من مكانتها، فنشطت حركة التّأليف في مختلف العلوم والمعارف واستحدثت المطابع، وصدرت الجرائد والمجلات، ثمّ أعقب ذلك كلّه تأسيس المجامع اللغويّة، التي تعنى باللغة العربيّة في مختلف حقول المعرفة[25]. إلاّ أنّه سرعان ما حصلت قطيعة شبه تامّة، في وقتنا الرّاهن، بين المجتمعات العربيّة وبين هذه النّهضة ممّا أدّى إلى تراجع ملحوظ للغة العربيّة، وتعالتّ صيحات الغيورين على اللغة العربيّة من قبيل : "العرب والانتحار اللغوي"[26]، و"مخاطر تواجه اللغة العربيّة في الوقت المعاصر"[27]، و "إنّ اللغة العربيّة تعاني في الدّول العربيّة . . . وغالبيّة جامعاتها تدرس بالإنجليزيّة، أو الفرنسيّة وتهمل التّدريس باللغة العربية"[28]، و"احتقار لغة القرآن وإذلالها، من بعض أهلها في عقر دارها، نتيجة عقدة [الخواجات] المستفحلة في بعض النّفوس المريضة"[29].

فأصحاب هذه الصّيحات يجمعون على أنّ هناك أزمة، تتمثّل في كون اللغة العربيّة منهكة في مسارات عديدة، وهي في خطر حقيقي ومتزايد، وليس متوهّما ولا مبالغا فيه[30].

وسواء أقِوى خارجيّة كانت سبب هذه الأزمة، أم أبناء العربيّة أنفسهم، أم هذا وذاك معا، فإنّ اللغة العربيّة تواجه تحديات، في وقتنا المعاصر من أجل ضمان استمرار بقائها على قيد الحياة.

5 – اللغة العربيّة: وجها لوجه مع التّحدّيات. ولعلّ أوّل هذه التّحديات، هو العمل الواعي على تجديد اللغة العربيّة، وتطويرها بما يناسب روح العصر، لتسترجع مكانتها

في المجتمعات العربيّة والإسلاميّة، وتصبح لغة العلم والإبداع، وتستجيب لمتطلّبات النّمو الذي تعرفه المجتمعات العربيّة.

فاللغة كائن حيّ، يجدّد خلاياه باستمرار، تبعا لتقادم الزّمن، وتطوّر العقليات والذّهنيات لدى الأمم والشّعوب، وإلاّ فمن المضحك أنْ يُقبل إنجليزيّ، في قلب لندن فيحدث النّاس بلغة شكسبير، أو يطلع علينا عربي، في قلب إحدى العواصم العربيّة فيشرع في مخاطبتنا بلغة القدماء، من قبيل: [أبيتَ اللعن – لا أبا لك]، وما شابه ذلك من الأساليب والعبارات، التي كان لها معنى مفعم بالحياة في زمانها، ولكنّها الآن، لم تعد صالحة إلاّ للاستعانة بها على فهم النّصوص القديمة.

وبالمقابل، فإنّه من المضحك المبكي، أن تناقش قضيّة تجديد اللغة العربيّة، من خلال الدّعوات والهتافات غير المحدّدة الدّلالة، التي تعمد إلى تعجيم اللغة العربيّة بإقحام مئات الكلمات الأجنبيّة فيها، دون مراعاة لضوابط التّعريب وقواعده، على غرار لغة [الكوادر– الدّبلجة – النّرفزة– الرّسكلة– الرّبورتاج . . .] إلخ.، أو لغة : [لتحيا اللغة العربيّة ويسقط سيبويه]*، وإنّما ينبغي النّهوض بتجديد اللغة وتطويرها في إطار منهجي عام يراعي أبعاد المشكلة، ويدرس ألوان الفهم الخاطئ، أو اللبس القائم ويحدّد الخطوات التي ينبغي اتّخاذها لإيجاد الحلول المناسبة، في حدود شروط العربيّة المعياريّة وضوابطها العامّة .

6 –**ضرورة الإصلاح الجاد والواعي للتمكين للغة العربيّة:** فإذا ما تمّ لنا تجديد اللغة على الوجه المطلوب، انتقلنا إلى تشخيص المرض الذي تعانيه اللغة العربيّة في وقتها الرّاهن. ولاشك أنّه إذا نحن التّزمنا بالموضوعيّة في هذا التّشخيص، انتهينا إلى نتائج تبعث على القلق.

ولعلّ أخطر هذه النّتائج التّراجع الملحوظ لتداول اللغة العربيّة واستعمالها في القطاعات المهمّة، كالتّجارة، والمؤسسات الصّناعيّة، والتّمثيل الدّبلوماسي والعلاقات الدّوليّة، والتّعليم حتى... لظروف وأسباب داخليّة وخارجيّة. وجملة القول أنّ اللغة العربيّة "تتعرّض في عقر دارها لهجمات عنيفة، وإقصاء مخيف، من المشهد الثّقافي

والاجتماعي، فضلا عن المشهد العلمي"[31]. ممّا يستدعي التّعجيل برسم خطة إصلاح جدّي وواعي، بهدف النّهوض باللغة العربيّة، والتّمكين لها في حياة المجتمعات العربيّة بمختلف مستوياتها.

على أن يتحرّك هذا الإصلاح في اتّجاهين، في الوقت نفسه، أحدهما: التّصدي للتّيارات التّغريبيّة الخارجيّة، وحملات الغزو الفكري، التي ما فتئت تعمل بشتى الوسائل الماكرة، على تهميش اللغة العربيّة، تمهيدا للقضاء عليها بصفة نهائيّة، وإحلال اللغة الأجنبيّة محلّها. والآخر: التّصدي للرّدة اللغويّة في أوساط بعض الشّرائح في المجتمع العربي نفسه.

الخاتمة: أختتم هذه المقالة بالقول إنّ لديّ قناعة راسخة -ولعلّ هناك من يشاطرني هذه القناعة- أنّ الإصلاح اللغوي لا يحقق النّتائج المرجوة، في الحفاظ على اللغة العربيّة، وضمان استمرارها بصورة تمكنها من تعزيز هويّة الأمّة، ما لم تسند مهمّة القيام به إلى رجال الأمّة المخلصين الأكفاء، والمؤمنين بإرادة التّغيير، والمدركين لخطورة الانبهار بالغرب، والوقوع تحت تأثيره في كل كبيرة وصغيرة. وما لم يتخلّص صنّاع القرار، ورجال السّلطة النّافذين من ازدواجيّة الخطاب في التّعامل مع اللغة العربيّة والتّعريب: فهم يبدون حرصهم على حمايتها تشريعيا، فينصّون في دساتيرهم على رسميتها، وضرورة احترامها، بينما يهمشونها باستمرار على أرضيّة الواقع، ويحصرونها في حدود ضيقة.

الهوامش:

[1] – لسان العرب: ابن منظور، 15 / 250.

[2] – صحيح مسلم (كتاب الجمعة): رقم 851، ص 330.

[3] – المصدر نفسه.

[4] – ينظر محاسن التّأويل: القاسمي، ص 3860.

[5] – سورة النّحل.

[6] – سورة الشّعراء.

[7] – ينظر المعجم الوسيط: ص 819.

[8] – سورة سبأ.

[9]– كتاب الأضداد: الأنباري، ص 240.

[10] – التّعريفات: القاضي الجرجاني، ص 161.

[11] – اللغة والهويّة: جون يوسف، ترجمة عبد النّور خرافي، ص 342.

[12] – ينظر تفسير ما بعد الطّبيعة: ابن رشد، ص 557.

[13] – الهويّة العربيّة والأمن القومي: عبد السّلام المسدى، ص 259.

[14] – ينظر المعجم الفلسفي: جميل صليبا، 2 / 531.

[15] – ينظر المصدر نفسه: ص 532.

[16] – ينظر كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: التّهانوي، ص 1746.

[17] – اللغة والهويّة: جون جوزيف، ترجمة د. عبد النّور خراقي، ص 147.

[18] – ينظر علم النّفس الاجتماعي: وليم. و. لامبرت، وولاس. إ. لامبرت، ص 184.

[19] – إنقاذ اللغة إنقاذ الهويّة: د. أحمد درويش، ص 18.

[20] – ينظر اللغة والهويّة: جون يوسف، ترجمة د. عبد النّور خراقي، ص 9.

[21] – إنقاذ اللغة.. إنقاذ الهويّة: د. أحمد درويش، ص 13.

[22] – ينظر ديوان إيليا أبو ماضي: ص 311.

[23] – تاريخ العرب: فيليب حتي، 2 / 444.

[24] – ينظر ديوان إيليا أبو ماضي: ص 316.

[25] – ينظر حاضر اللغة العربيّة: د. عبد العزيز بن عثمان التّويجري، ص 8.

[26] – د. عبد السّلام المسدى: دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط 1– 2011 م.

[27] – د. يوسف محمد: الجامعة الإسلاميّة، المدينة المنوّرة، 2012 م.

[28]– عليّ بن محمد [الوزير الجزائري الأسبق للتربيّة والتّعليم]: برنامج قناة الجزيرة القطريّة [بلا حدود]، 21 / 12 / 2015 م.

[29] – فرنسا والأطروحة البربريّة في الجزائر: د. أحمد بن نعمان، مطبعة دحلب، الجزائـــر، ص 365.

[30] – ينظر اللغة هويّة ناطقة: د. عبد الله البريدي، المجلة العربيّة، العدد 197، ص 39.

* إشارة إلى عنوان الكتاب الذي وضعه د. شريف الشّوباشي، ونشرته الهيئة المصـــريّة العامـــة للكتاب سنة 2004 م. والخطأ الفادح في العنوان لا يحتاج إلى تعليق، لاسيما وأنه صـــادر عـــن كاتب، له عدة مؤلفات.

[31] – اللغة هويّة ناطقة: د. عبد الله البريدي، ص 55.

المصادر والمراجع:

– إنقاذ اللغة.. إنقاذ الهويّة: د. أحمد درويش، نهضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع.

– تاريخ العرب: د. فيليب حتي، دار الكشاف للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت – لبنان، ط 4 – 1965.

– التّعريفات: العلامة علي بن محمد السّيد الشّريف الجرجاني، تحقيق محمد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة.

– تفسير مابعد الطّبيعة: ابن رشد، المطبعة الكاثوليكيّة – بيروت، ط 1938 م.

– إيلياأبوماضي–ديوان إيليا أبو ماضي – دار العودة –بيروت–لبنان

– حاضر اللغة العربيّة: د. عبد العزيز بن عثمان التّويجري، مطبعة الإيسيسكو، الرّباط.

– صحيح مسلم: الإمام الحافظ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري التيسابوري، بيـــت الأفكـــار الدّوليّة، ط 1998 م.

– علم النّفس الاجتماعي: وليم. و. لامبرت مع وولاس. إ. لامبرت، ترجمة د. سلوى المُـلا، دار الشّروق، ط 2 – 1993 م.

– فرنسا والأطروحة البربريّة في الجزائر: د. أحمد بن نعمان، منشورات دحلب– الجزائر.

– كتاب الأضداد: محمد بن القاسم الأنباريّ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصـريّة صيدا– بيروت، ط 1987 م.

– كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: الباحث العلامة محمد علي التّهانوي، تحقيق د. علي دحروج و د. عبد الله الخالدّي و د. زيناتي، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1– 1996 م.

– لسان العرب: الإمام العلامة أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكـرم بـن منظـور الإفريقـي المصري دار صادر – بيروت.

– اللغة هُويّة ناطقة: د. عبد الله البريدي، كتاب المجلة العربيّة، العدد 197 – الرّياض.

– اللغة والهويّة: جون يوسف، ترجمة د. عبد النّور خراقي، عالم المعرفة، العدد 342، أغسطس 2007 م، م. و. ث. ف. آ – الكويت.

– محاسن التّأويل: محمد جمال الدّين القاسميّ، دار إحياء الكتب العربيّة، ط 1 – 1957 م.

– المعجم الفلسفي: د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني – بيروت، ط 1982 م.

– المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربيّة، مكتبة الشّروق الدّوليّة، ط 4 – 2004 م.

– الهويّة العربيّة والأمن اللغوي [دراسة وتوثيق]: د. عبد السّلام المسدّى، المركـز العربـي للأبحاث ودراسة السّياسات، ط 1 – 2014 م.

أثر الخطاب القرآني
في بعث وتطوير اللغة العربيّة

داه. منتصر بلحاج
جامعة مستغانم

ملخّص: لقد جمع القرآن الكريم كل أساليب اللغة العربيّة ومميّزاتها، وبذلك صار المرجع الأساس الذي يحتكم إليه، كونه محكم من عند الله ومفصل من لدن حكيم خبير، فكان ارتباط اللغة العربيّة بالقرآن مصدر حفظ لها بحفظه وبقاء لها ببقائه حيث هذبها من وحشي الألفاظ وغريبه وما ثقل على السّمع، والمتأمل في الشّعر الجاهلي يلمس مدى الفرق والبون الشّاسع للفظ العربي قبل نزول القرآن وبعده، كما أن دور الخطاب القرآني لازال إلى اليوم عنصرا هامّا ومصدرا من مصادر تطوير اللغة العربيّة وبعثها بعثا جديدا يواكب البحوث والعلوم المعاصرة في مختلف المجالات. ويزود اللغة العربيّة بالألفاظ المتخصّصة والتّراكيب المعاصرة، والأساليب الرّاقيّة والدّقيقة.

على ضوء ما سبق تراودني إشكاليّة البحث في الوقوف على أبرز الآليات التي استعملها الخطاب القرآني في تزويد اللغة العربيّة وتهذيبها وتطويرها، وأين تكمن تجلّيات ذلك في اللسان العربي؟

• **الكلمات المفتاحيّة** :الخطاب القرآني – الصّورة الفنيّة – الاعجاز– التّصوير– الشّعر– الجمال.

• **المداخلة:**

مقدّمة: إنّ اللغة العربيّة هي لغة القرآن، بها نزل وبها تستخرج أحكامه ومعانيه وعليه تبنى قواعد العربيّة، ومخطئ من يقول أنّ لغته دينيّة، فهي لغة عربيّة جامعة لكلّ الميادين، ولقد أولى القرآن الكريم هذه اللغة عنايّة شديدة وبعثها بعثا جديدا لم

تعرفه قبل نزوله، حيث صارت لغة راقيّة تتأهّب لها أقلام البـاحثين والدّارسـين وتتشوّق لها آذان السّامعين شعرا ونثرا وخطبا، وذلك بما أغناها الخطاب القرآنـي بمعان وألفاظ أقل ما يقال فيها بأنّها لغة السّهل الممتنع، والمتأمّل في التّراث العربي يلمس بونا شاسعا بين عصري الجاهليّة والإسلام، حيث كان نزول القرآن الكـريم نزولا ارتقى باللغة العربيّة لأعلى منازلها، متحدّيا بذلك الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل ألفاظه وتراكيبه وأساليبه، مع أنّهم أهل للفصاحة والبيان وعلى ضوء هاتـه المقدّمة المتواضعة حاولت إبراز بعض الجوانب العلميّة التي خدم فيهـا الخطـاب القرآني اللغة العربيّة، وأرسى القواعد اللغويّة التي يحتكم إليها عند الاختلاف.

مظاهر تجلّيات بعث الخطاب القرآني للغة العربيّة: تعـدّدت الآليـات اللغويّـة والبلاغيّة للخطاب القرآني، فتجلت انعكاساتها الأولى على تطـوير اللغـة العربيّـة وبعثها بعثا جديدا هذبها وسلك بها مسلكا متزنا، اجتمعت عليه كلّ القبائـل النّاطقـة بالعربيّة إبّان نزوله، فكان نزولا مهمّته الأولى بيان الفصيح من اللفظ والابتعاد عـن موحشه وغريبه، فأخذ الخطاب الإلهي من جميع وجوه البيان أكثر قوّة وبلاغة وحجّة وإقناعا قال سبحانه: «**"وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا القُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَـأَبَى أَكْثَـرُ النَّاسِ إِلا كُفُورًا"**[1]. وتصريف الآيات يشمل تنويع الحجج والبـراهين علـى قضـيّة واحدة، فيؤتى للقضيّة الواحدة بأكثر من دليل وبرهان، فتتابع عليهم الحجج وتُصرَّف لهم الأمثال والعبر. ويشمل تصريف الآيات تنويع الأساليب، فيؤتى بالـدّليل الواحـد بأكثر من أسلوب فتارة بالخبر، وتارة بالاستفهام، وأخرى بالنّفي والإثبـات، وأحيانـا بضرب الأمثال أو القصص، ونحوها. وكل ذلك وارد في القرآن »[2].

1-**التّصوير الفني في الخطاب القرآني وأثره في بعـث اللغـة العربيّـة:** إنّ التّصوير الفني هو السّمة اللغويّة الأولى في فهم الخطـاب القرآنـي، واسـتيعاب دلالاته وتذوق معانيه وإدراك سر جماله، وإنّ المتأمّل في بلاغة القـرآن الكـريم استنادا للدّراسات والأبحاث العلميّة بدءا من القدامى ومرورا بالمعاصرين، لا يكـاد يلمّح صورة فنيّة راقيّة، إلاّ ويجد المثل الأعلى والنّموذج الأسمى لها في الخطـاب

القرآني عبر سياقاته المتعدّدة، لأنّه خطاب سماوي محكّم قال تعالى: "**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ**"[3].

لا يشكّ عاقل أن البون شاسع بين التّصوير الأدبي والتّصوير القرآني، حيث لا مجال للمقارنة والموازنة، بل إنّ الوقوف على سرّ الصّنعة اللغويّة القرآنيّة وجمال صورتها الحسيّة والمعنويّة لا يحتاج لآليات ومصطلحات النّاقد الأدبي للاطلاع عليها، فلكل مستوى بشري له حظ معيّن من فهم الخطاب القرآني وتذوّق أسراره والوقوف على أحكامه، ولا يمكن أيا كان أن يبلغ حقيقة إعجازه، وهذا لا يتوفّر لأهل اللغة مهما بلغ مستواهم العلمي والفكري، فالخطاب القرآني نزل على أربع مستويات:«قال ابن عباس: التّفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالتّه، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلاّ الله تعالى ذكره»[4]. ولا أدلّ على جمال لغة الوحي وتجميلها لمن يحملها ويتحلّى بها قوله تعالى: "**وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**"[5].

1.1 **الصّورة الفنيّة في الخطاب القرآني وأثرها اللغوي:** تعدّدت مظاهر الصّورة الفنيّة في الخطاب القرآني بتعدّد القضايا التي عالجها الوحي الإلهي، حيث اتّخذ التّصوير الفني في القرآن الكريم سمات وخصائص عديدة، مخالفة لما عليه التّصوير في الأدب العربي، ومن هذه السّمات والخصائص:

2.1 **أثر الصّورة الفنيّة القرآنيّة في بعث اللغة:** تبدو جليا قيمة التّصوير في الخطاب القرآني على اللغة العربيّة، حيث يراها بعض الباحثين أنّها ثلاثة أرباع موضوعات القرآن الكريم[6]، لما لها من وقع على النّفوس، وتجسيد المعنى المجرّد في صورة المتخيّل المحسوس.

إنّ قراءة الصّورة القرآنيّة بمسلّمات لا تقبل الرّد ولا الإنكار، هو مزيّة من المزايا التي اتّخذها الخطاب القرآني في تصوير الحقائق الغيبيّة، ممّا أضفى على اللغة العربيّة بعدا أدبيا آخر ودفعا جديدا، وصفه بعضهم بأدب القرآن تمييزا له عن الأدب العربي قائلا: «أعتقد أنّه من المسلّمات، التي لا تقبل الجدل ولا المناقشة أن وصف الأدب بالقرآنيّ كالعنوان، أو إضافته إلى القرآن الكريم مثل قولنا: "أدب القرآن" تضفي على الأدب سمات القرآن وخصائصه؛ فيُتخذ طريقًا ومنهجًا مخالفًا للأدب العربي ونقده، ولا يظن عاقل أن نتعامل مع أدب القرآن، كما نتعامل مع الأدب العربي ونقده فهذا شيء آخر ومختلف تمامًا».[7]

وقد تتشكّل الصّورة الفنيّة في الخطاب القرآني بنفس الآليات في الخطاب البشري غير أنّها في الخطاب الإلهي تعدل عن مخاطبة العقل البشري إلى مخاطبة أحاسيسه ووجدانه تصويرا لا تقريرا لتحقّق الإعجاز «فهي صورة تتوافر فيها كلّ تشكيلات الصّورة الفنيّة وعناصرها قديمها وحديثها، إلاّ أنّها متميّزة متفرّدة معجزة في بنائها ووظائفها وطريقة تشكيلها وسماتها ومستوياتها، فهي تأتي على مثال، لا يستطيعه كائن بشري، وهي وجه من وجوه الإعجاز القرآني العظيم، فهي من عند المبدع الأعظم».[8]

إنّ عنصر المتلقّي جزء هام في الصّورة القرآنيّة، ليعيد تصويرها في مخيّلته من جديد قصد التّفاعل معها، ذوقا وفنا وانخراطا، بعكس الصّور الميّتة التي لا تحدث في النّفس تحريكا ولا انفعالا، حيث إنّ «الخطاب القرآني بعامّة والجانب القصصي منه بخاصّة قد حفل بهذا النّمط من الصّور، واستدعاه ضمن الأنماط الفنيّة الأخرى للصّورة. وتكمن قيمتها الجماليّة في الخطاب القرآني في مداعبة الذّوق الفني للمتلقّي واستثارته بين الفينة والأخرى لينخرط في أجواء الغرض التّبليغي الذي سيقت له بعض الوقائع المستقاة من القصص القرآني».[9]

2 **الخطاب القرآني هو المرجع عند الاختلاف:** تعدّدت معالم الاعجاز في الخطاب القرآني، وما يهمّنا في هذا الصّدد هو الإعجاز اللغوي الذي اتّسم به لغو

الوحي القرآني، الذي كان بحق معجزة خالدّة تضمن للغة العربيّة بقاءها ودوامها ومواكبة ألفاظها وتراكيبها لأحداث الزّمان والمكان فلكلّ مقام مقال، وهناك سؤال يتبادر إلى الأذهان هل القرآن حافظ للغة أمّ اللغة حافظة له ؟، ويجيبنا عن هذا التّساؤل الطّبيعي الذي يتبادر لذهن كل باحث ومتشوق لأسرار لغتنا، قول الباري سبحانه "**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**"[10] وبذا يتجلى افتقار اللغة العربيّة للقرآن ودوامها بدوامه.

لقد سحر الخطاب القرآني البشريّة جمعاء يوم نزوله، فمنهم من اطمأن له وذاق حلاوة بيانه، وجمال لغته فأعلن إسلامه، ومنهم من نكص على عقيبه جاحدا قوّة بلاغته متّهما إيّاه بالسّحر والكهانة، مع أنّ في ذلك إقرار بين، وتأثير واضح له في نفسه، ولولم يكن كذلك لم يكن له أثر لا سلبا ولا إيجابا، فكان نزوله هو نزول للفطرة اللغويّة العربيّة السّليمة، التي ستكون مصدر الرّجوع إليها عند الاختلاف في قضايا اللغة، فلقد «كان العرب على حال يتوهّم فيها كل قبيل منهم أنّه أسلمُ فطرة في اللغة وأبينُ مذهباً في البيان، ... ولا يجدون المثال الفطري الكامل الذي تُقاس إليه القدرةُ والعجزُ... ولأنّ قابل الكمال لا يكون في نفسه حداً للكمال، ومن أجل هذا كان رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – مع أنّه أفصح ذي لسان وأبلغُ ذي لبٍّ، لا يقاس كلامه بالقرآن، ولا يقع منه إلاّ كما يقع سائر الكلام، مع أنّه بين كلام النّاس الغايّة التي ليس بعدها»[11] ويؤكّد الوحي تأكيدا قاطعا بأنّه مصدر التّحاكم إليه عند الاختلاف وأنّ اللغة البشريّة تبقى قاصرة ومحتاجة إلى مصدر يكون سبب ثرائها اللغوي، ومرجعه عند اختلاف علمائها، فقال سبحانه: "**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (27) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**"[12] .

يوجهنا الرّافعي إلى محل الشّاهد في الآيّة فيقول: «وينبغي لك أن تطيل النّظر في قوله تعالى: **(غَيْرَ ذِي عِوَجٍ)** وتقف على موقع هذا الفصل من الآيّة، وتتأمّل لفظة (العِوَج) فضل تأمّل،... فتراها تصف القرآن بأنّه فطرةُ هذه الفطرة العربيّة

نفسها. وإنّها لكلمة من الوصف الإلهي ترجح في موقعها بالكلام الإنساني كلّه. فقد وضّح لك أنّه لولا القرآن وأسراره البيانيّة ما اجتمع العرب على لغته، ولو لم يجتمعوا لتبدّلت لغاتهم بالاختلاط الذي وقع ولم يكن منه بد، حتى تنتقض الفطرة وتختبل الطّباع، ثمّ يكون مصير هذه اللغات إلى العفاء لا محالة، إذ لا يخلفهم عليها إلاّ من هو أشدّ منهم اختلاطاً»[13].

3 أثر الخطاب القرآني في الشّعر العربي: تتجلّى الفطرة السّليمة للشّعر العربي بموافقتها للخطاب القرآني، حيث دعا فطاحلة العربيّة وعلماء التّفسير بالرّجوع إلى الشّعر العربي القديم المنسجم مع الفطرة السّليمة، وهذا يؤكّد سلاسة ألفاظ القرآن الكريم وسلامتها من الخطإ واللحن، ولو لم يكن الخطاب القرآني هو النّموذج الأعلى في ألفاظه وعباراته، لكانت الدّعوة بتعديل آياته وفق قديم الشّعر العربي بل كان نزول القرآن الكريم نزولا يتناسب واحتياج اللغة العربيّة لمصدر يحفظ لها قواعدها وأركانها التي تقوم عليها ويتحقّق لها بها الإعجاز فقد «روي الأنباري عنه أنّه قال: إذا سألتّموني عن غريب القرآن فالتّمسوه في الشّعر فإنّ الشّعر ديوان العرب. ولعلّ أستاذه في هذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد كان عمر يسأل أصحابه عن معنى قول الله تعالى: "**أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ**"[14]. فيقوم له شيخ من هذيل فيقول له: هذه لغتنا. التّخوف: التّنقّص»[15].

بعد النّظر والتّأمّل وموازنة علماء العربيّة بين بلاغة الشّعر وبلاغة الخطاب القرآني وأثره فيه، تبين أن سمو البلاغة القرآنيّة لا تضاهيه أي بلاغة، وأنّ النّسج على منواله هو عين الخطإ والزّلل، لأنّ الله تعالى نفى عنه الشّعريّة ولهذا «كره ابن سنان وابن الأثير لطوال الكلمات في الشّعر واستحبابها في القرآن، والقضيّة لم تكن في الطّول بقدر ما تكون في التّشكيل الصّوتي ومادّته ونغمته...»[16].

يمثّل لذلك في خطاب المولى تعالى إذ يقول تعالى عن سليمان عليه الصّلاة والسّلام: "**فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً**"[17]، ففي كلمة «رخاء» جزئيات الحركة المعنيّة، وتصوير للحدث، وذلك بعيدا عن المعنى، فالصّوت هو الذي

يوحي الآن ويرسم الحركة في عمليّة نطق تحاكي الحدث، فإنّ الضّمة على الـرّاء تعني انضمام الشّفتين على حرف ليس من حروف اللّين، واستدارة الشّفتين تتطلّـب جهدا، وفي هذا قوّة الرّيح، ثمّ يأتي الانتقال من الضّمّ إلى الفتح على حرف حلقـي ليدعو إلى تصوّر بدء سهولة، وتكثر السّهولة في مدّ الألف، ... ممّا يمثّل طواعيّة الرّيح للنّبي بأمر الخالق ولا يكون هذا في كلمة سوى «**رخاء**»[18].

نلمس من هذا أنّ الخطاب القرآني له منهجه في التّعبير والتّصوير الذي يفتقـر إليه جميع علماء العربيّة وهو سر إعجازه «وقد طرق القدامى هذه المسألة، وعلى وجه الخصوص قدامى علماء اللغة، كابن جني في «الخصائص» وهي تـدعى ب «الأونوماتوبيا» أي محاكاة الوضع اللغوي لمظاهر الطّبيعة، وفي العربيّـة الكثيـر من المفردات المحاكيّة، وقد استخدم القرآن مثل هذه المفردات عند ما بثّ الحركـة فيها وجسّم معانيه، وخاطب الحواسّ عند تقديم الذّهنيات»[19]. حيث تميّز الخطـاب القرآني بلغة لم تعهدها العربيّة من قبل، لغة تميّزت بتراكيب وأساليب راقيّة، تتطلّع إليها أفئدة الفصحاء والبلغاء.

4 **أثر الخطاب القرآني في توليد المعاني والدّلالات:** لقد عدل الخطاب القرآنـي جملة من المفاهيم التي استقاها العرب من تراث الفلاسفة اليونانين، وبذا أدركوا أنّ لغته لغة علم وإدراك للحقائق حيث «ينصّ البيان القرآني على أنّ الأشـياء ليسـت جميلة لذاتها بل لمنفعتها للإنسان في الوقت نفسه، ... فالموقف الجمـالي بحسـب المنهج القرآني يقول بالغائيّة، إلاّ أنّه يدعو إلى التّرفّع عن المنفعة الماديّة المباشـرة فلا يرتبط بالنّافع مباشرة كما في فلسفة سقراط،... لقد تحدّث علماؤنا بوضوح عن المفاهيم الجماليّة خلافا لتعقيد الفلاسفة الغربيين وتناقضهم أحيانا، كما نجد هذا فـي الجمال عند هيغل ومسألة المطلق والرّوح وأمثال هذه المصطلحات الغامضـة، أو تعلّق الجمال بالحدس كما هي الحال عند كروتشه»[20].

إنّ الغائيّة التي وجّهنا إليها الخطاب القرآني، جمعت في سـياقتها كـلّ أنـواع الخطابات القرآنيّة التي تعدّدت صورها البيانيّة والجماليّة حول القضـيّة الواحـدة

فتقرأ القصّة القرآنيّة الواحدة في سورة مثلا، وتعيدها بأسوب مغاير جميل في أخرى فلا تملّ من قراءتها وكأنّها خطاب جديد شيّق على سمعك، ولذلك فهو خطاب للأرواح والأحاسيس والوجدان إذ «الجميل في القرآن كل ما يخاطب المشاعر، وما يتّصف بمعنى المؤثّر في أرقى أشكاله، إنّ في تصوير ما ترتاح إليه العين والأذن، أو في ما ينفّر عنه التّصوير من خلال دقّة بارعة لتصوير القبيح كما في رسم مشاهد الكفار ولذلك نقول: إنّ الغائيّة الأخيرة في الجمال القرآني غائيّة دينيّة، هي هدايّة البشر بالتّرغيب والتّرهيب، وإنّ هذه الغائيّة تعتمد على فنون اللغة بغناها، وتبثّ فيها روح السّموّ، فالقرآن معجزة بيانيّة»[21].

إنّ مبدأ الانسجام هو أساس التّعبير القرآني، وهذا ما يفتقده الخطاب البشري في كثير من أحيانه، سواء بين اللفظ ومعناه أم السّياق العام «وفي نهايّة المطاف نؤكّد أنّ المفردة القرآنيّة تجاوزت حدودها المعجميّة، وقد تجاوزت أحيانا إيحاءاتها المعهودة، واعتمدت التّأثير الحسّي، وحافظت على تلازم الشّكل والمضمون، وهي قد أنبّأت باسمى التّنظير الفني في عصرنا»[22] وقد أشار قدامى اللغة العربيّة إلى إشكاليّة استعمال بعض الألفاظ في غير محلّها وموقعها الصّحيح لإيراد المعنى المناسب يقول الجاحظ «وقد يستخف النّاس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحقّ بذلك منها. ألا ترى أنّ الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلاّ في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظّاهر. والنّاس لا يذكرون السّغب[23] ويذكرون الجوع في حال القدرة والسّلامة. وكذلك ذكر المطر، لأنّك لا تجد القرآن يلفظ به إلاّ في موضع الانتقام. والعامّة وأكثر الخاصّة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث. ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنّه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين. ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين، ولا السّمع أسماعا. والجاري على أفواه العامّة غير ذلك، لا يتفقّدون من الألفاظ ما هو أحق بالذّكر وأولى بالاستعمال...» [24] ثمّ يضيف الجاحظ ما سار

عليه الشّعراء في شعرهم قائلا: «ولذلك صرنا نجد البيت من الشّعر قد سار ولم يسر ما هو أجود منه، وكذلك المثل السّائر»[25].

لقد استنبط علماء اللغة وفق ما أورده الخطاب القرآني قواعد علميّة يجب العمل وفقها لبلوغ أسمى الخطاب وأقواه بلاغة وبيانا وأكثر توافقا مع استعمالات الخطاب الالهي فأورد الخطابي (ت: 388هـ) أنّ : «الكلام يقوم بأشياء ثلاثة لفظ حامل ومعنى به قائم وربط لهما ناظم، ثمّ إنّ القرآن هو الذي جمع نهايات الفضل في هذه العناصر الثّلاثة، فإذا تأمّلته وجدت هذه الأمور منه في غايّة الشّرف والفضيلة حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظما أحسن تأليفا؛ وأشدّ تلاؤما وتشاكلا من نظمه، وأمّا المعاني فلا يخفى على ذي عقل أنّها هي التي تشهد لها العقول بالتّقدم في أبوابها والتّرقي إلى أعلى درجات الفضل في نعوتها وصفاتها وقد توجد هذه الفضائل الثّلاث على التّفرق في أنواع الكلام , فأمّا أن توجد مجموعة في نوع واحد منه فلم توجد إلاّ في كلام العليم القدير»[26].

وأشار الجرجاني وهو من فطاحلة اللغة العربيّة بلا منازع إلى جمال التّعبير العربي، إن قام على شروط البلاغة والفصاحة التي جاء بها الخطاب القرآني فيقول في وصف مصطلح الاستعارة : «إن شئت أرتك المعانيَ اللطيفةَ التي هي من خبايا العقل، كأنّها قد جُسِّمت حتى رأتها العيون، وإن شئتَ لطَّفتِ الأوصاف الجسمانيّة حتى تعود رُوحانيّة لا تنالها إلاّ الظّنون، وهذه إشارات وتلويحات في بدائعها، وإنّما ينجلي الغرض منها ويَبين، إذا تُكُلِّم على هذه التّفاصيل، وأُفرِدَ كُلُّ فن بالتّمثيل»[27].

5-خاتمة: تتجلّى عظمة الخطاب القرآني في سحر عباراته وألفاظه وتراكيبه هذا السّحر والجمال أعطى للغة العربيّة دفعا ورقيا وعظمة تجلت في مناحي عدة حيث صارت اللغة العربيّة:

– لغة علم وحضارة، ولغة إنسانيّة تتّسع اتّساع الخطاب القرآني في أرجاء المعمورة، صالحة لكلّ زمان ومكان تتناسب وجميع مستويات البشريّة، قادرة على احتضان جميع العلوم والمعارف الإنسانيّة بأقدر تعبير وأنسبه لجميع التّخصّصات.

– الخطاب القرآني هو الجنسيّة اللغويّة العربيّة، يتنسب إليها كل أصحاب اللسان العربي، فإليه يصوّبون أفكارهم، وعليه يعتمدون في نطقهم وتفكيرهم؛

– الخطاب القرآني مصدر تهذيب اللغة وتخليصها من حشو الكلام ورديئه ومناسبة شكله لمضمونه وتصوير الحقائق لفظا ومعنى وكأنّ صورة الحرف تنطق وتعبّر عن المعاني قبل النّطق به؛

– تتجلّى عظمة الخطاب القرآني وتطويره للغة العربيّة من طرف خصومه وأعدائه، حيث خدمه الطّاعنون بطعنهم في ألفاظه وعباراته ومعانيه من حيث لم يشعروا؛

– حرص علماء اللغة على تتبع أسرار الخطاب القرآني ومكامن إعجازه لترقيّة اللغة العربيّة وتطويرها؛

– العمل على استخراج القواعد السّليمة من الخطاب القرآني وتطبيقها على اللغة العربيّة شعرا ونثرا بغيّة الرّقي بها في مصاف لغة القرآن الكريم ومحاكاتها لغويا وبلاغيا.

الاحالات:

[1] سورة الإسراء آيّة 89 .

[2] عبد الله بن عبد الرّحمن الجربوع: الأمثال القرآنيّة القياسيّة المضروبة للإيمان بالله النّاشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلاميّة، المدينة المنورة، المملكة العربيّة السّعوديّة ط: 1 1424هـ/2003م ج1.ص12.

[3] سورة آل عمران الآيّة 7

[4] محمّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطّبري (ت: 310هـ): جامع البيان في تأويل القرآن،تح: أحمد محمد شاكر،النّاشر: مؤسسة الرّسالة،ط: 1، 1420 هـ - 2000 م،ج1 ص75.

[5] الشّعراء الآيّة 195.

[6] ينظر صلاح عبد الفتاح الخالدّي: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرّباني، دار عمار عمان ط1. سنة2000م، ص339.

[7] علي علي صبح: التّصوير القرآني للقيم الخلقيّة والتّشريعيّة، النّاشر: المكتبة الأزهريّة للتّراث ص35.

[8] محمد محمود صالح قاسم: التّشكيل البلاغي للصورة الفنيّة في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه سنة 1423ه- 2002م.ص24.

[9]نورالدّين دحماني: بلاغة الصّورة الفنيّة في الخطاب القصصي القرآني مقاربة تحليليّة في جماليات الأداء والإيحاء، رسالة دكتوراه، سنة2011،.ص243.

[10] سورة الحجر الآيّة 9.

[11] مصطفى صادق بن عبد الرّزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرّافعي (ت: 1356هـ): إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة، النّاشر: دار الكتاب العربي - بيروت. الطّبعة الثّامنة - 1425 هـ - 2005 م، ص58.

[12] سورة الزّمر آيّة 28.

[13] الرّافعي (ت: 1356هـ): إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة، ص58.

[14] سورة النّحل، الآيّة: 47.

[15] الصّحابي عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبــو العبــاس (ت: 68هـــ) غريب القرآن في شعر العرب ((مسائل نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس – رضي الله عنه وعن أبيه)): تح محمد عبد الرّحيم، أحمد نصر الله، النّاشر: مؤسسة الكتب الثّقافيّة، بيروت، لبنان، ط1 سنة :1993م– 1413ه، ص19.

[16]أحمد ياسوف: جماليات المفردة القرآنيّة، النّاشر: دار المكتبى – دمشق، ط1. سنة: 1419 هـ – 1999م،ص33.

[17] سورة ص الآيّة 36.

[18] المصدر نفسه، ص33.

[19] أحمد ياسوف: جماليات المفردة القرآنيّة، ص33.

[20] المصدر نفسه: ص16...18.

[21] أحمد ياسوف: جماليات المفردة القرآنيّة: ص19.

[22] المصدر نفسه: ص34.

[23] ورد في القاموس المحيط مادة سغب: سَغِبَ، كَفَرِحَ وكَنَصَرَ، سَغْباً وسَغَباً وسَـغَابَةً وسُـغوباً ومَسْغَبَةً: جاعَ، أَوْ لا يكونُ إلاَّ مَعَ تَعَبٍ، فهو ساغِبٌ وسَغْبانُ وسَغِبٌ

.[24] عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثــي، أبــو عثمــان، الشّــهير بالجــاحظ (ت: 255هــ): البيان والتّبيين، النّاشر: دار ومكتبة الهــلال، بيــروت، عــام النّشــر: 1423 هـــ، ج1.ص41.

[25] المصدر نفسه: ج1.ص41.

[26] أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت: 388هــ): بيان إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، النّاشر: دار المعــارف بمصــر ط: 3، 1976م، ص27.

[27] أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمد الفارســي الأصــل، الجرجــاني الــدّار (ت: 471هــ): أسرار البلاغة، تح : محمود محمد شاكر، النّاشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة ص43.

العربيّة لغة العلوم

د. حبيب زحماني فاطمة الزّهراء

جامعة وهران

الملخّص: إنّ قوّة اللّغات لا تقاس بعمرها، ولكن بمدى استيعابها لمفاتيح العلوم، من مصطلحات ومؤلّفات، ومدى انتشارها على نطاق واسع بين مستعملي هذه اللّغة. ولكن ما قولنا في لغة اجتمع فيها العمر المديد كاللّغة العربيّة، إذ أنّها تبلغ ستة عشر قرنا ونيفا وقد سبق لها ومازالتّ تكتب علومها وعلوم غيرها، بل إنّها لغة حضارة مجيدة سادت العالم لمدّة سبعة قرون من الزّمن؟

ومؤدّى هذا الكلام، أنّها لغة العلوم بدون منازع، رغم ما يعتريها اليوم من وهن ليس في ذاتها ولكن في الشّعوب النّاطقة بها، نتيجة الظّروف التّاريخيّة المتمثّلة في الحمايّة والاستعمار الغربيين، منذ مطلع القرن التّاسع عشر الميلادي.

كلّنا يتذكّر الهمّة العاليّة التي اتّصفت بها القيادات الوطنيّة بُعيد الاستقلال، في قرار منها بتعريب العلوم، وكلّنا يذكر ما آل إليه مشروع التّعريب اليوم، حيث ما تزال الكلّيات العلميّة تتّخذ اللّغة الفرنسيّة لغة العلوم، ككلّيات الطّبّ والهندسة والإعلام الآلي والكيمياء والبيولوجيا...

ما المشكلة؟ وما الذي يعيق تعريب العلوم، والأحرى أن نقول ما الذي يحول دون بعث العلوم بالعربيّة فكرا وتأليفا وتعليما، وقد شهدت الدّنيا كلّها للعرب أنّهم كتبوا بلغتهم في الفلسفة والمنطق والجبر والهندسة والفلك والطّبّ والتّشريح وعلم الهيئة...؟ وكيف للغة كهذه تستبدل بلغات أجنبيّة في تعلّم وتعليم العلوم، إنّ التّفسير الوحيد لهذا السّلوك، هو اعتراف أكيد بعجز لغتنا عن أداء دور ريادي في عالم اليوم.

ولنتصوّر معا كيف سيبدو العرب إذا ما أعادوا توطين العربيّة داخل بلادها بعد أن غرّبت تغريبا، من خلال سرد وقائع موثّقة سجلّها التّاريخ تروي تطوّر العلوم بلغة العرب.

المداخلة:﴿ وإنّه لتنزيل ربّ العالمين. نزل به الرّوح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربيّ مبين ﴾

نحن بحاجة إلى أن نتصالح مع اللّغة العربيّة، بعد ما التّ إليه من إهمال بل وجحود عند الشّباب وكبار السّن على حدّ سواء، ولعلّ كلّنا لاحظ الإعراض الذي يبديه النّاجحون الجدد في البكالوريا، ونفورهم الشّديد من شعبة الآداب. وما يحزّ في نفسي بل ويقهرني أنّ الأمم كلّها تبجّل لغاتها وتستثمر فيها بقيم خياليّة من أجل أن تحتلّ الرّتبة الأولى أو الثّانيّة في قائمة اللّغات السّائدة، ومثالنا على ذلك ما تفعله فرنسا في مستعمراتها القديمة من تكثيف لجهودها بغرض إطالة عمر الفرنكفونيّة آمادا، وما فعلته إسبانيا في وقت غير بعيد، تعصبا للغتها، وهي محقّة في ذلك على كلّ حال، إذ أنّها أغلقت السّبل على أبنائها وانتهجت سياسة تعليميّة تجعل الإسباني شخصا أُحادي اللّغة وما تقوم به إنجلترا فحدّث به ولا حرج.

أمّا العرب فـ"لم [يتحامل] قوم على لغة كان لها فضل وجودهم الحضاري ومكانتهم الإنسانيّة على نحو ما[تحامل] ناس منّا على لغتهم... اتهموها بالخروج على المنطق وأنّها لا تنقاد قواعدها إليه. وقذفوا خطّها وحروفها بل دعوا إلى تبديلها... وأخرجوها من نطاق الطّبيعة التي تنتظم اللّغات كلّها حين زعموا أنّك في اللّغات الأخرى تقرأ لتفهم بينما نحن في العربيّة نفهم لنقرأ. وقالوا في نحوها وصرفها ما لم يقله مالك في الخمر"[1]. ورغم كلّ ذلك إلاّ أنّ العربيّة بلغت الرّتبة الخامسة عالميا من حيث عدد مستعمليها، بعد الانجليزيّة والصّينيّة والإسبانيّة والهنديّة، وتحتل المرتبة الثّانيّة عالميا من حيث التّردّد على وسائل التّواصل الإلكترونيّة، أليست هذه مفارقة عجيبة!؟ وإنّي هاهنا أتمثّلها أرضا مباركة أصابها طلّ فاخضرّت ونمت، فما بالنا إذا أصابتها الأمطار؟

لابدّ أنّه سيحدث لها ما حدث معها في العصر الذّهبي للحضارة العربيّة والإسلاميّة حيث كتبت العلوم بها، في موقف ثقافي حازم، ومنحى تاريخي جازم بحيث اختار العلماء الأوائل التّرجمة إلى العربيّة.

سأبدأ من حيث البدايّة، من حيث أوّل اختراع في حضارة العرب، إنّه الصّفر، وقد يتساءل سائل ليقول وهل الرّمز اختراع؟ فعلا إنّه كذلك، فهو ما وافق ثنائيّة الشّكل والمضمون، أو المعنى واللّفظ ... والرّمز هو الوجه الثّاني للمفهوم، فبدون كلمة أو شكل لا يمكن الوقوف عليه أبدا. ثمّ إنّه قد تمّ إطلاق اختراع على الكتابة أو ما يعرف بالتّمثيل الخطّي للأصوات اللّغويّة، فلا غرو من اعتبار رمز الصّفر ابتكارا، خاصّة أنّه أذرّ بالخير الكثير على الرّياضيات، وسأقف عند هذه الفكرة بالتّفصيل لاحقا.

إنّ الكثير من الطّلبة والتّلاميذ وحتى بعض الباحثين، في غير علوم اللّغة العربيّة وآدابها، يعتقدون أنّ الصّفر بدأ مع الخوارزمي[2]، أحد أعلام الرّياضيات، على أساس أنّه عالج الموضوعات المتعلّقة بالجبر بطريقة مختلفة بعد أن تداولت الأمم المتحضرة على مفاهيم أساسيّة في علم الجبر قبل أن تصل إلى الخوارزمي فكتب التّاريخ تروي أنّ العرب قد ورثوا مفهوم الصّفر، دون رمزه، من الهنود وذلك عندما وفد أحد علمائهم المسمّى" براهما كوبتا" إلى الخليفة المأمون وشرح للحاضرين مفهوم الصّفر ومن بينهم الخوارزمي. وهنالك دخلت هذه الفلسفة إلى بلاد المسلمين[3] . وإضافة إلى ذلك أن الخوارزمي هو أوّل عالم أضاف الصّفر إلى مجموعة الأعداد وقد أطلق الشّاعر الإنجليزي تشوسر كلمة "أوجريم" "Augrim" للدّلالة على الصّفر على اعتبار أنّ مفهوم الصّفر وصل إلى الغرب من طريق هذا العالم المسلم النّاطق بالعربيّة[4].

إلاّ أنّ الأمر الذي لا يكاد يتبيّنُه الجمهور اليوم، هو أنّ الخليل بن أحمد الفراهيدي هو أيضا تحدّث عن مفهوم الصّفر، خاصّة إذا علمنا أنّ له باع في الرّياضيات، إذ أنّه ذكر مفاهيم دقيقة تتعلّق بها، من نحو علم الحساب وعلم الجبر واصطلاح الصّفر واصطلاح الجذر والجداء، وقال عن الصّفر معرّفا إياه: " الصّفر الشّيء الخالي"[5]. وأنّه هو من وضع السّكون في مقابل الحركة ورمز له بخاء مخلاّة من النّقطة، ثمّ حُذف رأس الخاء وبقيت المطّة. ويروي أبو عمرو الدّاني، العالم الفذّ الذي اختصر قواعد الرّسم والضّبط وفصّل فيهما في مصنّفات عديدة، أنّ أهل المدينة كانوا يضبطون السّكون في المصحف بوضع دارة بالحمرة[6]، كما كرّس الخليل مفهوم

الصّفر من خلال السّكون، بل ورمز له في علم العروض، وبالضّبط في رموز التّقطيع. ولذلك قيل إنّ: "الحركة والسّكون : كمفهومين فيزيائيين، استعملهما الخليل لدراسة الشّعر والموسيقى وبعد ذلك اللّغة العربيّة، إذ استطاع أن يكتشف (الإيقاع) و(النّغم) و(الوزن) في الشّعر بل وفي النّثر أيضا وإلاّ كيف التّمييز بين الأسماء المشتقّة عن طريق (الإصاتة) لو لم تكن لها أوزان معلومة أساسها الحركة والسّكون، مثل:" فاعل" (الألف) للفعل كقاتل، و"مفعول" (الواو) للانفعال كـ: مجروح ... ، وهكذا فالصّورة الصّوتيّة هي التي تعطي للمشتقّات دلالتها المنطقيّة، وهذه دلالة أخرى على ثبات العلاقة بين (الصّوت) و(المعنى)"[7] .

هناك معطى تاريخي يمكن أن يربكنا في تحديد صاحب السّبق أو يكاد، وهو أنّ الخليل توفّي سنة 791م، عن عمر يناهز 70 عاما، وأنّ الخوارزمي عاش في فترة المأمون من 813م إلى 833م، فهما متعاصرين، فمن قال به أوّلا؟ وعلى كلّ ومهما كانت الإجابة فإنّ ما يعنينا هو مساهمة الحضارة العربيّة في نقل صرح عظيم من صروح العلم والتّكنولوجيا من الحضارات السّابقة وتحديدا حضارة الهند إلى أروبا التي طوّرت فلسفته في كلّ من الفنّ والعلم ولولا وجود الصّفر كمبدأ لما تمّ اختراع الحواسيب التي تعتمد في إنشائها على النّظام الثّنائي.

أقول بعد هذا إنّ الخليل كان قد أومأ للصّفر في كتابه العين في مادة صفر، وقال: "معناه انعدام الشّيء"، وكان للخوارزمي دور جليل في استعماله في الجبر، لينتشر في أوروبا بعد ذلك فاسحا المجال لآفاق علميّة لم تكن في الخيال. وكان الفيلسوف والرّياضي الإيطالي فيبوناتشي في بدايّة الألفيّة الثّانيّة هو الوسيط في نقل الصّفر إلى أوروبا. ورغم تعصّب الحكومات المحلّيّة في إيطاليا، ومن يقول إيطاليا يقول الفتيكان التي كانت تكنّ الكره الشّديد للأعداد العربيّة، إلى درجة أنّها منعتها سنة 1299، غير أنّها رضخت بعد ذلك للضّغوطات التّجاريّة، وسمحت في النّهايّة أن تستعمل في إيطاليا وبعدها غزت أوروبا كلّها[8].

إنّ ما قد نلاحظه في تاريخ الصّفر، وكيف ولد في الهند واكتمل عند العرب من خلال علم العروض وعلم الجبر وكيف ترجم إلى اللغة العربيّة، وكيف انتقل إلى أوربا وما أحدثه من ثورة علميّة، صحيح وموافق لما حدث بالنّسبة لبقيّة المكتشفات والاختراعات.

كان بإمكان العرب في مطلع العصر الذّهبي لحضارتهم أن يتعلّموا لغات غيرهم بغيّة فهم المخطوطات التي وصلت إليهم من الهند واليونان والفرس، ولكنهم اختاروا الاختيار الأفضل، وقد وصفته بالاختيار الثّقافي الحازم، ألا وهو التّرجمة، كما حدث مع كتاب (السّند هند) الذي أمر المنصور بترجمته إلى العربيّة وتأليف كتاب على نهجه، فترجمه محمّد بن إبراهيم الفزاري ووضع على نهجه كتاب (السّند هند الكبير) ويروى أنّ الخوارزمي أعاد كتابته وتنقيحه، ووضع كتابه (حساب الجبر والمقابلة) مؤسّسا علم الجبر، ومن الأمثلة على أصالة الرّيّاضيات التي طوّرها العرب عن الهنود أنّه لا تزال بعض المصطلحات العلميّة تسري في جسم الرّياضيات التي طوّرها الغربيون إلى اليوم كلمة (Algèbr) و(Logarithme).

وقد عرفت الحضارة العربيّة الطّبّ، وطوّرته، حتى أنّه قيل: "كان الطّبّ معدوما فأوجده بقراط، وميّتا فأحياه جالينيوس، ومتفرّقا فجمعه الرّازي، وناقصا فأكمله ابن سينا"[9]. وسرت الكثير من الألفاظ العربيّة إلى اللّاتينيّة، من نحو (alcool)، و(sirop) من كلمتي (الكحول) و(شراب) بسبب من أخذ الأوروبيين الطّب عن العرب، وتبعا لتوافد الطّلبة إلى بلاد العرب، ونتيجة لحركة التّرجمة التي نشطت في أوروبا بعد ذلك.

أمّا علم الكمياء فقد اتّخذ مكانه بين العلوم التّطبيقيّة عند العرب أوّل مرّة، كما جاء ذلك على لسان كارلو نلينو عن ابن القفطي، حين ترجم خالدّ بن يزيد بن معاويّة المعروف بحكيم آل مروان لشدّة ولعه وشغفه بالعلوم، وبمساعدة من جماعة من الفلاسفة اليونانيين المتقنين للعربيّة، كان قد استقدمهم من مصر، وأمرهم بترجمة كتب الكيمياء من اللّسان اليوناني والقبطي إلى العربي، ووضع بعد ذلك عدّة رسائل في الكيمياء، ثمّ تبعه كلّ من جابر بن حيان وفخر الدّين الرّازي[10]، وكان الفوز للُغة الباديّة

أنّها أصبحت لغة العلوم، بما فيها علم الفلك الذي لن أتحدّث عنه مطولا وسأدع الشّكل الآتي يعبّر عن نفسه.

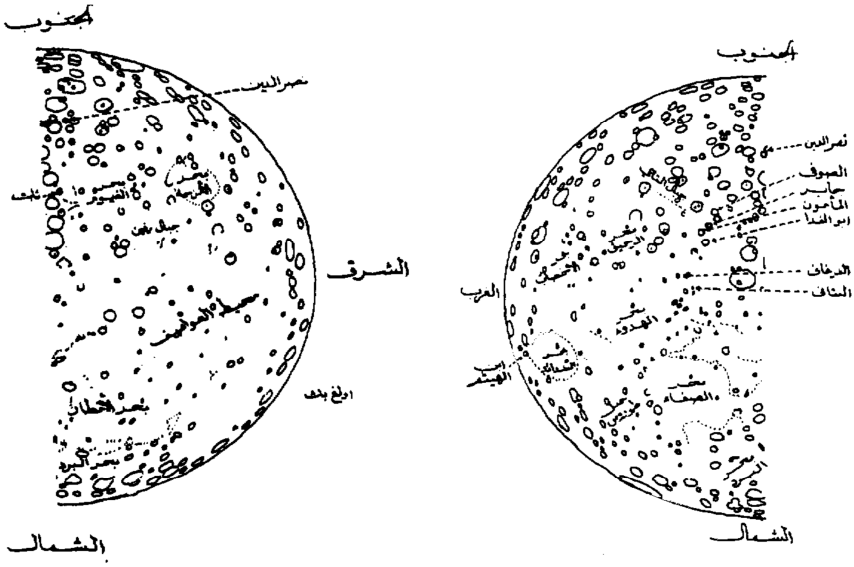

■ شكل رقم (١) نصف القمر الغربي ■ ■ شكل رقم (٢) نصف القمر الشرقي ■

إنّه شكل نصفيّ القمر، رُسم بعدما اكتشف المرقب الفلكي في بدايّة القرن السّابع عشر الميلادي، وهو يُثبت الفوهات الموجودة على سطح القمر، وقد أطلق عليها هيفيليوس وهو يرصدها أسماء عربيّة، ويبدو الشّمال معكوسا، لأنّ المرقب أو المنظار يكس الأجسام التي يعاينها. ومن بين أسماء الفُوهات: أبو الفدا، جابر، المأمون، ابن الهيثم، البتّاني، الفرغاني، نصر الدّين... ولا تزال النّجوم الثّابتة تحمل أسماء عربيّة إلى غايّة العصر الحديث، مثل برج الجدي، الذي كان يلقب ببرج الرّكّبة وكان يطلق عليه هذا الاسم إلى زمن غير بعيد (Alruccabah)[11].

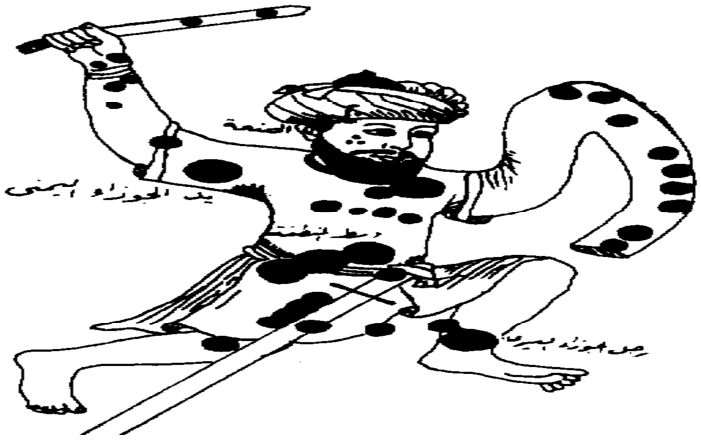

صورة كوكبة الجبّار للصّوفي وبياناتها العربيّة.

ولا تزال قائمة العلوم والمبتكرات طويلة وجدتها مفصّلة ومبوّبة، ومصوّرة، في المشروع الإنجليزي المسمّى بـــ: "**ألف اختراع واختراع**"، في تناصّ مع "ألف ليلة وليلة". وكم وددت أن أعرضه جزءا جزءا، لأنّه من المؤسف أن نتجاوز إنجازات تبدو صغيرة في مظهرها ولكنّها عظيمة في مضمونها، من نحو: تقويم قرطبة الذي أعدّه ابن البصّال عام 961م[12]، وكان بمثابة جدول للمزارعين، يبيّن لهم متى يزرعون ومتى يروون ومتى يحصدون، ومن مثل عمليّة تقطير الماء[13].

إنّ ما يهمّنا هنا هو أنّ كلّ ما أُنتج من معارف في الفلسفة والهندسة والعمران والتّهيئة المساحات الحضريّة، كالحدائق، والزّراعة والمخترعات، إنّما وصفت بلغة العرب. ومن أجل ذلك يجدر بنا عدّ بلاد العرب المختبر الذي أخرج المعارف إلى عالم التّطبيقات العلميّة باللّغة العربيّة، التي وحّدت بين شعوب مختلفة كوّنت فيما بعد أمّة منقطعة النّظير من حيث التّماسك والتّعايش، وفعلا "استطاعت العربيّة، بسعتها وثرائها وخصائصها، أن تستوعب الثّقافات والعلوم منذ أواخر القرن الأوّل للهجرة حين بدأ النّقلة والمترجمون والمعرّبون بترجمة كتب اليونان والفرس والهند وغيرها إلى العربيّة حينذاك، ولمدّة عدّة قرون، لغة العلم التي يصطنعها العلماء والمؤلّفون في جميع الأقطار الممتدّة من الأندلس غربا حتى أقصى بلاد ما وراء النّهر شرقا، وصحّ

وصفها بلغة العالم المتحضّر"[14]. ولكن للأسف قطع الاستعمار الأوربي أواصر هذه البلاد وصارت بلدانا متفرقة عاشت ردحا من الزّمان تحت وطأة الجهل الذي طال لغتها وثقافتها وجعل العرب يرتدّون على عروبتهم ولغتهم.

ثمّ بدأت جذوة التّعريب تشتعل من جديد في محاولات كثيرة، إلاّ أنّني أعتبرها محاولات مشتّتة في الزّمان والمكان لا تعدو أن تكون مطامح فئة مثاليّة غيورة على العربيّة، ولم يئن الوقت بعد لتجسيدها تجسيدا حرفيا على أرض الواقع. كان أوّلها، ما أحدثه محمّد علي باشا في مصر في مطلع عصر النّهضة، من إيفاد للبعثات العلميّة إلى أوروبا وتأسيس المدارس العليا للعلوم، وما رافق ذلك من حركة نشيطة للتّرجمة.

وكذا التّجربة السّوريّة، إلى وقت قريب، التي تكلّلت بتأسيس مجمع اللّغة العربيّة أو المجمع العلمي العربي، وقد نشأت نواته الأولى في دمشق. وكان البحث في علوم اللّغة العربيّة والحرص على سلامة هذه اللّغة وجعلها تتّسع للعلوم والفنون والمخترعات الحديثة هدفه. وعملت الجامعة السّوريّة بالموازاة مع المجمع ووفّرت الكتب والمصطلحات العلميّة لكلّيّة الطّبّ والحقوق. فكانت رائدة في ذلك، والجدير بالذّكر أنّها لا تزال تحتل رتبة الرّيادة إلى اليوم.

وتعمل المجامع العربيّة وتعكف على إنتاج مختلف الاصطلاحات العلميّة وغيرها باللّغة العربيّة وتحرص على أن تكون موافقة لنظام الصّرف والاشتقاق العربيين ناهيك عن مطامح معهد الإنماء العربي، واتّحاد الأطبّاء العرب، ومكتب تنسيق التّعريب في الوطن العربي[15].

ولا يفوتني هاهنا ذكر محاولة الجزائر في ستينيات القرن الماضي، إذ عدّته رهانا ثقافيا ووطنيا وقوميا، إلاّ أنّه اعترضت طريقه الكثير من العقبات، ونتيجة ذلك أنّ العلوم التّطبيقيّة لا تزال تدرّس بالفرنسيّة لغة المستعمر الذي أهلك الحرث والنّسل.

وفي الختام نقول إذا كان التّاريخ يعيد نفسه، فلم لا نسرّع خطاه ونعكف على التّرجمة وتعريب العلوم، ليحدث ما حدث مع حضارة العرب والمسلمين عندما ازدهرت وأينعت وها هي اليوم تُعد من بين أعرق وأكبر حضارات العالم.

الاحالات:

[1] تحت رايّة العربيّة، بحوث ومقالات في العربيّة ورجالاتها، ص367، د. محمّد حسّان الطّيّـــان رئيس مقررات اللّغة العربيّة، الجامعة العربيّة المفتوحة، الكويت. الطّبعة الأولى، 2008.

[2] الخوارزمي واسمه محمّد بن موسى، وأصله من خوارزم، وكان منقطعا إلى خزانـــة الحكمـــة للمأمون وهو من أصحاب علوم الهيئة، وكان النّاس قبل الرّصد وبعده، يعولون على زيجيه الأوّل والثّاني ويعرفان بالسّند هند، وله من الكتب أيضا كتاب الرّخامة وكتاب العمـــل بالاســـطرلابات كتاب عمل الاسطرلاب وكتاب التّاريخ. ولا يعلم عن تاريخ ميلاده ولا وفاته شيء، إلاّ أنّه عـــاش في فترة تولي المأمون للخلافة من 813 إلى833 بعد الميلاد. للاستزادة ينظـــر مقدّمـــة المعلّـــق والمقدّم لكتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي، علي مصطفى مشرفة ومحمّد مرسي أحمد، ص22.

[3] zero histoire d'un nul, dossier pedagogique par la compagnie Les Arts Pitres, spectacle scientifico-burlesque tout public à partir de 6 ans (8 ans en séance scolaire), 2012.

[4] كتاب الجبر والمقابلة، محمّد بن موسى الخوارزمي، علق عليه وقدم له: علي مصطفى مشـــرفة ومحمّد مرسي أحمد، ص12، مطبعة بول باربيه، 1937. جامعة المصريّة، كليّة العلوم.

[5] معجم الأمراض والعلل، الخليل بن أحمد الفراهيدي، المتوفى سنة 175هـــج 791م، دراســـة وتحقيق: أ.د خضير عباس محمّد المنشداوي، مؤسسة الأمة العربيّة للنشر والتّوزيع.

[6] المحكم في نقط المصاحف، أبو عمرو عثمان بن سعيد الدّاني، تحقيـــق: عـــزة حســـن، ص49 الطّبعة الثّانيّة، 1997، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريّة.

[7] https://journals.openedition.org/insaniyat/7503 إنسانيات المجلـــة الأنتروبولوجيّـــة والعلوم الاجتماعيّـــة، جعفـــر يلوشـــي، مـــن ص63 إلـــى ص83، العـــدد 21 : 2003 | 21 L'Imaginaire : Littérature – Anthropologie

[8] zero histoire d'un nul, dossier pedagogique par la compagnie Les Arts Pitres, spectacle scientifico-burlesque tout public à partir de 6 ans (8 ans en séance scolaire), 2012.

[9] نفسه.

[10] التّراث العربي، مجلة فصليّة تصدر عن اتّحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد السّابع – نيســـان أبريل 1982، مقالة: عن العرب والنّجوم، د. عبد الرّحيم بدر، ص13. وتحـــت رايّـــة العربيّـــة بحوث ومقالات في العربيّة ورجالاتها، محمّد حسان الطّيان، ص48 .

[11] للاستزادة ينظر: الثّرات العربي، الصّادرة عن اتحاد الكتاب العرب، مقالة: عن العرب والنّجوم عبد الرّحيم بدر، من ص13 إلى غايّة 36.

[12] 1001 اختراع واختراع وحقيقة مدهشة عن الحضـــارة الإســـلاميّة، ناشـــيونال جيوغرافيـــك ص79.

[13] نفسه، ص10.

[14] تحت رايّة العربيّة، ص47.

[15]نفسه، بتصرف، ص50، 51.

أنماط الأسئلة وفعاليّتها في تعليميّة اللغة العربيّة

Types of questions and their effectiveness in didactic Arabic

د. مسكين حسنيّة

جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم

ملخّص: تهدف العمليّة التّعليميّة إلى إحداث تغييرات معرفيّة وسلوكيّة لدى المتعلّم وحتى يتمّ التّحقّق من حدوث هذا التّغيير وقياس نسبته لابد من استخدام إجراءات معيّنة لعلّ أهمّها عمليّة التّقويم التّربوي، والتي من خلالها وعلى أساسها تتخذ القرارات المناسبة لتحسين وترقيّة الفعل التّربوي. وعلى هذا الأساس حاولت إنجاز هذا المقال بغيّة إبراز الدّور الكبير الذي تلعبه الأسئلة في ترقيّة الفعل التّربوي بصفة عامّة والفعل التّربوي في تعليميّة اللغة العربيّة بصفة خاصّة.

Abstract:

Didactic researches aim at grasping the learning technicalities and pedagogical facilities at the level of the educational/learning ground. The present paper, therefore, addresses the role and importance of the evaluation of learning and, more or less, the existence of a complementary academic assessment of both the teaching and learning process. On this basis, I tried to accomplish this article in order to highlight the great role played by the questions in promoting the educational act in general and the educational act in teaching the Arabic language in particular.

تمهيد: تلعب الأسئلة دورا كبيرا في عمليّة تعليميّة اللغة العربيّة، وهذه الأسئلة عادة ما تكون على شكل تمارين تطبيقيّة أو مقالات أدبيّة، تهدف إلى تزويد المتعلّم بالكفاءة اللغويّة وبعض المهارات الكتابيّة والشّفهيّة، وإذا اعتبرنا أنّ الأسئلة عامل مكمّل لعمليّة التّعلم والتّعليم، وجب علينا الاهتمام بهذه الأسئلة، فما هو السّؤال؟ وما هي أهمّ شروطه؟ وما مدى أهمّيته في تسيير العمليّة التّعليميّة؟.

مفهوم السّؤال: تختلف مفاهيم السّؤال بحسب أنواعه وتصنيفاته، ولكن مفهومه على العموم هو طلب للأداء بالإجابة، سواء أكان شفويا أم كتابيا، ويرى "رشيد طعيمة" أنّه يمكننا تحديد مفهوم السّؤال في الإطار التّدريسي على النّحو التّالي: "هو عبارة تنطوي على مطالبة المدرس للطلاب بالإجابة ترتبط بهدف تعليمي مقرّر" (طعيمة 1998 ص167)، وهذا ما يجعله أهمّ الوسائل المسهمة في تعليم اللغة كونه منشطا لحلقة الدّرس ومن خلاله أيضا يستطيع المتعلّم إبراز قدراته المعرفيّة والفكريّة والعقليّة.

أهميّة السّؤال وشروطه: إنّ قيمة السّؤال تكمن في تفعيله وتنشيطه للعمليّة التّعليميّة خاصّة إذا تعلّق الأمر بتعلّم اللغة، لأنّ الأسئلة الجيّدة تعني التّدريس الجيّد الرّاقي والمركز، والأسئلة بهذا المعنى تعد منفذا إلى الفكر الحي، ويظهر هذا من خلال ما تبرّزه هذه الأسئلة من معارف وأفكار، يستعين بها المتعلّم في تعلّمه للغة إذا استغلها استغلالا صحيحا، ومن شروط الأسئلة النّاجحة في تعليميّة اللغة العربيّة ما يلي:

_ أن تكون واضحة ومحدّدة؛

_ أن تكون بعيدة عن التّراكيب المربكة، ومتنوعة بين التّحصيل والذّكاء والموازنة والتّذوق الأدبي؛

_ أن يكون هناك تناسب موضوعي بين أجزاء السّؤال.

أنواع الأسئلة المتعلّقة باللغة العربيّة:

أ – أسئلة خاصّة بجانب اللغة: وفيها يطلب من المتعلّم شرح المفردات الصّعبة مستعينا بالقاموس ليتمكن من معرفة ألفاظ النّصوص وعباراتها، فيميّز بين المعنى السّياقي والمعنى المعجمي للكلمة، ويضيف إلى رصيده اللغوي مترادفات الألفاظ التي تساعده على التّعبير السّليم، كما يطلب منه أيضا في هذا الجانب استخراج أو شرح بعض المحسّنات البديعيّة أو الصّور البيانيّة لمعرفة مدى فهم المتعلّم للمعنى المقصود والقدرة على التّعبير عنه، فيكتسب القدرة على تطبيق القواعد البلاغيّة شفاهة وكتابة.

ولكن الملاحظ على هذا النّوع من الأسئلة أنّه لا مجال فيها للأسئلة التي تتعلّق بالنّحو كالإعراب، ومن ثمّ فالمتعلّم لا يتمكّن من تفعيل القواعد النّحويّة في خطابه، لأنّه

اكتفى بحفظها دون استعمالها، لأنّ الغرض من تعليم القواعد (قواعد النّحو) هو اكتساب المتعلّم القدرة العمليّة لا النّظريّة فقط في استعماله للغة، لأنّ القواعد النّحويّة تربي في المتعلّم القدرة على التّصرف في اللغة مع الأساليب البلاغيّة المختلفة.

ب- أسئلة التّحليل والتّأليف: تنقسم أسئلة التّحليل والتّأليف إلى الأنواع الآتيّة:

1- أسئلة تعتمد كلّيا على النّص: بحيث يكتشف المتعلّم الإجابة من خلال قراءته المتأنيّة للنّص، فيدرك المفردات المتواجدة فيه ويوظفها في مواقف الاتّصال اليومي كتابة وقراءة ومشافهة.

ومن هذه الأسئلة ما يبتدئ من العام إلى الخاص، فيطلب مثلا من المتعلّم تحديد الفكرة العامّة للنّص ككلّ، ثمّ يطلب منه تجزئته إلى فقرات ووضع عنوان لكلّ فقرة، لأنّ إدراك الكل قبل الجزء يسهل على المتعلّم عمليّة الفهم والتّلقي.

2- أسئلة تعتمد جزئيا على النّص: وهي التي تفسح المجال أمام المتعلّم ليعبر عن رأيه وفكره، كأنّ يطلب منه إعطاء رأي أو حكم على عبارة أو فكرة ما، ومثل هذه الأسئلة تفسح الطّريق أمام المتعلّم للتعبير والإفصاح عما في نفسه بأسلوبه الخاص وهذا ينمّي فيه مهارتي الكلام والكتابة.

3- أسئلة تنطلق من النّص: وفيها يطلب من المتعلّم توسيعها دون الالتّزام بالنّص المعروض، كأن يطلب منه مثلا كتابة مقال أدبي عن موضوع النّص، ومثل هذه الأسئلة تجعل المتعلّم قادرا على استعمال اللغة في شتى الظّروف بطريقة سليمة. وتظهر أسئلة التّحليل والتّأليف مبدأ التّدرج في الطّرح من الأسهل إلى الأصعب فالأسئلة في بدايتها تعتمد كليا على النّص ولا تحتاج إلى إعمال الفكر ولا تدفع بالمتعلّم إلى الابتكار، ثمّ تليها أسئلة تعتمد على النّص جزئيا وتفتح المجال أمام المتعلّم للتعبير والإفصاح، وهي تحتاج قليلا إلى إجهاد الفكر لتنتهي بأسئلة التّأليف الشّخصيّة، هذه الأخيرة التي تدفع بالمتعلّم إلى الابتكار وتشجعه على الإنتاج اللغوي (صياح ص129).

تصنيف الأسئلة حسب الأهداف المعرفيّة: تضمّ هذه الأسئلة جميع أشكال النّشاط الفكري لدى المتعلّم وخاصّة العمليات العقليّة ويحتوي هذا الجانب معظم الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها المدرسون على جميع أنواع التّعليم والتّكوين (سرير وخالدّي 1995، ص58)، ويمكن تصنيفها على النّحو الآتي:

الاختبارات التّحصيليّة: وهي على نوعين، اختبارات إنشائيّة ذاتيّة وأخرى موضوعيّة.

1) الاختبارات الإنشائيّة الذّاتيّة: سمّيت إنشائيّة لأنها تتيح للمتعلّم أن يعبّر بكلماته عن الجواب، وسمّيت ذاتيّة لأنّ تقدير درجاتها يتأثّر بذاتيّة المصحح، تنقسم هي الأخرى إلى:

أ_ أسئلة شفهيّة: هي أسئلة توجّه للمتعلّم شفهيا ويطلب منه الإجابة عنها شفهيا أيضا، تهدف إلى قياس مدى فهم المتعلّمين للحقائق والمفاهيم ومدى تذكرهم لها، وقدرتهم على التّعبير والإفصاح.

تستخدم الأسئلة الشّفهيّة لتقويم الكثير من المواقف التّعليميّة، كقدرة المتعلّمين على النّطق الصّحيح والقراءة الخطابيّة وإلقاء الشّعر وتلاوة القرآن والتّعبير عن أنفسهم شفهيا والدّفاع عن رأيهم.

أبرز مميّزاتها:

_ تنمّي قدرة المتعلّم على الإلقاء فيتخلى عن الخجل ويتعوّد على المناقشة؛

_ تترك الحريّة للمتعلّم في الإجابة وتظهر قدرته على تنظيم الأفكار واسترجاعها؛

_ تقيس بعض الأهداف السّلوكيّة التي تعجز باقي أنواع الاختبارات عن قياسها كالصّوت والإلقاء.

أبرز عيوبها:

– تتأثّر بذاتيّة المصحح واختلاف تقدير درجات المتعلّم من معلم إلى آخر؛

– لا تعطي المتعلّم الوقت الكافي للتّعبير عن قدراته؛

– تقتصر الأسئلة التي تطرح على كل طالب على مواضيع قليلة، وبالتّالي لا يمكن أن تكون شاملة؛

– تتطلّب وقتا طويلا لتنفيذها بحسب عدد المتعلّمين، رغم قلة عدد الأسئلة التي تطرح على المتعلّم الواحد.

ب–أسئلة كتابيّة: وفيها يطلب من المتعلّم أن يكتب بشكل حر جملة أو فقرة أو مقالا قصيرا أو طويلا حول موضوع معين يتحدد حجمه وفقا لمستواه، فيستخدم أسلوبه الخاص ويسترسل في الكتابة وفقا لإمكانياته.

وعادة ما تستخدم الأسئلة المتعلّقة بكتابة المقال عندما يكون الهدف اختبار قدرة المتعلّم على استدعاء معلومات واسعة وصياغتها بما يظهر كفاءته في استخدام اللغة وتنظيم الأفكار وعرضها، كما يظهر طاقته في الكتابة.

أبرز مميّزاتها:

– تعطي الحريّة للمتعلّم لمعالجة الموضوع وتنظيم الأفكار وتسلسلها وإبراز قدرته على التّعبير؛

– تتميّز عن الأسئلة الشّفهيّة بأنّ المتعلّمين يتساوون في الفرص المتاحة لهم، لأنّهم يجيبون عن نفس الأسئلة؛

– توجه أنظار المتعلّمين إلى الوحدات التّعليميّة ككل بدلا من المعلومات الجزئيّة المفككة.

أبرز عيوبها:

– تتطلّب وقتا طويلا ومجهودا كبيرا للتّصحيح؛

– تتأثّر بذاتيّة المصحح، وقد تختلف الدّرجة التي يضعها المصحّح ذاته لنفس الإجابة تبعا لانفعالاته وخبراته؛

– يصعب أن تشمل عينة كبيرة من موضوعات المنهج، وتستغرق وقتا طويلا من الطّالب لاستكمال الإجابة.

2) **الاختبارات الموضوعيّة:** سمّيت كذلك لأنّ تقدير درجاتها لا يتأثّر بذاتيّة المصحّح، يمكن تقسيمها إلى نوعين: الأسئلة ذات الإجابات الحرّة القصيرة والأسئلة المقيّدة.

أ_ الأسئلة ذات الإجابات الحرّة القصيرة: هي أسئلة محدّدة مدارها نقطة معيّنة وأجوبتها حرّة يعطيها المتعلّم بكلماته، وقصيرة لا تسمح بالإطالة، ويمكن أن يصاغ السّؤال بطريقتين:

_ سؤال استفهامي مباشر، مثال: ما نوع هذه الجملة؟

_ سؤال إكمال جملة ناقصة، مثال: هذه الجملة هي جملة.....

أبرز مميّزاتها:

– يمكن تقدير درجات الأسئلة ذات الإجابات الحرّة القصيرة بسهولة أكثر من الامتحان المقالي وهذا يساعد على اختصار وقت المعلّم؛

– لا تتأثّر إجابات المتعلّم بقدراته اللغويّة أو قدراته على الكتابة السّريعة؛

– يسهل إعدادها لأنّها تتمتّع بدرجة ثبات عاليّة أكثر من الأسئلة المقاليّة.

أبرز عيوبها:

_ يتطلّب إعداد الأسئلة ذات الإجابات الحرّة القصيرة وقتا طويلا من المعلّم؛

_ لا تفسح هذه الأسئلة المجال لربط الأفكار والتّحليل والتّركيب؛

_ تشجع المتعلّمين على حفظ واستظهار المعلومات والتّفاصيل ذات القيمة التّربويّة القليلة والمحدودة.

ب_ الأسئلة ذات الإجابات المقيّدة: هذه الأسئلة هي أسئلة تقيد المتعلّم بإجابات اختياريّة حدّدت سلفا وتشمل:

– أسئلة الصّواب والخطأ (نعم/ لا)؛

– أسئلة الاختيار من متعدّد؛

– أسئلة المطابقة أو المزاوجة.

تستخدم الأسئلة ذات الإجابات المقيّدة في قياس مستويات التّفكير المختلفة مثل: العمليات البسيطة المعتمدة على التّذكر أو الفهم عند اختبار قدرة الدّارس على فهم الأفكار، كما تستخدم في قياس التّطبيق عندما تعطي إعرابا لكلمة مثلا، ولكن ذلك يتمّ بشكل غير مباشر إذ أنّ المفحوص يختار الإجابة ولا يعطيها بنفسه، أي لا يشرح ولا يطبق ولا يحلّل بشكل مباشر بل يختار الإجابة المقدّمة له.

أبرز مميّزاتها:

– يستطيع المتعلّم أن يجيب على عدد كبير من الأسئلة في وقت معين أكثر من الأسئلة التي يستطيع الإجابة عليها في أي نوع آخر من الأسئلة؛

– يسهّل تصحيحها، وإذا وضع سلّم التّنقيط يمكن لغير الاختصاصي أن يصحّحها؛

– يمكن تقدير درجاتها بموضوعيّة كاملة، حيث لا تتدخّل ذاتيّة المصحّح عند التّصحيح؛

– يمكن استخدامها للتّقويم في معظم المواد الدّراسيّة وفي مختلف المراحل التّعليميّة.

أبرز عيوبها:

– يصعب تكوين فكرة موثوقة عن نقاط القوّة والضّعف عند الطّالب لأنّه قد يتوصّل إلى الإجابة الصّحيحة بالصّدفة؛

– لا تمكن من قياس قدرة الدّارس على التّحليل والتّركيب والإبداع؛

– تحتاج إلى وقت طويل من المعلّم لإعدادها، خاصة وأنّه يفترض أن يعدّ عددا كبيرا من الأسئلة تتحدّى تفكير المتعلّم.

أساليب تقويم المجال الانفعالي الوجداني:

أ– **الملاحظة:** ويقصد بها ملاحظة المعلّم لسلوك المتعلّمين وتفاعلهم مع بعضهم البعض، وتعني الملاحظة تتبع ظاهرة معينة عن طريق الحواس، وتستخدم لتقويم المهارات الحركيّة والاتّجاهات الانفعاليّة حيث يلاحظ المعلّم المتعلّمين وفقا لجوانب وأهداف يضعها في قائمة قبل البدء بالملاحظة، وذلك بتقسيم الأداء المتوقّع إنجازه إلى

عدّة جوانب ينطوي كلّ منها على صفة واحدة وتعطى درجة لكلّ منها، بحيث يشخّص مجموع الدّرجات جوانب القوّة والضّعف عند كل متعلّم، على سبيل المثال: يمكن أن تقسم الخطابة إلى جوانب كالتّالي: مناسبة الأفكار، تسلسل الأفكار بشكل منطقي الفصاحة والإلقاء، صحّة اللغة والقواعد، الوضوح والتّعبير ،مراعاة علامات الوقف وغيرها من المعايير التي تحدّد بناء الخطابة.

أبرز مميّزاتها:

– تعتبر الطّريقة الوحيدة لتقويم المتعلّمين في كثير من المجالات مثل المهارات والاتّجاهات الوجدانيّة والانفعاليّة؛

– تسمح الملاحظة المنتظمة المقصودة بتسجيل السّلوك وقت حدوثه ولا تترك المجال للاعتماد على الذّاكرة؛

– تحتاج إلى دقّة ومهارة من قبل مستخدميها.

أبرز عيوبها:

_ تتأثّر بذاتيّة الملاحظ ولهذا ينصح بتعدّد الملاحظين للأداء نفسه؛

_ يصعب تقديرها بالعلامات؛

_ يصعب أحيانا تسجيل الملاحظات التي تضمّ حواسا متعدّدة في آن واحد.

ب– المقابلة الشّخصيّة: المقابلة الشّخصيّة أسلوب يستخدمه المعلّم للحصول على إجابات عن عدد من الأسئلة يلقيها على المتعلّم الذي يقابله وجها لوجه، وذلك للتّعرف على بعض مشكلاته أو آرائه، أو للتّأكد من صحّة المعلومات التي سبق أنّ جمعها بواسطة الأساليب الأخرى، وبهذا يستطيع المعلّم أن يتعرّف على المتعلّم أكثر وأن يراقب سلوكه الانفعالي وحركات وجهه ويديه أثناء الإجابة.

أبرز مميّزاتها:

_كسب ثقة المتعلّم وتشجيعه على الحوار والنّقاش؛

_ تمكّن من الحصول على معلومات هامّة إذا أحسن تخطيطها وتنفيذها، وتمكّن المعلّم من خلق جوّ ودّي بينه وبين المتعلّمين؛

_ تمكّن من ملاحظة سلوك المتعلّم وتغيراته والتّعرف على نوعيّة استجابته للأسئلة.

أبــرز عيوبها:

- تحتاج إلى وقت طويل لإنجازها؛
- تحتاج إلى مهارات من جانب المعلّم لتوفير جو طبيعي للمفحوص؛
- تحتاج إلى مهارة في تدوين الإجابات بحيث لا يحدث تشتّت في المقابلة.

تصنيف الأسئلة حسب الأهداف المهاريّة:

1_ مهارة القراءة: يعرفها "نايف معروف" بقوله: "القراءة عمليّة عضويّة نفسيّة عقليّة يتمّ فيها ترجمة الرّموز المكتوبة (الحروف والحركات والضّوابط) إلى معان مقروءة مفهومة، يتضح أثر إدراكها عند القارئ في التّفاعل مع ما يقرأ وتوظفيه في سلوكه الذي يصدر عنه أثناء القراءة أو بعد الانتهاء منها". (معروف، 1981، ص32)

هذا يعني أن القراءة عبارة عن عمليّات ذهنيّة حركيّة تساعد المتعلّم على فكّ رموز الكلمات واستخدامها في سياقات مختلفة، ومن أمثلة الأسئلة التي تنمّي مهارة القراءة ما يلي:

اقرأ النّص قراءة متأنيّة ثمّ حدّد الفكرة العامّة التي يعالجها وعين الأفكار الأساسيّة لكلّ جزء.

فمثل هذه الأسئلة تساعد المتعلّم على التّعرف على الأفكار الأساسيّة والثّانويّة للنّص وتلخيصها في عبارات يصوغها بلغته الخاصّة، وتساعده أيضا على ترسيخ الكلمات في الذّاكرة فتزداد حصيلته اللغويّة.

2_ مهارة الكتابة: تمكّن المتعلّم من تحسين الكتابة سواء عن طريق إعادة الصّياغة أم تصحيح الأخطاء أم إعادة الكتابة، ولكي تثبّت هذه المهارة في ذهن المتعلّم يطلب منه كتابة مقال أو بحث أدبي أو شرح بعض الكلمات الصّعبة، ومثل هذه الأسئلة تساعد على النّمو اللغوي للمتعلّم عن طريق إمداده بالمفردات المناسبة للتّعبير عن أفكاره فينمو رصيده اللغوي. (معروف، 1981، ص 36)

3_ مهارة الكلام: تمكّن مهارة الكلام المتعلّم من تنويع الأساليب بما يناسب المواقف المختلفة، وتمكّنه أيضا من القدرة على إصدار الأحكام وتنميّة ملكة التّعبير الشّفهي ولتنميّة هذه المهارة يطلب من المتعلّم شرح عبارة أو الحكم عليها(معروف 1981ص36)

وفي الأخير يمكن القول بأنّ بناء الأسئلة عمليّة تعاونيّة يشترك فيها جميع الأطراف المعنيين بهدف الوصول إلى نتائج أفضل، ولإنجاح هذه العمليّة في تعليميّة اللغة العربيّة لابدّ أن ترتبط بأهداف محدّدة وواضحة، وأن تكون شاملة لجميع الجوانب المتعلّقة بنمو المتعلّم، وأن تكون متنوّعة لتحقيق التّقويم الشّامل والهادف.

المصادر والمراجع:

1- طعيمة رشيد. (1998). الأسس العامة لمناهج اللغة العربيّة. ط1. دار الفكر العربي، القاهرة.

2- صياح أنطوان. دراسات في اللغة العربيّة الفصحى وطرائق تدريسها. ط1. دار الفكر اللبناني، بيروت.

3- سرير محمد شارف وخالدّي نور الدّين. (1995). التّدريس بالأهداف وبيداغوجيّة التّقويم. ط2.

4- معروف نايف. (1981). خصائص العربيّة وطرق تدريسها. ط1. دار النّفائس بيروت.

المحادثة الرّقميّة على شبكات التواصل الاجتماعيّ قراءةٌ في أنساقها اللغويّة وسماتها الدّلاليّة

أ. د. حبيب بوزوادة

جامعة معسكر.

المقدّمة:

يشهد عالمنا اليوم تطوّرا علمياً هائلاً، وتقدّماً تكنولوجياً كبيراً، وثورة معرفيّة متدفّقة وقف الإنسان أمامها مذهولاً، رغم أنّه هو الذي أوجدها وطوّرها، فقد أصبح العالم –في غمرة هذه الثّورة التّكنولوجيّة غير المسبوقة– قريّة صغيرة، يمكن لأفرادها أن يتواصلوا فيما بينهم بكلّ سهولة ويسر.

ومن ثمرات ثورة الاتّصال المعاصرة ظهور لغة –بين الشّباب خاصّة– تتميّز بجملة من الخصائص أهمّها الاختصار، والهجنة بين اللغات، والخروج على قواعد الرّسم العربي، بالإضافة إلى الاستعانة بالرّموز والصّور ومختلف الأشكال التّعبيريّة ممّا أضحى يمثّل صورة سوداء عن الواقع اللغوي لدى هؤلاء الشّباب، وهو في الوقت نفسه دافع قويّ لأصحاب الضّمائر الحيّة والغيورين على لغة الضّاد لكي يقفوا سدا منيعاً في وجه هذا التّيار الذي يجرف شبابنا من حيث لا يشعرون!!

إنّ حجّة هؤلاء الشّباب فيما ذهبوا إليه هو قصور العربيّة وعجزها عن مواكبة العصر وعدم قدرتها على تقديم مفردات مختصرة تلبي حاجات اليوم، وهذه مغالطّة يكذبها الاستعمال والواقع، فما زلنا إلى الآن نقرأ في كتب التّراث (اهـ) للدّلالة على الانتهاء وما زلنا نجد في كتب المحدّثين (ثنا) اختصارا لحديثنا، وفي المصحف الشّريف العديد من الرّموز للدّلالة على مواضع الوقف.

المطلب الأوّل: اللغة العربيّة في مواجهة التّحدّيات تعيش اللغة العربيّة –اليوم– وضعاً صعباً، يعكس الواقع العربي بكلّ تفاصيله الاقتصاديّة والثّقافيّة والاجتماعيّة

والسّياسيّة وغيرها، فاللغة العربيّة واجهت –وما تزال تواجه– العديد من التّحدّيات التي تعرقل تبوّأها المكانة التي تستحق، يقول صالح بلعيد: "إنّ الحديث عن حاضر اللغة العربيّة يدمي القلب، من منظور تشخيص واقع اللغة العربيّة، التي أضحت عالة اقتصادياً على اللغات التي لا ماضي لها ولا تاريخ، وهي لغات حديثة وهجينة تكوّنت في عصر السّرعة، ونالتّ المكانة التي أهّلتها لذلك بفضل الفكر العلمي والرّيّاضي الذي سيطر على نخبها وعلى مفكّريها وبالتّطبيقات النّقديّة التي مسّت منظومتها الفكريّة"[1].

تواجه اللغة العربيّة –منذ قرنٍ على الأقل– العديد من العراقيل الكبرى التي تقف في وجه نهضتها وتقدّمها، أهمّها التّخلّف عن ركب الدّول المتقدّمة، الذي يعطّل اللحاق بالدّول المتقدّمة صناعيا وثقافيا واقتصاديا وسياسيا، هذا بالإضافة إلى مشاكل أخرى تخصّ اللغة العربيّة وحدها بعيدا عن مناحي الحياة الأخرى، وتتمثّل في:

مشكلة الدّعوة إلى إحلال العاميّة محلّ الفصحى: ظهرت في النّصف الأوّل من القرن العشرين العديد من الأصوات النّشاز التي تدعو إلى إعادة النّظر في اللغة العربيّة من حيث بنيتها الصّوتيّة والصّرفيّة والإعرابيّة والخطيّة، على السّنة جماعة من المثقّفين العرب الذي وجدوا منابر تدعمهم وتروّج لأفكارهم المجنونة، وكان في مقدّمة هؤلاء المثقّفين الكاتب المصري سلامة موسى، الذي ظلّ ينافح من أجل إلغاء اللغة العربيّة في شكلها الفصيح، وأعلن صراحة إلى تخليص العربيّة من الإعراب والاكتفاء بالسّكون في كلّ حال، أسوة باللغة الإنجليزيّة، كما دعا إلى إعادة النّظر في الكثير من المسائل المتعلّقة ببنيّة اللغة العربيّة، كمسائل الهمزة، والمثنى، وقاعدة العدد والمعدود وغيرها بل تجاوز ذلك كلّه ودعا إلى إلغاء الحرف العربي وتبني الحرف اللاتيني بديلا، فقال: "اتّخاذ الخط اللاتيني يحمل الأمّة إلى الأمام مئات السّنين، ويكسبها عقليّة المتمدّنين ويجعل دراسة العلوم سهلة، وهو خطوة نحو الاتّحاد البشريّ"!!![2].

ورغم النّضال المرير الذي قاده سلامة موسى وأمثاله لإسقاط اللغة العربيّة الفصحى إلاّ أنّ تلك الجهود سقطت في الماء ولم يكتب لها النّجاح، رغم أنّها كانت موجعة وشكّلت خطراً حقيقيا في مرحلة ما من تاريخ الأمّة، وذلك نظراً لافتقادها للشّروط العلميّة والموضوعيّة التي تحقّق لها المقبوليّة في الأوساط الثّقافيّة والأكاديميّة العربيّة، يقول عبد المالك مرتاض في معرض الرّدّ على دعاة العاميّة "فالفصحى هي القادرة على أن تحمل فكراً وفلسفة ودينا وحضارة وتراثا إنسانيا عظيماً، وما عداها فمجرد مغالطّة وفضول"[3].

مزاحمة اللغات الأجنبيّة للغة العربيّة: فالاحتلالان الفرنسي والبريطاني للعالم العربي وبدرجة أقل الإسباني لموريتانيا وقسّم من المغرب ترك ندوبا لم تندمل بعد على جسد الثّقافة العربيّة، ففي دول المشرق العربي والخليج تجد اللغة العربيّة نفسها في تنافس حاد مع اللغة الإنجليزيّة، وفي بلدان المغرب العربي هناك استقطاب لغوي شديد تفرضه اللغة الفرنسيّة على اللغة العربيّة، وهو ما يجعل اللغة العربيّة وأنصارها ينفقون الكثير من الجهد في صراعات هامشيّة ونضالات قاسيّة بدلاً من النّظر إلى المستقبل والعمل على مواكبة التّطوّر العلمي والتّكنولوجي مثلما يحصل لدى الأمم المتقدّمة، والقوى الإقليميّة الصّاعدة.

ففي الجزائر على سبيل المثال هناك استقطاب حاد، وصراع محموم بين المعربين وأنصار اللغة الفرنسيّة النّافذين في الكثير من مؤسّسات الدّولة الإعلاميّة والماليّة والثّقافيّة وغيرها، وفي دول الخليج تفرض اللغة الإنجليزيّة نفسها بقوّة في الشّارع وفي العديد من المرافق العامّة، بسبب العمالة الأجنبيّة الوافدة، التي تستخدم اللغة الإنجليزيّة ولغاتها المحلّيّة.

مزاحمة اللغات المحلّيّة: لقد كانت اللغة العربيّة هي اللغة الوحيدة تقريبا في المنطقة العربيّة، وفي بعض البلدان الإفريقيّة وغيرها، لكنّها دخلت خلال العقود الأخيرة في صراع غير شريف مع اللغات المحلّيّة، الأمازيغيّة في المغرب العربي، والكرديّة في العراق والشّام، فبسبب التّشظي المجتمعي الذي أصبح يقسّم النّسيج العربي ظهرت

نزعات قوميّة قويّة تدعو إلى العودة إلى لغات الأجداد، وهذه الدّعوة –على وجاهتها وصوابيتها– أضرّت باللغات العربيّة، نظرا لتداخل السّياسي بالثّقافي، رغم أنّ هاتين اللغتين كانتا في حالة تعايش مع اللغة العربيّة لقرون عديدة، غير أنّ شرارة هذا الصّراع انقدحت لسببين رئيسين:

أوّلهما شعور الأمازيغ في المغرب العربي والأكراد في المشرق بالمظلوميّة، بسبب عدم اعتراف الدّولة الوطنيّة بثقافة هذين المكوّنين المهمّين من مكوّنات الأمّة، وهو ما أشعرهما بالتّهميش والدّونيّة، فأدّى ذلك إلى ظهور جماعات متطرّفة تكفر بالعربيّة وتدعو بقوّة إلى الرّجوع إلى اللغات المحلّيّة.

ثانيهما تشجيع دوائر الاستخبارات العالميّة، لدعاة الانفصال الثّقافي واللغوي، إمعانا في تقسيم الأمّة وشرذمتها، تحت شعارات الدّفاع عن حقوق الإنسان، وحمايّة الأقليات وغيرها من الشّعارات–الأقنعة.

■ **المطلب الثّاني:** البنيّة العامّة للغة المحادثة الرّقميّة

لقد يسّرت شبكات التّواصل الاجتماعي عمليّة التّخاطب بين النّاس بشكلٍ غير مسبوق، ممّا قرّب المسافات وجعل التّواصل بين الأفراد متاحاً بسهولة ويسر، فيكفي أن يكون المستخدم مرتبطاً بشبكة الأنترنيت، ولديه حساب على أحد مواقع التّواصل الاجتماعي ليستفيد من عدّة مزايا وخدمات أهمّها المحادثة الرّقميّة من خلال:

1–التّواصل بالصّوت والصّورة عبر الفيديو، وهي خدمة يوفّرها سكايب وفيسبوك وماسنجر وواتساب وغيرها؛

2–التّواصل بالصّوت من دون صورة، وهي عبارة عن رقمي يكون مجانياً في الغالب لأشخاص يتواصلون عبر شبكة واحدة، أو تطبيق واحد؛

3–التّواصل بالرّسائل المكتوبة (الدّردشة الإلكترونيّة)، وهي أكثر وسائل الاتّصال شيوعاً. ويعود انتشارها في رأينا–إلى سببين:

أ–تضمن حقّ المتراسلين في الحفاظ على خصوصيتيهما، فقد يكون أحدهما أو كلاهما على هيئة لا يحبّ أن يراه غيره عليها عبر الفيديو؛

ب–انسيابيّة المحادثات وعدم تعطّلها بخلاف المكالمات الصّوتيّة أو المرئيّة التي قد تتعطّل إذا تضرر جهاز الصّوت أو الكاميرا، أو إذا قلّ تدفّق الأنترنيت.

اللغة والتّحوّل من المنطوق إلى المكتوب: لقد درجنا –نحن العرب– ونشأنا على تعريف ابن جني للغة بأنّها "**أصوات يعبر بها كل قومٍ عن أغراضهم**"، وهو ما يحصر اللغة في طبيعتها الصّوتيّة، وجانبها الكلامي، غير أنّ الدّراسات السّيميائيّة اليوم تجاوزت هذا المفهوم إلى الإطار الرّمزي، واعتبرت اللغة ظاهرة رمزيّة، تشمل الصّوت كما تشمل غيره من الرّموز التي تقوم مقامه، كالإشارات والإيماءات والألوان والألبسة والتّحايا العسكريّة وغيرها، انطلاقاً من تعريف دوسوسير للغة الذي يقول فيه: "اللغة نظام من العلامات (System of signs) التي تعبّر عن الأفكار، ويمكن تشبيه هذا النّظام بنظام الكتابة، أو الألفباء المستخدمة عند الصّمّ البكم، أو الطّقوس الرّمزيّة، أو الصّيغ المهذّبة، أو العلامات العسكريّة، أو غيرها من الأنظمة، ولكنّه أهمّها جميعا"[4]، وهذا ما فتح الباب واسعاً أمام الدّارسين ليبحثوا في نحو اللغة بمفهومها الواسع، لأنّنا نتواصل بالعلامات غير الملفوظة أكثر ممّا نتواصل بالعلامات الملفوظة.

فالكتابة تمثّل أحد أشكال اللغة، إنّها تمثّل الولادة الحقيقيّة للإنسان بمفهومه الحضاري والثّقافي، فالفيصل بين التّاريخ وما قبل التّاريخ هو ظهور الكتابة، وميلاد الحضارة العربيّة الإسلاميّة كان بفعل القطيعة مع الشّفويّة وظهور حركة التّدوين التي ازدهرت في القرنين الثّاني والثّالث الهجريين، لذلك نعتقد أنّ العنايّة بالكتابة وبمختلف أنماطها وأشكالها، وتحوّلاتها يعتبر ضرورياً كضرورة العنايّة باللغة المنطوقة نحوها وصرفها وبلاغتها..

ويعتبر فنّ التّرسل واحداً من أهمّ أنماط الكتابة الأدبيّة على مرّ التّاريخ، فقد مثّل قناة التّواصل بين النّاس مهما تناءت المسافات وتباعدت، ومهما اختلفت البواعث وتعدّدت فقد تكون لأسباب شخصيّة فتسمّى **الرّسالة الإخوانيّة**، أو تكون لدواعٍ رسميّة تتطلّبها شؤون الدّولة وأنظمة الحكم، فتسمّى **رسالة ديوانيّة**، غير أنّ ظهور

الوسائط التّكنولوجيّة الحديثة قلّل من استخدام الرّسائل الورقيّة في الشّؤون الإداريّة، وألغاها –أو يكاد يلغيها– في مجال العلاقات الشّخصيّة.

المحادثة الرّقميّة مفهومًا وبناءً: تعتبر المحادثة الرّقميّة شكلاً من أشكال التّواصل الإلكتروني، تتمّ بين شخصين فأكثر، عبر ما تتيحه شبكة الأنترنيت من مواقع أو تطبيقات للدّردشة، ونظراً لسهولة التّخاطب عبر هذه الآليّة فإنّها شهدت انتشاراً مذهلاً في العقد الأخير، سمح بميلاد نظام تخاطبي غير مألوف في الثّقافة العربيّة، يقوم على السّمات الهيكليّة التّاليّة:

1–**الاختصار الشّديد،** فالإنسان بطبيعته يميل إلى الاقتصاد اللغوي، والتّعبير عن المعنى الكثير باللفظ القليل، وطبيعة الدّردشة الإلكترونيّة لا تسمح للمرسل بالتّطويل والإفصاح بأريحيّة عمّا في نفسه، ليكتفي في نهايّة المطاف بتركيز الكلام والتّعبير بأقل قدر من الكلمات، من خلال تقنيّة التّبئير (Focus)، التي تعني التّركيز على العنصر الأكثر أهميّة في الجملة بجملة من الأدوات البلاغيّة منها الحذف.

2–**التّعدّد اللغوي:** لقد درج كتّاب الرّسائل الكلاسيكيّة على الكتابة بلغة واحدة غالباً غير أنّ المحادثة الرّقميّة كسّرت هذا المبدأ، وأصبحنا نتلقى رسائل بلغة تبدو عربيّة في جوهرها، لكنّها حبلى بالمفردات الإنجليزيّة، والفرنسيّة.

3–**الاختصار الكتابي/استخدام الرّموز:** تعتبر اللغة الرّمزيّة دليل حيويّة لغة ما بسبب ما توفّره من اصطلاحات تتّسم بالاقتصاد الذي يخدم اللغة كميا ودلاليا، فقديما استعمل علماء الحديث رموزا مثل: (خ) لصحيح البخاري، و(م) لصحيح مسلم و(ت) لسنن التّرمذي، و(د) لسنن أبي داود، و(ن) لسنن النّسائي، ومثلهم فعل علماء القراءات في تحديد وقوف القرآن الكريم، وغيرها، ولو نسج شباب اليوم على هذا المنوال لكانوا قدّموا للغة العربيّة خدمة جليلة، بسبب ما توفّره المختصرات والرّموز من الوقت والجهد في الكتابة، [5] وما تضفيه من المرونة تحتاجها اللغة العربيّة، لأنّ هؤلاء الشّباب لم يقوموا في الواقع سوى بتوظيف المختصرات الأجنبيّة بحروفها وأصواتها، مثلما يظهر في الجدول التّالي[6]:

المختصر الأجنبي	نصّه باللغة الأجنبيّة	معناه باللغة العربيّة
Lool	Laughing Out Loud	اضحك بصوت عالي
Brb	Be Right Back	سأرجع حالا
Tc	take care	انتبه على نفسك
Mdr	Mort de rire	يقتل من الضّحك
Ksa	Kingdom saudian of Arabia	المملكة العربيّة السّعوديّة

كما أنّهم يلجؤون إلى النّحت، وهو نمط اشتقاقي معروف في اللغة العربيّة، كقولنا الحوقلة والبسملة والحيعلة وغيرها، لكنّهم ينحتون بلا ضابط ولا قاعدة، ويزيدون الطّين بلة عندما يكتبونه بالحرف اللاتيني، فيجمعون الحشف وسوء الكيلة!!

اللفظ المنحوت	أصله
Hmd	الحمد لله
Slm	السّلام عليكم

4-**استخدام الخط اللاتيني:** تنتشر في أوساط الشّباب ظاهرة استخدام الخط اللاتيني حتى عند الكتابة باللغة العربيّة، وأصبحت هذه الظّاهرة الدّخيلة مألوفة بينهم، تشكّل جزءًا من نسيج النّصّ لدى المتراسلين، فتجد من يكتب (أنا مسافر) هكذا (Ana mussafir) وهذه لعمري ظاهرة بشعة تسيء إلى اللغة العربيّة، وللذّوق السّليم. وحجة أصحابها أنّهم يجدون راحة أكبر في استخدام الحرف اللاتيني أكثر من استخدام الحرف العربي!! وهذا عذرٌ أقبح من الذّنب نفسه!!

أمّا الأسباب الحقيقيّة في نظرنا لانتشار هذه الظّاهرة فتعود إلى:

أ-الانبهار بالآخر الغربي، وتقليده في أدق تفاصيله، حذو القذة بالقذة والنّعل بالنّعل بسبب روح الانهزاميّة المنتشرة بيننا معشر العرب والمسلمين، فالمغلوب -كما يقول ابن خلدون-مولعٌ دائماً بتقليد الغالب[7].

ب-تدريس مادّة تكنولوجيا المعلومات (Informatique) في مدارسنا وجامعاتنا باللغة الأجنبيّة (الإنجليزيّة أو الفرنسيّة غالبا)، بشكلٍ جزئيّ أو كليّ، ممّا يجعل الطّلاب متعوّدين على التّعامل مع أجهزة الإعلام الآلي باللغة غير العربيّة.

ج-معظم برامج الحاسوب وخصوصاً أنظمة التّشغيل تستخدم اللغات الأجنبيّة، وهو ما يجعل العين تألف الحرف اللاتيني وتتقبله، كما تولّد في النّفس وهماً باطلاً بارتباط تكنولوجيا المعلومات عضوياً باللغات الأجنبيّة، وبعدها عن اللغة العربيّة.

د-وفرة لوحة المفاتيح بالحرف اللاتيني، بالمقارنة مع اللوحة المزوّدة بالحرف العربي ممّا يجعل المستخدم يعمل بما هو متاحٌ لديه، ممّا يجعل الانتقال إلى استخدام الحرف العربي عند توفّر اللوحة المزوّدة به ثقيلاً، وهذه الظّاهرة منتشرة كثيرة في بلاد المغرب العربي، فمنتجات الإعلام الآلي لمّا سُوِّقت أوّل مرّة كانت تعتمد اللغة الفرنسيّة في كلّ شيء، ولمّا أراد كثير من المستخدمين التّحوّل إلى الخط العربي -بعد توفّره- استثقلوا الأمر بسبب العادة، قاتلها الله!!

5-**الاستعانة بالأرقام بديلا عن بعض الحروف:** لقد أدّى الإفراط في استخدام الحرف اللاتيني إلى افتقاد بعض الأصوات العربيّة، التي جرى تعويضها بالأرقام التي قد تشبّه الحرف العربي في الرّسم، ممّا أدّى إلى إنتاج كلمات هجينة أساءت إساءة بالغة للحرف العربي الذي يعتبر من أجمل الحروف وأكثرها انسيابا، لما فيه من خصائص تجعله قادراً على التّشكّل فنياً.

الرّقم	الحرف العربي المقابل	مثاله
2	الهمزة	سؤال / so2al
3	العين	عادل / 3adel
4	الثّاء	ثلاثة / 4ala4ah
5	الخاء	خالدّ / 5aled
6	الطّاء	طه / 6aha

7	الحاء	أحمد / A7med
8	القاف	قليل / 8aleel
9	الصّاد	صفاء / 9afa2

6-**الكتابة بالعاميّة:** تمثّل الكتابة بالعاميّة خطراً كبيراً يتهدّد ألسنة شبابنا، وحتى مثقّفينا، الذين نراهم يكتبون ويتراسلون بالعاميّة، ظنّا منهم أنّ ذلك أكثر وظيفيّة، وأقدر على التّبليغ، فالخليجيّون يعتزّون بعاميّاتهم وبها يدردشون، وأهل المغرب العربي يتراسلون بلهجاتهم المحلّيّة، وكذلك يفعل الشّاميّون والمصريّون والسّودانيّون وغيرهم في إصرار واضح على إلغاء اللغة العربيّة الفصحى من التّخاطب اليومي، حتى صار العربي في المغرب يحتاج إلى مترجم ليفهم كلام العربي في المشرق، والعكس!!

واللجوء إلى العاميّة في التّخاطب الكتابي[8] جريمةٌ أخلاقيّة وثقافيّة في حقّ اللغة العربيّة، بسبب ما يسبّبه ذلك من تشويه للسان العربي، وتفتيت لوحدة الأمّة، فضلاً عن الإسهام الصّريح والواضح في تأخير قطار اللغة العربيّة عن اللحاق بركب اللغات الحيّة المتقدّمة.

7-**أخطاء الرّقن لا تفسد للود قضيّة!** فالرّقن السّريع يوقع الكاتب في الكثير من الأخطاء الطّباعيّة، نظراً لقرب مواقع الحروف من بعضها البعض على لوحة المفاتيح كما أنّ بعض الحروف تتغيّر مواقعها على لوحة المفاتيح تبعاً لنوع اللغة العربيّة المنصّب على الحاسوب، كحرف الذّال، والهمزة بأنواعها، وتكرار هذه الأخطاء وانتشارها بين المتراسلين، جعلهم يكتسبون ملكة إضافيّة على تمييز المعنى المراد من دون أن يضطر المرسل إلى التّوضيح والشّرح والاعتذار، فمن الوارد جدا، أن يكتب أحدهم، (سكراً) بدلا عن (شكراً)، و(همت)، بدلاً عن (فهمت)، و(جبيبي) بدلاً عن (حبيبي) وغيرها.

8-**المدّ حالةٌ عاطفيّة:** يعطي مستخدمو شبكات التّواصل الاجتماعي لأنفسهم الحقّ في التّصرّف في الخط العربي على مستوى المدود، فيزيدون في مدّ الألف والواو

واليـــاء تبعـــاً لأهـــوائهم ومـــا يشـــعرون بـــه ســـاعة الدّردشـــة، فيكتـــب أحـــدهم (جمييييييييييييييييييـــل) ويكتـــب آخـــر (راااااااااااااااائـــع)، ويكتـــب ثالـــث (هرووووووووب)

■ **المطلب الثّالث:** وظيفيّة لغة المحادثة الرّقميّة

إنّ المحادثة الرّقميّة في شكلها الحالي هي وليدة تطوّر اجتماعي متسارع لم تواكبـــه حركة لغويّة تحتوي هذا التّطوّر وتؤطّره، بما جعل الشّباب يصنع لغته بنفسه، بصـــورة لا ترضي أرباب اللغة والأكاديميين، لكنّها تعبّر عن مجتمع جديد، ونمط تفكيـــر جديـــد وعلاقات إنسانيّة جديدة، فالنّظام اللغوي الذي أنتجته المحادثة الرّقميّة هـــو اســـتجابات لحاجات جديدة، لتأديّة وظائف جديدة، لا تحقّقها المنظومة اللغويّة التي يتلقّاها الشّـــباب في المدارس والجامعات.

الوظيفة التّواصليّة:

يعتبر التّواصل بين المستخدمين عماد شبكات التّواصل الاجتماعي (media Social) فغايّة هذه الشّبكات هي السّماح ببناء علاقات اجتماعيّـــة خـــارج النّظـــام الاجتمـــاعي التّقليدي، وهو ما سمح بتأسيس مجتمعات افتراضيّة لا تعترف بمشـــكلات الحـــدود ولا بحواجز اللغات.

الوظيفيّة البلاغيّة: قديماً قيل البلاغة هي الإيجاز، والتّراسل على شبكات التّواصـــل الاجتماعي يقوم على الإيجاز والاقتصاد اللغوي، طمعاً في إيصـــال المعنـــى وتأديتـــه بأقرب سبيل، وأقلّ عدد من الكلمات، فالوقت عاملٌ حاسمٌ في الدّردشة الإلكترونيّـــة، إذ يرغب المتراسلون في إجراء حواراتهم بسرعة بما لا يسمح بتضييع الوقت في تطريز الكلام وتطويله، كما في الرّسائل الكلاسيكيّة.

الوظيفة النّفسيّة: للمحادثة الرّقميّة قدرة كبيرة على التّعبير عن المشاعر والعواطف والأهواء، عبر ما توفّره شبكات التّواصل الاجتماعي، والتّطبيقات ذات الصّـــلة بهـــا من صور وأيقونات تختصر مختلف المشاعر الانسانيّة والانفعالات المختلفـــة، يقـــول فهيم عبد القادر شيباني: "ففي الوضع الذي يكون فيه كلام المتحـــدّث مضـــحكاً، فـــإنّ

العلامة اللسانيّة في شكلها المكتوب لا تقوى سوى على استظهار الحال المعياريّة للضّحك ولعلنا ندرك تمام الإدراك الفرق بين أن يكون الكلام مضحكاً أو يدفع للتّبسّم أو الاستغراب او السّخريّة أو التّعجب، وكل تلك الحالات تشملها العلامة اللسانيّة لكينون الضّحك، بينما تتفوّق الأيقونات الأهوائيّة في برامج المحادثة الرّقميّة على استظهارها"[9]

الوظيفة التّداوليّة: أعني بالوظيفة التّداوليّة الانسجام بين المستوى اللغوي للرّسالة وفاعليتها لدى المتلقي، على اعتبار أنّ التّداوليّة مجال معرفي يهتم ببحث الجسور التي تربط بين الخطابات اللغويّة وامتداداتها خارج اللغة، أو بتعبير أكثر اختصاراً، تدرس علاقة اللغة بمستعمليها[10]، فالتّراسل الرّقمي –بغض النّظر عن مدى تحليه بالسّلامة اللغويّة– تمكّن من فرض نفسه في حياتنا، وأصبح من أهمّ الأدوات التي تقضى بها المصالح بين الأصدقاء والطّلاّب والمدرسين وعوام النّاس وخواصهم، خصوصاً في ظلّ توفّر خدمات الأنترنيت على الهواتف الذّكيّة.

الوظيفة الثّقافيّة: يسمح التّراسل الرّقمي بالتّبادل الثّقافي والمعرفي بين المستخدمين ممّا يغيّر البنيّة الثّقافيّة والفكريّة للأفراد والمجتمعات على حدّ سواء، ويسمح بتشكيل

مجتمع جديد، يستلهم عبر المثاقفة والحوار أفكاراً جديدة، وقيماً لم يتلقّاها في مؤسّسات التّعليم النّظاميّة، قد تكون إيجابيّة إذا ارتبط المستخدم بمن يحملون فكراً إيجابياً، وقد تكون هدّامة إذا سقط في فخ المنافيّة للدين والقيم والأخلاق النّبيلة.

■ **المطلب الرّابع:** حاجتنا إلى لغة رقميّة بديلة

لن نضيف جديدا إذا أثنينا على اللغة العربيّة، وقلنا بأنّها لغة القرآن، اختارها الله عزّ وجلّ لكتابه الكريم لما حوته من ثراء، ومرونة، وقدرة على التّعبير بجمال ودقّة متناهيتين، ولن نكون مبالغين إذا أنصفنا أسلافنا وقلنا بأنّهم خدموا اللغة العربيّة كما لم يخدم أحدٌ من العالمين لغته، ولكنّ هذا الثّناء والإطراء لن يجرّنا أبداً إلى التّعصّب والتّمجيد الأعمى الذي يرفض أن ينظر إلى الآفاق الجديدة، فعلماؤنا رحمهم الله خدموا اللغة العربيّة، وأجابوا على أسئلة عصرهم، ومن الواجب علينا اليوم أن ننظر إلى ما حولنا، ونجتهد في الإجابة على أسئلة الرّاهن.

فهل اللغة العربيّة كما هي اليوم قادرة على مواكبة العالم الافتراضي؟ الجواب موجود بصورة عمليّة على شبكات التّواصل الاجتماعي، التي يرفض معظم مستخدميها استعمال اللغة العربيّة الفصحى في محادثاتهم البينيّة، وكثير من تعليقاتهم ومنشوراتهم وهنا ينبغي أن نقف وقفة عاقلة بعيدة عن الانفعال والتّعصّب غير المجدي.

لا يمكننا –معشر دارسي اللسان العربي–أن نبقى مرابطين عند ثغر اللغة ونحن نتنفّس برئة أسلافنا، علينا أن نقرّ بأنّ بعض الخطأ نتحمّله نحن، لأنّنا فشلنا في تكوين أجيال تعتزّ بلغتها، وتتقنها نطقاً وكتابة، كما أنّنا ظللنا ننظر إلى اللغة العربيّة بقدسيّة مبالغ فيها، منعتنا من القيام بمحاولات علميّة لتيسير اللغة العربيّة، وإكسابها المرونة اللازمة لتنسجم مع العصر الرّقمي الذي نعيش فيه، مع ما يتطلّبه من سرعة واختصار ودقّة في التّعبير.

علينا أن نتحلّى بالشّجاعة الكافيّة، ونقوم بتطويع اللغة العربيّة على مستوى الإملاء خصوصاً، فلا يعقل أن يظلّ الكاتب يتساءل لدقائق –والدّقائق زمن مهمّ في المحادثة الإلكترونيّة–عن موضع كتابة الهمزة، أعلى النّبرة أم على السّطر أم؟!

على دارسي اللغة العربيّة أن يجتهدوا في باب النّحت، إذ لا يعقل نكتب اسم منظّمة من المنظّمات باللغة العربيّة في سطر، بينما يمكننا كتابته في كلمة منحوتة باللغة الأجنبيّة؟!

إنّ التّحلّي بالشّجاعة ليس انسلاخا من الهويّة، ولا رمياً للغة العربيّة بالعجز والقصور ولكنّها محاولة مطلوبة، لنردّ بعضاً من أبنائنا إلى لغتهم قبل فوات الأوان فإنّ أسلافنا لمّا اجتهدوا في رسم المصحف الشّريف، ووضعوا الوقوف واخترعوا تلك الرّموز التي ما تزال تزيّن الكتاب الكريم إلى اليوم لم يفكّروا بهذا المنطق، ولا قاربوا الموضوع من هذه الزّاويّة المتزمّتة.

الخاتمة: تعتبر شبكات التّواصل الاجتماعي سمّة هذا العصر، وإحدى عناوين العولمة الثّقافيّة وقد كان لهذه الشّبكات تداعيات خطيرة على مجتمعاتنا العربيّة التي ليست لديها الحصانة الكافيّة ضدّ مخاطر العولمة، فالانفجار المعرفي القادم من الغرب يتطلّب استعدادا من الشّرق، لتقليل الخسائر، والظّفر بما يمكن من إيجابيات العولمة.

لقد كان للغة نصيب الأسد من التّشويه الذي جاءنا من الغرب، فساء وضع اللغة العربيّة بين فتياننا وشبابنا بشكل كبير، بما يدعو إلى يقظة الباحثين والدّارسين أوّلا والسّاسة والحكام في المقام الثّاني، قبل فوات الأوان، من أجل إيجاد الحلول المطلوبة لهذه النّازلة الثّقافيّة التي لم نتمكّن من تحجيم مخاطرها، رغم مرور عقد من الزّمان على ظهورها.

وبوضوح أكبر يمكنني أن أقول إنّ مشكلة اللغة العربيّة على شبكات التّواصل الاجتماعي هي جزءٌ من سياق عام متدهور في عالمنا العربي، أمنيا واقتصاديا وسياسيا وثقافيا، فلا يمكن أن ننهض بواقع اللغة العربيّة ونحن في ذيل الأمم في باقي

المجالات إنّ الاستقلال الثّقافي العربي لا يمكــن أن يتحقّــق بعيــدا عــن الاســتقلال الاقتصادي والسّياسي والعسكري عن الغرب؛ الاستقلال الذي لا يعني العزلــة، وإنّمــا يعني النّديّة والاحترام المتبادل. هذا وإنّنا لنرجو أن يأتي اليوم الذي يشعر فيه العربــي بكرامته وعزّته بدايّة من الاعتزاز بلغته عبر استخدامها في كافة المجــالات المتّصــلة بالتّقنيّة وغيرها.

الاحالات:

[1] صالح بلعيد: اللغة العربيّة العلميّة، دار هومة، الجزائر، 2003، ص16.

[2] سلامة موسى: البلاغة العصريّة واللغة العربيّة، سلامة موسى للنشر والتّوزيع، القاهرة 1964 ط4، ص188.

[3] عبد المالك مرتاض: موقع اللغة والثّقافة العربيّة في مواجهة الفرنكوفونيّة، مجلة العربي الكويت أكتوبر 2001، العدد515، ص70.

[4] دوسوسير: علم اللغة العام، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، سلسلة آفاق عربيّة، بغداد، العراق دت ص34

[5] يمكن الرّجوع إلى كتاب اللغة العربيّة العلميّة لصالح بلعيد ص89 وما بعدها، ففيها حديث مهم عن الاختصارات والرّموز في اللغة العربيّة.

[6] اختصارا الرّسائل النّصيّة –text message abbreviations

http://www.bloomsbury-international.com/images/ezone/ebook/text-message-abbreviations-pdf.pdf

تاريخ التّصفح 2016/11/10.

[7] عقد ابن خلدون في مقدّمته ص104 فصلاً لهذا الموضوع بعنوان "فصلٌ في أنّ المغلوب مولعٌ دائماً بالاقتداء بالغالب، في شعاره وزيّه ونحلته وسائر أحواله وعوائده".

[8] أنا أفرّق بين التّخاطب الكتابي والتّخاطب الشّفوي، فإذا كان التّحدّث بالفصحى عسيراً نسبياً في تخاطبنا الشّفوي، بذريعة التّكلّف، فإنّ التّحدّث بها في التّخاطب الكتابي أيسر، لأنّنا نكتب أقلّ مما نتكلّم، ولدينا متسعٌ من الوقت –ولو بصورة نسبيّة– لصياغة كلامنا باللغة العربيّة الفصحى.

[9] عبد القادر فهيم شيباني: المحادثة الرّقميّة ومنطق الأهواء–سيميائيات الكتابة الأيقونيّة، مجلة أيقونات، منشورات رابطة سيما للبحوث السّيميائيّة، سيدي بلعباس، الجزائر، العدد2 2011م ص259

[10] دومينيك مانقونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترحمة د.محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2005، ط1 ص93

اللّسان العربيّ ورهانات التواصل الإعلاميّ

داه. محمد خديم

جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم

ملخّص: تواجه اللّغة العربيّة في العصر الرّاهن أخطارا تداهمها من أبنائها قبل عدوّها الأجنبي، لا سيما الخطر الآتي من التّواصل الإعلاميّ وسبل استعمال اللّغة العربيّة فيه. إنّ واقع اللّغة العربيّة في وسائل التّواصل الإعلاميّ باختلاف أنواعها يدعو إلى الوقوف والتّأمّل في تلك الإساءة التي تتعرّض لها اللّغة العربيّة في وسائل الإعلام من انتشار الأخطاء، وتفشّي اللّحن. ولعلّ مسوغات هذه الإساءة هي أسبقيّة الخبر والمعلومة على التّعبير والصّياغة، فترتّب عن هذه الأسبقيّة إلحاق الضّرر باللّغة العربيّة وخرق لقواعدها. من هذا المنطلق جاء بحثا موسوما بـ"**اللّسان العربي ورهانات التّواصل الإعلاميّ**" نحاول من خلاله الإجابة عن الإشكاليّة الآتيّة: ما مصير اللّغة العربيّة في التّواصل الإعلاميّ العربيّ؟ ومن المسؤول عمّا تعانيه من تشويه في هذا التّواصل؟ هل هي لغة الإعلام التي أصبحت نافذة ومؤثّرة في المجتمع؟ أم ضعف مستوى التّعليم في المدارس والجامعات؟ أم هي سياسة أصحاب المؤسّسات الإعلاميّة؟ وهل تنبّه علماء اللّسان والمؤسّسات اللّغويّة إلى الألفاظ والتّراكيب المستجدّة في لغة التّواصل الإعلاميّ وتأثيرها في اللّغة العربيّة؟ وما مدى امتثال لغة التّواصل الإعلاميّ لمعايير الفصاحة؟ وهل أصبح انتشار ظاهرة اللّحن والخطأ في الإعلام واقعا ينبغي التّسليم به أم يجب التّصدي له وعلاجه؟

الكلمات المفاتيح: اللّغة العربيّة، التّواصل الإعلاميّ، الخطاب الإعلاميّ اللّغة الإعلاميّة.

Abstract :

The Arab language in the current era faces dangers that it will be raging from its sons before its foreign enemy. In addition to the fact that the Arabic language in the media is a source of information, the reality

of the Arabic language in the media is that the Arabic language is being abused in the media by the spread of mistakes and the spread of melody. The reasons for this offense may be the precedence of the news and information over the expression and the wording, as this precedence results in harming the Arabic language and violating its rules. In this context, the Arab tongue and media communication insults have come to a well-known discussion, through which we try to answer the following problems: What is the fate of the Arabic language in the Arab media communication? Who is responsible for the distortion of this communication? Is it the media language that has become effective and influential in the community? Or twice the level of education in schools and universities

Key words : Arabic language, media communication, media speech, media language.

تقديم: لا جرم أنّ اللّغة العربيّة هي عنوان الأمّة العربيّة واللّسان النّاطق بهويتها والمجسّد لمقوماتها الفكريّة والمعرفيّة، والمعبّر عن خصوصياتها، فهي –اللّغة– العنصر الفاعل في بناء الصّرحين الثّقافيّ والحضاريّ العربيّ المرفوعين عبر الأزمنة والعصور.

إنّها تنفرد بكونها لغة حباها الله عن باقي اللّغات بالبقاء والخلود أن جعلها لغة أهل الجنّة، ولغة القرآن المنزّل، وغير خافٍ فضله –الذي لا ينكر–عليها، فقد أمدّها بمدد زاخر من الكلمات التي انضافت إلى معجمها، كما أمدّتها الفتوحات الإسلاميّة زيادة في الثّروة اللّفظيّة ونمو معجمها بسبب عمليّة التّأثّر والتّأثير بين العرب والعجم.

ويعدّ اللّسان العربيّ من أكثر الالسّنة تداولاً في العالم، بيد أنّ هذا التّداول لا يدفع من قيمة اللّغة العربيّة نحو الأمام للتّطوّر والرّقي، بل يجرّها في غالب الأحوال إلى ما يضرّها ولا ينفعها خاصّة على المستوى الأكاديمي.

في مسألة الضّرر والنّفع يبتغي بحثنا أن يرصد واقع اللّغة العربيّة – أو اللّسان النّاطق بحالها–في الفضاء الإعلاميّ العربيّ من خلال وصف تجليات اللّغة العربيّة في التّواصل الإعلاميّ وكيفيّة تعامله معها. وعليه جاء بحثا موسوما بـ"**اللّسان**

العربي ورهانات التّواصل الإعلاميّ" نحاول من خلاله الإجابة عن الإشكاليّة الآتيّة: ما مصير اللّغة العربيّة في التّواصل الإعلاميّ العربي؟ ومن المسؤول عمّا تعانيه من تشويه في هذا التّواصل؟ هل هي لغة الإعلام التي أصبحت نافذة ومؤثّرة في المجتمع؟ أم ضعف مستوى التّعليم في المدارس والجامعات؟ أم هي سياسة أصحاب المؤسّسات الإعلاميّة؟ وهل تنبّه علماء اللّسان والمؤسّسات اللّغويّة إلى الألفاظ والتّراكيب المستجدّة في لغة التّواصل الإعلاميّ وتأثيرها في اللّغة العربيّة؟ وما مدى امتثال لغة التّواصل الإعلاميّ لمعايير الفصاحة؟ وهل أصبح انتشار ظاهرة اللّحن والخطأ في الإعلام واقعا ينبغي التّسليم به أم يجب التّصدي له وعلاجه؟

الخطاب الإعلاميّ: لم يعد خفيا أنّنا نعيش عصر الإعلام، و إذا كان الإنجليز من قبل قالوا عن البرلمان أنّه يستطيع أن يفعل كلّ شيء إلاّ أن يجعل الرّجل امرأة والمرأة رجلا، فإنّ الإعلام اليوم يستطيع أن يفعل كلّ شيء حتّى أن يجعل الرّجل امرأة و المرأة رجلا وذلك لتعدّد وسائله من مقروءة إلى مسموعة إلى بصريّة، وأخرى سمعيّة بصريّة[1]. فقد أصبح الخطاب الإعلاميّ ذا سطوة قويّة على المجتمع.

ظهر مصطلح الخطاب الإعلاميّ حديثا بظهور وسائل الإعلام وتطوّرها وأصبح هذا الخطاب يبثّ أو يقرأ من خلال أجناس الوسائل الإعلاميّة المختلفة. فهو صناعة تجمع بين اللّغة والمعلومة ومحتواها الثّقافيّ والآليات النّفسيّة لتبليغها عبر الزّمان والمكان .

إنّ الخطاب الإعلاميّ كما حدّده "**أحمد العاقد**" «هو مجموع الأنشطة الإعلاميّة التّواصليّة الجماهيريّة: التّقارير الإخباريّة، الافتتاحيات، البرامج التّلفزيونيّة، المواد الإذاعيّة وغيرها من الخطابات النّوعيّة»[2]. الهدف منه نقل المعلومة أو المعرفة إلى المتلقّي القارئ.

أمّا الخطاب الإعلاميّ عند الدّكتور **إبرير بشير** هو «منتوج لغويّ إخباري منوّع في إطار بنيّة اجتماعيّة ثقافيّة محدّدة وهو شكلٌ من أشكال التّواصل الفعالة في

المجتمع له قدرة كبيرة على التّأثير في المتلقّي وإعادة تشكيل وعيه ورسم رؤاه المستقبليّة وبلورة رأيه بحسب الوسائط التّقنيّة التي تستعملها المرتكزات المعرفيّة التي يصدر عنها»[3]. فهو نسق تفاعليّ مركّب متشابك، يجمع بين ما هو لساني وما هو أيقوني، ويضم العلامات اللّغويّة وغير اللّغويّة.

لغة الخطاب الإعلاميّ: إنّ هدف الاتّصال الإعلاميّ هو توصيل المعلومات وإبلاغ الحقائق خاصّة اليوم الذي يمثّل عصر الثّورة العلميّة والتّكنولوجيّة، والوسائل الجماهيريّة الحديثة. وقد وصل التّواصل أقصى مداه بين النّاس بوسائله المتنوّعة من صحف ومجلاّت، وأجهزة الإذاعة والتّلفزيون وأدخل الكلمة بنوعيها المقروءة والمنطوقة إلى كلّ بيت ليؤثّر بها على تفكير صاحبه، فقد أصبح للكلمة سطوتها على متلقيها، وسلطانها في نفوسهم[4]. وتشكّل زيادة أثر الكلمة واللّغة عموما في النّاس من خلال وسائل الإعلام محطة توقف لنا عند هذه الوسائل وواقع اللّغة العربيّة فيها.

إنّ وظيفة الخطاب الإعلاميّ هي نقل ونشر وإيصال المعلومات والموضوعات والأفكار، والأخبار إلى المتلقّي، واللّغة هي وسيلة الإعلام في ذلك، كما أنّ الاتّصال هو وظيفة من وظائف اللّغة. وقد قسّم النّقاد العرب النّثر إلى نثر علميّ، ونثر عاديّ ونثر فنّيّ. ولكن علاقة التّأثر والتّأثير القائمة بين اللّغة والإعلام دفعت أساتذة الصّحافة والأدب على إضافة نوع رابع من أنواع النّثر ألا وهو النّثر العملي أو النّثر الصّحفيّ. أو ما اصطلح عليه اللّغة الإعلاميّة[5] أو لغة الإعلام.

تعرّف على أنّها تلك اللّغة الوسط بين اللّغة العلميّة واللّغة الأدبيّة التي تستخدم الأسلوب البسيط الموجّه إلى جمهور عريض. فهي لغة مبنيّة على نسق عملي اجتماعي تستخدم في الإعلام بوجه عام والصّحافة بوجه خاص[6]. الهدف منها ليس علميتها ولا أدبيتها، بل فيما تؤدّيه من إخبار وإبلاغ.

وذهب فريق إلى تعريفها أنّها "اللّغة التي تشيع على أوسع نطاق، في محيط الجمهور العام، وهي قاسم مشترك أعظم في كلّ فروع المعرفة والثّقافة والصّناعة والتّجارة والعلوم البحتة والعلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة والفنون والآداب. ذلك لأنّ

مادّة الإعلام، في التّعبير عن المجتمع والبيئة، تستمد عناصرها من كلّ علم ومعرفة.» [7] وتتمّ عمليّة الاتّصال في مجال التّعبير اللّغوي على ثلاثة مستويات مختلفة من حيث استخدام اللّغة وهي:

1. مستوى التّذوّق الجماليّ وهو المستعمل في الأدب؛
2. المستوى العلميّ النّظريّ التّجريديّ وهو المستخدم في العلوم؛
3. المستوى العمليّ(الوظيفيّ) الاجتماعيّ وهو المستخدم في الإعلام عموما والصّحافة على وجه الخصوص[8]. لكن الغالب على التّعبير هو المستوى العمليّ الوظيفيّ الذي يراعي هدف الخبر على أسلوبه. ويمكن تقسيم اللّغة الإعلاميّة بحسب الوسيلة إلى ثلاثة أقسام هي:

1. اللّغة الإعلاميّة المستخدمة في الصّحافة (لغة الصّحافة)؛
2. اللّغة الإعلاميّة المستخدمة في الإذاعة (لغة الإذاعة)؛
3. اللّغة الإعلاميّة المستخدمة في التّلفاز (لغة الفضائيات).

لغة الخطاب الإعلاميّ المكتوب: إنّ لغة الخطاب الإعلاميّ المكتوب هي لغة تقترب من لغة الحديث اليومي في أنواعها الإخباريّة، وتقترب من لغة الأدب في أنواعها الفكريّة والجماليّة. فلقد كان للصّحف والمجلاّت دور كبير في ترقيّة لغة الإعلام وتجديدها، حيث امتزج الحدث الصّحفيّ المكتوب بالازدواجيّة اللّغويّة، ما أدّى إلى نشأة لغة جديدة مختلفة عن لغة الأدب والعلم هي لغة الصّحافة التي تعبّر عن الحياة اليوميّة ببساطة ووضوح. لذلك تضاربت فيها الآراء واختلفت بين مؤيّد لهذه اللّغة ومعارض لها.

فهي عند مؤيّديها من أمثال **أديب مروة** ساعدت على تسهيل اللّغة العربيّة وتقريبها من مستوى القارئ بأسلوبها السّهل المشرق حيث جاء على لسان المؤلّف: «وهكذا فإنّ الأسلوب السّهل المشرق الذي وصلنا إليه اليوم في الكتابة بلغتنا العربيّة لا يعود الفضل فيه إلى معلّمي اللّغة العربيّة في المدارس والكلّيات، ولا يعود الفضل

فيه إلى الكتّاب والأدباء القدامى، بل الفضل الأوّل في هذا الأسلوب يعود إلى صحافة اليوم»[9].

كذلك الشّأن عند **عبد الله كنون** عندما اعترف وأشار إلى أنّ أكبر تطوّر عرفته اللّغة العربيّة كان على يدّ الصّحفيين ومحرّري الصّحف في العصر الحاضر بفضل ما تواجهه الفئة من عمل يتطلّب منها إنتاجاً يوميّاً متنوّعاً، يحكمه عامل الوقت والحجم. حيث عدّ **عبد الله كنون** هذا التّطوّر بفضل ما احتضنته من معان جديدة، وأفكار سليمة من غير أن يطرأ تغيير في القواعد والأحكام. وعدَّ هذا الأمر براعة في الأداء ومقدرة في التّعبير أوجدتهما الصّحافة ولغة محرّريها. فقد اعترف اعترافا صريحا بفضل الصّحافة في إدخال ألفاظ وتراكيب جديدة إلى اللّغة العربيّة التي ابتكرها رجال الصّحافة إمّا بالتّرجمة من اللّغات الأجنبيّة، وإمّا باستعمال المجاز والاستعارة توسعا في دلالات الكلّمات، وإمّا بالوضع العفوي من وحي الخاطر والمقام، وكلّ هذه الألفاظ والتّراكيب كانت مطابقة لقواعد وأحكام اللّغة العربيّة من اشتقاق وتعريب وغيرها[10]. ويمكننا أن نذكر بعض النّماذج المستحسنة التي استعملها الكاتب في لغته الأدبيّة مثل "ذرّ الرّماد في العيون"، و"اصطاد في الماء العكر"، و"كان للحادث صدى بعيد"، و"قال ذلك بصفته مسؤولا"[11]. كما روّجت الصّحافة بعض التّعابير كقولهم: "ركب رأسه" أي سار متعسّفا لا يلوي على شيء و"تجوّل في البلاد" بدل جول فيها، و"اكتشف الأمر" أي كشفه وأظهره لأوّل مرّة و"حكم على المجرم بالإعدام" أي الموت، والإعدام أصلا هو فقد للمال فحوّلوه إلى فقد للحياة[12].

أمّا عند معارضيها فنجد **إبراهيم اليازجي** مثلا عدّها خطرا على اللّغة العربيّة بسبب شذوذ ألفاظها واستعمالها في غير معناها ممّا يشوّه عباراتها. حيث قال في هذا الأمر "نرى في بعض جرائدنا ألفاظا قد شذّت عن منقول اللّغة فأنزلت في غير منازلها واستعلمت في غير معناها فجاءت بها العبارة مشوّهة وذهبت بما فيها من الرّونق وجودة السّبك...وأصبح كثير من ألفاظ الجرائد لغة خاصّة بها تقتضي معجما

بحاله»[13]. فلا عجب ما نراه اليوم في الإعلام العربي والجزائري على وجه الخصوص من انخفاض في الأسلوب ومستوى التّعبير نتيجة نقص العنايّة والاهتمام من خلال عدّ اللّغة العربيّة مجرّد أداة لنقل الأفكار والمعرفة، وليست هدفا في ذاتها ممّا قد يترتّب عنه الإضرار باللّغة في أحايين كثيرة.

أسلوب الخطاب الإعلاميّ المكتوب: من المعروف في عالم الصّحافة أنّ لغتها هي الفصحى المعاصرة، فهي لغة مكثّفة موحيّة تعتمد على الإيجاز المعبّر باللّفظ المثير والدّقيق المعنى، وبعبارات بسيطة وقصيرة في تراكيب محكّمة متماسكة مصاغة بأسلوب يجذب اهتمام القارئ ويدفعه إلى قراءة الصّحيفة.

إنّ اللّغة الصّحفيّة ترمي إلى النّمذجة والتّبسيط لأنّ عقليّة الجماهير تتطلّب ذلك وحتّى تصل الرّسالة الإعلاميّة إلى المتلقّي (القارئ) في أحسن وجه وتحدث التّأثير اللاّزم والإقناع المطلوب، كان لابدّ من صياغة هذه المادّة الإخباريّة بالكيفيّة التي تتمشّى والمتطلّبات الفكريّة واللّغويّة لهذه الجماهير[14]. فالهدف الأسمى من الخبر هو نقله وإبلاغه لا أسلوبه وبلاغته.

وحصر **علم الدّين** و**ليلى عبد المجيد** مكوّنات الأسلوب الإعلاميّ في أربعة مكوّنات أساسيّة تتمثّل في:

1. الصّحة النّحويّة: خاصّة بالتّغيّر الذي يطرأ على أبنيّة الكلّمات، وضبط العلاقات التي تربط بينها من خلال حركات الإعراب وعلامات البناء.

2. الصّحة المنطقيّة: خاصّة بالبناء الفكري للنّص خاصّة والجملة عامّة وانسجام الأفكار في سياق النّصّ الواحد وتكاملها، وعدم تناقض معانيها.

3. الصّحة الأسلوبيّة العامّة أو البلاغة: المقصود بها أنّ الخطاب الإعلاميّ لابدّ من أن يحتوي شيئا من البلاغة وفقا لمتطلّبات العربيّة الفصحى.

4. الصّحة الأسلوبيّة الخاصّة أو الصّحفيّة: المقصود بها حفاظ لغة الصّحافة على خصائص الأسلوب المتمثّلة في البّساطة والإيجاز، والتّأكيد، والأصالة والاختصار والصّحة، إلى جانب حفاظها على المكوّنات الثّلاثة المذكورة[15]. لكن

الذي نراه اليوم في الجرائد هو الصّحة المنطقيّة والصّحة الصّحفيّة بحجّة أن كاتب الخبر ليس من أهل اللّغة، أو همّه هو نقل الخبر لا التّركيز على بلاغته ونحويته.

تهم تنسب إلى اللّغة العربيّة: لقد جلبت سعة اللّغة العربيّة وعالميتها الضّيقَ على أعداء اللّسان العربيّ وقالوا كيف نترك المجال لهذه اللّغة تفضح لغتنا، وتظهر افتقارنا إليها[16]. وجعلتهم يتآمرون عليها ويخطّطون للقضاء عليها أو للحطّ من شأنها. وقد يبدو الكلام مقبولا إلى حدّ ما إذا كان المتآمرون الحاقدون من خارج الأمّة العربيّة، أمّا الذي لا يقبله العقل هو الضّرر الذي يلحقه الأعداء المندسّون في داخلها وبين صفوفها.

إنّ واقع الحال ونواميس الأشياء، تقتضي بأن تكون اللّغة العربيّة الفصحى تبعا لذلك كلّه، في محنة توازي هذه الأمّة وإنّها لكذلك. نعم، إنّها حقيقة مرّة أن يتخاذل العرب وينتازلوا عن هويتهم اللّغويّة واستأثروا الحداثة وفرّطوا في الأصول. فلا غرابة أن تحاك المؤامرات، وتنسج الدّسائس للغة نفر منها أهلها، ويمكن إيجاز بعض هذه المؤامرات والدّسائس تحت مسمّى **شبهات** أوردها الكاتب **محمّد بن عبد الله الإمام** في كتابه "**المؤامرة الغربيّة على اللّغة العربيّة**" **في** ثلاث عشرة شبهة [17] -مرفوقة بردود وإجابات- على عدم مواكبة اللّغة العربيّة للعصر الرّاهن في النّقاط الآتي ذكرها:

- إنّ اللّغة العربيّة لا تساير حاجات العصر ولا تفي بذلك.
- دعوى المستشرقين أنّ تعلّم اللّغة العربيّة عسير، وبناء على ذلك اتّجهوا إلى الدّعوة إلى تعلّم العامّيّة، وأكثروا التّأليف في ذلك.
- اللّغة العربيّة لغة بدويّة.
- إنّ البقاء على اللّغة الفصحى يقضي على قوّة العرب الاختراعيّة.
- قول المستشرقين: إنّ اللّغة العربيّة ستظلّ لغة الدّين.
- قول المستشرقين: إنّ اللّغة العربيّة قد دخلها الدّخيل من اللّغات الأخرى قبل الإسلام وبعده، فكيف تكون لغة القرآن خالصة؟

رهانات التّواصل الإعلاميّ: تواجه اللّغة العربيّة اليوم جملة من التّحدّيات تكاد تعصف بها، بعضها يعود إلى حقب مضت وزالتّ، لكنّ أثرها باق لا يزول أثر الاستدمار ــ وبعضها واقع نعيشه وهو خطر يداهمنا ويهدّد قوميتنا كلّ يوم، ويزداد أثره يوما بعد يوم، وأبرز هذه التّحدّيات ما تعانيه اللّغة العربيّة في وسائل التّواصل الإعلاميّ باختلاف أنواعها، فواقعها فيها واقع مرير ينذر بنتائج تهدّد أمننا اللّغويّ حيث أصبحت وسائل الإعلام تسيء إلى اللّغة أكثر ممّا تحسن مع أنّها ملكة الإحسان والجمال والإبداع، والإعلام المكتوب واحد من هذه الوسائل الذي انتشرت فيه كلّ العوامل التي من شأنها أن تحطّ من قيمة اللّغة العربيّة في الوقت الذي تسهم فيه الصّحافة على تطوّر وارتقاء اللّغة العربيّة من جانب آخر. وقد انتشرت وشاعت الأخطاء اللّغويّة في الجرائد واليوميات بحجّة أنّ اللّغة هي وسيلة تواصل لا غايّة ممّا أدّى إلى كثرة الأخطاء النّحويّة، والصّرفيّة، والإملائيّة، والمطبعيّة، والعامّي والدّخيل والحشو وغيرها. وعملا بمقولة **خطأ مشهور خير من صواب مهجور** التي انتقدها **الدّكتور مازن المبارك** في كتابه **نحو وعي لغوي** وأفرد لها عنواناً خاصّاً فيه باسم **السّخف المأثور في أنّ الخطأ المشهور خير من الصّواب المهجور**، حيث عدّها سمّا مدسوسا في حياة الأمّة مصاغا في قالب مَثَل[18]. وأصبح هذا المثل المسموم مبرّرا للخطأ واللّحن على كلّ لسان وفي كلّ مناسبة.

سنورد بعض الأخطاء بأنواعها فيما يأتي:

الأخطاء الإملائيّة: تكثر الأخطاء الإملائيّة في كتابات محرّري الصّحف خاصّة تلك المتعلّقة بشيوع أخطاء رسم همزتي الوصل والقطع وكثرة ورودهما وعدم التّفريق بينهما.

العدد 4734 الصّادر يوم الاثنين 11 ماي 2015م الموافق لــ 22 رجب 1436هـ.				
الخطأ	**نوعه**	**تكراره**	**الصّواب**	**التّعليل**
الانقطاع **الانقطاعات**	إملائي	1 2	الانقطاع الانقطاعات	كلّ هذه الكلمات أفعالها خماسيّة (**انقطع، اجتمع، انتخب انتهى، ارتجل، اقترب، اتّصل استاء، انتشر، احتجّ، اعتبر اتّهم، ازداد، اجتنب، احتوى امتنع، اطّلع، ارتقى**). والفعل الخماسي وأمره ومصدره كلّها تكتب بهمزة وصل[19] لأنّها ليست أصليّة بل لتسهيل النّطق بالسّاكن بعدها
الاجتماعيّة **الاجتماع**	إملائي	7 2	الاجتماعيّة الاجتماع	
الانتخابات	إملائي	2	الانتخابات	
انتهت	إملائي	/	انتهت	
الارتجاليّة	إملائي	/	الارتجاليّة	
باقتراب	إملائي	/	باقتراب	
الاتّصالات	إملائي	/	الاتّصالات	
الاستياء	إملائي	/	الاستياء	
انتشار	إملائي	2	انتشار	
احتجاجيّة **احتجّ**	إملائي	/ /	احتجاجيّة احتجّ	
اعتبار	إملائي	3	اعتبار	
اتّهامات	إملائي	1	اتّهامات	

الأخطاء النّحويّة إنّ التّدقيق اللّغويّ في الجانب النّحويّ صعب وعسير ما لم تضبط أواخر الكلمات بالحركات ــ وهو هدف علم النّحو ــ وهذا حال الصّحافة المكتوبة اليوم لكن هذا لا يمنع ظهور الأخطاء في كتابات الصّحافيّين، وتتمثّل هذه الأخطاء المركّبة في الفصل بين المضاف والمضاف إليه بحرف عطف، ومخالفة رفع الفاعل، ومخالفة نصب المفعول به، وغيرها من الأخطاء.

العدد 4734 الصّادر يوم الاثنين 11 ماي 2015م الموافق لـــ 22 رجب 1436هـ.			
الخطأ	**بابه**	**الصّواب**	**التّعليل**
أعلن جان ماري لوبان مؤسس حزب الجبهة الوطنيّة المتطرّف في فرنسا ورئيسه الشّرفي **أنّه قرر اعتناق** الإسلام نكايّة في ابنته.	اللازم والمتعدّي	**أعلن** جان ماري لوبان مؤسّس حزب الجبهة الوطنيّة المتطرّف في فرنسا ورئيسه الشّرفي **قرار** دخوله في الإسلام نكايّة في ابنته.	الفعل أعلن ــ معناه الإظهار والإبانة ــ متعدٍّ إلى مفعول واحد بنفسه أو بالباء ولا يتعدّى بحرف جرّ آخر أو أداة[20]. فالعرب تقول دان بالإسلام أو دخل فيه أو اتّخذه دينا ولا تقول اعتنق الإسلام[21]
وبعد أكثر من عشرين يوما لاحظنا بأنّ اثنين من المساهمين **لم يوقّعوا**	الفعل المضارع المجزوم	وبعد أكثر من عشرين يوما لاحظنا بأنّ اثنين من المساهمين **لم يوقّعا**	يجزم الفعل المضارع بحذف النّون إذا جاء على إحدى صيغ الأفعال الخمسة وهنا جاء على صيغة الاثنين وليس الجمع.
لم يرني أي وثيقة.	الفعل المضارع المجزوم	**لم يُرِنِ** أيّة وثيقة.	يجزم الفعل المضارع المعتل الآخر بحذف حرف العلّة

الأخطاء الصّرفيّة: ممّا لا شكّ فيه أنّ لكلّ زيادة في المبنى تغييراً في المعنى، ولغة الصّحافة تكثر فيها هذه الزّيادة المتعلّقة بصيغ الكلمات، فقد تكون الزّيادات بقصد أو بغيره، لكنّ كثرتها في لغة الصّحافة جعلتها تُخْرِجُ بعض الكلمات عن أصلها الصّرفي ودخولها في مجال الخطأ. وهذه بعض النّماذج المذكورة في الجدول الآتي:

العدد 4734 الصّادر يوم الاثنين 11 ماي 2015م الموافق لــ 22 رجب 1436هـ.			
الخطأ	**بابه**	**الصّواب**	**التّعليل**
إنّ موقف موّكله لــم ينشأ من **عدم** وإنّمــا بســـبب القضـــايا المختلفة.	التّعريـــف والتّنكير	إنّ موقف موّكله لــم ينشأ من **العدم** وإنّمــا بســـبب القضـــايا المختلفة	المقصود من العدم ليس النّفي بل اللاشيء.
رضـــــخت وزارة التّربيّــة الوطنيّــة لطلبــات المجتمــع المدني الذي ضــغط **عليه** في العديد مــن المرّات.	عائـــــد الضّمير	رضخت وزارة التّربيّة الوطنيّــة لطلبــات المجتمع المدني الــذي ضــغط **عليهــا** فــي العديد من المرّات.	خضـــعت أو أذعنـــت وزارة التّربيّة لطلبــات المجتمع المــدني الــذي ضغط عليها في العديــد من المرّات[22] فمعنـــى الرّضخ بعيد تماما عــن معنـــــى الخضـــــوع والإذعان.والهاء ضمير عائد على الوزارة وليس على المجتمع لذا يجــب كتابته **عليها**
لــدي **حســاب** فــي تيبازة واحد للزّبــائن وآخر للأتعاب	المثنى	لدي **حسابان** في تيبازة واحد للزّبائن وآخــر للأتعاب	السّــيّاق يتحــدّث عــن المثنّى لذا وجب تثنيّــة كلمة حساب.

الأخطاء الدّلاليّة: يطلق على الصّحافة الأدب العاجل بسبب السّرعة في كتابة الأخبار ونشرها ممّا يجعل لغتها عرضة لأخطاء وزلّات دلاليّة لا يتنبه لها صاحب الخبر في

غالب الأحيان، كما تلعب المساحة المحدودة دورا هامّا في هذا النّوع من الأخطاء الآتي ذكرها في الجدول.

العدد 4734 الصّادر يوم الاثنين 11 ماي 2015م الموافق لـ 22 رجب 1436هـ		
الخطأ	**الصّواب**	**التّعليل**
يذكر أنّ كثيرا من المتّهمين بتجاوز صلاحياتهم بالولايّة **يشدون بطونهم خشيّة انكشاف الحقيقة**	يذكر أنّ كثيرا من المتّهمين بتجاوز صلاحياتهم بالولايّة يخشون انكشاف حقيقة أمرهم.	**يشدّون بطونهم** تعبير مستعار من العاميّة لا يمتّ بصلة إلى العربيّة الفصحى.
تعديل القانون يتطلب أن **لا يكون** الحاصل على الأسهم **ليس** غريبا عن الشّركة	تعديل القانون يتطلّب أن **يكون** الحاصل على الأسهم **ليس** غريبا عن الشّركة أو تعديل القانون يتطلّب أن **لا يكون** الحاصل على الأسهم غريبا عن الشّركة	النّفي يكون بأداة واحدة فقط في العبارة المنفيّة.
قلت له لماذا تتّهمني بالمشاركة في **جمعيّة أشرار**.	قلت له لماذا تتّهمني بالمشاركة في **جماعة أشرار**.	دلالة الجمعيّة تختلف عن دلالة الجماعة خاصّة إذا أضيفت إليها كلمة أشرار.
وباشرت ذات المصالح تحريات موسعة ودقيقة بدءا برفع الأثار البصمات	وباشرت ذات المصالح تحرّيات موّسعة ودقيقة بدءا برفع آثار البصمات.	لا يمكن تعريف الكلمة في الوقت آنه مرتين فكلمة آثار تعرّف بالإضافة فقط في هذا السّياق.

الأخطاء المطبعيّة: تعاني الصّحافة اليوم من منافسة وسائل إعلاميّة أخرى متطوّرة من السّبق في التّقاط الخبر ونشره ساعيّة بذلك للمحافظة على كينونتها، لكن

هذا الأمر أدّى بها إلى سقوطها في هفوات مطبعيّة ساذجة وغير مقبولة في بعض الأحيان والجدول الآتي يظهر بعضاً من هذه الأخطاء.

العدد 4734 الصّادر يوم الاثنين 11 ماي 2015م الموافق لـ 22 رجب 1436هـ		
الخطأ	**الصّواب**	**التّعليل**
حق الطّعن في **الحكام**	حقّ الطّعن في **الأحكام**	حذف الهمزة
مديرريّة	مديريّة	إضافة حرف الرّاء
وحسب **حسب** المادّة	وحسب المادّة	تكرار كلمة حسب
الشّورق	الشّروق	القلب بين الواو والرّاء
شركات بترولية **مغروفة**	شركات بترولية **معروفة**	تغيير حرف العين بحرف الغين
أعاق **حرة** السّكان	أعاق **حركة** السّكان	حذف الكاف
أفاد ممثّل السّكان **أتن** عمارتهم	أفاد ممثّل السّكان **أنّ** عمارتهم	إضافة تاء
إحدى أقدم البلديات عبر **الطّن**	إحدى أقدم البلديات عبر **الوطن**	حذف الواو
و**عقد** الإيجار لم أحرّرها أنا	و**عقود** الإيجار لم أحرّرها أنا	حذف الواو

خاتمة: وأخيرا نزعم أنّنا حاولنا تقديم تصوّر لواقع اللّغة العربيّة في التّواصل الإعلاميّ ووجدنا أنّ:

- المسار الإعلاميّ تتفاعل في بلورته ثلاث قدرات هي: القدرة اللّغويّة والفكريّة والتّواصليّة. فلا حجّة في التّركيز على الثّانيّة والثّالثّة وإهمال الأولى.

- فريقا يزعم أنّ اللّغة العربيّة لغة ميّتة وتذهب بهم الظّنون إلى ذلك، وآثروا الحداثة على حساب أصالتّهم، لكن هيهات هيهات لا حداثة في عدول عن الأصول.
- الإعلام عموما والصّحافة على وجه الخصوص بقدر الفائدة التي قدّماها إلى اللّغة العربيّة، فقد أضرا بها كثيرا لما استفحلت الأخطاء وتفشى اللّحن فيها.
- الصّحفيّ يعطي الأولويّة والأهميّة للخبر على حساب التّعبير والأسلوب ممّا ينجر عنه السّقوط في الزّلل والأخطاء. وكذا تذرعه أنّه ليس من أهل اللّغة (أي دارسيها كتخصّص).
- استعمال اللّغة العربيّة كوسيلة إبلاغ للمعلومة فقط وليست غايّة في ذاتها ممّا يجعل الإعلاميّ يخرق قواعد اللّغة في غالب الأحيان.
- اختلاف علماء اللّغة حول مدى تأثير الفصحى المعاصرة في اللّغة العربيّة سلبا وإيجابا.

وبناء على هذه النّتائج ارتأينا اقتراح بعض الرّؤى التي نحسبها ذات فائدة نجملها في النّقاط الآتيّة:

- تأسيس مجمع لغويّ موحّد على شاكلة بنك أو نواة تسهم فيه المجامع اللّغويّة الفرعيّة في كلّ بلد عربيّ.
- توطيد الصّلات بين الأدباء والعلماء والمفكرين والمعلّمين على المستويين المحليّ والقوميّ من جهة، وبينهم وبين رجال الإعلام من جهة ثانيّة.
- ضرورة تكوين رجال الإعلام في اللّغة العربيّة وقواعدها.

الاحالات:

[1]: ينظر علي جريشة، نحو إعلام إسلامي، إعلامنا إلى أين؟؟، دار الإرشاد للنّشر والتّوزيع البليدة ط 1، 1990، ص 11.

[2]: إبرير بشير، الصّورة في الخطاب الإعلامي، أشغال الملتقى الدّولي الخامس السّيمياء والنّصّ الأدبي، قسم الأدب العربي، جامعة محمّد خيضر، بسكرة، 15–17 نوفمبر 2008، ص3.

[3]: المرجع نفسه، ص 4.

[4]: ينظر مها قنوت، اللّغة العربيّة والإعلام واقعها وآفاق تطورها، مجلّة مجمع اللغة العربيّة بدمشق ج4، مج 74، أكتوبر 1999، ص686.

[5]: ينظر محمود خليل، محمّد منصور هيبه، إنتاج اللّغة الإعلاميّة في النّصوص الإعلاميّة مركز جامعة القاهرة للتّعليم المفتوح، القاهرة، مصر، د ط، 2002، ص33.

[6]: ينظر عبد العزيز شرف، المدخل إلى علم الإعلام اللّغوي، مركز جامعة القاهرة للتّعليم المفتوح القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص29.

[7]: ينظر سامي الشّريف وأيمن منصور، اللّغة الإعلاميّة المفاهيم الأسس التّطبيقات، كلّيّة الإعلام جامعة القاهرة، 2004، ص34 و35.

[8]: ينظر علي عبد الفتّاح، إدارة الإعلام، دار اليازوري العلميّة للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن ط 2014، ص 150.

(9): أديب مروة، الصّحافة العربيّة نشأتها وتطوّرها، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د ط، د ت ص441.

[10]: ينظر محمود خليل، محمّد منصور هيبه، إنتاج اللّغة الإعلاميّة في النّصوص الإعلاميّة ص37.

[11]: ينظر عبد الكريم خليفة، اللّغة العربيّة والتّعريب في العصر الحديث، منشورات مجمع اللّغة العربيّة الأردني، عمان، الأردن، ط2، 1988، ص214.

[12]: ينظر مها قنوت، اللّغة العربيّة والإعلام واقعها وآفاق تطوّرها، ص689.

[13]: اليازجي إبراهيم، لغة الجرائد، مطبعة التّقدّم، مصر، د ط، د ت، ص 2.

(14): ينظر طلعت همّام، مائة سؤال عن الصّحافة، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط 2، 1988 ص 20–21.

(15): ينظر محمود خليل، محمّد منصور هيبه، إنتاج اللّغة الإعلاميّة في النّصوص الإعلاميّة، ص 40 و41.

(16): ينظر محمّد بن عبد الله الإمام، المؤامرة الغربيّة على اللغة العربيّة، مكتبة الإمام الألباني صنعاء، اليمن، ط1، 2009، ص15.

(17): ينظر محمّد بن عبد الله الإمام، المرجع نفسه، فهرس المحتويات ص234– 247.

(18): ينظر المبارك مازن، نحو وعي لغوي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، د ط، 1979، ص 190.

(19): ينظر ابن النّاظم أبي عبد الله بدر الدّين محمّد، شرح ابن النّاظم على ألفيّة ابن مالك، تحقيق محمّد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص 592–593.

(20): ينظر محجوب محمّد موسى، تطهير اللّغة من الأخطاء الشّائعة، دار القمة، الإسكندريّة مصر ودار الإيمان، الإسكندريّة، مصر، د ط، د ت، ج1، 37.

(21): ينظر المبارك محمّد، فقه اللّغة وخصائص العربيّة، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط2 د ت، ص335./ تطهير اللّغة من الأخطاء الشّائعة، ص54.

(22): ينظر مصطفى جواد، قل ولا تقل، دار الهدى، دمشق، سوريا، ج2، ص65./ نحو وعي لغوي، ص198/ تطهير اللّغة من الأخطاء الشّائعة، ص19./لغة الجرائد، ص37.

اللّغة العربيّة بين الآفاق التعليميّة وواقع التعلّم
مرحلة المتوسّط أنموذجا

أ. سعاد نكاع

جامعة مستغانم

الملخّص: اللغة نظام إشاري يسمح للإنسان بالاستمراريّة وبناء مجتمعه، وتجسيد أفكاره وحضارته ويتمّ هذا على إثر التّواصل مع غيره، إذ هي ملازمة للفكر وعاملة فيه يسعى الإنسان من خلالها إلى التّأثير في غيره وتغيير العالم من حوله، وبمحاذاة ذلك تكتسي الظّاهرة اللغويّة ميزة كونها أكثر الظّواهر الكونيّة تفرّعا في أصولها.

إضافة إلى الخصائص المذكورة أعلاه، تختصّ اللّغة العربيّة بنظامها المتفرّد وبنائها المتميّز وقد يرجع ذلك كونها لغة دين ولغة القرآن الكريم، ومن ثمّ فإنّ اكتساب اللغة العربيّة وطرق تعلّمها يقتضي تخطيطا للبرامج والأهداف والآفاق، خاصّة ونحن نعيش واقع تردّي هذه اللغّة في أوساط المجتمعات العربيّة عامّة والجزائريّة على وجه الخصوص.

فاللغة العربيّة في المنظومة التّربويّة الجزائريّة هي لغة التّعليم لجميع المواد، وفي جميع المراحل التّعليميّة، وهي بهذه الصّفة تحتل الصّدارة كمادة عرضيّة (أفقيّة)، إذ على اكتسابها يتوقّف نجاح التّلميذ، ليس النّجاح المدرسي فحسب، بل النّجاح في الحياة الاجتماعيّة[1]. وعليه فإنّ تدريسها يحمّل الأستاذ عبأين:

1- تعليم اللّغة للتّلميذ باعتبارها لغة التّواصل والمحادثة والتّأثير والإقناع.

2- تعليمه إيّاها باعتبارها عامل نجاح أو إخفاق في المواد التّعلُّميّة الأخرى.

بالرّغم من ذلك تعتور الأستاذ أثناء عمليّة التّدريس لمادّة اللّغة العربيّة صعوبة في التّلقين، ويحيل البعض إلى أنّ مرجعيّة هذه الصّعوبة تكمن في خضوعها لقوانين نحويّة وصرفيّة صارمة ومعقّدة هذا إن لم يغالي البعض في وصفهم هذا. ولكن الأرجح أنّ هذه الصّعوبة كامنة وراء قلّة استخدام المجتمع لهذه الفصحى، فالمتعلّم أوّل

ما يتلقّى اللّغة سماعا تكون باللّهجة العاميّة هذا من جهة، ومن جهة أخرى نلمح بعض الأساتذة وأثناء القيّام بعمليّة التّدريس يستخدمون الدّارجة.

الآفاق التّعلميّة للّغة العربيّة في مرحلة المتوسّط: بعد إتقان الطّفل للّغة العاميّة من محيطه الأسري، وعندما يذهب إلى المدرسة يجد أمامه لغة تختلف في استخداماتها وبنائها التّركيبي والدّلالي عمّا عهده سابقا، وحينئذ يجد نفسه مطالبا بإتقانها ليتمكّن من فهم ما يطرح عليه من معارف في المدرسة، وعن ذلك يقول الأستاذ عبد الله الدّنان: "يدخل التّلميذ العربي إلى المدرسة في سنّ السّادسة، وقد أتقن العاميّة قبل هذا السّن عندما كانت القدرة اللّغويّة الهائلة للدّماغ على اكتساب اللّغات في أوجّها أي أنّه تزوّد باللغة التي يفترض أنّه يكتسب بها المعارف المختلفة، وذلك بحسب طبيعته وتكوينه، إلّا أنّه يُفاجأ بأنّ لغة المعرفة ليست اللّغة التي تزوّد بها، وإنّما لغة أخرى لا بدّ له من أن يتعلّمها ويتقنها لكي يتمكّن من فهم المواد المعرفيّة الأخرى"[2].

والحال ذاتها في مرحلة المتوسّط، إذ تعتبر اللغة العربيّة في هذه المرحلة، الوسيلة الأساسيّة في عمليّة التّعليم والتّعلّم حالها حال غيرها من المراحل الأخرى، فهي العامل المشترك لإجراء التّعلّم في جميع المواد المقرّرة، وأداة فاعلة في إرساء التّعلّمات وإكساب الموارد الضّروريّة لتنميّة كفاءات المواد، والكفاءات العرضيّة المتناميّة ضمن سيرورة التّعلّم ذي الملامح المشتركة المبنيّة على القيم الوطنيّة والإنسانيّة[3].

إنّ عمليّة التّعلّم في هذه المرحلة تستهدف بالدّرجة الأولى التّمكن السّليم والوظيفي للغة العربيّة، لأنّها إحدى الوسائل في تحقيق المدرسة لوظائفها، ومن أهمّ هذه الوظائف تمكين المتعلّم من التّواصل اللغوي الإيجابي وفهم أنواع الخطاب ونقله والتّفاعل معه تفاعلا يعبّر عن واقعه المعيش وعن البيئة المحيطة به.

وفي ضوء ما سبق ذكره، تأخذ اللغة العربيّة مكانة بارزة في مرحلة التّعليم المتوسّط حيث إنّها الأساس المهمّ في بناء التّعلّم فكريا ونفسيا واجتماعيا، كما أنّها وسيلة بناء التّعلّمات في المواد الدّراسيّة المختلفة، ولا يستطيع أيّ متعلّم أن ينتقل من مستوى إلى آخر أو من مرحلة إلى أخرى قبل أن يتحكّم في كفاءات ميادين اللغة

الأربعة: الاستماع والحديث، والقراءة، والكتابة. فالتّحكّم في اللغة أساس التّحكّم في المواد الدّراسيّة الأخرى التي تساعد على إثراء جوانب معرفيّة متنوّعة لدى المتعلّمين، وتمكّن من تنميّة كفاءات عرضيّة في مجال الفكر والثّقافة، والمنهجيات، والتّواصل الاجتماعي والفردي.

فعن طريق اللغة يستوعب المتعلّمون المفاهيم الأساسيّة ويعبرون بها عمّا لديهم من أفكار في تفاعل مشترك مع المواد الدّراسيّة المقرّرة، لأنّ العزلة بين اللغة وبقيّة المواد غالبا ما تؤدّي إلى عدم الانسجام، ممّا يتسبب في ظهور تفاوت مشين في نوع المفردات والتّراكيب المقدّمة في إنتاج المتعلّمين، لذا يتوجّب على الأساتذة في مرحلة التّعليم المتوسّط خاصّة مراعاة تنميّة مهارات اللغة المختلفة، بالاستعمال السّليم لها في تعاملهم مع المواد الدّراسيّة الأخرى تعزيزا لتكامليّة التّعلّم ذي الملامح المشتركة[4]. فقد بيّنت التّجارب على أنّ تقدّم المتعلّمين في اللغة يساعدهم على التّقدّم في المواد الأخرى التي يعتمد في تدريسها على القراءة والفهم، ومن هنا وجب التّركيز على تقويّة الصّلة بين اللغة وغيرها من المواد الدّراسيّة.

تهدف الاستراتيجيّة المنوطة بالعمليّة التّربويّة في ظلّ مخطّطات مناهج الجيل الثّاني إلى تمكين المتعلّم من إنتاج خطابات تواصليّة دالّة وهادفة وبوضعيات مختلفة، ونظرا للأهميّة القصوى التي تحظى بها اللغة العربيّة في التّعليم، ركّزت المناهج الجديدة في إصلاح المنظومة التّربويّة على دعم اللغة العربيّة بتخصيص الوقت الكافي لها والمناسب لممارسة أنشطتها المتنوّعة، ورفع معاملها ليصبح الاهتمام بها كبيرا في جميع الوضعيات التي تستعمل فيها. إضافة إلى ذلك فقد عمدت اللّجنة المتخصّصّة إلى الاهتمام بالمحتويات خاصّة ما تعلّق بالنّصوص الأدبيّة المستقاة من أدب أدباء وليس من مواقع للأنترنيت.

ملمح اكتساب اللّغة العربيّة وفق البرامج المسطّرة للجيل الثّاني: إنّ تحكّم المتعلّم في اللغة العربيّة نجاح، يساعده على بناء شخصيته الفكريّة والنّفسيّة والاجتماعيّة، ممّا يؤهّله لبلوغ مراحل أخرى بيسر وثقة تعيّنه على فهم روح العصر والتّكيف مع الحياة

العمليّة تكيفا يمكنّه من مجابهة المشكلات التي تعترض سبيله فيجد لها الحلول المناسبة بمساعيه الذّاتيّة أو بتعاونه مع الآخرين من أفراد المجتمع الذي ينتمي إليه أو يكون متواجدا فيه.

ولا يتأتّى هذا إلاّ بالتّحكّم في الكفاءات الأربع للّغة (الاستماع والتّحدّث والقراءة والكتابة) وذلك بـــ:

ـــ تنميّة المتعلّم لكفاءاته اللغويّة ومهاراته في التّواصل الكتابي والشّفوي.

ـــ تحكّمه في تقنيات التّعبير والقواعد الأساسيّة النّحويّة والصّرفيّة والإملائيّة والأساليب البلاغيّة وتوظيفها عمليا.

ـــ فهم المسموع والمكتوب والتّفاعل معهما؛

ـــ كتابة نصوص متنوّعة (وصفيّة، سرديّة، حواريّة، توجيهيّة، حجّاجيّة، تفسيريّة) في وضعيات تواصل مختلفة؛

ـــ قراءة مقرونة بجودة النّطق وحسن الأداء وتمثيل المعنى؛

ـــ فهم المعاني المتعدّدة للكلمات؛

ـــ اكتساب ثروة لغويّة مناسبة؛

ـــ مناقشة أفكار النّص المقروء وإصدار الأحكام في شأنها؛

ـــ التّمييز بين الأفكار الأساسيّة والفرعيّة في النّص؛

ـــ شرح معاني النّص شرحا مترابطا، منسجما؛

ـــ تلخيص المقروء بلغة سليمة وفكر منتظم[5].

أهداف المناهج في إنتاج النّصوص من خلال البرامج المسطّرة: إذا ما حاولنا استقراء الأهداف المرجوّة من مناهج الجيل الجديد والمسطّرة من رحم المقرّرات التّعليميّة فإنّنا نلفيها كلّها تدور حول العمليّة الإنتاجيّة للنّص المنطوق ثمّ المكتوب من قبل المتعلّم موازاة مع النّصوص التي يتفاعل معها المتعلّم في إطار التّفاعل النّصي بغيّة الرّقي باللّغة الإنتاجيّة لدى المتعلّم، ويمكن أن نستشّف ذلك من خلال المؤشّرات والتي غالبيتها تحمّل المتّعلّم على ممارسة الفعل الحركي (أن يتواصل، أن يفهم ، أن

ينتج...)، والذي يحيله في نهايّة الأمر إلى التّفاعل مع النّصوص وتحقيق الغايّة المرجوة من المقرّر والتي نوجز منها:

1- التّحكّم في كفاءات الاستماع والحديث والقراءة والكتابة؛

2- تنميّة الكفاءات اللّغويّة والمهارات في التّواصل الكتابي والشّفاهي؛

3- كتابة نصوص متنوّعة وصفيّة وسرديّة في وضعيات تواصل مختلفة؛

4- التّحكّم في تقنيات التّعبير والقواعد الأساسيّة النّحويّة، الصّرفيّة والإملائيّة والأساليب البلاغيّة وتوظيفها عمليا؛

5- تحقيق التّفاعل مع الغير[6].

العمليّة الإنتاجيّة للنّصوص وفق رؤى مناهج الجيل الثّاني انطلاقا من مبدأ التّناص: تتجلّى الغايّة من خلال التّخطيط المستحدث الذي عرفه المنهاج والذي قسّم إلى مقاطع ثمانيّة كما سبق الذّكر آنفا – الحياة العائليّة، حبّ الوطن، عظماء الإنسانيّة الأخلاق والمجتمع، العلم والاكتشافات العلميّة، الأعياد، الطّبيعة، الصّحة والرّياضة- والنّتيجة المرجوّة من وراء هذه المقاطع أنّها "ذات دلالة بالنّسبة للمتعلّم من صميم واقعه المعيش وهي موحيّة بقيم أسريّة ووطنيّة وإنسانيّة وأخلاقيّة واجتماعيّة"[7]، فالمتعلّم يلامس واقعه من خلال هذه النّصوص ويستشفّ القيم الواردة فيها، و من ثمّ وبعد أن تترسّخ كلّ المكتسبات يسعى التّلميذ إلى الإنتاج وفق الرّؤى التي تبلورت لديه من خلال الخطابات الواردة في المقاطع، والتي هي في حقيقة الأمر "كفيلة بإحداث التّواصل والتّفاعل والانفعال، إنّها ترهف الحسّ وتقدح زناد الفكر، فيحدث التّفكير وتحسُن اللّغة والتّعبير فيحصل الذّوق السّليم والإبداع وتتفجّر القرائح والمواهب"[8].

يتّضح نظام بناء ميادين الجيل الجديد على دربين" المنطوق والمكتوب"، وكلاهما يعتمدان مبدأ المقاربة النّصيّة المقرّرة في مناهج الجيل الثّاني، حيث أنّها "تتّخذ النّص محورا أساسيا تدور حوله جميع فروع اللّغة، ويمثّل البنيّة الكبرى التي تظهر فيها كلّ المستويات اللّغويّة والصّوتيّة والدّلاليّة والنّحويّة والصّرفيّة والأسلوبيّة، وبهذا يصبح النّص محور العمليّة التّعلميّة"[9] ، وعلى هذا الأساس تتجسّد المقاربة النّصيّة كفعل خلّاق

أو حافز للتّفاعل النّصي يعتمد عليه المتعلّم في عمليّة إنتاجه للنّصوص الكتابيّة أو المنطوقة لتحقيق عمليّة التّواصل.

وعليه فإنّ ميادين الجيل الثّاني تكتسي في غالبها الطّابع التّحفيزي والذي يرسّخ في ذهن المتعلّم القدرة على الإنتاج، إذ تتوارد كلمة الإنتاج في غالبيّة الميادين من بينها: فهم المنطوق وإنتاجه، فهم المكتوب، فهم المكتوب وإنتاجه، وإنتاج المكتوب. فالعمليّة التّعلميّة تنطلق من ميدان فهم المنطوق وإنتاجه والتي تهدف إلى حمل المتعلّم على أن يتفاعل مع هذه النّصوص ليصل في نهايّة المطاف إلى محاكاتها والنّسج على منوالها مشافهة.

بعد ذلك ينتقل المتعلّم من المشافهة إلى الكتابة فيحاول الاقتباس من ميدان فهم المكتوب العبر والقيّم بالإضافة إلى تنميّة زاده اللّغوي بمناقشة الظّواهر اللّغويّة، ويبقى المتّعلم في مجال المكتوب مع ميدان فهم المكتوب وإنتاجه والذي يستقي منه الفنون التّعبيريّة والبلاغيّة من خلال قراءته وتحليله لنصوص نثريّة وشعريّة. لتتوّج العمليّة التّعلميّة في نهايّة المطاف بالإنتاج مع ميدان إنتاج المكتوب بعد أن حصل التّفاعل نصيّا بين المتعلّم وبين النّصوص الذي كانت له فرصة في مناقشتها وتحليلها والاستفادة من مضامينها.

صعوبة الاستعمال اللّغوي الفصيح لدى المتعلّم: تبقى كل الأمور التي سبق إيرادها إنّما تقاس بمعيار النّسبيّة، ولذلك نلفي المتعلّم يعاني من ضعف في استخدام اللّغة الفصحى ويرجع الأمر إلى: المتعلّم، المعلّم، الكتاب المدرسي، المحيط، من بين هذه المشاكل:

1- ضعف اللّغة الأدبيّة بحيث يعمد المتعلّم إلى استخدام اللّغة البسيطة؛

2- مزج اللغة الفصحى بالعاميّة أثناء التّواصل داخل القسم شفويا وكتابيا من قبل المتعلّم؛

3- ضعف استيعاب المتعلّم لكافة الظّواهر النّحويّة بسبب تقارب الحالات المدروسة من جهة، وكثافة البرنامج الدّراسي من جهة أخرى؛

4- لجوء المعلّم إلى الدّارجة أحيانا أو استخدام الفرنسيّة المعرّبة من أجل تقريب المفاهيم وهذا ما يسبّب خرقا للقاعدة لدى المتعلّم؛

5- ضعف المقروئيّة عند المتعلّم وهذا ما يسبّب ضعفا في رصيده اللّغوي؛

6- صعوبة اللّعب بالكلمات؛

7- ضعف استثمار المكتسبات القبليّة في إنتاج وضعيّة تعبيريّة؛

8- وقد تتدخّل أسباب أخرى كالنّفسيّة والصّحيّة والاجتماعيّة.

في حين يمكن أن تكون هناك اقتراحات للنّهوض بالاستعمال اللّغوي الفصيح لدى المتعلّم، ولكن الأمر متعلّق بكافة البنى الاجتماعيّة مؤسّسات حكوميّة أو غيرها، ونبقى في نطاق التّربيّة والتّعليم لنجمل جملة من الاقتراحات:

1- إصلاح أساليب تعليم العربيّة بوضع تخطيط لغوي يأخذ في الحسبان المراجعة الدّقيقة لكلّ أنماط اللغة؛

2- تشجيع التّأليف والقراءة في الأوساط التّعليميّة؛

3- إنشاء مراكز للبحث العلمي الميداني من أجل السّعيّ في تطوير اللّغة العربيّة وذلك عن طريق البحث في المشكلات التي تصادف المتعلّم في اكتسابه لهذه اللّغة.

ولقد عرضت اللّجنة المتخصّصة في مناهج الجيل الثّاني جملة من الاقتراحات لحلّ هذه المشاكل نوردها كالآتي:

- **المتعلّم:**

1- إثارة حاسة الاستماع: بـ

2- إقامة منافسات وأنشطة سمعيّة، استماع المتعلمين إلى قطع مسجلة ومحاورتهم فيها؛

3- تدريبهم على استخدام حواسهم البصريّة من خلال ملاحظة مختلف الأشياء (صور، رسوم، مجسّمات.....)؛

4- تكليفه بإثراء قاموسه اللغوي من خلال نصوص القراءة والمطالعة والمشاريع

5- تشجيع المتعلّمين على الكلام ومحاورة بعضهم بعضا وكتابة الملخّصات والخواطر؛

6- شكّل الكلمات الصّعبة، وتدريب التّلاميذ على النّطق الصّحيح للحروف والقراءة السّليمة؛

7- استعمال الوسائل التّعليميّة المعيّنة على إدراك الصّلة بين الرّموز اللغويّة ومدلولاتها؛

8- تدريبه على دقّة الملاحظة والإدراك.

- **الكتاب المدرسي:**

- عدم ملاءمته من حيث المحتوى والأسلوب، والشّكل.

*** – العلاج:**

1- يجب أن تكون مادّته مشوّقة مثيرة لاهتمامات المتعلّمين، متنوّعة الموضوعات دالة على محيطه الاجتماعي؛

2- أن يكون أسلوبه سهلا ؛

3- ان يكون جيّد المسك حتى لا تتفكك اوراقه، وان يكون شكله جميلا محلى بالصّور والموضحات حتى يقبل المتعلّم على قراءته.

- **محيط المتعلّم:**

- اختلاف لغة البيت والشّارع والمحيط عن لغة المدرسة.

*** – العلاج:**

1- تكليف المتعلّم بحفظ النّصوص الشّعريّة والأناشيد والأقوال المأثورة والأساليب الجميلة؛

2- التّدرب على التّعبير الصّحيح؛

3- الرّبط بين المواد الدّراسيّة[10].

الاحالات:

[1] عبد اللّه الدّنان، نظريّة تعليم اللّغة العربيّة بالفطرة والممارسة تطبيقاتها وانتشارها، ص11.

[2] ينظر: الوثيقة المرافقة لمنهج اللّغة العربيّة مرحلة التّعليم المتوسّط، وزارة التّربيّة الوطنيّة 2015.

[3] المرجع نفسه.

[4] المرجع نفسه.

[5] منهاج اللغة العربيّة، ص09.

[6] ينظر: محفوظ كحوال، دليل الأستاذ اللغة العربيّة السّنة الأولى من التّعليم المتوسّط، موفم للنّشر الجزائر، ص23.

[7] المرجع نفسه، ص22.

[8] نفسه، ص22.

[9] نفسه، ص30.

[10] الوثيقة المرافقة لمنهج اللّغة العربيّة مرحلة التّعليم المتوسّط.

مناهج تعليم العربيّة
بين التنظير الحداثي والموروث التراثي

داه. قاضي الشّيخ
جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم.

ملخّص: إنّ العربيّة هي الوعاء الأوّل للقيم التي تقوم عليها الجماعة وجدانيا وثقافيا وتاريخيا ودينيا؛ مروءة الإنسان على قدر باعه فيها، إنّها في حاجة إلى من يحمل في قلبه حلما أكبر من الجيل، وفي عقله مشروعا أوسع من العرق والجنس وفي بصيرته رؤيّة تخترق المستقبل لتطلّ على الآتي؛ أمّا اليوم، فإذا تأمّلنا في الطّرائق التي تناسب اللغة العربيّة تدريسا وتعليما، وقلّبنا المناهج المقترحة، تبين لنا أنّنا لم نفهم عن العربيّة طبيعتها، ولم نستخرج منها كيفيّة تدريسها، وأنّنا نرهقها من خلال استجلاب طرائق تصلح للغات أخرى تختلف عنها بنيّة وتكوينا.

• **الكلمات المفتاحيّة:** العربيّة – تدريس – مناهج – سلوكيّة – معرفيّة – كفايات – إنشاد – حفظ.

المداخلة: التّطوُّر سنَّة الله في الخليقة ماضيّة إلى يوم الدّين، ألا وإنّ الإنسان هو المحور الرّئيس في عمارة الكون إن لم يكن أوْحَدها، تقدَّم الزّمن وعبرت البشريّة أطوارا وأطواراً تتوارث الأجيال معارفها بعضها بعضا إلى يومنا، حتى بات الواحد يعلّم علم اليقين أن عمره أقصر من أن يُلِّم خلاله بعشر عموميّات المعرف فما بالك بخصوصياتها؟ وإذًا؛ لا مناص من التّخصص وتقسيم الأدوار ضمن ثالوث «معرفة– مهارة– وسيلة». قد بات لزاما التّسليم أنّ أي تطوير في المعرفة يقابله مثيلاه في المهارة والوسيلة، إنّه تعالق ثلاثي تبادلي التّأثير والتّأثر بين المعرفة والمهارة والوسيلة أوّلا، وبين الثّالوث المذكور والجماعة الانسانيّة ثانيا.

أ. **التّنظير الحداثي:** تطوّرت طرق التّعليم وتنوّعت بين التّلقين والتّلقي، إلى الحوار وصولا إلى حلٍّ المشكلات، وذلك بوضع المتعلّم في مواجهة مشكل بحسب مقتضيات موضوعات التّعلّم، وعلى هذا الأساس ظهرت نظريّات كثيرة وتفرعت يمكن إجمالها في نوعين مختلفين:

1. سلوكيّة تنقسم بدورها إلى ارتباطيّة ووظيفيّة؛

2. معرفيّة يقودها بياجيه، طورها من بعد من يدعون بالبياجيين الجدد على غرار روبي كيس وكورت فيشر، من أجل توجيه المتعلّمين نحو بحث قضايا المشكل المطروح، والعمل على اكتشاف معارفه بالفهم والتّحليل والاستنباط عن طريق المناقشة.

1. النّظريات السّلوكيّة.

1.1. الارتباطيّة.

نظريّة الارتباط الشّرطي الكلاسيكي عند بافلوف.

التّجربة: أجرى بافلوف تجربة قياس كميّة اللعاب التي تسيل من الكلب أثناء تقديم الطّعام، وكان يقرع الجرس كلّما أراد تقديم الطّعام، ثمّ أخذ يدقّ الجرس دون تقديم الطّعام فكان اللعاب يسيل. فكانت قوانينه هي:

- **المثير الطّبيعي:** اللحم؛
- **المثير الشّرطي:** صوت الجرس؛
- **الاستجابة الطّبيعيّة:** سيلان اللعاب عند تقديم الطّعام.

كانت النّتيجة هي اقتران بين مثير شرطي واستجابة طبيعيّة بحيث يصبح المثير الشّرطي قادراً على تجاوز المثير الطّبيعي.

قوانين التّعلّم عند بافلوف:

- **التّنبيه:** وهو الرّبط بين مثيرين شرطي وغير شرطي، مع الوقت يكتسب الأوّل خواص الثّاني، طالما يصبح قادراً على استدعاء الاستجابة الشّرطيّة1؛

❖ **التّعميم:** هو انتقال أثر المثير الشّرطي إلى مثيرات أخرى ترمز له أو تشبهه وكمثال على ذلك فأنّ الانسان الذي تلسعه نحلة ينظر إلى جميع الحشرات وكأنّها قادرة على إحداث الألم الذي تسبّبه النّحلة2؛

❖ **التّمييز:** التّفرقة بين المثير الأصلي والمثيرات التي تشبهه، بما أنّ الأصلي يملك التّعزيز فإنّه يستمرّ بينما الأخرى تنطفئ؛

❖ **الانطفاء:** يضعف الارتباط الشّرطي بمرور الزّمن أو توقف التّعزيز عندما يُعطى مثير شرطي بصورة متكرّرة، ولا يعقبه المثير غير الشّرطي، فإنّ الاستجابة لهذا المثير تتوقّف في نهايّة الأمر؛

❖ **الاسترجاع التّلقائي:** بعد الانطفاء، يميل الانعكاس الشّرطي إلى العمل مرّة أخرى بعد فترة راحة، وتسمّى هذه الظّاهرة بالاسترجاع التّلقائي؛

❖ **التّعزيز:** وهو العامل الحاسم في التّعلّم الشّرطي، فلكي يصبح الجرس قادرا على استدعاء إفراز اللعاب، لا بدّ أن يُقدّم للكلب الطّعام فور سماعه، بحيث يكون صوت الجرس هو الذي يربط الموقف ويجعل منه سلسلة سلوكيّة.

التّطبيقات التّربويّة لنظريّة التّعلّم الشّرطي عند بافلوف.

إنّ أفكار بافلوف يمكن أن يكون لها أثار مباشرة تتّضح فيما يلي:

1- تعتبر عمليّة التّعميم والتّمييز من العمليّات الهامّة التي يمكن الاستفادة منها في تفسير كثير من مظاهر التّعلّم الإنساني.

2- ضرورة حصر مشتّتات الانتباه في غرفة الدّراسة.

3- ضرورة ربط تعلّم التّلاميذ بدوافعهم من جهة وتعزيز العمل التّعليمي من جهة أخرى وذلك لأنّ بافلوف يرى أنّ الاشتراط لا يحدث إلاّ أذا اقترن المثير الشّرطي بالمثير غير الشّرطي الذي يعمل كمعزّز.

4- أنّ تجارب بافلوف لم تكن تصل إلى النّتائج المتوقّعة منها إلاّ في الحالات التي كان الكلب فيها جائعا ويقوم بالسّلوك وهذا القول نفسه ينطبق على عمليّة التّعلّم

في المدرسة والتي يستلزم قيام المتعلّم بالسّلوك ولن يقوم به إلاّ تحت تأثير دافع حقيقي قد يكون الانجاز أو المناقشة أو إشباع الميول.

5- يمكن الاستفادة من أفكار بافلوف عند انطفاء الاستجابة في إبطال العادات السّيئة والسّلوكيّة غير المرغوبة التي تظهر عند التّلاميذ إثناء القراءة أو الكتابة أو غير ذلك.

6- تكوين ما يسمّى بالاشراط المضاد أيّ العمل على تكوين استجابة شرطيّة جديدة مرغوبة فيها تكون منسجمة مع الاستجابة التي نشأت أصلا بواسطة المثير الشرطي.

7- للتّغلب على مخاوف الاختبارات لدى الطّلبة عليك كمعلّم اتباع ما يلي:

أ- القيام ببناء مواقف اختباريه غير مهدّدة لا توضع لها علامات.

ب- وضع اختبارات من النّوع الذي يساعد الطّلبة في الإجابة عليه بالشّكل الصّحيح لبناء الثّقة عندهم ج-أعط اختبارات قصيرة بدلا من الطّويلة .

ج- جعل الطّلبة يحصلون على أعلى ما يمكنهم من العلامات من خلال الاختبارات القصيرة.

8- يمكن الاستفادة من الإشراط الكلاسيكي في تعلّم القراءة للأطفال من خلال الرّبط بين صورة الحرف أو الكلمة وشكله والاقتران بينهما عدّة مرّات تستدعى التّعلّم .

9- اجعل كمعلّم تدريبات القسمة ممتعة عن طريق إتاحة الفرصة لقسمة قطعة شكولاتة بالتّساوي بينهم واطلب منهم بعد أكل ناتج القسمة.

10- إذا كان لديك طالب يخاف من التّحدث أمام الآخرين في الصّف اجعله يقرأ تقريرا ما أمامك أوّلا ثمّ أمام مجموعة صغيرة من الطّلبة يحبهم وهو جالسّ ثمّ أمام نفس المجموعة واقفا، ثمّ يقرأ التّقرير من خلال ملخّص معد مسبقا، ثمّ اجعله يقدّم التّقرير إلى الصّف بأكمله3.

2.1. الوظيفيّة.

1.2.1. الإجراءات التّجريبيّة عند سكنر: قام سكنر بعمل تجارب على أنواع مختلفة من الكائنات الحيّة كالحمام والفئران والقرده والأسماك ثمّ انتهى بالتّجريب على الإنسان مستخدماً جهازه المعروف بصندوق سكنر، وهو عبارة عن جهاز تمّ صناعته بناء على شكل وحجم ومواصفات الكائن الذي سيدخل فيه4، وتعتبر استجابات الكائن هي التي تؤدّي للحصول على التّعزيز، وتسمّى هذه الإجراءات داخل الصّندوق (بالإجراءات الحرّة) لأنّ الكائن يقوم بها وفق ما يتناسب مع حجمه ووضعه للوصول إلى الهدف.

1. تجربة الحمامة

❖ وضُعت حمامة داخل الصّندوق في حالة جوع شديد، فأخذت تتجوّل للبحث عن الطّعام, وفي أثناء ذلك ترفع رأسها لمستوى العلامة التي وضعت، عندها يقوم سكنر بتعزيز السّلوك بإسقاط القمح للحمامة. في المرّة الأولى يكون رفع الرّأس عفويا وبالتّعزيز يحدث التّعلّم.

2. تجربة الفأر

❖ وضع فأر في صندوق معتم في حالة جوع، وكان بالصّندوق رافعة عند ضغطها أو تحريكها يتمّ فتح مخزن الطّعام ووضع مصباح إضاءة يلعب دور المثير الشّرطي، يقوم الفأر بإجراءات عشوائيّة قد تصيب إحداها فيضغط على الرّافعة ويفتح مخزن الطّعام وهكذا كلّ مرّة ويحصل على التّعزيز5، فكانت من نتائج تجاربه:

التّعزيز عند ثورندايك كان يعزّز الاستجابة فقط، لكن التّعزيز عند سكنر، فإنّه يلحق كل خطوة تؤدّي إلى التّقدم نحو الهدف.

2.2.1. **التّعلم بالمحاولة والخطأ لثورندايك:** يعرف ثورندايك التّعلّم "بأنّه عمليّة تكوين عادات، ويحتوي الموقف التّعليمي على سلسلة من الارتباطات الأوّليّة بين

المثيرات والاستجابات المعزّزة التي تكون في مجموعها ما يعرف بالعادة 6" ويصوغ ثلاث حالات لتفسير الاستعداد وهي:

1- قانون الأثر: عندما تكون الرّابطة بين المثير والاستجابة مصحوبة بحالة ارتياح فإنها تقوى، أمّا إذا كانت مصحوبة بحالة ضيق أو انزعاج فإنّها تضعف ويرى ثورندايك العمل الرّئيسي في تفسير عمليّة التّعلّم هو المكافأة، ويعتقد أنّ العقاب لا يضعف الرّوابط.

2 - قانون التّدريب (التّكرار): إنّ تكرار الرّابطة بين المثير والاستجابة يؤدّي إلى تثبيت الرّابطة وتقويّتها وبالتّالي يصبح التّعلّم أكثر رسوخا. يرى ثورندايك أنّ لهذا القانون شقّين هما:

- ❖ **قانون الاستعمال:** الذي يشير أنّ لارتباطات تقوى بفعل التّكرار والممارسة.
- ❖ **قانون الإهمال:** الرّابطة تضعف بفعل التّرك وعدم الممارسة.

3- قانون الاستعداد:

1. تكون الوحدة العصبيّة مستعدة للعمل، وتعمل، فعملها يريح الكائن الحي؛

2. تكون الوحدة العصبيّة مستعدة ولا تعمل، فإنّ عدم عملها يزعج الكائن الحي؛

3. تكون الوحدة العصبيّة مستعدّة للعمل، وتجبر للعمل فإنّ عملها يزعج الكائن الحي.

تجربة القط داخل القفص والطّعام خارجه7.

3.2.1. **نظريّة هل.** يمكن تصنيف نظريّة هل ضمن النّظريّات الوظيفيّة التي تؤكّد على الآليّة التي تمكّن الفرد من البقاء والاستمرار؛ فهي ترى أنّ السّلوك يعمل

على إرضاء الحاجات والدّوافع، ولذلك تعمل العضويّة على تعلّم السّلوك الذي ينجح في خفض المثير الحافز بحيث يصبح جزءاً من حصيلتها السّلوكيّة. وبذلك فإنّ نظريّة هل تقوم على الدّوافع والدّافعيّة أكثر من كونها نظريّة ارتباطيّة[8]. وتكمن أهمّيّة هذه النّظريّة في دقّتها الكميّة يمكن من خلالها التّنبؤ بالسّلوك على نحو دقيق وفقاً لعدد مرّات التّعزيز المتتابعة.

1. **العادة "Habit** " تمثّل العادة الوحدة الأساسيّة في نظريّة هل، فهي تشير إلى رابطة مستقرة نسبياً بين مثير واستجابة معزّزة.

2. **الدّافع الحافز "Drive**" يشير مفهوم الدّافع إلى الحاجات البيولوجيّة الأوّليّة لدى الكائن الحي وتشمل الحوافز الرّئيسيّة مثل الجوع والعطش. ومثل هذه الدّوافع هي المحرّكات الأساسيّة للتّعلّم والسّلوك.

3. **الحوافز الثّانويّة " Secondary Drives** " وهي مجموعة المثيرات المحايدة بالأصل التي يتزامن حدوثها أو وجودها مع الحوافز الأوّليّة بحيث تصبح مثل هذه المثيرات نتيجة لهذا الاقتران قادرة على توليد السّلوك الذي تحدثه الحوافز الأوليّة.

4. **رابعاً: الباعث "Incentive**" يشير الباعث بالمفهوم العام إلى الأشياء الخارجيّة التي ترتبط بإشباع الدّوافع أو الحوافز، فهي بمثابة المعزّزات أو المكافآت المختلفة التي ترتبط بالدّوافع مثل الطّعام والشّراب والدّفء وغيرها. أمّا في نظريّة هل فيشير الباعث إلى كميّة التّعزيز أو التّدعيم الذي يتمّ الحصول عليه[9].

5. **ديناميّة شدة المثير "Stimulus – Intensity Dynamism**" يشير هذا المفهوم الى أنّ المثير الأقوى في الموقف الاشتراطي يعمل على استثارة استجابة قويّة.

6. **جهد الاستجابة "Reaction Potential**" جهد الاستجابة = قوّة العادة × الحافز × الباعث × ديناميّة شدّة المثير.

النّظريات المعرفيّة.

1.2. نظريّة الجشطالتّ: جشطالتّ، كلمة ألمانيّة وتعني الشّكل أو الصّيغة، تقوم على مبدأ "بدل أن تعلّم الفرد ماذا يعمل؟ يميل علم النّفس الجشطالتي إلى: كيف تعلّم الفرد أن يعمل؟10"، انطلقت هذه المدرسة من كون المدرك الحسي يكمن في شكله وبنائه العام، ويعدّ «كيرت كوفكا» أبرز روادها، إذ حدّد أسسها في:

1.السّلوك وحدة كليّة غير قابلة للتّحليل.

2.سلوك فرد في وضع ما يخضع لقوانين تنظيم المجال الذي هو فيه. ومنه " السّلوك وحدة معقّدة يمكن تحليلها إلى وحدات بسيطة تسمّى الاستجابات الأوّليّة وهذه الاستجابات ترتبط بمثيرات محدّدة11"، وقصد بتنظيم المجال هو احتوائه على كلّ العناصر اللازمة لحلّ المشكلة مثلا في تجارب الجشطالتّ وجود العصا(الوسيلة) والهدف (الموز) والجوع (الدّافع) وافتقار المجال لإحدى العناصر يعرقل تحقّق التّعلّم.

المفاهيم الرّئيسيّة في نظريّة الجشطالتّ:

❖ **البنيّة:** (التّنظيم) تعني بنيّة خاصّة متأصّلة بالكلّ أو النّمط بحيث تميّزه عن غيره من الأنماط الأخرى وتجعل منه شيئا منظّماً ذا معنى أو وظيفة خاصّة.

وتحدّد البنيّة وفقا للعلاقات القائمة بين الأجزاء التّرابطيّة الجشطالتيّة (الكلّ) وعليه فإنّ البنيّة تتغيّر بتغيّر العلاقات، حتى لو بقيت أجزاء الكلّ على ما كانت عليه.

❖ **إعادة التّنظيم:** استبعاد التّفاصيل التي تؤدّي إلى إعاقة إدراك العلاقات الجوهريّة في الموقف.

❖ **المعنى:** هو ما يترتّب من إجراء العلاقات القائمة بين أجزاء الكلّ.

❖ **الاستبصار:** هو الفهم الكامل للبنيّة الجشطالتّ (الكلّ) من خلال إدراك العلاقات القائمة بين أجزائه وإعادة تنظيمها بحيث يمكن الاستدلال عن المعنى ويتشكّل ذلك في لحظة واحدة وليس بصورة متدرّجة12.

2.2. **النّظريّة البنائيّة التّكوينيّة لبياجيه:** تقوم هذه المدرسة على مبـــادئ منهـــا: كيف يتعلّم الفرد؟ وكيف يتذكّر معارفه؟ وعما يختلف فرد عن آخر13، حيث يـــرى بياجيه أنّ التّعزيز لا يأتي من البيئة كمكافأة، بل ينبع التّعزيز من أفكار المتعلّم ذاتـــه ذلك أنّه تعلّم في الواقع ما هو أكثر من مجرّد الاستجابة للمثير14.

1 – الذّكاء: Intelligence يسمح للكائن الحي أن يتّصل إيجابيا ببيئته حيث أنّ كلا من البيئة والكائن الحي في تغيّر مستمر والتّفاعل بين الاثنين يجب أن يتغيّر هـــو الأخر تغيّراً مستمراً. كما أنّ النّشاط العقلي يميل دائماً لخلق الظّروف المثاليّة لبقـــاء الكائن الحي في حالة اتّزان تحت الظّروف القائمة، وأنّ الذّكاء بوصفه نشاطا عقليـــا يتغيّر عندما ينضج الكائن الحي وعندما يكتسب خبرات جديدة في حياته.

2– الاستراتيجيات: Strategies هي القدرة الكامنة لدى الفرد وهي الطّريقـــة التي يستطيع الطّفل من خلالها أن يتعامل مع المتغيّرات البيئيّة خلال مراحـــل نمـــوّه من أجل حدوث تفاعلات جديدة بينه وبين البيئة، وتتغيّر هـــذه الاســـتراتيجيات تبعـــاً لنضج الطّفل وما يكتسبه من الخبرات.

3 – الثّوابت الوظيفيّة: Functional Invariants وتمثّل طريقـــة التّعامـــل مع البيئة هذه الطّريقة واحدة وثابتة سواء في مستوى التّكيف البيولوجي أم مســـتوى التّكيف العقلي. وتتمثّل هذه الثّوابت الوظيفيّة في ناحيتين رئيســـيتين همـــا: التّنظـــيم والتّكيف، ويتضمّن التّكيف عمليتين هما التّمثيل أو الاستيعاب والمواءمة أو الملاءمة.

1.3. التّكيف: Adaptation

يتضمّن التّكيف عمليتين هما التّمثيل والمواءمة.

1.1.3.**التّمثيل: Assimilation** الذّكاء تمثيل بالدّرجة التي يستوعب فيها كـــلّ بيانات الخبرة المعنيّة في إطاره الخاص، حيث يتمثّل العقل أو يســـتوعب الخبـــرات الجديدة عن طريق التّغيير فيها بحيث تلائم البيئة التي تمّ تكوينهـــا. وتســـمّى عمليّـــة الاستجابة للبيئة طبقا للبناء المعرفي للفرد عمليّة تمثيل أو استيعاب. ولا يؤدّي التّمثيل نظرياً إلى ارتقاء المخطّطات، ولكنّه يؤثّر فيها.

2.1.3. **المواءمة: Accomodation** : يقتصر التّمثيل على استيعاب الخبرات التي مرّت من قبل بالفرد، أيّ أنّها تحدث كلما استجاب الفرد في موقف جديد كما فعل في مواقف مشابهة في الماضي. ولكن هناك خبرات جديدة لم يمرّ الفرد بتمثيل لها من قبل ومن ثمّ فإنّ الأبنيّة العقليّة الحاليّة لابدّ أن تغيّر من نفسها لكي يمكن تقبل هذه الخبرات الجديدة. فالتّكيف طريقة للتّفاعل مع العالم الخارجي، تظلّ تحدث بنفس الصّورة طوال مراحل النّمو العقلي والمعرفي للفرد، فالتّكيف الذي يتمّ في السّنة الأولى من حياة الفرد يحدث بنفس الطّريقة التي يتمّ بها التّكيف مع العام الخامس عشر مثلا أنّه يحدث بواسطة عمليتين متلازمتين هما: التّمثيل – والمواءمة. وهذا لا يعني بطبيعة الحال أنّ الأبنيّة العقليّة والتّراكيب العقليّة لدى الطّفل والمراهق واحدة فهي مختلفة ولكنها تؤدّي وظائفها في التّفاعل مع العالم وتحقيق التّوازن بطريقة واحدة. وبمعنى آخر الأبنيّة والتّراكيب العقليّة والمعرفيّة مختلفة ولكن الوظائف العقليّة أو المعرفيّة ثابتة.

2.3. التّنظيم: Organization: يقصد به الأبنيّة والتّراكيب العقليّة، وإن كانت تختلف من مرحلة لأخرى، فإنّها تظلّ دائما أبنيّة منظّمة فالتّنظيم أذن هو ميل مشترك في كلّ أشكال الحياة لأنّ تتكامل الأبنيّة، الفيزيقيّة، والنّفسيّة، مع بعضها مكوّنة نظما أو أبنيّة ذات مستوى أعلى. والتّنظيم لا ينفصل عن التّكيف فهما عمليتان متكاملتان[15].

التّطبيقات التّربويّة لنظريّة بياجيه:

1. تناسب المنهاج المعرفي الدّراسي مع المرحلة الدّراسيّة؛
2. أن يكون المعلّم على علم بخصائص التّفكير لكلّ مرحلة عمريّة، لأنّ ذلك؛ يساعده على تقديم المادّة الصّحيحة ومعرفة الفروقات الفرديّة؛
3. الاختلاف في طرق التّدريس حسب مراحل العمر؛
4. الوقوف على خصائص النّمو المعرفي؛
5. التّوفيق بين العمليات العقليّة للمتعلّم ومراحل التّعليم المختلفة.

6. وضع اختبارات القياس.

الخاتمة:

❖ تعدّد طرق التّعليم بتعدّد نظرياته، لكن أحداث هذه الطّرق تقوم على المقاربة بالكفايات من أجل جعل الطّالب والتّلميذ يبني تعلماته بنفسه؛

❖ يمكن اعتبار هذه النّظريّة مزيجاً من النّظريات السّلوكيّة والمعرفيّة، كان لبياجيه فيها الحظ الأكبر من خلال تحويل المعرفة إلى سلوك؛

❖ التّطوّر المهارى يكون مزدوجا على مستوى القدرات العقليّة والاستراتيجيات ثمّ الوسائل لاحقا في جدليّة لا يمكن الفصل بينها؛

❖ نقل المعرفة من مستوى التّراكم المقطوع عن الوظيفة إلى مستوى حسن الرّسملة ثمّ الانعكاس السّلوكي الفردي والجماعي؛

❖ ربط التّعلّم بمحيطه وببيئته المختلفة ثقافيا واقتصاديا وقيميا؛

❖ أن تتلاءم المعرفة مع مستوى المتعلّم وقدراته؛

❖ أن يشعر المتعلّم بفاعليّتها وجدواها في علاج عمل معقّد؛

❖ أن تجعل المتعلّم يستفيد من معارفه في معالجة مختلف الإشكالات التي قد تصادفه.

ب. الموروث التّراثي

(التّعليم بالحفظ والإنشاد): الصّوت في اللغة العربيّة له شحنة دلاليّة كاملة في ذاته، وهذه الشّحنة الكامنة في ذاته لا تتحرّر إلاّ داخل الكلمة، حتى إذا نحن انتبهنا لمسار الظّاهرة ألفينا أنّ دلالة الصّوت « لا تتحرّر إلاّ داخل الكلمة، و دلالة الكلمة لا تتحرّر إلاّ داخل الجملة ودلالة الجملة لا تتحرّر إلاّ داخل النّص، والنّص لا يتحرّر إلاّ في مقام، ولا مقام إلاّ في سياق وهكذا مع كلّ علوم اللغة، يأتي النّحو على مستوى الحركات يوجّه الدّلالة والصّرف على مستوى الصّيغ يوجه الدّلالة والصّوت على مستوى يوجه الدّلالة، ثمّ تحضر البلاغة بعلومها في ركاب المعنى كي تزيد

على ما سلف التّأثير أو الإقناع، وفي اللحظة نفسها يُعْمل كلّ علم قوانينه في العلوم الأخرى لينْضبَط بها ويتعاضد معها في هندسة المعنى تزامنا».

جاء في الصّحاح، تقول: «أَنْشِدِ القصيدةَ يا هذا، ولا تقل ارْوِها، إلاَّ أن تأمره بروايتها، أي باستظهارها 16» وهذا يوجِّه مفهوم القصيدة إلى التّناغم الحاصل بين مكوّناتها صائتة، فهذا صاحب اللسان يورّد تعريفا بها حكايّة عن ابن جني: « : فإِذا رأَيت الْقَصِيدَةَ الْوَاحِدَةَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْهَا الْقَصِيدُ بِلَا هَاءٍ فإِنّما ذَلِكَ لأَنّه وُضِعَ عَلَى الْوَاحِدِ اسمُ جِنْسٍ اتِّسَاعًا، كَقَوْلِكَ: خَرَجْتُ فإِذا السّبُعُ، وَقَتَلْتُ الْيَوْمَ الذّئْبَ، وأَكلت الْخُبْزَ وَشَرِبْتُ الْمَاءَ؛ وَقِيلَ: سُمِّيَ قَصِيدًا لأَنّ قَائِلَهُ احْتَفَلَ لَهُ فَنَقَّحَهُ بِاللَّفْظِ الجيِّد وَالْمَعْنَى الْمُخْتَارِ، وأَصله مِنَ الْقَصِيدِ وَهُوَ الْمُخُّ السّمِينُ الذي يَتَقَصَّد أَي يَتَكَسَّرُ لِسِمَنِه، وَضِدُّهُ الرّيرُ والرّارُ وَهُوَ الْمُخُّ السّائِلُ الذّائِبُ الذي يَمِيعُ كَالْمَاءِ ولَا يتقصَّد، وَالْعَرَبُ تَسْتَعِيرُ السّمَنَ فِي الْكَلَامِ الْفَصِيحِ فَتَقُولُ: هَذَا كَلَامٌ سَمِينٌ أَي جَيِّد. وَقَالُوا: شِعْرٌ قُصِّدَ إِذا نُقِّحَ وجُوِّدَ وهُذِّبَ؛ وَقِيلَ: سُمِّيَ الشّعْرُ التّامُّ قَصِيدًا لأَنّ قَائِلَهُ جَعَلَهُ مِنْ بَالِهِ فَقَصَدَ لَهُ قَصْداً وَلَمْ يَحْتَسِبه حَسْياً عَلَى مَا خَطَرَ بِبَالِهِ وَجَرَى عَلَى لِسَانِهِ، بَلْ رَوَّى فِيهِ خَاطِرَهُ وَاجْتَهَدَ فِي تَجْوِيدِهِ وَلَمْ يقتَضِبْه اقْتِضَابًا فَهُوَ فَعِيلٌ مِنَ الْقَصْدِ وَهُوَ الأَمُّ[17]» القصيدة لن تسمّى كذلك، إلاّ إذا رفعها الإنشاد إلى المتلقّي، فلأنّنا نجد أنّ المكتوب لا يمكنه أن يتولّى حمل المعاني التي تند عن الكتابة، ولا تجد هذه الأخيرة من حيلة تعالجها بها، حتى ولو تذرّعت بالإشارات التي تشبه علامات التّجويد والتّلاوة. ذلك أنّ الإنشاد يضيف إلى الصّوت جملة من الهيئات التي تتعدّى الحركة، إلى الزّي، إلى ما تتلبّسه القسمات من تعابير دالة، تضفي على الكلمات معاني هي في حاجة إليها إذا ما أرادت أن تكون أمينة في تبليغ مراد صاحبها. بل إنّ الحديث اليومي العادي، لن يستطيع الاستغناء عن التّعابير التي ترتسم على المحيا مفصحة عن درجات التّوتر التي تصاحب الكلمات. وليس أمامنا – ونحن نعالج أكثر الأقوال غنا، وأكثرها إيجازا – من الالتفات إلى حقيقة ما يصاحب الإنشاد من هيئات مختلفات.

إنّ أخبار الشّعراء والخطباء في هذا الشّأن كثيرة، تُحدث عن كلّ واحد منهم في هيئاته المختلفة مدحا وهجاء، استنفارا واستعطافا، تغزّلا واستعفافا.. إنّ لهم من المواقف لَبُوسها الخاص. ولهم من التّجارب مقاماتها الخاصّة. ثم تأتي البلاغة بعد ذلك لتعزز الهيئة، ولتمنحها التّكامل الذي يجعل الإنشاد هيئة متكاملة بين المعنى والقصيدة. لذلك إن عدنا إلى المعنى الذي حدّده "ابن جني" لمادّة قصد، وجدنا فيما ساق من ألفاظ تراتبا عجيبا، وكأنّ توارد الألفاظ لم يأت أشتاتا، وإنّما خضع لنظام الأشياء ومنطقها الخاص. إنّه يقول عنها: الاعتزام، والتّوجه، والنّهود، والنّهوض. والاعتزام هو الرّغبة في الشّيء التي تفتح للفكرة منافذ التّغلغل في النّفس، فينشأ فيها من القابليّة ما يجعلها تتّجه صوبها في حركة فيها من الارتقاء والنّهود، ما يرفع الفكرة من مادّتها الخام، ومثيرها الأولي إلى شيء من صفاء الرّؤيّة ووضوحها وتحدّد معالمها. الشّيء الذي يكفل لها النّهوض. والنّهوض بالشّيء إتمام له.

الإيقاع: يُنظر إلى الإيقاع على أنّه منظومة من الأنساق المتناغمة فيما بينها من بدايّة النّص إلى نهايته، وغالبًا ما يكون مرتبطا بانفعال الشّاعر، وهو ليس وَقْفًا على النّثر دون الشّعر، أو على الأدب دون الفنون الأخرى كالرّسم والنّحت والموسيقى وغيرها، ويمكن وصفه بأنّه القانون الذي يتحكّم في حركيّة الأنساق داخل الفضاء الشّعري، أو الرّتْمُ الذي تَتْضبِطُ به هذه الحركيّة، ذلك" أنّ شرط الشّعر ينبع من اكتساب لغته إيقاعاً خاصّاً يتشكل من قوّة الغموض في الطّبقات العميقة للمعنى، تلك التي تحاول تفسير مظاهر الوجود المعقّدة تفسيراً شعرياً، إلاّ أنّ دخول موسيقى الشّعر بوصفها نظاماً قائماً على أسس وقواعد وقوانين منطقيّة ورياضيّة زاد من انتظام فعاليّة البنيّة الإيقاعيّة في النّص الشّعري، وفسّر في الوقت نفسه إشكاليّة الغموض والقوة فيه ونقلها من فضائها السّحري الغيبي إلى حيث تشتغل أدائياً في بنيّة القول الشّعري متجاوزة في ذلك الوظيفة التّقليديّة الصّرف للإيقاع[18]"، فهو بهذا انْتِظام كلّ عناصر القصيدة من وزن ورؤى وصور وموضوعات وأفكار وأحوالٍ نفسيّة وانفعالات في نسقٍ ما يحكمه نظامٌ ما، بل يتعدّى ذلك إلى المجالات الحضاريّة

والثّقافيّة لكلّ من الباث والمستقبل، فنظريّة الإيقاع في اللغة الشّعريّة يجب أن تحتوي كلّ العناصر اللسانيّة والنّفسيّة والثّقافيّة للكتابة والقراءة، وهو ما يجعل بعضهم يُعَرِّفُ الإنسان بأنّه حيوان إيقاعي، وبهذا فالقصيدة، هي علاقة بين الشّاعر وعالمه الذي يحيا فيه لأنّ الشّعر كوني شامل في حركته ونظامه : "يعني انتظام النّص الشّعري بجميع أجزائه في سياق كلّي، أو سياقات جزئيّة تلتئم في سياق كلّي جامع يجعل منها نظاماً محسوساً أو مدركاً، ظاهراً أو خفياً، يتّصل بغيره من بُنَى النّص الأساسيّة والجزئيّة ويعبر عنها كما يتجلّى فيها. والانتظام يعني كلّ علاقات التّكرار والمزاوجة والمفارقة والتّوازي والتّداخل والتّنسيق والتّآلف والتّجانس ممّا يعطي انطباعاً بسيطرة قانون خاص على بنيّة النّص العامّة مكوّن من إحدى تلك العلاقات أو بعضها[19]" غير أنّ هناك من نظر إلى الإيقاع على أنّه بُنيّة نظميّة وليس شيئاً آخر سوى نظم التّفعيلات في البيت الواحد ورأى حريّة هذا الإيقاع في الانتقال من نِظام الأبيات إلى التّفعيلة بما يُتيح حريّة أوسع وهو على ثلاثة مستويات:

الأوّل: يقوم على نظام المقاطع، ويدعى بالإيقاع الكمّي.

الثّاني: يقوم على النّبْر في الجُمَل، وفي حروف الكلمة الواحدة، وهو الإيقاع الكيفي

الثّالثّ: ويعتمد على مبدأ التّنغيم وأصوات الجُمَل.

وإذا كان هناك من يطلق على هذه الأنواع الثّلاثة مصطلح (الإيقاع الخارجي) فإنّ هناك من ينظر إليه على أنّه منظومة بلاغيه، ويطلقون عليّة مصطلح (الإيقاع الدّاخلي) وهو مستويان:

المستوى الصّوتي: كالجناس والتّكرارات بشكل عام.

المستوى الدّلالي: كالطّباق والتّقديم والتّأخير وغيرها.

خـــاتمة: إنّما ضياعُنا بضياعها العربيّة، لأنّ امتدادها فينا وفيها نتمدّد، وحســبنا قولا أنّ شخصيّة المحترف فيها على قدر أخذه بناصيتها، نحن على قدر عربيَّتنا كنّــا وما زلنا ما نمت فينا ملكتها انطلاقا من مميّزاتها، أمّا والأمر لم يعد كما كــان فــي جميع مستويات التّعليم بمختلف أنواعه من الرّوضة إلى الجامعة، فقد صارت العربيّة تُدرس بطرائق ونظريات مستوحاة من بيئة تختلف عن بيئتها كــل الاخــتلاف؛ إذ لا يعرف أقصر الطّرق وأفْيَدها لتملُّكِ العربيّة إلاّ أمهر أهلها بها، لا كما نــرى اليــوم صارت تُدَرَّس ميكانيكيًّا بعد قطعها عن ذخيرتها الممتدّة في قيمها، فاكْتُفي بنصــوص جافّة لا تثير ولا تُثار، وما يُوسم بأنّه خطوات لتحليل النّصوص ليس أكثر من تمحُّك السّني قد يصلح لِلُغَات أخرى منبت التّنظير.

زعموا إصلاحا ضمن مفهوم المقاربة المزدوجة، أوّلا مقاربــة بالكفايــات، أي: الانطلاق من معارف قبليّة للمتعلّم – مهما كانت قيمتها– ثمّ الارتكاز عليهــا لجعــل ذلكم المتعلّم يبني تعلّماته، فعوض أن يُحَصِّلَ، يتحوَّل إلى مُنتج معارف، ولا داعــي للحديث عن مدى تعارض معارفه المنتجة مع المعايير التــي تحكــم البيئــة العقليّــة والقيميّة وثانيا مقاربة نصيّة، أيّ: الانطلاق من النّص لباقي الرّوافد اللغويّــة؛ بعــد قراءته ودراسة بعض خواصه اللسانيّة (وكلها تصبّ في بناء النّص وكيفيّة اشــتغاله) يتمّ التّدرج إلى بعض علوم اللغة خاصّة النّحو والبلاغة، وغالبا ما لا تستجيب تلكّــم النّصوص، ممّا يضطر المعلّم إلى دعم درسه اللغوي بشواهد تكســر ســياق الــنّص الأصلي، (هذا إن كان النّص ذا معنى طازج يجد في نفس المتعلّم له قبــولا)، ودون وعي يجد المتعلّم نفسه تتقاسمه المضامين، فتكون النّتيجة، الانفصــال عــن المعنــى لأجل اللسان وظواهره اللغويّة دون ربط بين المضامين ومدى تأثيرها على المــتعلّم لأنّه في مرحلة الانطباع والصّقل، أمّا النّقد التّذوقي، فكبر عليه أربعا.

الاحالات:

[1] مصطفى ناصف، نظريات التّعلّم – دراسة مقارنة – ترجمة: علي حسين حجاج، سلسلة عالم المعرفة (70) المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978، ص: 70.

[2] م، ن، ص: 70.

[3] http://www.test-q.com/archive/index.php/t-24910.html.

4 جابر عبد الحميد جابر: سيكولوجيّة التّعلم.. نظريات وتطبيقات، دار الكتاب الحديث، الكويت 1989، ص: 82.

5 محمّد عبد الحميد. علم النّفس التّربوي. الرّياض، دار النّشر الدّولي، 1424هـ – 2003 م، ص 212.

[6] مصطفى ناصف، نظريات التّعلّم – دراسة مقارنة – ترجمة: علي حسين حجاج، سلسلة عالم المعرفة (70) المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978، ص: 16.

([7] http://egypt.thebeehive.org/content/3191/4381).

[8] الزّغول، عماد: نظريات التّعلّم. دار الشّروق. عمان- الأردن. 2003م، ص: 23.

[9] منصور. علي: التّعلم ونظرياته. مديريّة الكتب والمطبوعات الجامعيّة. منشورات جامعة تشرين. اللاذقيّة. 1421هـ-2001م، ص: 132.

[10] محمّد الدّريج، تحليل العمليّة التّعليميّة، مطبعة دار النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء المغرب، ط2 1990، ص: 103.

[11] نايف خرما وعلي حجاج، اللغات الأجنبيّة تعلّمها وتعليمها، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة الكويت، (126)، 1978، ص: 59.

[12]http://al3loom.com/?p=4810

[13] محمّد جاسم محمّد، نظريات التّعلم، دار الثّقافة للنشر والتّوزيع، عمان الأردن، ط1، 2004 ص: 167.

[14] عبد الله الأنسي وسالم برقاش، تطوّر النّظريّة والأفكار التّربويّة، مكتبة إحياء التّراث الاسلامي المملكة العربيّة السّعوديّة، ط3، 1999، ص: 272.

[15] http://www.eduphilo.com/piaget-principe-notion

[16] الجوهري، الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط4، 1987. ج6، 2364.

[17] ابن منظور، لسان العرب، تح: أحمد عامر حيدر، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، ط1 2003م. ج3، ص: 354.

[18] محمّد صابر عبيد، القصيدة العربيّة الحديثة بين البنيّة الدّلاليّة والبنيّة الإيقاعيّة، حساسيّة الانبثاقيّة الأولى جيل الرّواد والستّينات، منشورات اتّحاد الكتاب العرب، دمشق 2001م،. ص:7.

[19] محمّد صابر عبيد، القصيدة العربيّة الحديثة بين البنيّة الدّلاليّة والبنيّة الإيقاعيّة، ص: 17.

عقبات الأمن اللّغوي في الجزائر
في ظلّ التداخل اللّغوي

داه. ساميّة عباسة

جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم.

الملخّص: عرفت اللغة العربيّة منذ القِدم عدّة تحدّيات، ويعدّ العصر الحديث أخطر مرحلة مرّت بها العربيّة؛ في ظلّ الإبادة اللّغويّة التي بقيت آثارها –إلى يومنا هذا– شاهدًا على تعدّيات المستعمر، وتمظهرا لتحدّيات اللغة العربيّة الحديثة، وسببًا في ميلاد تحدّيات أخرى معاصرة.

ففي الجزائر يشهد واقع اللغة العربيّة عدّة تحدّيات فرضتها المتغيّرات التّاريخيّة وباعتبار المجتمع الجزائري متعدّد اللغة؛ كان لزاما على أهل القرار انتهاج سياسة لغويّة تفصل في مسألة التّعدّد اللّغوي؛ وذلك بتأميم اللّغات الوطنيّة وترسيمها، وإحداث مؤسّسات تعمل على ترقيتها وتعميم استعمالها، لتذليل عقبات الأمن اللّغوي على غرار: الصّراع اللّغوي وهيمنة لغات العولمة والتّداخل اللّغوي...

ويعدّ التّداخل اللّغوي أخطر تحدٍ يعرقل تنميّة اللغة العربيّة – دوليا ومحليا–؛ فما أفرزته العولمة من طفرة معرفيّة ومصطلحيّة أبان عن عجز أهل العربيّة عن استيعاب تلك الحمولات اللسانيّة، بالرّغم من توافر العربيّة على آليات تُسهم في تنميتها وحمايتها من التّهجين اللّغوي. وأمام هذا الخطر الذي يهدّد أهمّ مقوّماتنا الحضاريّة ينبغي أن تساير جهودنا اللّغويّة ما تشهده لغات العولمة من تطوّر وانتشار. فمواجهة عقبات الأمن اللّغوي تتطلّب تخطيطا لغويا مُحْكَما وتكاتفا للجهود اللّغويّة.

نستهدف من خلال هذه الدّراسة مقاربة ظاهرة التّداخل اللّغوي باعتبارها عقبة تُعيق تطوّر العربيّة، وبوصفها واقعا لغويا تجسّده الممارسات اللّغويّة المستهجنة التي تهدّد مستقبل العربيّة، كما نستهدف استشراف واقع لغوي يستند إلى آليات ناجعة تُسهم في

استتباب الأمن اللّغوي في الجزائر في ظل التّداخل اللّغوي، وتعـزّز اسـتعمال اللغـة العربيّة وتنهض بها.

الكلمات المفتاحيّة: الأمن اللّغوي، الجزائر، التّداخل اللّغوي، التّعدّد اللّغوي.

Abstract: Arabic language, being one of the top listed international top listed international languages, still meets challenges in comparison with other foreign languages especially in the contemporary globalised modern and postmodern times.

The present research paper revolves around the current situation of Arabic language in Algeria, the latter which has known perpetual colonization and the people of which cherishes on a number of foreign language, such a called; multilingualism which represents a threat to the disappearance and lack of use of Arabic language.

The Algerian authorities, hence, set a rigid status to the use of Arabic in educational and administrative fields and other improvements are under process in order to enhance and promote the coexistence of Arabic language instead of other languages that belongs to the colonial past.

Keyword:
language security, Algeria, language interference, multilingualism.

مقدّمة: إنّ المتغيّرات الرّاهنة التي تشهدها الجزائر – في ظلّ العولمـة– تقتضـي توحيد صفوف الجزائريين بغض النّظر عن الاختلافات (الأيديولوجيّـة – اللّغويّـة – العرقيّة –السّياسيّة –الدّينيّة) فلا تفاضل إلاّ بالمواطنة. والمواطنة لا تتـأتّى إلا بتـأميم مقوّمات الهُويّة الجزائريّة: (الإسلام والعروبة والأمازيغيّة)، وهي المبادئ التي تمسّـك بها الشّعب الجزائري ونادت بها ثورة التّحرير المجيدة من خلال بيـان أوّل نـوفمبر؛ الذي رسم معالم دستور الجزائر، فلولا الوحدة والانسجام الجمعي والحسّ الوطني لمـا نجحت ثورتنا المجيدة، يقول شاعر الثّورة مفدي زكرياء بهذا الصّدد:

جمعنا لحرب الخلاص شتاتا سلكنا به المنهج المستبينا
ولولا التّحام الصّفوف وقانـا لكنّا سـماسرة مجـرمينـا

وحاضرنا برهان آخر على تمسك الجزائريين بالثّوابت الوطنيّة، وسعيهم إلى التّخلص من التّبعيّة الثّقافيّة للمستعمر، وتحقيق أمن ثقافي ولغوي أساسه مكونات الهُويّة الوطنيّة إذ تشهد الجزائر متغيّرات جديدة؛ فعلى الصّعيد التّربوي شهد قطاع التّربيّة إصلاحات جديدة أو ما يعرف "بمناهج الجيل الثّاني" سنة 2016؛ التي تستهدف تعزيز المواطنة وترسيخ مقوّمات الشّخصيّة الجزائريّة، أمّا على الصّعيد السّياسي فقد نصّ دستور سنة 2016 على ترسيم اللغة الأمازيغيّة وترقيتها، كما صدر قرار يعتبر رأس السّنة الأمازيغيّة "ينّاير" عيدا وطنيا سنة 2018، وإقرار 16 ماي يوما عالميا لـــ: "العيش معا في سلام" ابتداء من 2018. وهدفنا من ذكر هذه المتغيّرات –في هذا المقام–؛ مرهون بارتباط هذه العوامل بتحقيق التّعايش السّلمي وتعزيز المواطنة عامّةً وتحقيق التّعايش السّلمي بين اللغات وتعزيز المواطنة اللّغويّة خاصّةً، ولا يتحقّق ذلك إلاّ بالحسّ الوطني والوعي اللّغوي والمواطنة اللّغويّة بالدّرجة الأولى، هذه الأخيرة التي حاول صناع القرار تدعيمها وترسيخها من خلال سياسات لغويّة تسعى إلى تحقيق العدالة اللّغويّة وتعزيز الأمن اللّغوي. لكن هل يمكن للسّياسات اللّغويّة وحدها أن تجسّد مبدأ المواطنة اللّغويّة وتحقّق التّعايش السّلمي بين اللغات؟ وهل يمكن اعتبار القرارات الأخيرة كافيّة لتعزيز خط دفاع اللغات الوطنيّة خاصّة اللغة العربيّة؟ وكيف يمكن للغة العربيّة أن تتخطّى عقبة التّداخل اللّغوي وتحقّق الأمن اللّغوي في ظلّ التّعدّد اللّغوي والعولمة اللّغويّة؟

من خلال هذه المداخلة نحاول الإجابة عن هذه الإشكاليّة التي يفرضها الواقع اللّغوي الذي تترجمه الممارسات اللّغويّة في المجتمع الجزائري (في الشّارع والإعلام والتّعليم والإدارة والشّابكة العنكبوتيّة...)، كما تستهدف تحليل المشكلات اللّغويّة – خاصّة التّداخل اللغوي– التي تعيق مسار السّياسات اللّغويّة والتّخطيط اللّغوي وتحول دون استتباب الأمن اللّغوي، واقتراح حلول تعالجها وتحدّ منها.

1- عقبات الأمن اللّغوي في الجزائر:

- **الأمن اللّغوي sécurité langagière :** يعتبره الدّكتور صالح بلعيد: تأميما للهويّة اللّغويّة في عصر العولمة وحمايتها من التّبعيّة للغة المستعمر، ولا يتحقّق الأمن اللّغوي إلاّ بالقرار السّياسي الذي يحتكم إلى الإرادة الشّعبيّة ومقوّمات الهُويّة الوطنيّة، ونعْني بذلك السّياسة اللّغويّة، والتّخطيط اللّغوي، فبالقرار السّياسي يحصل الأمن اللّغوي، إذ تسعى الشّعوب إلى تأميم لغاتها الوطنيّة بترقيتها وتعميم استعمالها وحمايتها من خطر الأجنبيات التي فرضها الاستعمار قديما، وتفرضها الوسائط المتعدّدة وتكنولوجيا الإعلام والاتّصال في عصر العولمة والرّقمنة. ولعل "التّداخل اللّغوي" أكبر عقبة تهدّد مستقبل اللغة العربيّة في الجزائر بوصفه ظاهرة لسانيّة-اجتماعيّة معقدة أفرزها التّعدّد اللّغوي، على غرار عقبات أخرى سنجملها في هذا المبحث.

1.1- التّعدّد اللّغوي: إنّ التّعدّد اللّغوي سنة كونيّة جُبلت علها البشريّة، لقول الله تعالى: **(ومن آياتِه خَلْقُ السّمَاوات والأرْضِ واخْتِلافُ ألسنَتِكُم وألْوانِكم إنّ في ذلك لآياتٍ للعالمين)**[1] ويعتبر جان لويس كالفي التّعدّد اللّغوي قدرا مشتركا لا يخصّ أُمَما دون أخرى في قوله: " ليس التّعدّد اللّغوي وضعا خاصّاً، وليس مقصورا على مناطق مخصوصة ولا هو سمة من سمات العالم الثّالث على وجه التّحديد، أو من سمات البلدان النّاميّة التي نتصوّرها بداهة موزّعة بين "لهجاتها"، "ولغاتها المحلّيّة"، فالتّعدّديّة اللّغويّة قدر مشترك وإن ظهرت بأشكال مختلفة على كلّ حال.[2] والتّعدّد اللّغوي وضع لسانيّ-اجتماعي عرفه المجتمع الجزائري الذي شهد حضارات متعاقبة؛ فبعد الفتوحات الإسلاميّة تعرّبت البلدان المغربيّة التي عرّبها الإسلام لتصبح اللغة العربيّة لغة رسميّة لقرون مع محافظة الأمازيغ على لغتهم بمختلف لهجاتها، فتعايشت العربيّة لقرون مع الأمازيغيّة قبل الاستعمار الفرنسي الذي خلق صراعات حادّة بينهما، وعمل على خلق شقاقات بين الجزائريين مستغلا قضيّة العرق والهويّة، مجنّدا الحركة الفرنكوفونيّة والحركات البربريّة المتطرّفة لضرب اللغة العربيّة، ليبقي طيف المستعمر مخيّما على الجزائر من خلال لغته التي تزاحم لغاتها الوطنيّة. فبالرّغم من ترسيم اللغة العربيّة

ظلّت الفرنسيّة اللغة المهيمنة فالفرنسيّة هي السّبيل إلى المناصب العليا وهي لغة العلوم الدّقيقة والطّب، ولغة الاقتصاد والصّناعات، والإدارة والتّعليم العالي والخطابات الرّسميّة.

ومردّ ذلك إلى تعثر مشروع التّعريب الذي عملت أطراف مواليّة لفرنسا على إفشاله بكلّ الوسائل لتتربّع الفرنسيّة على عرش الجزائر بلا قرار سياسي، وهنا نشير إلى أنّ القرار السّياسي قد يكون في كثير من الأحيان حبرا على ورق، إذا لم تتكاتف الجهود وتعلو الهمم وتتوحّد الصّفوف لمواجهة هيمنة اللغة الفرنسيّة في ظلّ الثّنائيّة اللّغويّة القسْريّة التي تعيق تنميّة اللغة العربيّة. يقول نهاد الموسى: "إنّ الثّنائيّة قد أخلّت بالاتّساق في المجتمع العربي بما أدخلته على بعض النّاشئة من هذه الاتّجاهات السّلبيّة نحو لغتهم، وما أدخلته على بعضهم من الزّهو والاستعلاء باللغة الأخرى، كما أفضت إلى تهجين العربيّة على السّنة النّاطقين بها في المشرق والمغرب"[3]. وهذا بحق عقوق يُعاب على أبناء العربيّة، واستلاب ثقافي ينُمُّ عن غياب الوعي اللّغوي والانبهار بلغات العولمة التي بلغت أعلى درجات التطوّر على حساب لغات تتكَر لها أهلها يقول ابن خلدون: إنّ المهزوم يعجب بالمنتصر فيقلّده. فلمّا كان العرب رواد العلم والحضارة قديما كانت للعربيّة المكانة السّاميّة. "وإن أكثر العلماء الأوروبيين في بدايّة النّهضة الأوروبيّة في القرن السّادس عشر كانوا من خرّيجي جامعات الأندلس وأخذوا علومهم بالعربيّة"[4]. أمّا في عصر العولمة وتفوّق الغرب في شتّى المجالات؛ تشهد لغات العولمة تطوّرا هائلا جعلها تزاحم اللغة العربيّة في عقر دارها؛ إذ تقهقرت اللغة العربيّة في ظل هذا الافتراس اللغوي وهيمنة اللغات الأجنبيّة.

2.1- التّداخل اللّغوي language interference: إنّ التّداخل اللّغوي نتيجة حتميّة للتّعدّد اللّغوي وهيمنة لغات العولمة، ويعرف الدّكتور صالح بلعيد "التّداخل اللغوي" بقوله: "هو نوع من الاحتكاك اللغوي، إلاّ أنّ التّداخل يحصل بين لغتين تأخذ الواحدة من الأخرى؛ فاللغة الأضعف تأخذ من اللغة الأقوى..."[5]، وترجع أسباب هذه الظّاهرة اللسانيّة الاجتماعيّة المتفشيّة في الممارسات اللّغويّة إلى: ضعف الملكة اللّغويّة

والتّرجمة العشوائيّة السّيئة، والعولمة اللّغويّة والثّنائيّة اللّغويّة والازدواج اللغوي والتّعدّديّة اللّغويّة... يقول الدّكتور أحمد حساني في هذا السّياق: " يعدّ التّداخل اللّغوي ظاهرة مرافقة لتفاعل الأنساق اللّغويّة في المجتمع المتعدّد اللغات والثّقافات، وقد يتبدّى التّداخل في جميع مستويات اللغة (تداخل صوتي، ومورفولوجي، وتركيبي، ودلالي وأسلوبي) "[6].

– **تمظهرات التّداخل اللّغوي في استعمال اللغة العربيّة:** من مظاهر التّداخل اللّغوي في استعمالات اللغة العربيّة: إقحام العامّي والدّخيل والأجنبيات، وفوضى المصطلحات وشيوع الأخطاء اللّغويّة (في جميع المستويات اللّغويّة) ممّا يخلّ بفصاحة اللغة ويعبث بمعجمها الأصيل النّقيّ ويظهرها مشوّهة هجينة، يقول الدّكتور أحمد حساني في هذا السّياق: "يستطيع التّداخل أن يؤخّر اكتساب مستوى من مستويات النّسق اللساني أو يقاومه، وقد يؤدّي إلى حدوث اضطراب دلالي وأسلوبي يتبدّى في الالتّباس التّركيبي (النّحوي)، أو في اختيار كلمات غير ملائمة بفعل تماثل دلالي خاطئ"[7]. ويتمظهر التّداخل اللّغوي في إقحام الألفاظ والتّعابير والأساليب والقوالب التي تخلّ بفصاحة اللغة وقد لا تؤدّي المعنى الصّحيح فيتشوه المضمون، فمن الألفاظ التي استعملت في معنى جديد وغيرها أفصح منها وأصحّ وهي متولّدة من تأثير بعض اللغات الأجنبيّة (اعتنق) فيقولون اعتنق الإسلام أو المسيحيّة والعرب تقول دان بالإسلام أو اتّخذه ديناً أو دخل في الإسلام، أمّا تعبير اعتنق دينا أو مذهبا فترجمة حرفيّة لكلمة embrasser الفرنسيّة[8].

ومن مظاهر التّداخل التّركيبي الخطأ في تعديّة الأفعال ومرد ذلك إلى فُشو العاميّة واللغات الأجنبيّة والتّرجمات الرّكيكة، ومن جملة ما يرتكب من خطإ في هذا الباب: تعديّة الفعل بحرف وهو متعدّ بنفسه كـ: اعتاد على، حاز على، تعديّة الأفعال بحرف لا يلائمها: ونتج هذا النّوع عن التّرجمة الحرفيّة من النّصوص الأجنبيّة ومثال ذلك قولهم: اضطرّ للذّهاب: والصّواب: (اضطر إلى الذّهاب)، (اشتقّت له: والصّواب: اشتقّت إليه واشتقّته)، فالفعل هنا يتعدّى بنفسه أو بـ: "إلى" لا باللام[9].

ومن مظاهر التّداخل اللغوي وتأثير أساليب اللغات الأجنبيّة في التّعابير العربيّة قولهم: (يوجد) عندنا مال و (يوجد) في البلاد معادن كثيرة والعربي إنّما يقول عندنا مال وفي البلاد معادن كثيرة. ومن ذلك قولهم: (اتّخذته كصديق) لي والصّيغة العربيّة لهذا الكلام اتّخذته صديقا والكاف في العربيّة للتّشبيه ولا معنى لها هنا، أمّا قولنا أنا (كمواطن) لي الحق في... فصوابها إنّني بصفتي أو باعتباري مواطنا. ومن التّعابير المترجمة أيضا: قولهم كم هو جميل بدلا من ما أجمله! والعرب إذا أرادت التّعجب من المقدار أو الكميّة استعملت كَمْ، كقولك: كم كتابا قرأت! ... وإذا أرادت التّعجب من الصّفة قالتّ: ما أجمله، ما أحسنه، ما أكثره. أو أجمل به وأحسن به...[10]

وقد أشار فاروق شوشة إلى هذا الأمر في قوله: "كذلك فقد تسربت إلى لغتنا الجميلة في العصر الحديث أساليب كثيرة، دخل بعضها بفعل التّرجمة أو نتيجة للصّراع والاحتكاك والتّفاعل بين اللغات..." فنجد في لغة الإعلام تداخلا أسلوبيا ممثّلا في القوالب الرّكيكة نحو: (- يلعب دورا من التّركيب الفرنسيIl joue son rôle : أو الإنجليزي He plays his part) (لعب ورقته الأخيرة: Il a joué sa dernière carte) (حصّة الأسد: The lion'sshare).

ويكثر التّداخل اللغوي في اللغة الإعلاميّة (المكتوبة/المسموعة) لهذا تعتبر وسائل الإعلام من عقبات الأمن اللغوي في الجزائر؛ نظرا لسوء استعمال اللغة العربيّة في وسائل الإعلام.

3.1- الإعلام: الإعلام سلاح ذو حدين: فهو وسيلة لنقل اللغة وتعليمها ونشرها وترقيتها، وهو في الوقت نفسه خطر يهدّد اللغات الوطنيّة؛ إذا تعدّى على الحقوق اللّغويّة، وعمل بمعزل عن المتخصّصين في اللغة من معجميّين ومترجمين ومدقّقين لغويين، فالفهم الخاطئ للغة الصّحافة يمكن أن يؤدي إلى الانحطاط باللغة بدل الارتقاء بها. ومن هنا يمكن اعتبار الإعلام عقبة من عقبات الأمن اللّغوي نظرا للتّسيب اللّغوي الذي يمارسه رجال الإعلام في حقّ اللغة العربيّة والانتهاكات اللّغويّة التي تجسّدها وسائل الإعلام بكلّ أنواعها، "باستخدام أساليب جديدة غير معهودة في كتب التّراث

وإن راعت في مجملها القواعد الصّرفيّة والنّحويّة، وقد تسرّبت إلى هذه اللغة عبارات أجنبيّة المضمون، نتيجة للتّوسع في التّرجمة واعتماد الصّحفيين والإذاعيين العرب على وكالات الأنباء الأجنبيّة"[11]. "وقلما تسلم مجلّة أو صحيفة من ذلك، وهذا من أعظم ما جنته الصّحافة على الفصحى؛ لأنّه في شيوع الألفاظ والأساليب العاميّة في الصّحافة تكريس لها في أوساط المجتمع من جهة، وقبر للفظ الفصيح من جهة أخرى"[12]. لذا ينبغي أن تكون "الفصاحة" أهمّ معايير انتقاء وتعيين الإعلاميين، مع الاستعانة بمدقّق لغوي متخصّص، لتلافي التّهجين اللّغوي المتفشّي في لغة الصّحافة.

وهذه بعض الألفاظ الدّخيلة التي تستعمل في وسائل الإعلام العربي مع مرادفها الفصيح:

الألفاظ	أصلها	معناها بالعربيّة
الصّالون	فرنسي Salon	البهو
أجندة	إنجليزي Agenda	جدول الأعمال– المفكّرة
أوتوماتيكي	إنجليزي Automatic	تلقائي
كمبيوتر	إنجليزي computer	الحاسوب
السّيراميك	إنجليزي فرنسي ceramics	الخزف
الرّوتوشات	فرنسي	تنقيح– لمسات
ربورتاج	فرنسي Reportage	التّحقيق الصّحفي
ملتيميديا	فرنسي Multimédias	الوسائط المتعدّدة
روتين	فرنسي Routine	نمطيّة
تكتيك	لاتيني يوناني Tactica	تصميم، خطّة
تابو، طابو	إنجليزي Taboo	المحظور
بودرة	فرنسي Poudre	مسحوق
كوادر	فرنسي Cadres	إطارات

ويقول مصطفى الحسناوي في هذا السّياق: "فأمام هذا الطّوفان الجارف من التّكنولوجيا الحديثة والاختراعات التي تمسّ شتّى مناحي الحياة، يجد الإعلاميون العرب أنفسهم أمام الأمر الواقع، فقد يجبرون على استخدام المصطلح كما ورد، أو يبحثون عن أقرب معنى له نتيجة لمقتضيات النّقل السّريع للأحداث الوافدة من كل أصقاع المعمورة. فكثير من الألفاظ والتّراكيب التي لا نعرف لها واضعا ولا صانعا أصبحت من صميم اللغة العربيّة وثروتها الواسعة؛ هي من عمل رجال الصّحافة وابتكارهم إمّا بالتّرجمة وإمّا باستعمال المجاز والاستعارة وتوسّعا في دلالات الكلمات وإمّا بالوضع الموحي الذي يجيء عفو الخاطر ويكون مطابقا لقواعد وأحكام اللغة من اشتقاق وتعريب وغيرهما"[13]. وما أكثر الألفاظ والعبارات التي استحدثها الإعلام خاصّة تلك الألفاظ المعاصرة المنحوتة والتّراكيب المزجيّة التي تجسّد: "الاقتصاد اللّغوي"، والتي تستند إلى طرائق توليد الكلمات والمعاني الجديدة.

ومن هنا نستخلص أنّ الإعلام عامل أساس في استتباب الأمن اللّغوي وفي الوقت نفسه تهديد للأمن اللّغوي، لذا ينبغي على القائمين على الإعلام أن يحرصوا على الحفاظ على اللغة العربيّة وأن يعملوا على تطويعها وترقيتها، وفتح باب الحوار مع المتخصّصين في اللغة لتبادل الرّؤى والخبرات.

4.1- العولمة اللّغويّة: تعدّ العولمة من جملة العقبات التي تهدّد الأمن اللّغوي من خلال هيمنة لغات العولمة وكثرة تداولها على حساب العربيّة في مجتمعنا اللّغوي؛ في ظلّ انتشار التّقنيات الحديثة والوسائط المتعدّدة. " أمّا أوجه تأثير العولمة على اللغة العربيّة فهي سلبيّة في أغلبها، على الرّغم من إيجابيّة بعضها أو إمكان استغلالها في تحقيق عولمة اللغة ذاتها".[14] فتنميّة اللغة العربيّة وترقيتها تتحقّق بالوسائل والتّقانات الحديثة التي أوجدتها العولمة، لكن الاستعمال السّيئ لهذه الوسائط جعل اللغة العربيّة في منزلة أدنى من لغات العولمة، ففي الجزائر تهيمن اللغة الفرنسيّة والحرف اللاتيني على الأجهزة الرّقميّة والبرمجيات ومواقع التّواصل الاجتماعي... "وبما أنّ أصحاب اللّغة العربيّة الأصليين مستهلكون، في الغالب، غير فاعلين في البناء الحضاري

المعاصر كما ينبغي، فمن الممكن الخدش في هويتهم اللغويّة والثّقافيّة، وإحداث التّأثير السّلبي على استعمال اللغة العربيّة، ونشرها، وتعليمها داخل البلاد العربيّة وخارجها"[15] فالعولمة اللّغويّة خطر يهدّد أمننا اللّغوي والثّقافي ويعرقل مسار تنميّة اللغة العربيّة.

5.1- الصّراعات اللّغويّة: تعايشت العربيّة وسط آلاف اللغات على مدى قرون وكان لكلّ واحدة وظيفتها ومكانتها، فلم تهدّد لغة، ولم تتسبّب في انقراض لهجة[16]. وظلّت اللغة العربيّة رائدة في شتى المجالات الحيويّة والمعرفيّة إلى سقوط غرناطة سنة 1492م، وهي الفترة التي عرفت فيها اللغة العربيّة هجمات تستهدفها وتستهدف الدّين الإسلامي لمنع المسلمين من استعادة أمجادهم، باعتبارها لغة القرآن والشّريعة الإسلاميّة، وهي ما يوحّد الأمّة العربيّة رغم الاختلافات.

أمّا الصّراع اللغوي بين العربيّة والأمازيغيّة فهو من آثار الاستعمار الذي رفع شعار: " فرّق تَسُد" ليشن حملة شرسة على الهويّة الجزائريّة مستهدفا اللغة العربيّة وذلك بخلق صراعات عرقيّة لغويّة؛ واستمرّت سياسته بعد الاستقلال بتجنيد عملائه داخل الجزائر وخارجها لتنفيذ مخطّطه الهدّام.

أمّا الصّراع اللغوي بين الفصحى والعاميّة فهو صراع قديم افتعله أعداء العربيّة بنشر دعواتهم الهدّامة الرّاميّة إلى إضعاف العربيّة بالدّعوة إلى استعمال العاميّة بدل الفصحى أوجدها المستشرقون وبعض النّخب العربيّة التي تزعم أنّ الفصحى لغة دين وتراث فقط وليست لغة حياة وعلم، والدّعوة إلى تيسير النّحو وإهمال الإعراب واستبدال الحرف اللّاتيني بالحرف العربي، وهي دعوات هدّامة لا تشكّل خطرا على اللغة فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى الدّين والتّراث، يقول عبد السّلام المسدّي: ولا يخفى أنّ وضعا دوليّاً أصبح يساعد على الزّهد في اللغة العربيّة الفصحى، وأصبح يشجّع على أن تنمو حقول التّداول بالعاميّات، لتحل العاميّة محلّ العربيّة الفصحى. وهذا ليس من باب المؤامرة؛ لأنّه لم يعد شيئا مسكوتا عنه، وإنّها أصبح شيئا مرسوما في سجلات الخطط الإستراتيجيّة الدّوليّة سواء الأوروبيّة منها أم الأمريكيّة.

وأمام هذه العقبات التي تهدّد الأمن اللّغوي في الجزائر، ينبغي لأهل العربيّة أن يبادروا بحراك لغوي يؤطّره قرار سياسي حكيم، وأن يعملوا على النّهوض بالعربيّة وتذليل كلّ العراقيل التي تواجهها.

2- السّياسة اللّغويّة والتّخطيط اللّغوي في الجزائر:

- **السّياسة اللّغويّة:** يعتبرها لويس جان كالفي: "مجمل الخيارات الواعيّة المتّخذة في مجال العلاقات بين اللغة والحياة الاجتماعيّة، وبالتّحديد بين اللغة والحياة في الوطن"[17]. فالسّياسة اللّغويّة خيارات تحدّدها علاقة اللغة بالحياة الاجتماعيّة لتصبح الخيارات قرارات تُحدّد اللغة الأصلح للتّداول الرّسمي وتُحدّد اللغات الوطنيّة واللغات الأجنبيّة، باعتبار اللغة محور حياة أصحابها اجتماعيا، وفكريا، ووجدانيا. تستهدف السّياسة اللّغويّة تشكيل الواقع اللّغوي بصورة تناسب الحضارة الحديثة والنّظم الجديدة وتخطّط لبناء العلاقات المنشودة في داخل الدّولة وعلاقاتها في المنطقة اللّغويّة وفي العالم.[18] فالسّياسة اللّغويّة ينبغي أن تواكب مستجدّات الحضارة، وتسمح بالتّثاقف اللّغوي دون أن يتعارض ذلك مع أمنها اللّغوي. "إذن فالسّياسة اللّغويّة تعني اتّخاذ القرار الذي يهدف إلى توجيه مستقبل المتحدّثين باللغة، فلها هدف تنموي وهدف المحافظة على التّراث"[19].

- **السّياسة اللّغويّة في الجزائر:** عانت اللغة العربيّة في العصر الحديث الويلات في ظلّ السّياسات اللّغويّة الجائرة التي فرضها الاستعمار، وبعد الاستقلال حافظ الدّستور الجزائري على اللغة العربيّة باعتبارها لغة وطنيّة ورسميّة، كما عملت السّلطات على إطلاق مشروع التّعريب الذي يُعدّ خطوة إيجابيّة لتأميم اللغة العربيّة رغم تعثّره، وإنشاء مؤسّسات تُعنى بالشّؤون اللّغويّة (المجمع الجزائري للغة العربيّة والمجلس الأعلى للغة العربيّة). إذ نصّ الدّستور الجزائري في المادّة الثّالثة (03) على العمل على ازدهار اللغة العربيّة وتعميم استعمالها في الميادين العلميّة والتّكنولوجيّة والتّشجيع على التّرجمة إليها لهذه الغايّة؛ من خلال إحداث مؤسّسة رئاسيّة مكلّفة بذلك

تتمثّل في: "المجلس الأعلى للغة العربيّة" الذي يعمل جاهدا على ترقيّة استعمال العربيّة.

ولتحقيق الأمن اللّغوي سعت السّلطات الجزائريّة منذ الاستقلال إلى إعادة الاعتبار للغة العربيّة؛ حيث نصّت جميع الدّساتير الجزائريّة في باب "المبادئ العامّة التي تحكم المجتمع الجزائري" على أنّ اللغة العربيّة هي: اللغة الوطنيّة الرّسميّة –الوحيدة– للدّولة الجزائريّة، إلى غايّة التّعديل الدّستوري الصّادر سنة 2002: الذي اعتبر " تمازيغت" كذلك لغة وطنيّة، وفي 2016 رسّمَ الدّستور الجزائري– المعدّل– " تمازيغت" واستحدث "مجمعا جزائريا للغة الأمازيغيّة. لتصبح " تمازيغت" لغة وطنيّة ورسميّة شأنها شأن اللغة العربيّة لتتحقّق العدالة اللّغويّة المنشودة التي تخفّف من حدّة الصّراعات التي تقوض الانسجام الجمعي.

وبهذه القرارات خطت السّياسة اللّغويّة خطوة نحو التّعايش السّلمي بين اللغات الوطنيّة، ويظهر ذلك من خلال التّخطيط اللّغوي الذي يبعث على التّفاؤل رغم بعض العقبات التي لا تخلو منها أيّ مبادرة في بداياتها.

– التّخطيط اللّغوي في الجزائر:

– التّخطيط اللّغوي: يعتبره كالفي: "البحث عن الوسائل الضّروريّة لتطبيق سياسة لغويّة وعن وضع هذه الوسائل موضع التّنفيذ"[20]. وتكون هذه الوسائل ماديّة وبشريّة "فالتّخطيط اللّغوي مؤسّسي؛ أي تخطيط له مؤسّسات وتنفذه مؤسّسات"[21] على غرار وزارات التّخطيط، المجامع اللّغويّة، المجالسّ العليا للغة العربيّة. ومن **أهمّ أهدافه:**

– نشر الوعي باللغة لدى النّاطقين بها لتعزيز المواطنة اللّغويّة؛

– تحسين مستوى تعليم اللغة الأمّ وجعلها محطّ فخر واعتزاز لدى أبنائها؛

– تعميم استعمال اللغات الوطنيّة؛ لتكون لغة التّواصل والعلم والمعرفة والإعلام والفنّ والإدارة والمنابر؛

– المعالجة الآليّة للغات وحوسبة المعاجم اللّغويّة، ومواكبة لغات العولمة المتطوّرة؛

– تحقيق التّجانس والانسجام اللّغوي في المجتمع والقضاء على النّزاعات اللّغويّة في ظلّ التّعدّد اللّغوي؛

– حلّ المشكلات اللّغويّة بمختلف أنواعها؛ لتحقيق الأمن اللّغوي وصيانة اللغة الوطنيّة من الدّخيل الذي فرضته والعولمة.

ويسعى المجلس الأعلى للغة العربيّة إلى تحقيق هذه الأهداف من خلال أعمال قيّمة نذكر منها: تنظيم المؤتمرات والملتقيات الوطنيّة والدّوليّة، وإقامة النّدوات والأيام الدّراسيّة التي تستهدف معالجة قضايا اللغة العربيّة ومشكلاتها الرّاهنة واقتراح الحلول الممكنة العمل على بعث المشاريع الكبرى: ("المعجم التّاريخي للغة العربيّة" المعجم العربي الموحّد لألفاظ الحياة العامّة، "معجم الثّقافة الجزائريّة"...)، إبرام اتفاقيات مع قطاعات مهمّة في الدّولة على غرار قطاع التّربيّة والاتّصال والبيئة والطّاقات المتجدّدة والنّقل... ترمي إلى ترقيّة استعمال اللغة العربيّة، وعقد ندوات تكوينيّة تستهدف تحسين الأداء اللّغوي.

لكن التّخطيط اللّغوي الرّامي إلى ترقيّة العربيّة لا يقتصر على المؤسّسات المعنيّة بترقيّة العربيّة فحسب؛ فالتّخطيط اللّغوي عمل جماعي يتوقّف نجاحه على الحوار وتضافر جهود السّلطات بما فيها السّلطة الرّابعة: ممثّلة في الإعلام بكل أنواعه وجهود: المدرسة، الجامعة، المؤسّسات الدّينيّة والثّقافيّة والاقتصاديّة، والجامعة والمجتمع المدني والجمعيات..." فالحوار اللّغوي النّهضوي بحاجة إلى إرادة سياسيّة تحضنه وتعمل على تنفيذه، متى ما تعاون اللّغوي والسّياسي معا، فلابدّ من أن ينتج تعاونهما خيرا للمجتمع"[22] فالقضيّة قضيّة حوار وقرار.

3– واقع اللغة العربيّة في الجزائر في ظلّ التّداخل اللغوي:

1.3– واقع اللغة العربيّة في وسائل الإعلام الجزائريّة: في ظلّ العولمة والتّعدّديّة الإعلاميّة تشهد اللغة الإعلاميّة تهجينا لغويا وانتشارا للأخطاء اللّغويّة، ومردّ ذلك إلى التّعدّد اللّغوي الذي أفرز تداخلا لغويا شوّه اللغة الفصيحة، وضعف ملكة اللغة والتّرجمة الحرفيّة السّيئة دون اللجوء إلى مترجم متخصّص، وإهمال التّدقيق اللّغوي

بالميل إلى الارتجال وتوخي البساطة... وهذا تهوّر يُغلِّب نشر المعلومة على سلامة اللغة. كما تبدو لغة الإشهار مبتذلة وسوقيّة فهي مزيج من اللغات الأجنبيّة والعاميّة والفصحى، فأصبحت الأخطاء اللغويّة والقاعديّة هي الأصل، أمّا سلامة اللغة فهي الاستثناء، زيادة على أنّ كثيرا منها يكون مطعّما بالقوالب والكلمات الأجنبيّة بحروف لاتينيّة، أو حروف عربيّة"[23]. وباعتبار الإشهار مادّة إعلاميّة تستقطب الجماهير العريضة ينبغي أن تسوّق هذه المادّة الإعلاميّة في قالب لغوي راق، وأسلوب فصيح.

وهذه الظّاهرة اللّغويّة تستوجب فتح باب الحوار بين المتخصّصين في اللغة والإعلاميين؛ لإيجاد حل لمشكلات اللغة الإعلاميّة في ظلّ التّعدّديّة الإعلاميّة والعولمة اللّغويّة، كما تستوجب تضافر جهود وسائل الإعلام وجهود القائمين على إعداد المناهج التّربويّة والكتب المدرسيّة المتعلّقة بتعليميّة اللغة العربيّة.

– **واقع تعليميّة اللغة العربيّة في الجزائر:** تحتلّ اللغةَ العربيّة مكانة عاليّة في المناهج الدّراسيّة الجزائريّة، منذ تعريب التّعليم في الأطوار الثّلاثة، فهي اللغة التي تُدّرس بها كل المواد التّعليميّة، وهي مادّة أساسيّة في جميع الأطوار: "وعلى المدرسة اليوم أن تجتهد في تغذيّة البعد الثّقافي للتّلاميذ، وصقل أذواقهم ووجدانهم، وذلك من خلال تبنّي استراتيجيات تثمّن اللغة العربيّة وتجعلها تنافس اللغات الأخرى حتى تتمكن من استيعاب التّطوّرات العلميّة والتّكنولوجيّة والحضاريّة. وعلى المدرسة أن تعمل على استعادة التّلاميذ الثّقة بلغتهم، والاعتزاز بثقافتهم، ممّا يعزّز لديهم الشّعور بالانتماء للأمّة، وتأكيد هويّتهم الثّقافيّة والحضاريّة..."[24].

ومؤخّرا عرف قطاع التّربيّة إصلاحات تمثّلتْ في تغيير المناهج الدّراسيّة للطّورين: الابتدائي والمتوسّط (مناهج الجيل الثّاني)، ومن خلال معاينة مناهج تعليم اللغة العربيّة تبيّن أنّ هذه المناهج ترمي إلى إصلاح المنظومة التّربويّة؛ وذلك لاستحداثها طرائق جديدة ومفاهيم حديثة أفرزها البحث اللساني التّطبيقي خاصّة حقل تعليميّة اللغات، لكن واقع تعليميّة العربيّة في الجزائر يثبت تعثّر هذه المناهج، ومردّ هذا إلى السّرعة والارتجال في إعداد الكتاب المدرسي، فمحتويات الكتاب المدرسي

تخالف في معظمها الأهداف التّربويّة، وتحول دون تحقّق الكفاءات المستهدفة، نظرا لعشوائيّة انتقاء النّصوص التّعليميّة التي لا تخدم المقاربات الجديدة وتفوق في أغلب الأحيان مستوى المتعلّمين، بالإضافة إلى البرنامج المكثّف الذي أرْبك القائمين على تنفيذ هذه المناهج وتطبيقها... هذه المشكلات ومشكلات أخرى حالتْ دون تحقيق الكفاءات المنشودة، ممّا أدّى إلى ضعف التّحصيل اللّغوي، وسوء استعمال اللغة العربيّة (المنطوقة والمكتوبة) التي تشهد تداخلا لغويا بين العامّي والفصيح، ويمكن الحدّ من هذا التّداخل اللغوي (الذي يمسّ جميع المستويات اللسانيّة) بالتّنميّة اللغويّة وتعزيز ملكة اللغة العربيّة وحثّ المتعلّمين على القراءة؛ لإثراء رصيدهم اللغوي والمعرفي.

كما ندعو القائمين على التّخطيط التّربوي إلى التّحلّي بروح المسؤوليّة والتّأنّي في إعداد المناهج والكتب المدرسيّة التي تؤدّي دورا مهمّا في بناء شخصيّة المتعلّم وتقويم سلوكه وتهذيب لغته. ليكون مواطنا صالحا متشبعا بقيمه الوطنيّة، ينفع مجتمعه ويخدم وطنه.

– **اللغة العربيّة في التّعليم العالي والبحث العلمي:** الجامعة هي السّبيل إلى تطوير المهارات اللغويّة لتصبح اللغة العربيّة في التّعليم العالي راقيّة ومتخصّصة، صالحة للتّأليف والنّشر الأكاديمي في مجال التّخصّص؛ هذا بالنّسبة للتّخصّصات التي تُدرّس باللغة العربيّة. أمّا بالنّسبة للمتخصّصين في العلوم التّقنيّة والطّبيّة والعلوم الدّقيقة التي تدرّس باللغة الفرنسيّة فمستوى الأداء اللغوي للغة العربيّة لدى غالبيتهم ضعيف ويعرف تداخلا لغويا ناتجا عن الثّنائيّة اللغويّة.

لذا ينبغي للقائمين على قطاع التّعليم العالي أن يعملوا على ترقيّة اللغة العربيّة وتعميم استعمالها بالجامعة، وذلك بإدراج مقياس اللغة العربيّة في كل التّخصّصات التي تدرّس باللغة الفرنسيّة، والسّماح للطلبة بتحرير أبحاثهم باللغة العربيّة وعدم إجبارهم على تحريرها بالفرنسيّة؛ لتكون مسألة لغة كتابة البحث اختياريّة.

– **اللغة العربيّة في المجتمع الجزائري:** يشهد الواقع اللّغوي الجزائري تهجينا لغويا غير مسبوق؛ فالمتجوّل في الشّوارع يجد أنّ اللغة الفرنسيّة مستحوذة على معظم اللافتات وكأنّه في بلد أجنبي، فأغلب لافتات المطاعم والفنادق والمحلاّت التّجاريّة والمؤسّسات الخاصّة مكتوبة بالفرنسيّة، وفي هذا المقام ندعو الجهات المعنيّة إلى مراقبة هذه اللافتات والحدّ من هذه الظّاهرة السّلبيّة التي تخالف الدّستور الذي رسّم اللغة العربيّة ودعا إلى تعميم استعمالها.

4 – دور المواطنة اللّغويّة في استتباب الأمن اللّغوي وترقيّة اللغة العربيّة: المواطنة في مفهومها العام الشّامل هي الشّعور بالانتماء إلى الوطن بكلّ مقوّماته والمواطنة حقوق وواجبات مع انتشار الوعي الدّيمقراطي وثقافة حقوق الإنسان وتعدّد الثّقافات؛ نجد الشّعوب والقوميّات والأقلّيّات تطالب بحقوقها الثّقافيّة للحفاظ على هويّتها، ومن جملة الحقوق الثّقافيّة: الحقوق اللّغويّة؛ هذه الحقوق التي بمجرّد اكتسابها يصبح المواطن مسؤولا عن الحفاظ عليها وتعزيزها. ويختزل الكاتب والفيلسوف ألبير كامو Albert Camus الوطن في اللغة قائلا: "نعم لي وطن، إنّه اللغة الفرنسيّة". "فالعلاقة بين مفهوم المواطنة ومفهوم الثّقافة الوطنيّة هي علاقة مشاركة إبداعيّة في خلق فضاء وطني جديد متجدّد يتجنّب العزلة والانكفاء، ويحارب التّعصب والشّوفينيّة ويؤسس للاندماج والوحدة على قاعدة الدّيمقراطيّة واحترام التّعدّد وصيانة حقوق الإنسان"[25] وبالمواطنة اللّغويّة نحارب التّعصب والتّطرف، ونعمل على تلاحم الأمّة وتعزيز كل ما يوحدّها، وننهض بلغاتنا الوطنيّة، وبذلك يتحقّق الأمن اللّغوي.

واللغة ليست أداة للتّواصل أو وعاء لحفظ التّراث الإنساني فحسب، لكنّها هي التي تعطي الإنسان تميّزه وقدرته على التّفكير والإبداع، وهي مرتبطة ارتباطا جوهريا بهُويّته والهُويّة جزءٌ من الذّات، ولذا كان لابدّ من الاهتمام باللغة الفصحى ومنحها المكانة الأسمى: بوصفها لغة الدّين والتّراث والحضارة، وبوصفها الرّابط الوثيق بين أبناء هذه الأمّة على اختلاف بلادهم ومذاهبهم[26]. وباعتبارها أبرز مقوّمات الشّخصيّة الجزائريّة.

– **المواطنة اللّغويّة** citoyenneté linguistique: " هي استعمال اللسان الوطني في كل المؤسّسات والأماكن العامّة، وقضاء المصالح الإداريّة. وإنّ المواطنة اللّغويّة فضاء لغوي ممتدّ تأخذ فيه اللغة الرّسميّة النّصيب الأوفى انطلاقا من أن تربيّة المواطنة تحصل أوّلا باللغة الرّسميّة"[27]. والمواطنة اللّغويّة ترسّخها الأسرة ثمّ المدرسة بالإضافة إلى عناصر أخرى لا تقلّ أهمّيّة عنهما على غرار الإعلام بمختلف وسائله، الفنون والجامعة والنّخب، وتُهنْدسها وترسم معالمها السّياسة اللّغويّة ويَبْنيها التّخطيط اللّغوي: "إنّ السّلطة هي التي تحافظ على حسن التّطبيق وحسن ارتقاء اللغة الرّسميّة بوصفها لصيقة بمجتمعها"[28]. فاللغات الوطنيّة تحظى بمكانتها بالاعتراف بها وتعميم استعمالها وترقيتها بخلق مؤسّسات تتكفل بتأميمها وتطويرها ودعوة كل فئات المجتمع إلى استعمالها والحفاظ عليها.

خاتمة: يعدّ التّداخل اللّغوي أحد عقبات الأمن اللّغوي بوصفه ظاهرة لسانيّة–اجتماعيّة؛ يعتبر التّعدّد اللّغوي أهمّ أسبابها. ولعلاج هذه المشكلات اللسانيّة المستعصيّة ينبغي لصناع القرار أن يكونوا على قدر من الحكمة والتّبصّر في اختيار السّياسات اللّغويّة والتّربويّة التي تؤمّن اللغة العربيّة وتنهض بها وتعمم استعمالها؛ لتحقيق الأمن اللّغوي المنشود، والعدالة اللّغويّة والتّعايش السّلمي بين اللغات الوطنيّة، كما ينبغي لأهل العربيّة أن يكونوا في أعلى مستويات الوعي اللّغوي؛ لضمان تخطيط لغوي ناجع يحصّن العربيّة وينمّيها لتساير التّطوّر الذي تشهده لغات العولمة المهيمنة، ولا يتأتّى ذلك إلاّ بالمواطنة اللّغويّة باعتبارها العامل الأساس في استعمال اللغة العربيّة والإسهام في نشرها وتطويرها وحمايتها من العولمة اللّغويّة وتبعات التّعدّد اللّغوي، وبتضافر جهود المجامع اللّغويّة وعلماء اللغة، والإعلاميين والنّاشرين، وأساتذ المدارس والجامعات، والمتخصّصين في التّرجمة والبرمجة اللّغويّة والمعالجة الآليّة للغات وجهود المجتمع المدني والسّلطات السّياسيّة، وسعيها إلى الرّقي بلغتنا العربيّة وتعميم استعمالها.

الاحالات:

[1]– الرّوم/ 22.

[2] – لويس جان كالفي: حرب اللغات والسّياسات اللغويّة، تر: حسن حمـــزة، المنظّمـــة العربيّـــة للتّرجمة بيروت، 2008، ص 77.

[3] – وليد العناتي: العربيّة في اللسانيات التّطبيقيّة، كنوز المعرفة، عمـــان، الأردن، ط1، 2012م ص 146.

[4] – أكرم صالح محمود خوالدّة: الإيدز اللغوي، دار الحامد، الأردن، ط1، 2012، ص139.

[5]– صالح بلعيد: في الأمن اللغوي، دار هومة، الجزائر، 2010، ص 223.

[6] – أحمد حساني: تفاعل الأنساق اللغويّة والثّقافيّة وتداخلها– مقاربة بينيّة: سوســـيو – لســـانيّة. ينظر: في السّوسيولسانيات: "كتاب جماعي" مجموعة أبحاث علميّة محكمة، مخبر السّوسيولسانيات وتحليل الخطاب، دار القدرس العربي، الجزائر، 2016، ص44.

[7] – أحمد حساني: المرجع السّابق، ص 44.

[8] – محمد المبارك: فقه اللغة وخصائص العربيّة، دراسات تحليليّة مقارنة للكلمة العربيّة وعرض لمنهج العربيّة الأصيل في التّجديد والتّوليد، دار الفكر، بيروت، ط6، 1975م، ص335.

[9]– هلا أمون: معجم تقويم اللغة وتخليصها من الأخطاء الشّائعة، دار القلم، بيروت، لبنان، د. ت ص 128– 150.

[10]– محمد المبارك: المرجع السّابق، ص 337– 338.

[11]– محمد محمد يونس علي: الميسر في فقه اللغة المطور، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيـــروت لبنان، ط1، 2009م، ص 24.

[12]– مصطفى محمد الحسناوي: واقع لغة الاعلام المعاصـــر، دار أســـامة، عمـــان، الأردن، ط1 2011م، ص 278.

[13]– المرجع نفسه: ص 99.

[14]– أكرم صالح محمود خوالدّة: الإيدز اللغوي، 203.

[15]– المرجع نفسه: ص 210.

[16] – محمد حراز، إلياس بلكا: إشكاليّة الهويّة والتّعدّد اللغوي في المغرب العربي المغرب نموذجا مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجيّة، أبو ظبي، ط1، 2014، ص 222.

[17] – لويس جان كالفي: المرجع السّابق، ص 221.

[18]– صالح بلعيد: في الأمن اللغوي، ص 60.

[19] – المرجع نفسه: ص 60.

[20]– لويس جان كالفي: المرجع السّابق، ص 221

[21] – صالح بلعيد: في الأمن اللغوي، ص 62.

[22] – فتيحة محمد الدّبابسة: نهاد الموسى وجهوده اللغويّة، مذكرة ماجستير، جامعة الخليل، 2011 ص 57.

[23] – أكرم صالح محمود خوالدّة: المرجع السّابق، ص 164.

[24]– وزارة التّربيّة– اللجنة الوطنيّة للمناهج: المرجعيّة العامة للمناهج المعدلة وفق القانون التّوجيهي للتربيّة رقم 08–04 المؤرخ في 23 يناير 2008، ص 53.

[25] – الصّافوط محمد: المواطنة والوطنيّة، مطبعة النّجاح الجديدة، المغرب، ط1، 2007، ص 71.

[26] – أكرم صالح محمود خوالدّة: الإيدز اللغوي، ص 158.

[27] – صالح بلعيد: في المواطنة اللغويّة وأشياء أخرى، دار هومة، الجزائر، 2008، ص 19.

[28] – المرجع نفسه: ص 23.

دور تعلّم اللسان العربيّ في فهم القرآن والسّنة

داه. عبد القادر غليد
جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم

الملخّص: إنّ الله سبحانه وتعالى قد أنزل كتابه بلسان عربي فكان هذا تشريفا للغة العربيّة وكان العرب يفهمون القرآن بسليقتهم ولم يجدوا صعوبة في فهمه إلاّ في بعض المواضع التي تسمّى بغريب القرآن، ولكن بعد أن انتشر الإسلام واختلط العرب بالعجم أدى ذلك الاختلاط إلى تفشي ظاهرة اللحن في اللغة وضعفت العربيّة لدى معظمهم فاستحدث بذلك علم يحفظ قواعد اللغة وهو علم النّحو وذلك من أجل صون اللّسان من الخطأ واللّحن في اللّغة، ومن أجل أن يتعلّم الأعاجم اللغة العربيّة ولهذا أردنا أن نتطرّق في هذا البحث إلى "**دور اللسان العربيّ في فهم القرآن والسّنة**".

الكلمات المفتاحيّة: النّحو، الشّعر، اللسان العربيّ، القرآن، التّعلّم.

Summary : Allah, his glory and Majesty, has revealed his book in Arabic; this was an honor for the Arabic language, and the Arabs understood the Qur'an in their own way and found no difficulty in understanding it except in some places called the Arabization of the Qur'an. However, after Islam spread and Arabs were mixed with awe, this mixture led to the spread of language grinding phenomenon and weakened Arabic for most of them, so a science that preserves the language rules, which is the science of grammar, to protect the tongue from error and language grinding. In order to learn the Arabic language, we wanted to address in this research the role of the Arab tongue in understanding the Qur'an and the Sunna.

Key words: Grammar, poetry, Arabic tongue, Qur'an, learning.

تقديم: تعدّ اللغة العربيّة من أكثر اللغات انتشارا في العالم، وتمتاز بقوّة التّعبير والرّصف الدّقيق للأشياء، وكانت هي اللغة السّائدة عند العرب وقد بلغت هذه اللغة ذروتها وأعلى مجدها عندهم في عصر ما قبل الإسلام. حتى أنّ الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن بلسانهم وعاداتهم وذلك حتى يعجزهم في أكثر شيء يجيدونه. فانبهرت العرب بالقرآن وأعجزهم لفظه وأسلوبه وبيانه، حتى أنّهم عجزوا على أن يأتوا ولو بآيّة مثله فتشرفت العربيّة كون القرآن أنزل بها وكان ذلك سببا في رقيها وبقائها وكانت العرب تفهم القرآن على سليقتها إلاّ في غريبه، فكانوا يستعينون بالمفسرين من الصّحابة من أمثال عبد الله بن العباس رضي الله عنه.

وكان الصّحابة يرجعون إلى شعر العرب وكلامهم إذا استشكل عليهم من كتاب الله شيء، ومن هناك كان تعلّم اللسان العربي ومعرفة عاداتهم في الكلام، وأساليبهم فيه ضرورة من أجل فهم كتاب الله خاصّة بعد تفشّي اللحن في اللغة. فالعرب كانت تفهم القرآن بسليقتها وقصّة الأعرابي مع الأصمعي خير دليل على ذلك عندما قرأ الأصمعي قوله تعالى: "**والسّارق والسّارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالا من الله والله عليم حكيم**"[1] فقرأها "والله غفور رحيم" فقال له الأعرابي: ما هذا بكلام الله، فسأله الأصمعي هل تحفظ القرآن، فقال الأعرابي: لا، فقال له الأصمعي كيف حكمت على هاته الآيّة أنّها ليست من كتاب الله، فقال له يا أصمعي: عزّ فحكم فقطع، ولو غفر ورحم ما قطع. فقد فهم الأعرابي بفطرته وسليقته كلام الله سبحانه وتعالى فمعرفة وتعلّم اللسان العربي ضرورة من أجل فهم كتاب الله تعالى، قال صاحب الدّرة البهيّة على نظم مقدّمة الآجروميّة شرف الدّين العمريطي:

وكان مطلوبا أشدّ الطّلب — من الورى حفظ اللسان العربيّ
كي يفهوا معاني القرآن — وألسنة الدّقيقة المعانيّ
والنّحو أولى أوّلا أن يعلّم — إذ الكلام دونّه لن يفهم[2]

وفضل تعلّم اللغة العربيّة فضل عظيم فعن النّبي صلّى الله عليه وسلّم قال: "أحبوا العرب لثلاث: لأنّي عربيّ، والقرآن عربيّ، ولسان أهل الجنّة عربيّ".

وقراءة القرآن لا تكون إلاّ بلسان عربي، فلهذا وجب تعلّمها فأصبحت واجبا، لأنّه ما لا يتمّ الواجب إلاّ به فهو واجب. وقد كره الإمام الشّافعي لمن يعرف العربيّة أن يتكلّم بغيرها أو أن يخلطها بالأعجميّة، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه "ما تكلّم الرّجل الفارسيّة إلاّ خبّ، ولا خبّ إلاّ نقصت مروءته". فالعربيّة تزيد في مروءة ونخوة الرّجل. ونهى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كذلك عن تعلّم رطانة الأعجام والتّحدّث بها بدل العربيّة فعن ابن عمر عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم قال: "من كان يحسن أن يتكلّم بالعربيّة فلا يتكلّم بالفارسيّة فإنّه يورث النّفاق" وقد كتب عمر إلى أبي موسى رضي الله عنهما "أمّا بعد: فتفقّهوا في السّنة وتفقّهوا في العربيّة وأعربوا القرآن فإنّه عربي وفي حديث آخر عن عمر رضي الله عنه أنّه قال: "تعلّموا العربيّة فإنّها من دينكم"[3]. وكما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّه سئل عن كلمة "تخوف" في قوله تعالى "**أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ**" (النّحل 47) فقال رجل من هذيل: التّخوف عندنا التّنقص، ثمّ أنشده.

تخوّف الرّحل منها تامكا قرداً كما تخوّف عَود النّبعة السّفن.

فقال عمر رضي الله عنه أيّها النّاس تمسّكوا بديوان شعركم في جاهليتكم، فإنّ فيه تفسير كتابكم[4]. وكان كثير من الصّحابة يرجعون في تفسير القرآن إلى اللسان العربيّ وكلام العرب من شعر ونثر. وقال ابن العباس "الشّعر ديوان العرب" فإذا خفيَ عليهم شيء أو حرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعوا إلى ديوانها فالتّمسوا معرفة ذلك منه، فابن العباس رضي الله عنه لما سأله نافع بن الأزرق عن خمسين مسألة من القرآن كان عبد الله بن العباس رضي الله عنه يجيبه عن كلّ سؤال ويستشهد بجوابه ببيت من الشّعر[5].

لقد دافع عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز عن الاستشهاد بالشّعر في تفسير القرآن قائلا "وأمّا التّعلّق بأحوال الشّعراء بأنّهم قد ذمّوا في كتاب الله تعالى فما أرى عاقلا يرضى به أن يجعله حجّة في ذمّ الشّعر وتهجينه، والمنع من حفظه وروايته، والعلم بما فيه من بلاغة، وما يختصّ به من أدب وحكمة، ذلك لأنّه يلزم

على قول هذا القول أن يعيب العلماء وفي غريبه وغريب الحديث"[6]. فعبد القاهر الجرجاني يرى أنّه من الضّروري الرّجوع إلى أشعار العرب حتى يتسنّى لنا فهم القرآن وغريبه، والحديث النّبوي وغريبه، وبذلك يتحقّق لنا الفهم ونعرف القصد فالشّعر قاموس محيط لألفاظ العرب ومصطلحاتها ودلالاتها في شتّى القبائل والبطون فمنه عرفنا اللغة ودقائقها، فالعصر الذي نزل فيه القرآن كانت اللغة في أوجّ عطائها فلو أهملنا هذا الشّعر وهذه الثّروة اللغويّة فهل لنا مصدر غيره نرجع إليه، أو معجم لغوي نسأل فيه عن معاني الألفاظ والكلمات؟ فالشّعر الجاهلي خاصّة هو الذي أعان المفسّرين على فهم القرآن.[7] وذلك لما فيه من تأصيل وفنّ، ولغة أدبيّة راقيّة جدًا وثراء وغوايّة وهو ما يستشهد به كما يذكر البغدادي، لأنّه مبني على معرفة أوضاع اللغة العربيّة الفصيحة المختارة والإحاطة بقوانينها ونظمها[8].

فالقرآن الكريم فيه الظّاهر البيّن الذي يعرفه ويفهمه معظم النّاس، ولا يكاد يختلف فيه العرب. فهو لا يحتاج إلى الاستشهاد عليه. لظهوره وعدم دخول الإشكال فيه، لذلك نجد في بعض عباراتهم مثل قول ابن الأنباري "فأمّا معنى الضّجر فإنّه لا يحتاج إلى شاهد لشهرته عند النّاس"[9]. ونجد فيه الغريب الذي لا يعرفه كل أحد، وإنّما يختصّ بمعرفته العلماء وأصحاب اللغة، وهذا النّوع يحتاج إلى الشّواهد من كلام العرب لفهمه وتفسيره وحتى تطمئن نفسه إلى صحّة قوله وسلامته[10]. فمثلا لما سئل نافع بن الأزرق ابن العباس عن تفسير قوله تعالى "**يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ**" قال ما النّحاس؟ فأجابه عبد الله بن العباس رضي الله عنه بقوله: هو الدّخان الذي لا لهب فيه.

فقال ابن الأزرق: وهل كانت العرب تعرف ذلك؟ قال نعم، أمّا سمعت بقول النّابغة:

يضيء كضوء سراج السّليط لم يجعل الله فيه نحاسا

وهذا الشّاهد استشهد به علماء اللغة على أنّ معنى النّحاس في الآيّة هو ما ذهب إليه ابن العباس من الدّخان الذي لا لهب فيه[11]. وكذلك اعتمد المفسّرون على ذكر

الشّواهد الشّعريّة حتى يوازنوا بين أسلوبه وأسلوب الشّعر، فالقرآن اعتمد على بعض الأساليب وحتى تفهم هاته الأساليب اعتمدوا على الشّعر لتوضيح ذلك، وهذه الموازنة لا تعني أنّنا وازنّا كلام الله بكلام العرب وجعلناهما في مكانة واحدة، وإنّما هذا يعد من إعجاز الله سبحانه وتعالى أن خاطبهم على عادتهم وعلى ما يفهمون، إلاّ أنّ بلاغة وفصاحة القرآن أعجزت كل فصيح وخطيب ومن جملة ذلك قول امرئ القيس في مقدّمة معلّقته:

قفا نبكي من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدّخول فحومل

قيل في شرح هذا البيت أنّه خاطب واحدا وأخرج الكلام مخرج الخطاب مع الاثنين لأنّ العرب من عاداتهم إجراء خطاب الاثنين على الواحد.

فقد قال الله تعالى "**أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ**"[12]

قال بعض المفسّرين أنّ الله سبحانه وتعالى خاطب المفرد بخطاب المثنّي على عادة العرب في هاته الآيّة الكريمة ومنه قول الشّاعر:

فإن تزجراني في بابن عفان أنزجر وإن ترعياني أحم عرضا ممنّعا

والعرب فعلت ذلك لأنّ الرّجل يكون أدنى أعوانه اثنين:

راعي إبله وراعي غنمه، وكذلك الرّفقة أدنى ما تكون ثلاثة، فجرى خطاب الاثنين على الواحد لتعود ألسنتهم على ذلك[13]. ومن الأمثلة أيضا التي يوازن المفسّرون فيها بين أسلوب القرآن والشّعر لتوضيح المعنى المراد ما ذكره أبو عبيدة شارح معنى قوله تعالى: "**قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**"[14]. جاءت على لفظ الاستفهام والملائكة هنا لم تستفهم ربّها. وقد قال الله تعالى: "**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**" لكن معناها معنى الإيجاب، أي أنّك ستفعل ومنه قول جرير:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح.

فجرير برهن ولم يستفهم، فالشّاهد الشّعري هنا قد تولّى إيضاح المعنى[15].

ومعرفة النّحو والإعراب ضروريّة كذلك، فالنّحو والإعراب هو أهمّ ما تمتاز به اللغة العربيّة لذا وجب تعلّم النّحو حتى نتمكّن من فهم القرآن، يقول ابن فارس "من العلوم الجليلة التي اختصّت بها العرب الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما ميّز فاعل من مفعول ولا مضاف من منعوت، ولا تعجّب من استفهام، ولا صدر من مصدر، ولا نعت من تأكيد"[16].

فالنّحو قد يكون هو القرينة الوحيدة التي يفهم بها النّص، والجهل به قد يؤدّي إلى فهم خاطئ وسقيم، فالألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأنّ الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنّه المعيار الذي لا يتبيّن نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه. والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه[17].

ففي قوله تعالى: "**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**"[18]، فلولا قرينة الإعراب لمّا عرف معنى هذه الآيّة على حقيقتها فالفاعل هنا: "العلماء" فهم أهل الخشيّة والخوف من الله. واسم الجلالة (الله): مفعول مقدّم ففائدة تقديم المفعول هو حصر الفاعليّة، أيّ أنّ الله تعالى لا يخشاه إلاّ العلماء، ولو قدم الفاعل لاختلف المعنى وصار: لا يخشى العلماء إلاّ الله، وهذا غير صحيح فقد وجد من العلماء من يخشى غير الله فمن خشي الله هو العالم بحق.

وقوله تعالى: "**إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ**"[19] كثير من النّاس يخطئون في قراءة هذه الآيّة، خاصّة من جهل بعلم النّحو قواعده، فيظنّون أنّ إبراهيم يقع فاعلا وربّه مفعول به، ذلك أنّ الجملة الفعليّة يأتي ترتيبها كالتّالي: الفعل والفاعل ثمّ المفعول به.

ولكنّ في الآيّة تقدّم المفعول به على الفاعل فنصب "إبراهيم" ورفع "ربّه" وهذا لا يخالف قواعد النّحو على الإطلاق، فالقواعد النّحويّة توجب تقديم المفعول على الفاعل إذا اتّصل بالفاعل ضمير يرجع على المفعول به، وذلك حتى لا يعود الضّمير على

متأخّر لفظا ورتبة[20]. فجهلُنا بهذه القاعدة النّحويّة قد يحول بيننا وبين فهمنا لهاته الآيّة الكريمة فمعرفتنا بالإعراب وقواعده يسهّل لنا معرفة وفهم القرآن الكريم.

وقد يؤدّي الاختلاف في الإعراب إلى الاختلاف في استنباط الأحكام، وذلك أنّ هذا الاختلاف والتّغير في الحركات يؤدّي إلى اختلاف وتغيير في المعنى، فمن ذلك اختلاف الفقهاء في حكم الجنين الذي مات في بطن أمّه إثر تذكيتها، بناء على إعراب الحدّي "ذكاة الجنين ذكاة أمّه"، فقد ضبط بعضهم ذكاة الثّانيّة بالضّم وضبطها بعضهم بالفتح فقد ذهب الإمام أبو حنيفة، وزفر، والحسن بن زياد إلى أن الجنين لا يحلّ بدون تذكيّة، وذلك لاعتمادهم على روايّة النّصب أيّ أنّها تفيد الشّبيه. وأصلها ذكاة الجنين كذكاة أمّه وذهب الشّافعي، ومحمّد، وأبو يوسف إلى روايّة الضّم أيّ ذكاة الأمّ ذكاة للجنين[21].

"**كلا إذا دكّت الأرض دكّا دكّا**"، "**وجاء ربّك والملك صفّا صفّا**"[22] وما يجب معرفته كذلك معاني حروف الجر، ونذكر على سبيل المثال وهو ما تنبّه إليه ابن عباس (رضي الله عنه) حين قال في قوله تعالى "**فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (4) الذينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**"[23] فقال الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ساهون ولم يقل في صلاتهم. ذلك أن قوله تعالى "**الذينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**" صفة للمصلّين قيد تحكم الموصوف، فكان الويل للسّاهي عن صلاته لا السّاهي في صلاته[24].

وقد يستعمل حرفا وهو يعني حرفا آخر فهو في المبنى والرّسم حرّ ولكنّه في معناه يدلّ على حرف آخر. مثل قوله تعالى "**وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا**"[25] فهنا أتت "الباء" بمعنى على "وقد أجاز الطّبري ذلك فقال: فتأويل الكلام ومن أهل الكتاب الذي إن تأمنه يا محمّد على عظيم من المال يؤدّه إليك ولا يخنك فيه، ومنهم الذي إن تأمنه على دينار يخنك فيه، فلا يؤدّه إليك إلاّ أن تلحّ عليه بالتّقاضي والمطالبة، ومنه قول الشّاعر:

أربّ يبول الثّعبان برأسه لقد ذلّ من بالتّ عليه الثّعالب

أيّ على رأسه[26]. وقد تأتي "الباء" بمعنى في مثل قوله تعالى "وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (آل عمران آ123) أي في بدر. منه قول الشّاعر زهير بن أبي سلمى:

بها العين والآرام يمشين خلفة وأطلاؤها ينهضن من كلّ مجثّم

أيّ فيها العين[27]. وتأتي "عن" بمعنى "من" كقوله تعالى "**وَهُوَ الذي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**" (الشّورى 25) أي هو الذي يقبل التّوبة عن عباده.

فمعرفة معاني هاته الحروف يقربنا من الفهم، وهذا كلّه وارد في كلام العرب ومعروف عندهم وشائع في كلامهم، والقرآن الكريم لا يخلو من هاته الحروف لذا واجب علينا معرفتها وإدراك معانيها، فلهذا وجب تعلّم اللسان العربيّ ومعرفة قواعده والإحاطة بجميع جوانبه من نحو وصرف وبلاغة حتى يتسنّى لنا قراءة القرآن قراءة صحيحة، وحتى نفهم الأحكام الواردة فيه، وفي السّنة النّبويّة الشّريفة.

الاحالات:

[1]: سورة المائدة الايّة 37

[2]: ينظر شرف الدّين العمريطي، الدّرة البهيّة في نظم الآجروميّة، كتبه ماجد راغب، دار العصماء دمشق، ط1،2012، ص 13.

[3]: ينظر شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام بن تيميّة، اقتضاء الصّراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق د. ناصر عبد الكريم العقل، مكتبة الرّشد، الرّياض، المجلد الأول ص 459، إلى ص 470.

[4]: ينظر د. نجم الدّين قادر كريم الزّنكي، نظريّة السّياق دراسة أصوليّة، دار الكتب العلميّة بيروت لبنان، ط1، 2006، ص 101.

[5]: ينظر عبد الحمان بن معاضة الشّهري، الشّاهد الشّعري في تفسير القرآن الكريم، المنهاج للنّشر والتّوزيع، ط1431،1، ص 48 وص 49.

[6]: ينظر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، تحقيق د. محمد رضوان الدّايّة، د. فايز الدّايّة دار الفكر، دمشق، ط1، 2007، ص 82.

[7]: ينظر محمد سعيد القطاري، غريب القران والشّعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، اربد، الاردن ط1، 2011، ص 39و ص 40.

[8]: المصدر نفسه، ص 40.

[9]: عبد الرّحمان بن معاضة الشّهري، الشّاهد الشّعري في تفسير القران الكريم، ص 52.

[10]: ينظر المصدر نفسه، ص 53.

[11]: ينظر المصدر نفسه، ص71 و72.

[12]: سورة ق الآيّة 23.

[13]: ينظر أبي عبد الله الحسين بن أحمد الزّوزني، شرح المعلقات السّبع، تقديم عبد الرّحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2004، ص 17.

[14]: سورة البقرة آ 30.

[15]: ينظر عبد الرّحمان بن معاضة الشّهري، الشّاهد الشّعري في تفسير القرآن الكريم ص 758.

[16]: نجم الدّين قادر كريم الزّنكي، نظريّة السّياق، دراسة اصوليّة ص 205.

[17]: ينظر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز ص 82-83.

[18]: سورة فاطر آ 28.

[19]: سورة البقرة آ 124

[20]: ينظر محب الدّين الدّرويش، إعراب القرآن وبيانه، دار الارشاد للشؤون الجامعيّة، حمص سوريا المجلد الاول، ص 179.

[21]: ينظر نجم الدّين قادر كريم الزّنكي، نظريّة السّياق دراسة أصوليّة ص 106.

[22]: سورة الفجر آ 21-22

[23]: سورة الماعون آ 4-5.

[24]: ينظر سعيد القطاري، غريب القران والشّعر الجاهلي، ص 68.

[25]: سورة آل عمران آ 75.

[26]: ينظر د. خالدّ فهمي، مباحث في فقه لغة القرآن الكريم، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة الكويت، ط1 2013 ص 73.

[27]: المصدر نفسه، ص 79.

أثر القرآن الكريم في الحفاظ على اللّغة العربيّة

داه: عبد القادر غالي

جامعة عبد الحميد ابن باديس، مستغانم

الملخّص: تسعى هذه الدّراسة إلى إبراز مكانة اللّغة العربيّة وقيمتها العلميّة بكلّ ما تحمله من فصاحة وبيان، فقد اختارها الله عزّ وجلّ لغة لكتابه، لما اجتمع لها من المؤهّلات والخصائص، والسّمات التي ميّزتها عن باقي لغات العالم. والقرآن الكريم جعل منها لغة حيّة، ارتبطت بالدّين الإسلامي، ومازالتّ إلى يومنا هذا حيّة نابضة تتمشّى مع ماجَدَّ وما يُجدُّ من معارف وعلوم ووسائل التّواصل الحديثة وغيرها، ولا أحد منّا ينكر دور القرآن الكريم في تكوين المهارات اللّغويّة وتقويم اللّسان العربي. وقد دعانا الرّسول صلّى الله عليه وسلّم إلى حبّ هذه اللغة وحُبّ أهلها ومن ينتمي إليها فقال: "أحبّ العرب لثلاثٍ: لأنّي عربيّ، والقرآن عربيّ، وكلام أهل الجنّة عربيّ" (ذكره الطّبراني في معجمه الكبير). والإشكاليّة التي نطرحها هنا:

هل يستطيع المتعلّم تعلّم اللّغة العربيّة وتقويم لسانه بفضل القرآن الكريم؟

الكلمات المفتاحيّة: القرآن الكريم، اللّغة العربيّة، المهارات اللغويّة.

Abstract: This study seeks to highlight the status of the Arabic language and its scientific value in all its eloquence and statement. It was chosen by Allah the Almighty as the language of his book, because of its qualifications, characteristics and features that distinguished it from the rest of the world. The Holy Quran has made it a living language, associated with the Islamic religion, and is still to this day a vibrant neighborhood in line with the grandfather and the knowledge, science and modern means of communication and others, and none of us deny the role of the Koran in the formation of language skills and the evaluation of the tongue Arabi. The Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) invited us to love this language and the love of its people and those who belong to it. He said: "I love the Arabs for three:

for I am an Arab, the Koran is Arabic, and the words of the people of Paradise are Arab" (cited by Tabarani in his great dictionary). The problem here is:

-Can the learner learn the Arabic language and evaluate the tongue thanks to the Koran.?

Keywords: Holy Quran, Arabic language, language skills.

تمهـيد: يعدّ القرآن الكريم بحرًا شاسعًا احتوى على دررٍ فائقة الأهمّيّة وتفجّرت منه شتّى أنواع العلوم والمعارف التي قيّض له علماء اعتنوا بكشفها وتأصيلها بغيّة خدمة اللّسان العربي، لأنّه السّبيل إلى فهم لغة القرآن الكريم، إذ أنّ معظم الدّراسات انصبّت في بدايتها على لغة القرآن الكريم باعتباره معجزًا لما يحمله من أنماط لغويّة تفوق خيال العرب، ومحاسن كلامهم، كما تعجّبوا من دقّة تأليفه علاوةً على رصف حروفه وانسجام أصواته، فقد خرج عن نسق الكلام المعهود عند العرب في خطابهم وشعرهم، فكان القرآن هو المنبع الثّري الذي لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي أسراره.

ولا ريب أنّ الله سبحانه وتعالى حين أنزل هذا الكتاب بلسان عربيّ مبين كان في ذلك إشارة واضحة إلى أهمّيّة اللّغة العربيّة، إذ نجد في آيات كثيرة تشير إلى هذه الصّفة كقوله تعالى "**وهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**" (النّحل:103)، كما أنّ القرآن الكريم قد تجنّب الكثير من تعابير العرب في الجاهليّة، وهذّب ما كان مستهجنا منها أو يستثقله السّمع، سواء كان القبح في المعنى أم في اللّفظ، ومن الواضح أنّ خدمة القرآن الكريم كانت الباعث وراء تطوّر علوم العربيّة ونهضتها فلم يعرف العالم أعمق أثرا من صلة القرآن الكريم باللّغة العربيّة التي شرّفها الله تعالى بهذه المنزلة.

جهود علماء العرب في المحافظة على اللّغة العربيّة: حظيت اللّغة العربيّة باهتمام كبير من قبل علماء اللّغة منذ العصور القديمة وهذا من روعة وعذوبة اللّغة العربيّة "والدّليل على أنّ العرب أنطق، وأنّ لغتها أوسع، وأنّ لفظها أدلّ وأنّ أقسام تأليف كلامها أكثر والأمثال التي ضربت فيها أجود وأيسر"[1]. فالجاحظ هنا يشير إلى

ثلاث خصائص حظيت بها اللّغة العربيّة منها: سعة الألفاظ، وجودة الأمثال ودقّة الدّلالة.

ومنذ عصور الإسلام الأولى انتشرت اللغة العربيّة في معظم أرجاء المعمورة وبلغت ما بلغه الإسلام الذي أحدث ثورة عظيمة في كلّ مناحي الحياة للأمّة وارتبطت بحياة المسلمين فأصبحت لغة العلم والأدب والسّياسة والحضارة ، فضلا عن كونها لغة الدّين والعبادة، فالإسلام كان سندا هامّاً للغة العربيّة، حيث أبقى على روعتها وخلودها واستطاعت أن تستوعب الحضارات المختلفة، الفارسيّة واليونانيّة والهنديّة المعاصرة لها في ذلك الوقت، وفي ظلّ هذا الوضع الجديد أصبحت اللّغة العربيّة لغة عالميّة واللّغة الأمّ لبلاد كثيرة، تحت رايّة الإسلام.

ومن هذا المنطلق ندرك عمق الأصالة بين العربيّة، والإسلام وتتجلّى تلك العلاقة على لسان العديد من العلماء أمثال ابن تيميّة حين يقول: "معلوم أنّ تعلّم العربيّة وتعليم العربيّة فرض على الكفايّة"2. ويقول أيضا: "إنّ نفس اللّغة العربيّة من الدّين ومعرفتها فرض واجب، فإنّ فهم الكتاب والسّنّة فرض، ولا يفهم إلّا بفهم اللّغة العربيّة وما لا يتمّ الواجب إلّا به فهو واجبٌ"[3].

هذا ما دفع العلاّمة أحمد بن فارس إلى إفراد باب في كتابه " الصّاحبي" تحت عنوان (باب القول في حاجة أهل الفقه والفتيا إلى معرفة اللّغة العربيّة)، يقول فيه " إنّ العلم بلغة العرب واجب على كلّ متعلّق بالعلم من القرآن والسّنّة والفتيا بسبب حتى لا غناء بأحد منهم عنه، وذلك أنّ القرآن نازل بلغة العرب ورسول الله (ص) عربيّ، فمن أراد معرفة ما في كتاب الله عزّ وجلّ، وما في سنّة رسول الله (ص) من كل كلمة غريبة أو نظمٍ عجيب، لم يجد من العلم باللّغة بُدًّا"[4].

وكما هو معلوم أنّ اللّغة العربيّة هي الجذر والأصل وحفظها أهل العرب وتكلّموا بها وحفظوا قواعدها عن ظهر قلب، هي تحتاج إلى جهد متواصل وعمل يومي وفي جميع الميادين للتّطويع والإغناء للتّسهيل والتّقريب؛ أي وضعها في الخدمة اليوميّة الحيّة، فكان لابدّ من البحث عن منهاج علمي لبعث الوحدة الحضاريّة التي كانت

إطار الوجود لهذه اللّغة"[5]. وفي هذا الصّدد تتجلّى أهميّة اللّغة العربيّة بشكلٍ جليٍّ، ألا وهي ارتباطها وقيامها بوظيفة الاتّصال بين الأفراد في المجتمع، وهذه الوظيفة لا يمكن أن تتمّ إلاّ بوجود اللغة وهذه اللغة ستبقى رمزاً للحضارة ومشعلاً للمعرفة.

إنّ أثر القرآن الكريم على اللّغة العربيّة كان بالغًا للغايّة من حيث المضمون والشّكل فنصوص القرآن نصوص مقدّسة وسرمديّة إلى قيام السّاعة، فببقاء النّصوص القرآنيّة بقيت اللّغة العربيّة حيّة نابضة إلى يومنا هذا، وقد أشار الدّكتور يوسف الشّربجي إلى بعض الأسرار وراء خلود اللّغة العربيّة إذ يقول : "أنّ السّرّ من وراء خلود اللّغة والحفاظ عليها من الاندثار هو القرآن الكريم بما كان له من أثر بالغ في حياة الأمّة العربيّة وتحويلها من أمّة تائهة إلى أمّة عزيزة قويّة بتمسّكها بهذا الكتاب الذي صقل نفوسهم وهذّب طباعهم وطهّر عقولهم من رجس الوثنيّة وعفن الجاهليّة، وألّف بين قلوبهم وجمعهم على كلمة واحدة توحّدت فيها غاياتهم، وبذلوا من أجلها مهجهم وأرواحهم ورفع من بينهم الظّلم والاستعباد، ونزع من صدورهم الضّغائن والأحقاد[6].

ولذلك فإنّ بقاء اللّغة العربيّة إلى اليوم راجع إلى الدّفاع عن القرآن، لأنّ الدّفاع عنه لكونه أصل الدّين ومستقى العقيدة، يستطيع الدّفاع عنها لأنّها السّبيل إلى فهمه بل لأنّها السّبيل إلى الإيمان بأنّ الإسلام دين اللّغة، وأنّ القرآن من عند الله لا من وضع أحد... وقد اختارها الله عزّو جلّ من بين سائر اللغات لما تتمتّع به من خصائص تتجلّى في الألفاظ والتّراكيب والنّحو والصّرف والأدب، كونها لغة القرآن والسّنّة المطهّرة.

فقد أنزل كتابه وكلامه "بلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ" وذلك لأنّها لغة محفوظة بحفظ الله تعالى القائل في كتابه "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (الحجر:09) وهي لغة توفّر لها من الدّقّة والبيان والمرونة بالمعاني ويضاف جمال الصّوت إلى ثروتها المدهشة في المترادفات.

الرّقي باللّغة العربيّة نحو الكمال: تعدّ اللّغة العربيّة من بين سائر اللّغات التي تمتاز بوفرة كلمها وعذوبة منطقها ووضوح مخارج حروفها، فقد اختصّت وتميّزت بالكثير من الخصائص والميزات التي ضمنت لها البقاء والارتقاء، وعرفت قوّة ورقيّا ما كانت لتصل إليه لولا القرآن الكريم، بما وهبها الله من المعاني الفيّاضة والألفاظ المتطوّرة والتّراكيب الجديدة والأساليب العاليّة الرّفيعة، فأصبحت بذلك محطّ جميع الأنظار والاقتباس منها مناط العزّ والفخر وغدت اللّغة العربيّة تتألّق وتتباهى على غيرها من اللّغات بما حازت عليه من محاسن الجمال وأنواع الكمال، وفي هذا الصّدد يقول الإمام الشّافعي رحمه الله: "نزل القرآن الكريم بهذه اللّغة على نمط يعجز قليله وكثيره معاً، فكان أشبه شيء بالنّور في نسقه إذا النّور جملة واحدة، وإنّما يتجزأ باعتبار لا يخرجه من طبيعته، وهو في كلّ جزء من أجزائه جملة لا يعارض بشيء إلاّ إذا خلقت السّماء غير السّماء وبدّلت الأرض غير الأرض وإنّما كان ذلك لأنّه صفّى اللّغة من أكدارها وأجراها في ظاهره على بواطن أسرارها..."[7]، ومن هنا اعترف الشّافعي بقوّة اللّغة العربيّة وحيويّتها وسرعة انتشارها.

ولا حاجة إلى الإطالة في إقامة الأدلّة على التّلاحم القويّ بين لغة محمّد (ص) ودين الإسلام، إذ تكتفي الإشارة العابرة إلى أنّ كلّ أمر صريح ورد في الكتاب أو السّنّة بتلاوة القرآن لقوله تعالى "...**وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (91) وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ...**" (النّمل:91، 92)، أو بتدبّره لقوله عزّ وجلّ "**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَ**" (محمّد:20)، أو بقراءته لقوله تعالى "**فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ**" (المزمّل:20) أو بالاستماع له لقوله عزّ وجلّ "**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**" (الأعراف:204)، أو بحفظه، فهو أمر ضمني لكلّ مسلم بتعلّم اللّغة العربيّة لأنّها اللّغة التي اختارها الله جلّت قدرته للتّعبير عن كلامه وتبليغ رسالتّه، فهي تُوثقُ عُرى أمّة المسلمين على اختلاف شعوبها لونًا ووطنًا ولساناً وديوان حضارتهم وتجاربهم الإنسانيّة وخبراتهم ومعارفهم في حقول العلم وتخصّصاتهم الدّقيقة، وحين تكلّمت العربيّة بلسان الشّاعر قالتّ[8]:

وَسِعْتُ كِتَابَ اللهِ لَفْظًا وغَايَةً ومَا ضِقْتُ آيٍ بهِ وَعِظَـــاتِ
فَكَيْفَ أَضيقُ اليَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ وتَنْسيــقِ أَسْــمَاءٍ لِمُخْتَرَعَاتِ
أَنَا البَحْرُ فِي أَحْشَائِه الدّرُّ كَامِنٌ فَهَلْ سَأَلُوا الغَوَّاصَ عَنْ صَدَفَاتِي

من هذا القبيل فإنّ معرفة لغة القرآن واجبة على كلّ مسلمٍ لأنّ ما هو ضــروري لمعرفة شيءٍ واجب فمعرفته واجبة، فالعربيّة بحملها الــدّيني والعلمــي هــي لغــة موسيقيّة شاعريّة وهي بهذا الجرس منحت العربي التّفوّق في الأداء كلامًا وكتابــةً باعتبارها نسقا من العلامات المجرّدة وذلك من النّاحيّة الصّوتيّة والصّرفيّة والتّركيبيّة والتّداوليّة والمعجميّة وغيرها[9]. كما أنّ ازدهار اللّغة ازدهارٌ للحياة العقليّة وتقدّم فــي مضمار العلوم والفنون والآداب، لذا شكّلت المعرفة اللسانيّة خلفيّة نظريّة أساسيّة في مجال تعليم وتعلّم اللّغة.

طبيعة اللّغة العربيّة وخصائصها: إنّ اللغة العربيّة من بين ســائر اللغــات التــي تمتاز بوفرة كلامها وعذوبة منطقها ووضوح مخارج حروفها، فقد اختصّت وتميّزت بالكثير من الخصائص والميزات التي وفّرت لها البقاء والاستمراريّة سنجملها فيمــا يلي:

تمتاز اللّغة العربيّة بسعة مدرجها الصّوتي، حيث تتوزّع في مخارجها مــا بــين الشّفتين إلى أقصى الحلق، كما تظهر القيمة الصّوتيّة للّغة العربيّة من خــلال تحديــد المخرج الصّوتي لكلّ حرف بدقّة هو وحده الذي يحــافظ علــى أصــالة أصــوات الحروف العربيّة[10].

محافظة الأصوات العربيّة على صفاتها ومخارجا ويندرج هذا من خلال أنّ "اللّغة العربيّة لغة صائتة تتميّز بوفرة مخارج الحروف ممّا يعطيها مــن الدّقّــة الصّــوتيّة والتّمايز الصّوتي ما لا يتوافر لغيرها، فهناك خمسة عشر مخرجا للأصوات العربيّة بحسب حروفها. إذ أعطى جهاز النّطق أصواتها تمايزاً كبيرًا إذا ما استغلَّ اســتغلالًا تامًّا يتّسم بالدّقة والتّمايز"[11]. وذلك لدقّة مخارج اللّغة العربيّة، يستخدم متحدّث اللّغــة

العربيّة جهاز النّطق دون إهمال أيّ وظيفة من وظائفه، وهذا ما يساعد العربيّة على تمييزها بالتّفرّد الصّوتي في بعض أحرفها على أيّة لغة في العالم.

ومن أهمّ ما يميّز اللّغة العربيّة ظاهرة الإعراب، وهو الإبانة والإيضاح؛ حيث استفاد النّحاة من هذا المعنى اللغوي فاتّخذوه اصطلاحا، وأطلقوه على الحركات التي تظهر في أواخر الكلم.

تعتبر ظاهرة الاشتقاق من أهمّ عوامل النّمو اللّغوي من خلال توليد الصّيغ التي تحمل معاني متنوّعة ممّا يساعدهم في اتّساع اللّغة العربيّة وجعلها قادرة على استيعاب ما يستجدّ من تطوّر حضاري وتقدّم علمي بالإضافة إلى أضربه المختلفة. ولذلك وجب وضع كلّ لفظ معنى يعبّر عنه، من أجل هدف وهو التّوسّع في الأداء اللّغوي بإيصال الدّلالة، ومع هذا فقد أدرك علماء العربيّة أثر الاشتقاق وأهميته في تطوير وثراء اللّغة العربيّة ونمائها.

تتميّز العربيّة بالمجاز، وتبلغ مدى واسعًا في استعماله وفي الجمع فيها بين الدّلالة على المحسوسات والدّلالة على المجرّدات في كثير من المسائل الفكريّة والصّفات الخلقيّة التي تجتمع في مادّة واحدة، كالفضيلة مثلا: هي كلّ بقيّة أو زيادة وهي الخلق الذي يدلّ على فضل أو زيادة عند صاحبه، والعظيم هو كبير العظام أو كبير الأخلاق والمزايا[12].

كما تتميّز العربيّة بعوامل الثّراء اللّغوي كالتّرادف وهو تعدّد الألفاظ التي تؤدّي المعنى الواحد، نحو (الضّياء والنّور)، وتقوم كذلك على القوالب البنائيّة ونقصد بها هيئة الكلمات ومجيئها على أبنيّة مختلفة وكلّ هيئة أو قالب منها يحمل دلالة مختلفة ويمكن تكوين صيغ كثيرة من أصل واحد، وبالتّالي فإنّ "صيغ الكلمات في العربيّة هي اتّخاذ قوالب للمعاني تصبّ فيها الألفاظ فتختلف في الوظيفة التي تؤدّيها فالنّاظر والمنظور والمنظر تختلف في مدلولها مع اتّفاقها في أصل اللفظ" [13]. هذا يعني أنّ صيغ الألفاظ يمكن أن تنظر إليها على أنّها أبنيّة مركّبة على هيئة مخصوصة وتشمل كلاً من الأسماء والأفعال بأوزان خاصّة بها.

دور المدارس القرآنيّة في تقويم اللّسان العربي: إنّ تعليم القرآن الكريم شعيرة من شعائر الدّين لما له من تأثير على النّفوس والقلوب، في ترسيخ الإيمان وتثبيت العقيدة وتنشئة الصّغار على حبّ كلام الله والعمل بأحكامه، بالإضافة إلى أنّه واجب ديني يفرض على الأولياء إرسال أولادهم إلى الكتاتيب والمدارس القرآنيّة لحفظ القرآن الكريم كاملًا، أو ما تيسّر منه امتثالا لقوله تعالى "**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ**" (العلق:01) وابتغاء الأجر العظيم من تلاوته.

ولا أحد منّا ينكر دور القرآن الكريم في تقويم اللّسان العربي واكتساب الملكة اللّسانيّة، فقد كان الأعاجم يعمدون إلى تحفيظ أبنائهم القرآن الكريم عندما يريدون تعليمهم اللّغة العربيّة، لما له من واضح الأثر في تقويم اللّسان وتصحيح النّطق. فهو بما يحتويه من ألفاظ وما يشتمل عليه من صور بيانيّة وبلاغيّة في غايّة الرّوعة، وما تتطلّب قراءته من إخراج الحروف كفيل بجعل النّطق سليما وقويماً[14] . وما يحفظ للّغة العربيّة كينونتها وسليقتها السّليمة الفصيحة.

أضف إلى أنّ تعليم القرآن للصّبيان يكون عن طريق الاستظهار، فالمنهج بطبيعته يتّجه إلى التّعليم اللفظي ويعتمد على الذّاكرة وعلى الأخصّ إذا عرفنا أنّ القرآن يجب حفظه بألفاظ دون تحريف أو تبديل فقد كان "القرآن أصل التّعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعده من الملكات وسبب ذلك: أنّ تعليم الصّغر أشدّ رسوخًا وهو أصل لما بعده"[15]. لهذا السّبب كانت الطّرق التّعليميّة التي أوصى بها العلماء لا تخرج عن الطّرق الموصلة إلى جودة الحفظ وعدم النّسيان، ومنها على الخصوص التّكرار الذي يثبّت النّصوص في صدور المتعلّمين ويرسّخ الحفظ.

فتعليم اللّغة العربيّة وتقويم اللسان يكون بقراءة وحفظ القرآن وتلقينه للصّبيان أوّلاً لأنّهم في هذه السّن المبكّرة قادرون على الحفظ والاستظهار، ومحاكاة الكلام الصّحيح فيكون تعلّم العلوم المختلفة الأخرى فيما بعد ميسورا سهلا، لأنّ المتعلّم الذي يقرأ القرآن ويحفظه ويضبط ما يحفظ ويقرأ يطبع على اللفظ الصّحيح، والإعراب الصّحيح ويكون له سَجيّة لا تقبل الخطأ بسهولة.

أثر القرآن الكريم في تكوين المهارات اللغويّة: أصبح من واجب القائمين على تعليم اللّغة العربيّة وتعلّمها في العالم العربي والإسلامي أن يمكّنوا متعلّمي اللّغة العربيّة سواء من أبنائهم أم من غير النّاطقين بها من امتلاك مهارات لغويّة تساعدهم على تكوين قدراتهم على التّواصل من بينها:

السّمع: يعدّ السّمع في المنهج الإسلامي ركيزة هامّة في التّحصيل واكتساب التّربيّة لذلك حرص رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على تنشيط حاسّة السّمع منذ اللحظة الأولى لولادة الطّفل وذلك بإسماعه الآذان في أذنه اليمنى، وإقامة الصّلاة في اليسرى وهذا دليل عملي على أداء جهاز الوليد السّمعي. ولهذا استفاد الرّسول من جميع حواسه، إذ حفظ القرآن سماعا من جبريل عليه السّلام وأسمعه للنّاس، وهو الأميّ الذي لا يكتب ولا يقرأ وسار المسلمون على هذا المنهج إلى يومنا هذا.

القراءة: إنّ القراءة من أكبر النّعم التي أنعمها الله على خلقه أنّها كانت أوّل لفظ نزل من عند الله على نبيّه محمّد (ص) وذلك بقوله "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ" (العلق:01)، فهي تعتبر من أبرز الدّعائم التي تقوم عليها عمليّة التّعليم والتّعلّم، فجلّ المدارس التّعليميّة في جميع مراحلها توضّح لنا أنّ القراءة عامل جوهريّ في تسهيل العمليات التّعليميّة الرّاميّة إلى الشّروط الأساسيّة للنّجاح والتّوفيق.

الكتابة والتّواصل: يستطيع المتعلّم فضلا عن القراءة والفهم السّليم أن يحرّر باللّغة العربيّة أفكاره في عبارات تستجيب صياغتها لقواعد اللّغة العربيّة، أو بالتّواصل الشّفوي فضلا عن إجادة الكتابة وحصول الفهم بترويض جهاز التّصويت على النّطق الصّحيح بالتّصويتات المستعملة في اللغة العربيّة. خاصّة كما يفعل عادة معظم النّاطقين أصلا باللّغة العربيّة، وكلّ المدرّبين على تجويد القرآن الكريم[16] فمازلنا في مساجدنا وزوايا تحفيظ القرآن الكريم نتّبع طريقة القرّاء وعلماء التّجويد في تعليم النّشئ التّلاوة، حيث الشّيخ يقرأ وتلامذته يستمعون إليه أو يردّدون قراءته

كما أنّ الصّحابة رضوان الله عليهم نقلوا أحاديثه مشافهة بعد أن سمعوها منه ولم تدوّن إلا بعد وفاته.

- وسنجمل ما سبق ذكره في المخطّط الآتي:

استعمال اللّغة العربيّة

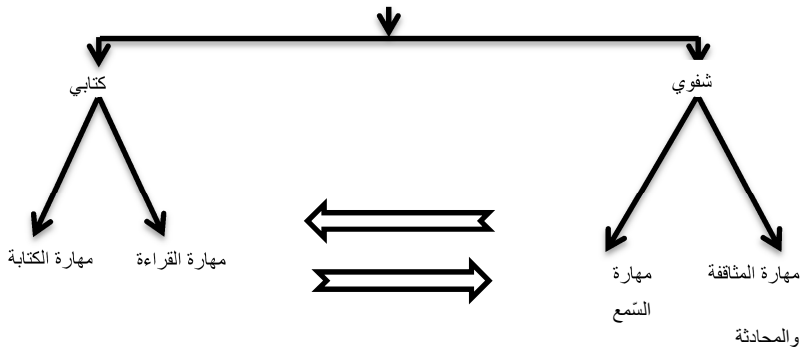

الخاتمة: نخلص في نهايّة هذه الورقة البحثيّة إلى أنّ دور القرآن الكريم وتأثيره البالغ لم يكن على اللّغة العربيّة في الحفظ والإثراء فحسب، بل إنّما كان على الكون والخلق والعالم أجمعين، فكان ولا يزال الكتاب الخالدّ، الذي يخلّد بين صفحاته تراثًا لغويًّا غنيًّا بأصول اللّغة وثريًّا بألفاظها وأساليبها البليغة، فحريٌّ بنا نحن العرب أن نتحصّن بهذا الكتاب للحفاظ على سليقتنا اللغويّة السّليمة.

إنّ الارتقاء بتعليم اللّغة العربيّة وتطوّرها صار في وقتنا الرّاهن يشكّل حقلا معرفيّا متعدّد المجالات وذلك بما تميّزت به من خصائص جعلتها مسايرة للثّقافة العالميّة المعاصرة والتّطوّر التّكنولوجي، والتي من أجلها حازت الشّرف بأن كانت هي لغة القرآن، وأصبحت واضحة في تفوّقها على جميع اللغات بشمول معانيها وغزارة مادّتها ودقّة تعابيرها.

تطوير اللغة العربيّة لن يتحقّق إلّا عن طريق الاهتمام بها، والعمل على ترقيتها وتعليمها ونشرها، هي لغة حباها الله عزّ وجلّ بأن جعلها لغة كتابه العزيز فأصبحت أداة ومفتاح الثّقافة العربيّة الإسلاميّة، وهذا ما يتحتّم علينا أن نحافظ عليها ويلزمنا أن نحرص على تعليمها لأبنائنا ونشرها لكلّ الرّاغبين فيها على اختلاف أجناسهم وألوانهم.

إنّ خدمة القرآن الكريم كانت الباعث وراء تطوّر علوم العربيّة ونهضتها، فلم يعرف العالم أعمق أثرا من صلة القرآن الكريم باللّغة العربيّة التي شرفّها الله بهذه المنزلة.

كما تتأكّد لنا أهمّيّة المهارات اللغويّة في اكتساب اللّغة وأهمّيتها، وكذا دور علماء اللغة خاصّة العرب منهم في حفظ لغتهم وتدوينها والمحافظة عليها.

الاحالات:

[1] – الجاحظ: البيان والتّبيين، تح: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1 ط1988،7 ص384.

[2] – ابن تيميّة: مجموعة الفتاوى، دار الوفاء المنصورة، مصر، ج32، ط3 ،2005، ص158.

[3] – ابن تيميّة: اقتضاء الصّراط المستقيم، تح: ناصر بن عبد الكريم العقل، مكتبة الرّشد، الرّياض ج1، ص469.

[4] – ابن فارس: الصّاحبي في فقه اللغة، المكتبة السّلفيّة، القاهرة، ص50.

[5] – صالح بلعيد: اللّغة العربيّة العلميّة، دار هومة، الجزائر،2003م، ص 05.

[6] – ينظر: أحمد حسن الباقوري، أثر القرآن الكريم في اللّغة العربيّة، دار المعارف، مصر 1969 ص33.

[7] – الرّافعي: تاريخ أداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1974، ص 74.

[8] – بنظر: محمّد الأوراغي، اللسانيات النّسبيّة وتعليم اللّغة العربيّة، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 1431، 2010، ص 225، و228.

[9] – بلغوثي عودة: المقاربة النّصيّة في ضوء المنهج التّواصلي، أطروحة ماجستير، جامعة مستغانم 2014، 2015، ص 34.

[10] – ينظر: كنزة منديل، اللّغة العربيّة بين التّخصّص والاستعمال، من أعمال جهود المجلس الأعلى للغة العربيّة في تطوير اللّغة العربيّة، منشورات المجلس، 2019، ص 256.

[11] – محسن بن عطيّة: اللّغة العربيّة مستوياتها وتطبيقاتها، دار المناهج، 2009، ص 32.

[12]– صالح تقابجي: أثر القرآن في اكتساب ملكة اللّسان، مجلّة اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة البليدة 2، العدد الثّالثّ، صفر 1435 ه، 2013 م، ص 52.

[13] – فهد خليل زايد: العربيّة بين التّغريب والتّهويد، دار يافا العلميّة، الأردن، د.ط، ص 28.

[14] – ينظر: يحي علاق، أهميّة السّماع في اكتساب اللّغة في تعلّمها قبل التّمدرس، أطروحة ماجستير، جامعة ورقلة،2010، 2011، ص 77 و78.

[15] – ابن خلدون: المقدّمة، دار الفكر، بيروت، ط1، 2004، ص 610.

[16] – محمّد الأوراغي، اللسانيات النّسبيّة وتعليم اللّغة العربيّة، ص 231.

آليات تعليميّة اللغويّة العربيّة
التي تربط الطّالب الجامعي بهويّته

أ. لخضر قدور قطاوي

جامعة الشّلف

ملخّـــص: لم يعد الحديث عن مستقبل العربيّة في بناء الشّخصيّة الوطنيّة في الجزائـــر مجرّد حديث استهلاكي لما هو عليه حال العربيّة اليوم. بل الأمر أصبح من الجدّ بأهمّيّـــة عظيمة وخطيرة في الوقت نفسه، عظيم لما لهذه اللغة التي تـــربط حاضـــرنا بماضـــينا وبمستقبلنا، ولما في زوالها، أو تجاهلها، أو إزاحتها من أولويّتها، وابتعاد الجيل الحاضـــر والأجيال التي تأتي بعد من خطورة قد تأتي على كل ما بناه أجدادنا العلماء الذين وطّنـــوا العربيّة هذه البقاع الشّاسعة من العالم.

ومن هذا ومن موقعي بصفتي أستاذا في الجامعة أقترح أعمالا إجرائيّة في اللســـانيات التّطبيقيّة أعتقد أنّه من شأنها أن تدعّم ربط الطّالب في الجامعة وغيرها بهويتـــه، إذا مـــا أحسنا ممارستها فعليا ويمكن إجمالها في العناصر الآتيّة:

أوّلا: العمل على تجديد البرامج التّعليميّة الجامعيّة ـــ ومن ذلك إدراج مقياس الإعجاز العلمي في القرآن والحديث واختيار منه المفردات والنّصوص الأدلّة التي تظهـــر حيويّـــة اللّغة العربيّة ودقّتها في التّعبير عن القضايا العلميّة في النّص القرآنيّ وكذا نصّ الحـــديث النّبويّ.

ثانيا: اعتماد النّص القرآنيّ والحديث الشّريف في التّطبيقات اللّغويّة خصوصا اختيـــار التّراكيب التي لها صلة ببعض أحكام القرآن الكريم والحـــديث النّبـــويّ الشّـــريف صـــلة بالحياة الاجتماعيّة والمعاملات، أي: ممّا له صلة بـــ(الأحكام الفقهيّة) التي لا تفهـــم فـــي سياق النّص إلاّ بالعودة لعلوم العربيّة، وذلك يهدف إلى تبيان أهمّيّة اللّغة في فهـــم الـــنّص القرآنيّ وفائدة ذلك في حياته وفي المحافظة على هُوِيَتِه الدّينيّة بصفته مسلما وهو مقـــوم من مقوّمات الشّخصيّة الجزائريّة.

وتكون نصوص كتب تفسير القرآن تفسيرا لغويا وبيانيا هي حقل خوض هذه التّجربة.

ثالثا: التّركيز على الشّواهد الشّعريّة التي وظّفها العلماء لدراسة نظم القرآن وتبيان أهمّيّتها في فهم تراكيب القرآن والحديث.

رابعا: اعتماد نصوص علميّة لعلماء مسلمين استخدموا الكثير من المصطلحات العلميّة في شتّى فنون العلم التي تجعل الطّالب مدركا لأهمّيّة لغته العربيّة في أداء رسالتّها الحضاريّة كابن سينا والفارابي وابن رشد، والعلماء المعاصرين الذين ألفوا في علم المصطلح العلميّ.

خامسا: علاقة اللّغة بالتّاريخ من حيث قراءته، ودراسته، ودور اللّغة والنّص العربيّ في حفريات أحداثه إثباتا أو تصحيحا.

كل هذا من شأنه أن يعزّز العلاقة بين الطّالب واللّغة العربيّة فيقبل عليها محبّة في بقائها وبقاء شخصيّته، وهذا أسما ما نتطلّع إلى تحقيقه من هدف في هذا اليوم الدّراسي الذي نتمنّى أن يوفّقنا الله تعالى وإيّاكم لما هو لصالح الأمّة والوطن.

- **الكلمات المفتاحيّة:** آليّة، تعليم، لغة، عربيّة، طالب.

المداخلة: لا يصلح حال هذه الأمّة إلاّ بما صلح به أوّلها، وكنا ذكرنا في ملخّص هذا البحث أنّ أوّل ما ينبغي الاعتماد عليه في الحفاظ على هُوِيّتنا من خلال تعليم اللّغة العربيّة هو الاعتماد على النّصّ القرآنيّ، لأنّ القرآن حبل الله وحبل الله لا ينقطع، وقد رأينا ولا نزال نرى ارتباط الطّلاب بالنّص القرآنيّ حين نقدّمه شاهدا من الشّواهد النّحويّة أو البلاغيّة أو اللّغويّة في إطار الدّراسات اللّسانيّة المتنوّعة المستويات، ويبرز هذا الارتباط به أثناء العمليّة التّعليميّة التّعلُّميّة لعلوم اللّغة العربيّة إذ يشعر الطّالب بارتباطه بالقرآن واعتزازه بانتسابه إلى الدّين الذي جاء به القرآن الكريم وهو الإسلام.

وما ندعو إليه هو ما سار عليه علماء العربيّة الذين تبّحروا فيها وصاروا من دعاة المحافظة عليها باعتبارها مقوّما من مقوّمات الشّخصيّة الوطنيّة، ولا يخلو مُؤلّف من مؤلّفاتهم اللّغويّة التي وقعت بأيدينا إلاّ ونجدها محشوّة بآي الذّكر الحكيم وحديث النّبيّ ـــ

صلّى الله عليه وسلّم ــ وكلّ من رام القرآن بمكروه إلاّ وقيّض له الله تعالى من يردّ كيده في نحره، ومن العلماء الذين انتصروا للقرآن القاضي أبو بكر ابن الطّيب الباقلاني المتوفّى سنة (403هـ) فقد ألّف مؤلّفا قيما في الدّفاع عن القرآن الكريم وسمه بـ (الانتصار للقرآن) وكان السّبب الذي دعاه إلى هذا التّأليف ظهور فرق في عصره كان همّها وديدنها الطّعن في القرآن الكريم والتّشكيك فيه، وفي صحّة نقله وخلوه من الخطأ واللحن."[1]

وباعتبار اللغة ظاهرة اجتماعيّة بواسطتها يتعامل أفراد المجتمع فيما بينهم فهي الحاملة لأفكارهم، وتعاليم ديانتهم وهي خزينة وجودهم الحضاريّ، أو كما يقول في شأنها سعيد حسن بحيري: «إنّ اللّغة ظاهرة إنسانيّة عامّة تؤدّي وظائف مشتركة في المجتمعات الإنسانيّة على اختلافها؛ إنّها لا تعيش في فراغ ، بل لا بدّ لها من حياة متجدّدة على لسان الإنسان الذي كرّمه الخالق العظيم بهذه الأداة الخلاّقة التي لا يستطيع أن يستغني عنها والتي تمكّنه من أداء الوظائف المتعدّدة التي يقصر دونها عن أداء تلك الوظائف على أكمل وجه»."[2]

وقد تعرّض مولود قاسم نايت بلقاسم إلى قيمة اللغة في نظر بعض الأمم فقال: «في مقال سابق (تعريب الأمخاخ والقلوب) قلنا: إنّ الاستعمار قد نجح لدينا إلى حدّ كبير في المجالين العقليّ والعاطفيّ، وإنّ علينا قبل تعريب الألسنة تعريب الأمخاخ والقلوب، فلدينا عناصر لا تكتفي بالحكم على العربيّة ــ ومنتهى الحقارة احتقار الإنسان للغته ــ بل نجدها تتجاوز هذا إلى حدّ الرّغبة في فرض عالميّة الفرنسيّة ورسميّتها على بقيّة أجزاء العالم، فلقد رَغِبَ مثلا طلبة جزائريّون جاؤوا إلى ألمانيا للدّراسة في أن يمتحنوا في الأخير ــ أي بعد سنوات من الدّراسة والإقامة هناك ــ بالفرنسيّة. ورفض الألمان ذلك طبعا»."[3]

فأوّل ما نفكر فيه في إرجاع حبّ العربيّة إلى قلوب أهله هو انتزاع هذا الحبّ الرّومنسي للّغة الفرنسيّة بالنّسبة لشريحة واسعة من الجزائريّين الذين تمكّن حبّها من عواطفهم وعقولهم ويضيف مولود قاسم نايت بلقاسم ما لا يقضى منه العجب لحال بعض

الجزائريّين مع الفرنسيّة يقول: «وقد سمعت كثيرا من إخواننا ــ حتّى من بين عناصرنا الوطنيّة ــ يستغربون من أنّ الألمان، أو النّمساويين، أو غيرهم من الأوروبيّين لا يفهمون الفرنسيّة، ويقولون عنهم: ما أجهلهم كلمتهم بالفرنسيّة فلم يفهموا. ماذا يفقهون في هذا البلد؟».[4]"

فهذا الصّنف سيطر عليه هذا الحبّ الرّومنسيّ للّغة الفرنسيّة فصار لا يتصوّر العلم والرّقيّ والتّحضّر إلاّ إذا كان التّواصل العلميّ بها على الرّغم من التّفوق العلمي والتّكنولوجيّ الألمانيّ. فلم يشفع ذلك للّغة الألمانيّة عند هؤلاء العشّاق.

ولذا فمولود قاسم نايت بلقاسم هو واحد من أبناء هذا الوطن المفدّى الذي أدرك الخطورة التي تهدّد هويّتنا اللّغويّة، ومن وراء ذلك مقوّمات الشّخصيّة القوميّة، والوطنيّة الجزائريّة، ولم يغب عنه «أنّ اللغة ليست إلاّ الصّورة الخارجيّة للتّفكير والإحساس. الواقع أنّها أكثر من هذا، فهي تلك الصّورة التي تعطي محتواها لونا، وشكلا، وقواما. فهي المحمّلة بتلك العناصر المكوّنة للذّاتيّة، للشّخصيّة القوميّة، فهي ذلك التّيار الذي يبعث الرّوح في جميع أركان الكيان الوطنيّ، وذلك الأسمنت الذي يضمن وحدة البنيان القوميّ والذي بدون تلاحمه لا يمكن أن يكون أيّ كيان للأمّة».[5]"

هذه مشكلة كانت قائمة بعد الاحتلال ولازالتّ قائمة تحدث عنها هذا المفكر الجزائريّ ومشكلتنا اليوم هو ــ مع المكسب الذي كسبته العربيّة في ميادين التّعليم وبخاصّة في الوسط الجامعي ــ كيف نجعل منها آليّة تؤدي دورها المعنويّ في المحافظة على هويّتنا؟ وهويّتنا معروفة ومحدّدة فشعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب ينتسب بعضه دما وينتسب بعضه الآخر إلى دين العروبة وهو الإسلام، وما رأينا من علماء مسلمين أمازيع تعصّبوا لأمازيغيتهم يوما على حساب العربيّة أو الإسلام. بله تجدهم من المؤسّسين لعلوم العربيّة في هذا الشّمال الإفريقي وحسبك أبو حيان الأندلسيّ الذي صار مدرسة نحويّة قائمة بذاتها في مصر وهو سليل الأمازيغ الأمجاد.

كيف نحبّب العربيّة لطّلاب الجامعة ونحملّها أداء رسالتّها الحضاريّة؟: لعلّ ربط الدّراسات اللّغويّة بالإعجاز العلميّ في القرآن والسّنّة وتخصيص مقياس له في الجامعة

من شأنه أن ينبت المحبّة للّغة وللقرآن والحديث النّبويّ وسيكشف هذا التّلاحم للطّلاب عن أهمّيّة اللّغة العربيّة، وعن جمالياتها في أدائها لهذه الوظيفة، ويكفي أن أقدّم أمثلة أحصينا فيها ثنائيّة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والتّركيب اللّغوي. وأقدم منها ما يأتي:

الإعجاز العلميّ في علاقته بحروف المعاني ومنها:حرف (الفاء) و(ثُمّ) العاطفان:

وإن شاهد الإعجاز العلمي في صلته بالتّركيب اللغوي للحرفين العاطفين في قول الله تعالى ﴿**ثُمَّ خَلَقْنَا النّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** ﴾."[6]" يمثّل مجالا تطبيقيا واسعا للإعجاز العلمي الذي يتقاطع مع الإعجاز اللغوي، وقد رجعنا إلى الباحثين في الإعجاز العلمي فوجدنا فوق ما كنا نتوقّع يقول كريم نجيب الأغرّ: «تجدر الإشارة هنا إلى أنّ وضع حرف (الفاء) بين الفعلين (خَلَقَهُ) و(قَدَّرَهُ) هو للإشارة إلى سرعة العمليّة، فهذه العمليّة تستغرق أقلّ من 30 ساعة»."[7]" وهذه المرحلة تتصهر عندها النّواتان فيما بينهما لتؤلّفا ما يسمّى علميا بالبويضة المخصّبة (zygot)."[8]"

ويقول الله تعالى في آيّة أخرى ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثمّ خَلَقْنَا النّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾"[9]" فالآيّة تشير إلى خلق أبينا آدم عليه السّلام وإلى خلق ذريته بطريقة التّكاثر والإنجاب، وممّا لا شكّ فيه أنّ المدّة التي خلق فيها آدم ثمّ تزوجه من حواء ثمّ بدايّة الجنين في رحم أمّنا حوّاء كانت طويلة وهذا ناسبه العطف بحرف (ثُمَّ) التي تفيد التّراخي، بينما مراحل الخلق الأخرى كما سبق يتكرّر النّظم القرآني على المنوال نفسه الذي ورد في سورة المؤمنون ولنلاحظ مرّة أخرى هذه النّهايّة في النّصّ القرآني ﴿ثُمّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ فإن حملته على اكتمال الجنين فالمدّة تطول لكي تكسى العظام لحما وتتكوّن كلّ الأنسجة الخاصّة بأجهزة الجنين من قلب وكبد ومعدة ورئتين وبنكرياس وطحال وغدد وغير ذلك كثير فناسب هذا العطف بحرف ثُمّ وكذلك لو حملنا النّصّ على النّشئة بعد الخروج من بطون

أمّهاتنا لا نعلم شيئا ثمّ جعل منّا خالقنا أعجب مخلوق على وجه الأرض فهذا أيضا المدّة فيه تطول لأنّ تعليم الله للإنسان وحفظه له مستمر إلى غايّة نهايّة أجله، بل مستمر للمؤمنين في عالم الخلود. لذلك كان ممّا يسعف الإعجاز العلمي التّعبير بالعطف بحرف (ثمّ) الذي يفيد التّراخي ويناسب الإعجاز.

وأسلوب القرآن يؤكّد وظيفيّة حرف الفاء فيما يشبه تماما الآيّة السّابقة وذلك في قوله تعالى ﴿**قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدّرَهُ، ثُمَّ السّبِيلَ يَسَّرَهُ، ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ، ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ**﴾."[10] فنلاحظ في هذا النّص القرآني الثّاني أوّلا السّرعة التي يتطلّبها دفن الميّت، الموت فالقبر فناسب ذلك العطف بحرف الفاء وفيه ما فيه من الإعجاز العلميّ، لأنّ ترك الميّت زمنا طويلا يؤدّي إلى تحلّل الجثّة، وما يترتّب عن ذلك من انتقال الأوبئة إلى الأحياء، وثانيا الاطّراد في مجيء عطف التّقدير على الخلق بحرف الفاء، ممّا يدلّ دلالة قاطعة على إعجاز التّراكيب اللّغويّة في القرآن الكريم، وأنّ ما توصّل إليه العلم يؤيّد ذلك الإحكام. فلا شكّ بأنّ الطّالب سيقف منبهرا أمام وظيفة حرف العطف الفاء الذي يدل على التّرتيب بدون مهلة، والحرف ثمّ الذي يدلّ على التّرتيب مع مهلة وتراخ.

حرف مِنْ المفيد لدلالة البعضيّة: نلمس الإعجاز العلميّ في دلالة البعضيّة لـ(مِنْ) الجارّة وبين ما توصّلت إليه الدّراسات العلميّة الطّبيعيّة في قوله تعالى ﴿**خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصّلْبِ والتّرَائِبِ**﴾"[11] فمَنْ ــ قبل ما وصل إليه العلم من الاكتشافات الدّقيقة المتعلّقة بعالم الأرحام وتكوين الجنين ــ كان يعتقد أنّ كميّة المنيّ التي يقذفها الذّكر في رحم المرأة لا يكون منها إلاّ كائن منويّ واحد من حوالي ثلاثمائة وخمسين مليونا كائنا منويا(350.000.000)."[12] فماذا عسى أن يكون شعور الطّلاب أمام هذه المعجزة العلميّة التي كان للعربيّة فيها هذا الدّور التّواصلي؟

العلاقة بين اللفظ وبين الإعجاز العلمي: الأمثلة كثيرة على ارتباط اللفظ بسرّ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، نأخذ منها لفظ الإسراف في قوله تعالى ﴿**وكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا**﴾"[13] فلفظ الإسراف يعني في اللغة مجاوزة القصد، قال ابن سيدة:

«وأسرف في ماله: عجل من غير قصد، وأمّا السّرف الذي نهى الله عنه فهو ما أنفق في غير طاعة الله قليلا كان أو كثيرا».[14] وفسرّه ابن عطيّة فقال: «ولا تُفْرِطُوا».[15] وقال ابن العربيّ: «الإسراف تعدّي الحدّ؛ فنهاهم عن تعدّي الحلال إلى الحرام، وقيل: ألاّ يزيد على قدر الحاجة، وقد اختلف فيه على قولين: فقيل: هو حرام. وقيل هو مكروه؛ وهو الصّحيح».[16] فمجاوزة حدّ الحلال وتناول ما حرّمه الله تعالى كلحم الخنزير والميتة وغير ذلك فيه الكثير ممّا يضرّ بصحّة الإنسان والإعجاز العلمي فيه واضح عند العلماء ولكن حين ننظر إلى ما فسّر به ابن العربي بأنّه تجاوز قدر الحاجة، فيؤدّي هذا الأكل إلى حكم الحرمة أو الكراهة وهو ليس من الطّعام المحرّم فهذا ممّا ثبت فيه أيضا الإعجاز العلمي يقول فهد خليل زايد: «وهذه الكلمات الموجزة يحدّد القرآن دستور الطّبّ الوقائي، فالعلماء يرون أنّ كلّ أمراض المعدة التي تصيب الكبد والكلى والبنكرياس تؤثّر على القلب، وهو هذه المضخّة الكابسة التي يمتصّ الدّم من هنا لتضخّه هناك، وكلّما كان وزن الجسم خفيفا كان جهد القلب أقلّ، فيصبح الجسم والأمراض الباطنيّة في معظمها ناتجة عن الإفراط في الأكل، أو الشّرب ممّا يسبّب السّمنة، وأمراض السّكر والرّوماتيزم، وضغط الدّم وحصى الكلى والنّقرس ...إلخ، ولو اعتدل النّاس في الأكل والشّرب لصحّت أبدانهم».[17] وما أجمل تخريج ابن الفرس في قوله: «قد خصّصه بعض المفسّرين بأشياء. والصّواب أن يحمل على عمومه في المحظور والمباح فمن تلبّس بشيء من الحرام فهو مسرف بأوّل تلبّسه، ومن تلبّس بمباح فمن اقتصد فحسن ومن أفرط بزيادة أو نقصان فهو إسراف منهيّ عنه».[18] فقد أضاف ابن الفرس شيئا مهمّا لسرّ الإعجاز العلمي في القرآن وهو تجاوز الحدّ في نقص الغذاء الذي بدوره يؤدّي إلى أمراض خطيرة تصيب جسم الإنسان ومنها فقر الدّم وغيره كثير. فلا إسراف في الحرام ولا إسراف بعد بلوغ الحاجة ولا إسراف في الجوع.

سلخ النّهار من الليل ورد في القرآن الكريم أنّ الله تعالى يسلخ النّهار من اللّيل وذلك في قوله تعالى ﴿**وَءَايَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ**﴾[19] ولفظة السّلخ لها علاقة حدثيّة بالجلد يقول فهد خليل زايد: «والسّلخ أصلا معناه فصل الجلد عن اللّحم

والمعنى نسلخ من حركات الليل نور النّهار، والنّهار طارئ موجود في قشرة الغلاف الجوّي اللامس لسطح الأرض حيث تتوافر ذرات الهواء التي تحدث التّشتت لضوء الشّمس فيتجلّى النّهار ﴿**وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى**﴾"[20]"، وقوله تعالى ﴿**وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ**﴾"[21]" وبهذا فإنّ الظّلام بالنّسبة للنّور كجسد الشّاة بالنّسبة لجلدها كما في قوله تعالى ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا**﴾"[22]" وتكون الحركة هي المشرط الذي يفصل الضّوء من جسم الأرض الكروي».[23]"

الإعجاز العلمي وعلاقته بدلالة التّكثير في صيغة الفعل المضعّف العين (فَعَّلَ) وردت صيغة الفعل المضعّف العين (فَعّلَ) في مضارعه في قوله تعالى ﴿**وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ**﴾."[24]" ودلالتّها هنا هي التّكثير في الفعل، وهي دلالة تتطبق مع ما يقوله علماء الطّبّ : «إنّ الرّقاد إذا استمرّ على جنب واحد تنتج عنه القروح، وانسداد في الدّورة الدّمويّة والضّغط على أعصاب القدمين، ولمنع هذا الضّرر يستحبّ في الرّقاد التّقلّب على الجانبين، وهذا ما فعله الله سبحانه وتعالى بأهل الكهف»."[25]" ثمّ تظيف للطّالب الجامعي إلى ما ذكرته له من صلة الإعجاز العلمي في القرآن باللغة ووظيفتها هنا أيضا سرّ تضعيف الفعل نقلّب الدّال على الكثرة والمبالغة التي تناسب عدم فساد أجسامهم لا شكّ بأنّ الطّلاب سيقبلون على هذا النّوع من الدّراسة التي تكشف عن جمال اللغة في ادائها لأعظم وظيفة وهي إعجاز القرآن الكريم.

صيغة اسم الفاعل (فَاعِل) و(مُفْعِل) ودورها في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

لقد أخبر الله تعالى في القرآن الكريم أنّه تعالى خلق الموت والحياة من أجل الابتلاء وذلك في قوله تعالى ﴿**تَبَارَكَ الذي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الذي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**﴾"[26]"وإذا ذهبنا إلى المعاجم العربيّة نبحث في معنى كلمة الموت وجدنا ابن فارس يقول: «الميم والواو والتّاء أصل صحيح يدلّ على ذهاب القوّة من الشّيء»."[27]" وإنّما اعتمد فيه أصل ذهاب القوّة، لأنّه أخذه من حديثه ــ صلّى الله عليه وسلّم .: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَة الْخَبِيثَة فَلاَ يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِن كُنْتُمْ لاَ بُدَّ آكِلِيهَا فَأَمِيتُوهَا طَبْخًا»."[28]" فإنّها بالطّبخ تفقد قوّتها.

فالموت معناه في لسان العرب هو فقدان الشّيء قوّته، ولا ينصرف عندهم في فقدان الكائن الحي روحه كما يُعتقَدُ عند كثير من عامّة النّاس. وهو، أي: الموت يطال جميع الأشياء، ومنها الخلايا، وهناك ما يسمّى بمصطلح الموت «الخلوي المبرمج (APOPTOSIS) الذي يقوم بدور أساسي في النّمو والاتّزان البيولوجي للكائنات عامّة وللإنسان خاصّة، وتعتبر هذه الظّاهرة إحدى الدّعامات الأساسيّة لنموّ المخلوقات عديدة الخلايا».[29]

وهذا الموت الخلويّ أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿**إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ، وَمُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ، ذَلِكُمُ اللهُ فَأَنّى تُؤْفَكُونَ**﴾[30] هنا في هذا النّصّ القرآني تتلاحم الدّلالة اللغويّة والدّلالة العلميّة في انسجام دقيق يؤدّي إلى الإعجاز العلمي يقول كريم نجيب الأغرّ: «الآيّة تتحدّث عن الحبّ أوّلا، ومن ثمّ تتكلّم عن إخراج الحيّ من الميّت، وإخراج الميّت من الحيّ، وهذا يقتضي ربط عمليتي إخراج الميّت من الحيّ وإخراج الحيّ من الميّت بالحبّ التّزاما بالسّياق القرآني، وهكذا فإنّ معنى الآيّة يكون: إنّ الله فالق الحبّ والنّوى، يخرج الحياة من الحبّة الميتة، ويخرج الموت من الحبّة الحيّة. ومن الأدلّة اللغويّة على أنّ الآيّة السّالفة الذّكر تشير إلى أنّ الموت الخلويّ له آلياته وأنظمته: كلمة (مُخْرِجُ) في قوله تعالى ﴿**وَمُخْرِجُ الْمَيِّت مِنَ الْحَيِّ**﴾[31] فهذه الكلمة على وزن اسم فاعل فالحاصل أنّ اسم الفاعل يصاغ للفعل فوق الثّلاثي على وزن مضارعه المعلوم بإبدال حرف المضارعة (الياء) ميما».[32] وينتهي كريم نجيب الأغرّ باستنتاج مفاده «أنّ صفة إخراج الميّت من الحيّ والحيّ من الميّت قائمة بنفس الخليّة عبر آليات الاستموات الموجودة فيها ـــ بإذن الله ـــ فالاستموات والإحياء صفتان لخلايا الجسد لصيقة بها لا تنفكّ عنها».[33]

وقد صرح غير واحد من العلماء المفسرين للقرآن الكريم بما كان منطبقا مع هذا التّخريج العلمي الدّال على الإعجاز العلمي، من الصّلة الموجودة بين ذكر اسم الفاعل (فالق) في (فالق الحبّ والنّوى)، وبين اسم الفاعل (مخرج) في (مخرج الميّت من الحيّ). يقول الزّمخشري: «فإن قلت: كيف قال ﴿**ومخرج الميّت من**

الحيّ﴾ بلفظ اسم الفاعل، بعد قوله ﴿**يخرج الحيّ من الميّت**﴾ قلت: عطفه على فالق الحبّ والنّوى لا على الفعل. ويخرج الحيّ من الميّت موقعة موقع الجملة المبينة لقوله ﴿**فالق الحبّ والنّوى**﴾؛ لأنّ فلق الحبّ والنّوى بالنّبات والشّجر النّامين من جنس إخراج الحيّ من الميت؛ لأنّ النّامي في حكم الحيوان».[34] وذكر هذا التّخريج أيضا أبو حيان الأندلسي، وأضاف قولا آخر وهو «أنّه يجوز أن يكون معطوفا وهو اسم فاعل على المضارع؛ لأنّه في معناه».[35]، وفسّرها القرطبي بقوله: «يخرج البشر الحيّ من النّطفة الميّتة، والنّطفة الميّتة من البشر الحيّ عن ابن عبّاس ».[36] وفيه نظر فهل يقرّ العلم الحديث بأنّ النّطفة تكون ميّتة، وإن كان كلام القرطبي يحمل على التّوسع لكون الرّوح ما زالتّ لم تخلق بعد.

وللسيّد قطب قول في منتهى الدّقة العلميّة التي تراعي ما توصّل إليه العلم من إعجاز في القرآن ويوافق مجازا ما قاله المفسّرون السّابقون له وهو قوله: «ومنذ البدأ أخرج الله الحيّ من الميّت. فقد أخرج هذا الكون ـــ أو على الأقلّ كانت هذه الأرض ـــ ولم يكن هناك حياة، ثمّ كانت الأرض، أخرجها الله من الموات، كيف؟ لا ندري! وهي منذ ذلك الحين تخرج من الميّت؛ فتتحوّل الذّرّات الميّتة في كلّ لحظة عن طريق الأحياء ـــ إلى موادّ عضويّة حيّة تدخل في كيان الأجسام الحيّة؛ فتتحوّل ـــ وأصلها ذرّات ميّتة ـــ إلى خلايا حيّة والعكس كذلك، ففي كلّ لحظة تتحوّل خلايا حيّة إلّى ذرّات ميّتة، إلى أن يتحوّل الكائن الحيّ كلّه ذات يوم إلى ذرّاة ميّتة».[37] وهل الحبّة التي تزرع هي حقيقة حبّة ميّتة؟ هذا ما أشار إليه سيد قطب بقوله: «وفي كلّ لحظة تتفلق الحبّة السّاكنة عن نبتة ناميّة، وتنفلق النّواة الهامدة عن شجرة صاعدة. والحياة الكامنة في الحبّة والنّواة، النّاميّة في النّبتة والشّجرة سرّ مكنون».[38] وبالعين المجرّدة فإنّ حبّة القمح التي تُزرع تموت وتتلاشى تماما ولكن يخرج منها نبتة، وهو إخراج الحيّ من الميّت فالرّشيم هو الجزء الحيّ في حبة القمح يتحوّل إلى ساق النّبتة ويتغذّى من البذرة المتلاشيّة، ثمّ تنشأ له الجذور، وتسمّى هذه العمليّة بعمليّة الانتاش. وباعتبار وجود الحياة الكامنة في هذه الحبّة فإنّ ما تحلّل منها وخرج فقد مات هو الآخر وصار غذاء للرّشيم،

فمن هذه الجهة فهو إخراج الميّت من الحيّ. وتأتي دورة الحياة فتموت النّبتة وتجف وتتلاشى وتبقي سنبلة هي عبارة عن بذور حيّة، ومن هذه الجهة فهو إخراج الحيّ من الميّت، وهكذا فالحبّة تموت فتخرج منها نبتة والنّبتة تموت وتخرج منها سنبلة الحبّ.

وفائدة ما قدّمنا أنّ الخليّة «عندما تموت بالاستموات المقدّر APOPTOSIS تفقد قوّاها وتنهار مكوناتها: فتتكمش، ومن ثمّ تنسحب مبتعدة عن جاراتها، ثمّ تظهر فقاعات على السّطح، ويتكثّف الكروماتين في نواتها، وسرعان ما تتقطّع النّواة ثمّ الخليّة نفسها وتُلْتَهَمُ أجزاؤُها بسرعة من قبل خلايا أخرى مجاورة».[39] ومن ثمّة هناك خلايا تنفلق وتكون أنسجة من خلايا أخرى لبناء أعضاء وأجهزة في جسم الإنسان وما تلاشي ومات خرج منه حيّ آخر، إنّه سرّ الإعجاز العلمي في الكائن النّباتي والحيواني فسبحان الخالق. كل هذه الأمثلة التي نسوقها هي تجربة فعالة في جذب الطّلاب إلى أسرار اللغة العربيّة الأمر الذي يحملهم على محبتها والسّعي إلى التّعمق فيها.

تأنيث الفعل وعلاقته بالإعجاز العلميّ ورد ذلك في قوله تعالى ﴿**مَثَلُ الذينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ**﴾[40] فقد أنّث الفعل بدخول تاء التّأنيث عليه، وقد أفاد هذا التّركيب من ناحيّة الإعجاز العلمي حقيقة كشفها العلم وهو أنّ أنْثى العناكب هي التي تبني بيتها في شكل شبكة. وأنّ ذكرها لا يتدخل من قريب أو بعيد في هذا العمل.[41] وتقول ناديّة طيّارة: «تبين حديثا أنّ النّسيج العنكبوتي لا يدوم أكثر من ليلة واحدة، ولا يصلح بعدها لصيد الطّرائد؛ لأنّه يجفّ وتفقد مادّته اللاصقة خصائصها، ويتمزّق خرقا باليّة عند الفجر، بعد أداء مهمّته.. إذن فهو بيت بمنتهى الضّعف... بيت لا يدوم إلاّ ليلة واحدة على الأقلّ».[42] وهذا يناسب تعبير القرآن بأفعل التّفضيل (أوهن) التي تفيد المبالغة في وهن بيت العنكبوت وينضاف إلى هذا الوهن الشّكلي الوهن المعنوي الذي يتمثّل في افتراس العنكبوت لذكرها بعد التّلقيح إذا لم يفرّ منها وكذلك أولادها.[43] وهذا المثال من الأمثلة الرّائعة التي سقناها للغرض المطلوب في البحث إذ حاولنا أن ننوّع بين ما هو للصّرف أو النّحو أو للغة. وكلّما كثرت الأنواع كان التّعلّق بالمادّة أكثر.

ما هي النّصوص التي نوظفها في التّطبيقات اللغويّة؟ من الأفيد والأنجع اعتماد النّصّ القرآنيّ والحديث النّبويّ الشّريف في التّطبيقات اللّغويّة خصوصا اختيار النّصوص التي لها صلة بالدّلالات المتعلّقة بهما، بحيث يكون لها بعد في الحياة الاجتماعيّة والمعاملات. كما ينبغي أن تكون تلك الصّلة بـ(الأحكام الفقهيّة) التي لا تفهم في سياق النّص إلاّ بالعودة لعلوم العربيّة وذلك يهدف إلى تبيان أهمّيّة اللّغة في فهم النّص القرآني، فيلمس الطّالب فائدة ذلك في حياته وفي المحافظة على هويته الدّينيّة بصفته مسلما، وإذا حافظ على إسلامه فهو يحافظ على مقوّم من مقوّمات شخصيّتنا الوطنيّة الجزائريّة. ونصوص كتب تفسير القرآن تفسيرا لغويا وبيانيا هي حقل خوض هذه التّجربة. وأقدّم هذه الأمثلة الآتيّة:

بين ما المصدريّة، وما الموصولة، وما الاستفهاميّة وردت (ما) في قوله تعالى ﴿**اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ**﴾"[44] وهنا نقف مع الطّلاب عند دراسة هذا المثال التّطبيقي، بحيث يكشف الطّالب الفرق بين كل دلالة مناسبة للوجه المعتبر في (ما)، وننقل لهم مثلا رأي المفسر الشّيخ أمحمد بن يوسف أطفيّش: «وما مصدريّة، بمعنى يعلم حملَها، وغيضَ الأرحام، وازديادَها، أو موصولة، أي: ما تحمله وما تغيضه وما تزداده، أو استفهاميّة مفعول مقدم والجملة علق عنها يعلم».[45]"

فمثل هذا النّوع من الأمثلة يجعل الطّلاب أوّلا في حيرة، وهو إشكال رائع لجلب الانتباه والتّركيز لدى الطّالب من خلال ما يلاحظه من هذا التّشابه اللفظي بين ما المصدريّة والموصولة والاستفهاميّة، ثمّ يضاف له أنّ كلّ ذلك ممكن ويكون صحيحا وتأتي المرحلة الثّالثّة المشتملة على تعليل الصّحة في كل نوع بكشف الدّلالات المترتّبة على توظيف أيّ نوع من (ما).

وهكذا يكتشف الطّالب جمال اللّغة العربيّة من خلال تعرّفه على فهم النّصّ القرآني الذي كان يقرؤه وهو يجهل معناه. وسيحمله هذا الفهم على حبّ العربيّة التي جعلته يلج هذا المستغلق النّصيّ، ويجعله ذلك كلّه يطلب المزيد من علومها ومن تدبّر القرآن ونكون بذلك قد زرعنا بذر هويتنا في قلبه قبل لسانه.

مثال ما له صلة بأحكام القرآن: وذلك في قوله تعالى «فإمساك بمعروف».[46] ومراد الآيّة هنا أنّ الإمساك بالمعروف عند بعض العلماء هو الرّجعة الثّانيّة بعد الطّلقة الثّانيّة وهذا الرّأي سيعلّق عليه ابن العربيّ قائلا: «ظنّ جهلة من النّاس أنّ الفاء هنا للتّعقيب وفسّر أنّ الذي يعقب الطّلاق من الإمساك الرّجعة؛ وهذا جهل بالمعنى واللّسان. أمّا جهل المعنى فليست الرّجعة عقيب الطّلقتين، وإنّما هي عقيب الواحدة كما هي عقيب الثّانيّة، ولو لزمت حكم التّعقيب في الآيّة لاختصّت بالطّلقتين، وأمّا الإعراب فليست الفاء للتّعقيب هنا، ولكن ذكر أهل الصّناعة فيها معاني، أمّهاتها ثلاثة: أحدها ــ أنّها للتّعقيب وذلك في العطف تقول: خرج زيد فعمرو. الثّاني ــ السّبب وذلك في الجزاء، تقول: إن تفعل خيرا فالله يجزيك فهو بعده، لكن ليس معقّبا عليه، الثّالثّة ــ زائدة، كقولك: زيد فمنطلق، كما قال الشّاعر:

وقائلةٍ خولانَ فَانْكِحْ فَتَاتَهُمْ

وهذا لم يصحّحه سيبويه، والذي قاله صحيح من أنّ الفاء ها هنا ليست بزائدة، وإنّما هي في معنى الجواب للجملة، كأنّه قال: هذه خولان فانكح فتاتهم».[47]

والملاحظ هنا أنّ ابن العربيّ وظّف الصّناعة النّحويّة في تخريج النّص القرآنيّ وبين بواسطة استخدام القواعد النّحويّة المتعلّقة بحروف المعاني الحكم الشّرعي الذي ينبغي اتّباعه من قبل المسلم في معاملته مع امرأته في حال الطّلاق الرّجعيّ. وهذا التّوظيف اللّغوي الرّائع سيجعل الطّلاب الذين يدرسون هذا النّوع من التّطبيقات النّحويّة يتعلّقون بالنّحو ويدركون وظيفته الخطيرة في استنباط الأحكام الشّرعيّة من القرآن الكريم وفهمها.

وأمّا ما يخصّ الحديث النّبويّ الشّريف فإنّ علماء العربيّة قد بذلوا جهودا مضنيّة في حل مشكل الحديث وهناك الأمثلة الكثيرة التي يمكننا أن نقدّمها للطّلبة، بصفتها الوظيفيّة التي تكشف لهم دقّة العربيّة وجمالها وتجعلهم يتعشّقون هذا النّوع من مسالك البحث العلميّ في دقائق العربيّة في صلتها بالحديث النّبويّ الشّريف، من ذلك ما ساقه لنا

العكبريّ عن الفرق بين (فَقُهَ) و(فَقِهَ) من حديث رسول الله ــ صلّى الله عليه وسلّم: «النّاس معادن خيارهم في الجاهليّة خيارهم في الإسلام إذا فَقُهُوا».[48]

فقد علّق العكبريّ على هذا الحديث فقال: «الجيّد هنا ضمّ القاف من (فَقُهَ يَفْقُهُ) إذا صار فقيها، مثل ظَرُفَ يَظْرُفُ فهو ظريف، وأمّا (فَقِهَ) ــ بكسر القاف ــ (يَفْقَهُ) ــ بفتحها فهو بمعنى فهم الشّيء، فهو متعدّ، قال الله تعالى﴿ لاَ يَكَادُونَ يفْقَهُونَ حَديثا ﴾[49] و﴿لا يَكَادُونَ يَفْقَهُون قَوْلاً﴾[50]ــ بفتح القاف في المستقبل، وماضيه بالكسر، أمّا المضموم القاف، فهو لازم لا مفعول له».[51]

فالكشف عن الفروق الدّلاليّة للصّيغة الفعليّة الواردة على لفظ واحد مختلف حركة العين من شأنه أن يلفت انتباه المتعلّم إلى هذه الملاحظات الدّقيقة الصّوتيّة الصّائتيّة ويتبيّن له أيضا فصاحة الرّسول ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ في اختياره للصّيغة المناسبة فيتحقّق لديه أنّ نصه صلّى الله عليه وسلّم: أنا أفصح العرب بيد أنّي من قريش. أنّه فعلا في قمّة الفصاحة.

وأمّا أمثلة الشّعر فلا تحصر عدّا خصوصا إذا انتقينا الجميل منها الهادف ودعونا الطّلاب إلى إعادة قراءة بعض الشّواهد اللّغويّة قراءة تليق بها، بحيث يكشف الأستاذ للطّالب الأبعاد التي كان يجهلها الطّالب في ذلك الشّاهد الشّعريّ. وهذه أمثلة توضّح ما نزعمه وتطمح النّفس إلى تحقيقه.

ساق أبو العباس المبرّد قول الشّاعر العباس بن الأحنف:

سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرَبُوا وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدّمُوعَ لِتَجْمُدَا

ثمّ قال: «وهذا معنى حسن جميل».[52] فحكم له بالحسن والجمال على الرّغم من أنّ لفظه قد قصر عن تأديّة المعنى الشّريف الذي تتنوّقه الأذن العربيّة المرهفة نفوس أصحابها فصاحة؛ لأنّه أفسده بقوله: وتسكب عيناي الدّموع لتجمدا؛ لأنّ الجَمْدَ بوزن الفلس (فَعْل) ما جَمَدَ من الماء، فإذا جمدت العين كان ذلك كنايّة عن البخل في لغة العرب. ومن ذلك قول الخنساء:

أَعَيْنَايَ جُودَا ولا تَجْمُدَا ألاَ تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النّدَى؟!

فهي تحثّهما على الجود بكرم الدّمع على من انضاف إلى النّدى ، وكأنّ النّدى أو الكرّم اختصّ به وحده دون غيره، فهذه إضافة التّخصيص، وأنت ترى من خلال هذا النّص الفصيح كيف فات المبرّد فساد المعنى على حين يختلف الموقف الذّوقيّ اختلافا بيّنا عند عبد القاهر الجرجانيّ الذي كانت قراءته قراءة مخالفة لقراءة المبرّد يقول عبد القاهر الجرجاني: «بدأ فدلّ بسكب الدّموع على ما يوجبه الفراق من الحزن والكمد فأحسن وأصاب لأنّ من شأن البكاء أبدا أن يكون أمارة للحزن وأن يجعل دلالة عليه وكنايّة عنه ، كقولهم: أبكاني، وأضحكني، على معنى: ساءني وسرّني. وكما قال:

أَبْكَانِي الدّهْرُ، وَيَا رُبَّمَا أَضْحَكَنِي الدّهْرُ بِمَا يُرْضِي

...ثمّ ساق هذا القياس إلى نقيضه، فالتّمس أن يدلّ على ما يُوجِبُه دَوَامُ التّلاقي من السّرور بقوله: لتجمدا، وظنّ أن الجمود يبلغ له في إفادة المسرّة والسّلامة من الحزن»."[53]" فالجرجانيّ يخطئ الشّاعر في نسبة الجمود للعين على نيّة التّكرّم بالدّمع وما يتّبع ذلك من مسرّة وراحة.

وهذا التّوضيح الجميل الرّائع في علاقة اللّفظ بالمعنى وأدائه الدّقيق سيجعل الطّالب سعيدا بتحصيل هذا الذّوق الجمالي للشّعر ومتى يشان هذا الجمال كما رأينا مع بيت العبّاس بن الأحنف ويحسن مع بيت الخنساء. وبهذا نأتي على نهايّة هذا البحث.

الخاتمة: خرجنا من هذا البحث بخلاصة تتضمن دور النّص القرآني والحديث النّبوي الشّريف وكذلك الشّعر، في الكشف عن جماليات اللّغة العربيّة مع سلوك طريق حيويّ في تعليميتها من شأنه أن يغرس حب العربيّة في طلاّب الجامعة إنّ نحن أحسنّا الاختيارات التّطبيقيّة التي منها دور ثنائيّة الإعجاز العلمي في القرآن والحديث النّبويّ الشّريف في علاقتهما بالتّراكيب اللغويّة العربيّة. كلّ ذلك سيسهم في إعادة القلوب للعربيّة قبل إعادة العربيّة للالسّنة.

الاحالات:

[1] ــ الانتصار للقرآن نشرته دار ابن حزم بتحقيق د. محمّد عصام القضاة، ط1 2001م. عمّــان ــ الأردن

[2] ــ المدخل إلى علم اللغة، كارل ــ ديتر بونتج، ترجمة وتعليق سعيد حسن بحيــري، مؤسّســة المختار للنّشر والتّوزيع، مدينة نصر ــ القاهرة ــ مصر، ط2، 2010م.

[3] ــ إنّيّة ص 27

[4] ــ إنّيّة ص27

[5] ــ إنيّة ص28

[6] ــ المؤمنون 14

[7] ــ إعجاز القرآن فيما تخفيه الأرحام ص140

[8] ــ انظر المرجع السّابق ص 140

[9] ــ المؤمنون 12 ــ 14

[10] ــ عبس 17 ــ 22

[11] ــ الطّارق 6 ــ 7

[12] ــ انظر إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام ص112

[13] ــ الأعراف 31

[14] ــ المحكم مادّة سرف ج8 ص476

[15] ــ المحرّر الوجيز ج2 ص393

[16] ــ أحكام القرآن ج2 781

[17] ــ الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم ص86

[18] ــ أحكام القرآن ج3 ص49

[19] ــ يس 37

[20] ــ الليل 2

[21] ــ المدثّر 34

[22] ــ الشّمس 4

[23] ــ الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم ص48

[24] ــ الكهف 18

[25] ــ فهد خليل زايد، الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن ص87

[26] ــ الملك 2

[27] ــ معجم مقاييس اللغة ماة موت ج5 ص283

[28] ــ المصدر السّابق ج5 ص 283

[29] ــ إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام لكريم نجيب الأغرّ ص501 و502

[30] ــ الأنعام 95

[31] ــ الأنعام 95

[32] ــ إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام لكريم نجيب الأغرّ ص503

[33] ــ المرجع نفسه ص503

[34] ــ الكشاف ج2 ص 46

[35] ــ البحر المحيط ج4 ص 189

[36] ــ أحكام القرآن ج4 ص44

[37] ــ في ظلال القرآن ج2 ص 1154

[38] ــ المرجع السّابق ج2 1153

[39] ــ إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام لكريم نجيب الأغرّ ص 502 نقلا عن مجلّة الإعجاز العلمي، رابطة العالم الإسلامي، العدد 10 ص 47

[40] ــ العنكبوت 41

[41] ــ انظر الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكرم لفهد خليل زايد ص107

[42] ــ موسوعة الإعجاز القرآني في العوم والطّبّ والفلك ص286

[43] ــ انظر المرجع السّابق ص285 و286

[44] ــ سورة الرّعد 9

[45] ــ تيسر التّفسير، تحقيق الشّيخ إبراهيم طلاي بمساعدة لجنة من الأساتذة، ج7 ص234 المطبعة العربيّة، غردايّة ــ الجزائر، ط1، 1999م

[46] ــ سورة البقرة 129

[47] ــ أحكام القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، ج1 ص192 و193 دار المعرفة، بيروت ــ لبنان ط3، 1972م.

[48] ــ صحيح البخاري من حديث أبي هريرة بصيغة «قيل للنبيّ ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ من أكرم النّاس؟ قال: أكرمهم أتقاهم، قالوا: يا نبيّ الله ليس عن هذا نسألك. قال: فعن معادن العرب تسألوني قالوا: نعم، قال: فخيارهم في الجاهليّة خيارهم في الإسلام إذا فقهوا». ج2 ص422، رقم الحديث: 3374، نسخة موافقة لترقيم وتبويب الأستاذ محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الإمام مالك، الجزائر، ط2 2014م.

[49] ــ سورة النّساء 78

[50] ــ سورة الكهف 93

[51] ــ إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث النّبويّ، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ص140، مؤسّسة المختار للنّشر والتّوزيع، القاهرة ــ مصر، ط1، 1999م

[52] ــ الكامل ص 118

[53] ــ دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق أبو فهر محمدود محمد شاكر، ص269، شركة القدس للنّشر والتّوزيع، ط3، 1992م.

واقع اللغة العربيّة في وسائل الإعلام

داه. غالي فاطيمة

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم.

ملخّص: تعدّ اللّغة العربيّة العروة الوثقى التي تلتئم حولها الشّعوب العربيّة والأمّة الإسلاميّة، فهي لغة القرآن الكريم، وضربت بذلك أكبر مثال للصّمود، ووقفت المجامع اللّغويّة وقفة الوصيّ الشّرعي على العربيّة الفصحى، مشكّلة بذلك أداة فاعلّة للتّواصل مع اللّغات العالميّة، ولو قارناها بما كانت عليه قديما لوجدنا فيها اختلافا كبيرا، ولعلّ العوامل التي أسهمت في التّغيّرات التي طرأت على اللّغة العربيّة نذكر من بينها وسائل الإعلام بمختلف أنواعها، هذه الأخيرة التي غزت العالم قد راجت بين أوساط الجماهير وأسهمت بشكل كبير في بلورة اللّغة العربيّة.

نروم من خلال هذه المداخلة؛ إلى دراسة تلك اللّغة المتداولة في وسائل الإعلام، وما مدى أثرها على اللّغة العربيّة، وهل كان تأثيرها إيجابيا أم سلبيا؟ وماهي السّبل النّاجعة للنّهوض بها؟ هذه هي الإشكاليّة التي تناقشها هذه المداخلة.

الكلّمات المفتاحيّة: اللّغة العربيّة، وسائل الاتصّال، واقع، ظاهرة الصّراع.

تمهيد: تشهد الأمّة العربيّة ونظيراتّها الغربيّة أنّ العرب كانوا على مسرح التّاريخ وقادوا الأمم وهيمنوا على كلّ المجالات الاقتصاديّة والسّياسيّة، فكانت لغتّهم سيّدة اللّغات وأمّ الألسنة واللّهجات. أمّا في عصرنا الحالي فاجتاحت عاصفة من التّغيّرات التي شملت أنحاء الوطن العربي كافّة، وعصفت بلغتنا العربيّة الجميلة التي تغنّى بها الشّعراء والمفكّرون والقلوب العاشقة لمعالمها. وتريد تلك العاصفة طمس معالم هويّتنا العربيّة وفرض لغات وثقافات على وطنّنا العربّي المغمور بالحضارات، من خلال فرض الوصايا اللّغويّة عبر التّعلّيم ووسائل الإعلام المختلفة سواء المكتوبة أم المسموعة أم المرئيّة. فقد انحصرت لغة الضّاد في أمور لا علاقة لها بها بعيدا عن

نحوها وصرفها وبنيتها، ومهما اختلفت الأسباب وتعدّدت، إلاّ أنّ النّتيجة تبقى واحدة فأهلها لم يعودوا قادرين على الدّفاع عنها نتيجة لضعفهم وانكسارهم وغيابهم عن مسار الحياة الحديثة وصنع القرار.

فلا غرابة أن تكون وسائل الإعلام من المسهمات في الحفاظ على اللّغة العربيّة وإثبات وجودها في واقع يعجّ بمختلف اللّغات واللّهجات والدّرع الحامي لها إذا ما استغلّها المجتمع بطريقة إيجابيّة، باعتبارها تُعالج قضايا اجتماعيّة وثقافيّة، وأكثر تأثيرا على عقول النّاس، فوسائل الإعلام من تلفاز وإذاعة وصحافة وغيرها من وسائل التّثقيف الهامّة باستطاعتها نشر اللّغة العربيّة وتحبيبها إلى النّاس. فاللّغة العربيّة هي التي تصنع العقول البناءة، واستعمال الفصحى في لغة الإعلام ليس مطلبا عسير المنال، فلغة الإعلام هي الفصحى المبسّطة في مستواها العلمي والمرونة والعمق من الخصائص الرّاقيّة التي تجعلها تنبض بالحياة.

1-استعمالات اللّغة العربيّة في وسائل الإعلام: تعدّ وسائل الاتّصال الحديثة أهمّ ما يميّز التّطور البشري خاصّة مع تطوّر وسائل الإعلام المختلفة كالتّلفاز والإذاعة والصّحف، وازدادت الحاجة إلى اللّغة العربيّة لتكون وسيلة اتّصال بين المرسل والمتلقّي وبفضلها أصبح الإنسان اليوم يبلّغ رسالتّه إلى مجتمعه من خلالها بكلّ حريّة.[1] لا ننكر أنّ استعمال اللّغة العربيّة الفصحى الموحّدة في صحافتنا وإذاعتنا الفضائيّة يُساعد إلى حدّ بعيد على توحيد رؤانا ونظراتنا وأفكارنا وتطلّعاتنا، وعلى صهرها في بوتقة قوميّة مشتركة تتحمل وسائل الإعلام في العصر الذي نعيش فيه مسؤوليّة ضخمة في الحفاظ على اللّغة العربيّة وتقويم اللّسان العربي وتصحيح الأخطاء، التي ترتكب في حقّ العربيّة وحمايّة الجماهير من الانحراف بها، ذلك أنّه إذا ظلّت وسائل الإعلام تُهمل الأداء الصّحيح للّغة العربيّة فسيبلغ الانهيار مداه ولا يستطيع أي مُنصف أن يَنكر الدّور الكبير الذي تلعبه هذه الوسائل، والأثر البالغ الذي يُحدثه في الجماهير إيجابيا، فلم يعد يقتصر دورها على التّبليغ والنّشر، ولكنّه تعدّى ذلك إلى تشكيل آراء الجماهير وإعادة بناء عقولهم وزرع اتّجاهات عقليّة في أذهانهم[2].

وكلّ هذا لا ينفي مدى حاجة اللّغة إلى أمن لغوي يحمي التّراث والإنتاج المعرفي لتتمكّن اللّغة العربيّة من مواكبة العصر، بحاجة إلى أمن يحافظ على جلالة الملّكة اللغة الأمّ العربيّة.

2- أهميّة اللّغة العربيّة وعلاقتها بالمجتمع: أصبحت اللّغة بشكل عامّ من أهمّ ميزات الإنسان الطّبيعيّة والاجتماعيّة، والوسيلة الأفضل للتّعبير عن المشاعر والاحتياجات الخاصّة بالفرد والجماعة، وتأتي أهميّة اللغة العربيّة بأنّها من أهمّ مكوّنات المجتمع الرّئيسيّة، والمعول في عوامل البناء في مختلف الحضارات والثّقافات، وهي السّبب الرّئيسي في قيام الدّول وإنشاء المجتمعات المختلفة، لأنّ التّواصل الذي يتمّ عن طريق اللّغة هو اللّبنة الأساسيّة في عمليّة البناء، وقوّة بلاغة اللّغة يعبّر بشكل كبير عن تماسك المجتمع النّاطق بها، واهتمامه بقواعدها، وعلومها وآدابها وضوابطها، وهذا يعدّ أجمل أشكال الرّقي في التّفكير والسّلوك لدى المجتمعات المحافظة على لغتها[3]. أين حظيت اللّغة العربيّة بما لم تحظ به أيّ لّغة من الاهتمام والعنّايّة ومع كلّ ما يعيشه من صعوبات وأزمات وكثير من المضايقات من أهلّها ومن غير أهلّها فلها ماضي مُشرق مُستقبل واعدٍ، لأنّها لغة القرآن الكريم، وهذا بدوره أعظم شرف وأكبر أهميّة للّغة العربيّة ولأنّ الله عزّ وجّل اختارها من بين لغات الأرض، ليكون بها كلامه الخالدّ الذي أعجز به كلّ من كان سيأتي إلى قيام السّاعة.

لا مناص من القول بأنّ أهميّة اللّغة العربيّة تمتدّ إلى العلاقة الوطيدة بينها وبين الثّقافة والهويّة الخاصّة بالشّعوب، فهي وسيلة التّواصل بينهم، ومرتكز التّعبير عن تفكير الأمم، والوسيلة الأولى في نشر ثقافاتهم المختلفة حول العالم، وبما أنّ اللّغة العربيّة هي المسؤولة عن كلّ هذه الأمور فهي إذن تُشكّل هويّة الأمّة الثّقافيّة التي تُميزها عن باقي الأمم[4]. فاللّغة هي الوعاء الأساسي الذي يَحوي العلوم والثّقافة والتّاريخ والحضارة والهويّة والمشاعر، فإن استطاعت أمّة المحافظة على لغتها ستكون من أكثر الأمم تقدّما وازدهاراً وتباهياً.

3- ظاهرة الصّراع اللّغوي في وسائل الإعلام: تَعرف اللّغة العربيّة في عصرنا الحالي تقدّماً ملحوظاً على كلّ الجوانب العلميّة والتّقنيّة والإنسانيّة، وهذا ما وفّر سُهولة التّواصل بين المجتمعات المختلفة انجرّ عنها صراع لغويّ لاسيما في وسائل الإعلام بين العربيّة الفصيحة وغيرها من اللّغات الأخرى نتيجة الانفتاح الحضاري والثّقافي على بقيّة شعوب العالم، وركن أساسي من أركان الأمن الثّقافي والحضاري والفكري[5]. فاللّغة وليدة المجتمع، وهي ظاهرة اجتماعيّة ذات وظيفة تواصليّة، وهذا ما أجمع عليه الكلّ، بها يتمّ الاتّصال والتّجاوب بين أفراد المجتمع، ومن هنا فإنّ مسألة الصّراع اللّغوي قضيّة متعلّقة بين العربيّة الفصحى ونظيّراتها من اللّغات الأخرى كالاستخدام اللّغوي للمصطلحات والمفردات وتفضيل الأجنبيّة منها على العربيّة في لغة الإعلام بمجالاته المختلفة السّمعيّة، والمرئيّة والمكتوبة نتيجة أسباب تتعلّق بالشّيوع، وحسن اللّفظ والإعجاب به عند معظم الإعلاميين لتعوّد الجماهير عليه وقربهم لفهمه.

4- مظاهر التّعدّديّة اللّغويّة في وسائل الإعلام:

أ- الازدواجيّة اللّغويّة: تتحقّق الازدواجيّة بلغات مختلفة، فيستعملها الفرد بدون صعوبة تذكر؛ يقول "الرّافعي": «إنّ هذه العربيّة بنيت على أصل سحري يجعل شبابها خالدًا عليها فلا تهرم ولا تموت لأنّها أعدّت من الأزل فكان للنّيرين الأرضيين العظيمين كتاب الله وسنّة رسوله صلّى الله عليه سلّم، ومن ثمّ كان فيها قوّة عجيبة من استهزاء كأنّها آخذة السّحر، لا يملك معها البليغ أن يأخذ أو يدع»[6]. ويقول "يوهان فك": «وفي كلّ لغة بشريّة لسان عامّي ولسان فصيح»[7]. فاللّغة العربيّة واحدة من مجموع اللّغات السّاميّة كما ذهب إلى ذلك الرّافعي وهي أكثر اللّغات ذهابا في القدم واللّغة الوحيدة التي عبرت إلى التّاريخ الحديث، ولا زالتّ تحمل مؤشّرات المستقبل ببطاقة مضمونة هي القرآن الكريم، كما أنّها صالحة لكلّ الأزمان والأماكن، أمّا يوهان فك فاعتبر الأمر مغايرا وأنّ مجاورة العاميّة للفصحى لا يعدّ إخلالا بها واستشهد بقول العقّاد "في كلّ أمّة لغة كتابة ولغة حديث"، كما اعتبر العاميّة موجودة في العصور

الوسطى، وذلك يظهر على كثير من المؤلّفات مثل "ما تلحّن فيه العامّة" للكسائي و"لحن الخاصّة" لأبي هلال العسكري.

مصطلح الازدواجيّة اللّغويّة لا يحظى بمفهوم محدّد له، فمن الباحثين من يطلق على وجود مستويين لغويين في شبه لغويّة واحدة، ومنهم من يرى أنّ وجود هذين المستويين يطلق على الثّنائيّة اللّغويّة لا على الازدواج، والرّاجح أن مصطلح الازدواجيّة كما يرى الدّكتور "نهاد الموسى" لاتفاق أصل الشّيئين بخلاف الثّنائيّة التي تطلق على متقابلات الأضداد الخير والشّرّ والنّور والظّلام[8]. وترجع معظم أسباب الازدواجيّة اللّغويّة بين الفصحى والعاميّة، إلى وسائل الإعلام والإعلاميين على وجه الخصوص وعدم التّزامهم بقواعد العربيّة الفصحى، دون أن ننسى المدرسة والجامعة وعدم التّزامها بقواعد التّدريس بالفصحى وخلطها بالعاميّة، وهنا تنشأ الازدواجيّة اللغويّة[9].

ب- الثّنائيّة اللّغويّة: تعدّ اللّغة العربيّة واحدة من اللّغات التي تتوافر على أكثر من مستوى تعبيري، يتّضح ذلك من خلال ما اصطلّح عليه اللّغويون بالثّنائيّة اللّغويّة، التي تتمثّل في وجود مستويين لغويين أحدهما للمشافهة في الشّؤون اليوميّة، أين يذهب بعض اللّغويين إلى القول بأنّ أحدهما يُوظّف في المواضيع الدّنيا ويُقصد بهذا المستوى العاميّة وأنّ المستوى الثّاني والذي يُقصد بها الفصحى، يُوظّف بحسبهم في الكتابة والموضوعات العليا[10]. وتتفرّع من اللّغة العربيّة عدّة لهجات، وذلك حسب البلد والمدن والمناطق.

وقد لوحظ أنّ بعض المتكلّمين ممن يتمتّعون بوصف ثّنائي اللّغة، تُهيمن إحدى اللّغتين على الأخرى سواء من حيث المعنى أم الأسلوب، وبناءً على ذلك ينظرون للحياة من لغتين نظرة خاصّة هي قد تؤدّي إلى كثير من المشكلات، لا على مستوى التّرجمة فحسب بل على مستوى التّعبير، ولكنّها قد تكون مفيدة إذا نجح المتكلّم في جمع نظامين من التّفكير دون أن يُخلّ أحدهما بالآخر. أمّا إذا فشّل المتكلّم في جمع هذين النّظامين من التّفكير فيخشى أن يظهر ما يُعرف بتدخّل أحد النّظامين في الآخر

وتوضيح ذلك أنّ مستعمل اللّغة الثّانيّة يتجنّب استعمال تراكيب معينة كونه يجدها صعبة بالنّظر لاختلافها عمّا يقابلها في اللّغة الأولى، فيلجأ إلى ما بعده وهو حيلة ذكيّة لتجنّب الخطأ وهي الابتعاد عن مثل هذه التّراكيب ابتعادا كليا، ومن ذلك يحاول كتابة أو التّحكّم بتركيب يظنّه أكثر يسرا، ومن مظاهر هذا التّدخل لجوء المتكلّم الذي يستعمل اللّغة الثّانيّة لاقتراض تعبيرات أو كلّمات من اللّغة الأولى عندما يلاحظ أنّه لا يهتدي بيسر لما يُقابل التّركيب المفترض. وهذا ما يقع فيه الإعلاميون كثيرا وهم بصدد حصصهم الإذاعيّة والتّلفزيونيّة وغالبا ما يلجؤون لاستعمالات لغويّة مغايرة للّغة العربيّة تارة، وتارة الإنجليزيّة بهدف الوصول إلى التّعبير المناسب[11].

ت- استعمال العامّيّة: يعتبر الدّكتور "علي أبو الرّيش"[12]؛ اللّهجة العامّيّة أنّها تفقد الإعلام رسالتّه حين نتحدث عن الهويّة، وما تواجهه من ارتباك في مفاصلها وما تُعانيه من آلام مبرحة، وأنّ الإعلام لن ينجح في تقديم رسالتّه على صورتها المثلى إلاّ إذا حشد قوّاه العقليّة حفاظا على الهويّة التي تبقى مجروحة في حال تقاعست اللّغة والإعلام القوي والمقنع والهادف، هو من يستخدم لغة سليمة وقويّة تستنبط قواعدها من التّراث القديم، كما اعتبر اللّغة العامّيّة بمثابة التّشوّهات التي تُصيب الإعلام لأنّه في غياب اللّغة يغيب القاسم المشترك بين اللّغة والهويّة، وإغراق الإعلام باللّهجة العامّيّة يعني الإغراق في الأمّيّة وإخراج الرّسالة عن محتواها، وحرمان الرّسالة من فتح آفاقها على أكبر شريحة ممكنة من البشر. وبخلاف "علي أبو الرّيش" ترى الدّكتورة "نفوسة زكريا سعيد" في كتابها "تاريخ الدّعوة إلى العامّيّة" أنّ الإنسان حرّ في اختيار لغته التي تُناسب أفكاره وتُعبّر عن شعوره، مستدلّة بذلك بقولها: "ليس لأحد من النّاس أن يلزم النّاس أو يُوجب عليهم إلاّ ما أوجبه الله ورسوله"[13]، ذاهبة بذلك أنّ الإبداع والتّميّز يُوجب التّحرّر من جميع القيود والقواعد التي فرضها علينا التّراث القديم.

5-أسباب غيّاب اللّغة الفصيحة من وسائل الإعلام: لماذا تغيب العربيّة من كثير من وسائل الإعلام العربي؟ لماذا ينحسر حضورها هذا الانحسار؟ سؤال طرحه كثير من الدّارسين وتباينّت الإجابات عنه، ومن أبرز العوامل التي ذُكرت:

– عدم الإحساس بأهمّيّة اللّغة العربيّة الفصحى، أو تقدير دورها في الحفاظ على شخصيّة الأمّة وكرامتّها وهويّتّها ووحدتها.

– الانبهار بلغة الآخر الغربي لعوامل مختلّفة، وإيثارها على العربيّة.

– ظنُّ فاقدي الثّقة بأمّتهم وحضارتهم أنّ استعمال اللّغات الأجنبيّة والرّطانة ببعض ألفاظها ومصطلحاتها دليل الحضارة والرّقي؛

– التّكاسل في التّرجمة والتّعريب، وإيثار الجاهز من الألفاظ والمصطلحات والمسمّيات الأجنبيّة؛

– غياب القرار السّلطوي في أغلب وسائل الإعلام العربيّة؛ الذي يُلزم بالفصاحة ولاسيما عندما يستشري الخطر، ويتفشّى الدّاء؛

– جهل كثير من الإعلاميين بها؛

– عدم ثقة قوم ممّن اهتّز انتماؤهم الحضاري لأمّتهم بمقدرة لغتهم على أن تكون لغة علم وفنّ وثقافة. ومن الواضح أنّ هذه العوامل وكثيراً غيرها، تقع جميعا في دائرة تحسين الظّنّ، واستبعاد عوامل التّآمر على لغة الأمّة وحضارتها.

6– دور وسائل الإعلام في المحافظة على اللّغة العربيّة: على أنّ الإنصاف في القول؛ يقتضي أن نُبيّن أن بعض وسائل الإعلام العربيّة قد خدمت اللّغة العربيّة، وكان لها دور إيجابي في نشرها وتقريبها من المتلقّين بل تحبيبهم فيها. واللّغة العربيّة المستعملة في بعض وسائل الإعلام هي لغة فصيحة، سهلة التّناول قريبة من أفهام عامّة النّاس، وهي لغة مقبولة على ما قد يشوبها أحيانا من بعض الأخطاء اللّغويّة أو الأسلوبيّة، أو النّحويّة، ولكنّها أخطاء يمكن تجاوزها والارتقاء بلغة الإعلام، ولاسيما إذا ازداد الوعي اللّغوي، ونما الإحساس بأهمّيّة العربيّة والحرص على ألاّ تُزاحمها العاميّات في هذه الأجهزة التّثقيفيّة الهامّة.

إنّ الإعلام – بما يملك من إمكانات التّواصل المذهلة، وسبب تأثيره البالغ في المتلقّين – يُمكن أن يكون من أنجع وسائل الازدهار اللّغوي، وتقريب المسّافة بين المواطن العربي ولغتّه القوميّة، وإنّه لقادر على خدمة اللّغة العربيّة خدمة لا حدود لها

ولا سيما في عصر ثقافة الاستماع، ثقافة الصّورة والمصاحبة بالكلّمة المنطوقة واستعلائها على الكلّمة المقروءة.

الخاتمة: في ختام هذه الورقة البحثيّة؛ يُمكن القول إنّ اللّغة العربيّة واحدة من اللّغات المشهورة التي تميّزت عن سواها بأنّها أرقى اللّغات الإنسانيّة، لغة القرآن وصاحبة تاريخ طويل، وأداة فاعلة من أدوات التّواصل الإنسانّي، بل هي أهمّها. ومن خلال استشعار مدى الخطورة التي مثلتها أجهزة الإعلام على اللّغة العربيّة؛ فإنّنا نضع بعض المقترحات لعلّها وعسى أن تُسهم ولو بجزء لحلّ هذه المشكلة التي تعرضنا لها في البحث:

- القيام بالتّوعيّة بأهمّيّة اللّغة العربيّة من خلال الجامعات والمدارس، ووسائل الإعلام وغيرها من المؤسّسات الأخرى، ووسائل الاتّصال كفيلة بالنّهوض بالمستوى اللّغوي العام في الدّول العربيّة على نحو يُحقّق الوحدة اللّغويّة؛

- ضرورة وجود دوائر مراجعين ومدقّقين ذوي الأهليّة، يتابعون نشرات الأخبار والبرامج والأعمال المترجمة من أجل اصلاح ما فيها من أغلاط؛

- الاختيار الواعي للإعلاميّين الذين لديهم المقدرة على التّحدّث باللّغة العربيّة الفصيحة، ولديهم الإلمام بقواعدها العامّة؛

- الاستفادة من الحاسّب والتّقنيات الأخرى في تدريس اللّغة العربيّة كما هو الشّأن في التّخصّصات الأخرى؛

- اتّخاذ التّشريعات الرّسميّة التي تُلزم وسائل الإعلام التّحدّث باللّغة العربيّة.

الاحالات:

[1]. فيصل شكري: قضايا اللغة العربيّة المعاصرة، المنظّمة العربيّة للتّربيّة والثّقافة والعلـــوم، ط1 تونسّ 1999، ص 5.

[2] . طاهر بن عيسى: العربيّة في الإعلام، دار مجلّة الثّقافة، دمشق:1992، ص 13.

[3] . عبد الكريم البوغيش: دور القرآن في تطوير اللغة العربيّة لآدابها، ديوان العرب، ص6-7.

[4] . ناصر الدّين الأسد: اللغة العربيّة وأثرها على وحدة الأمّة، الجزيرة، ص13.

[5] . مصطفي صادق الرّافعي: تحت رايّة القرآن، دار الكتاب العربي، ط1، عمـــان، 1987، ص 03.

[6] . مصطفي صادق الرّافعي: المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[7] . يوهان فك: العربيّة، ترجمة عبد الحليم النّجار، مكتبة الخازجي، القاهرة، 1951، ص 07.

[8] . عبد الرّحمان القعود: الازدواج اللغوي، جامعة الإمام، الرّياض، 1997، ص 13.

[9] . علي أحمد طالب: أثر العامّيّة في التّدريس، دامعة الإمام، الرّياض، 1997، ص 38.

[10] .نهاد الموسى: الثّنائيات في قضايا اللّغة العربيّة من عصر النّهضة إلى عصر العولمـــة، ط1 دار الشّروق للنّشر والتّوزيع، الأردن، 2003.

[11]. إبراهيم خليل: مدخل الى علـــم اللغـــة، دار الميســـرة للنّشـــر والتّوزيـــع والطّباعـــة، ط2 القاهرة،2014 ، ص 75-78.

[12] . علي أبو الرّيش: هو روائي وشاعر اعلامي إماراتي كبير، من مواليد 09 جوان 1956، له عدّة مؤلّفات من بينها روايّة "الاعتراف".

[13] . نفوسة زكريا سعيد: تاريخ الدّعوة الى العامّيّة، دار الإمام الشّـــافعي، المنصـــورة، ط2، ص 175.

تم إخراج وطبع بـ :

الإنمـــاء
للطباعة والنشر والتوزيع

المنطقة الحضرية قطعة 1- عين النعجة رقم 1 جسر قسنطينة - الجزائر
ها : 07.71.52.50.50 /05.50.54.83.07

البريد الالكتروني: inma.book@yahoo.com